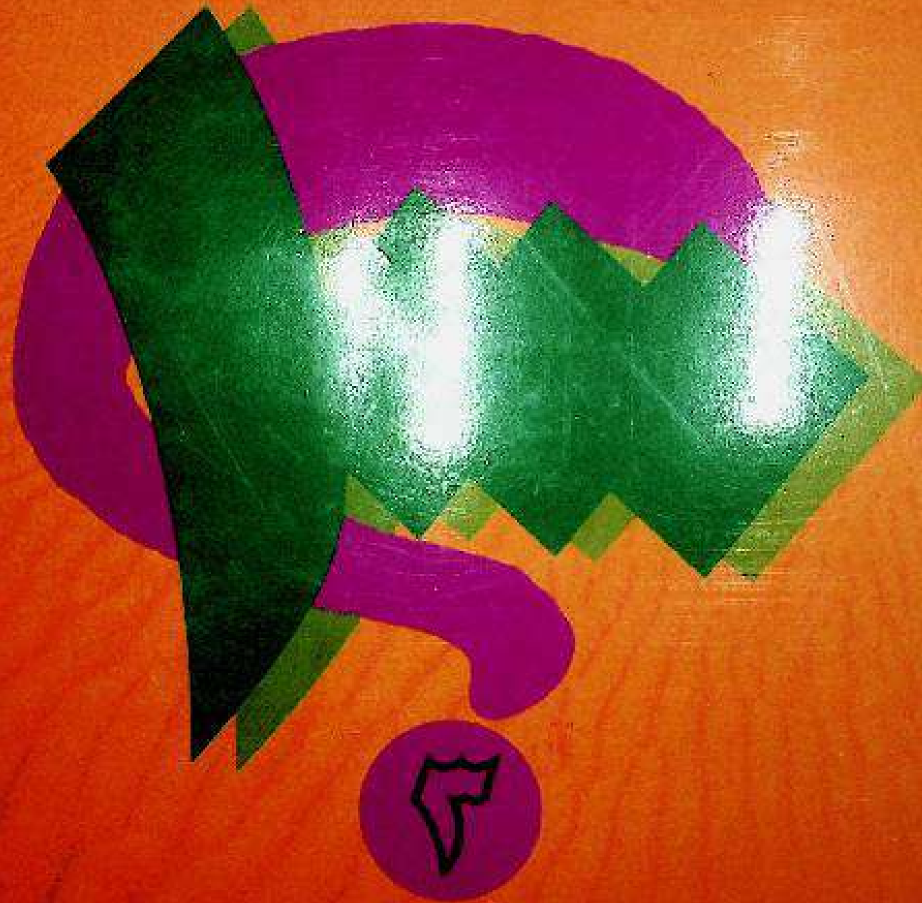
عبدالرحمن بن زيد السويداء



سنة الغامضة من تاريخ نجد

المحتويات

الكيانات الحضرية في العصر الوسيط

دولة الأخيضريين

ذكر الطبري أن أبا الساج (ديوداد بن ديو دست) وُجِّهَ عام ٢٥٢هـ ٨٦٦م في خلافة المعتز إلى طريق مكة ليصلحه، والأخيضريون نسبة إلى محمد بن يوسف الأخيضر بن إبراهيم بن موسى الجون، ويرجع أكثر المؤرخين أن ظهور الأخيضريين كان عام ٢٥٣هـ ٨٦٧م حين آلت الأمور إلى محمد بعد وفاة أخيه إسماعيل عام ٢٥٢هـ ٨٦٦م ويرجع سبب ظهوره باليمامة إلى أسباب منها:

١- ضعف الدولة العباسية وخروج كثير من الطالبيين في نواحي كثيرة.

٢- نفور أهل الحرمين من العلويين للأعمال الشنيعة التي أقدم عليها إسماعيل بن يوسف فترة تسلطه على الحجاز حيث عاث وأفسد وعرض للحجاج، وقطع الميرة عن الحرم وأدرك محمد هذا الجانب.

٣- أن الخلافة العباسية كانت تحافظ على الحرمين بكل ما لديها من قوة رغم مشاكلها الداخلية لأنها واجهتها أمام المسلمين.

٤- عرف محمد الأخيضر أن اليمامة ولاية داخلية في الجزيرة العربية وليست بمكانة الحجاز عند العباسيين.

٥- توقع وصول دعوة آل البيت والتشيع لهم إلى اليمامة سيما وأن أخوال أبيه بني جعفر بن كلاب المتاخمين لليمامة.

لذا اختار اليمامة مكاناً لظهوره، فاتخذ قاعدة الخضرمة من اليمامة مقاماً له عام ٢٥٣هـ ٨٦٧م، وأثناء دخوله اليمامة كما ذكر الأصبهاني قتل باليمامة

جماعة من بني الأخيضر ثم استولوا عليها وعظم شأنهم وكان والي اليمامة (من قبل العباسيين) محمد بن أبي العون ثم سعيد بن صالح (الحاجب) وكان الخليفة العباسي المعتز بن محمد بن جعفر ٢٥٢ – ٢٥٥هـ ٨٦٦ – ٨٦٨م.

ويظهر أن الأخيضريين قد احتلوا جزءاً من اليمامة فقط وظل أفراد الأسرة الأخيضرية يتوارثون الحكم باليمامة حتى اصطدم بهم القرامطة في مطلع القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ٣٢٥هـ ٩٦٣م، وقيل أن عام ٣١٧هـ ٩٢٩م كان نهاية حكم الأخيضريين في اليمامة حيث جرت بينهم وبين القرامطة معارك شديدة قتل القرامطة فيها عدداً من مشاهير الأخيضريين وانقرض أمرهم (وبذا يكون زمنهم ٦٤ أو ٧٢ سنة) وهناك مصادر أخرى تثبت استمرار الأخيضريين باليمامة حتى ما بعد منتصف القرن الخامس الهجري وأن القرامطة لم يسيطروا على موضع نفوذ الأخيضريين لعدة أسباب منها:

١- التقاء (أو تقارب) القرامطة والأخيضريين في المذاهب العقدية.

٢- اتفاقهم بالأهداف وهي الخروج على العباسيين وإقامة دويلات مستقلة عن خلافتهم.

٣- تجنب القرامطة فتح جبهة ثانية مع الأخيضريين فأبقوهم على ما تحت يدهم.

ويسند هذا ما أشار إليه الأصبهاني في كتاب مقاتل الطالبيين عند حديثه عن ظهور الأخيضريين بناحية اليمامة بقوله: وعظم شأنهم فيها في عزّ القرامطة وبلادهم في منعة لا يقدر معها عليهم فكانت سياستهم التعسفية سبباً مباشراً في رحيل كثير من أهل اليمامة عنها في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع

الميلادي) إلى خارج الولاية بل إن منهم من رحل إلى قارة أفريقيا واستقروا في مصر، ويقول ابن حوقل: إن دخول محمد بن الأخيضر اليمامة سبب انقشاع أهلها من جوره إلى أرض مصر والمعدن في آلاف كثيرة فغلبوا من كان بها أهل الحجاز، وينقل ياقوت عن ابن سيرين: أنه في سنة ٣١٠هـ ٩٢٢م انتقل أهل قرآن من اليمامة إلى البصرة لحيف لحقهم من ابن الأخيضر في مقاسمتهم ونهب أرضهم فلما انتهى خبرهم إلى أهل البصرة سعى أبو الحسن أحمد بن الحسين بن المثنى في مال جمعه لهم فقووا به على الشخوص فدخلوها على حال سيئة فأمر لهم أميرها بكسوة ونزلوا "بالمسامعة" محلة بها.

عوامل قيام الدولة الأخيضرية:

إضافة إلى العامل السابق وهو اعتقاد العلويين بأحقيتهم في الخلافة ومحاولة استردادها من العباسيين يمكن أن نضيف أن طبيعة أحداث القرن الثالث الهجري كانت العوامل التي ساعدت على قيام هذه الدويلة، كإسقاط العرب من ديوان العطاء وإقصاء العناصر العربية عن الحكم، وارتداد بعضهم في الجزيرة العربية، وما تركته هذه المعاملة لهم من جانب الدولة من ردود فعل تمثلت لدى البعض منهم في ثورات القبائل وتمردها وقطعها الطريق، ثم إحلال الأتراك محل العرب، وتسلط الأتراك على الخلفاء وما نتج عن ذلك من صراع على الخلافة وحرب داخلية شغلت الدولة عن صد الغزو الخارجي والخطر الداخلي الذي تمثل في ظاهرة التجزء في جسم الخلافة والذي يمثل قيام الدولة الأخيضرية أحد مظاهره.

ولعلنا في ضوء ما سبق نستطيع إجمال أهم العوامل التي ساعدت محمداً الأخيضر بن يوسف على تأسيس دولته.

١- اعتقاد العلويين بأحقيتهم في الخلافة وفشلهم في انتزاعها من العباسيين مما جعلهم يقنعون بإقامة دويلات يكونون على رأسها.

٢- إسقاط العرب من ديوان العطاء وإقصاء العنصر العربي عن الحكم مما جعله يشعر بعدة فراغات نفسية وسياسية حاول أن يعبر هذه المشاعر بثورات وتمرد على السلطة، وبإقامة دويلات تعوضه شيئاً مما فقده من سلطة ومركز.

٣- إهمال العباسيين لمنطقة اليمامة لانشغالهم بمشكلاتهم الداخلية والخارجية ولفقر هذه المنطقة في قيمها الروحية والمادية.

٤- بعد هذه المنطقة نسبياً عن مركز الدولة وفراغها قيادياً في الفترة التي قامت فيها دولة الأخيضريين حيث لا نجد فيما بين أيدينا الآن من المصادر ذكراً لاسم من كان والياً على اليمامة في تلك الفترة.

تأسيس دولة الأخيضريين:

تنسب الدولة الأخيضرية إلى محمد الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقد استولى على اليمامة عام ٢٥٣هـ عندما فر بعد هزيمته واتخذ الخضرمة قاعدة لحكمه وقد تداول بنوه حكم بلاد اليمامة إلا أن كتب التاريخ لا تذكر منهم سوى خمسة حكام، كما أنها تضن علينا بأي معلومات عن هؤلاء الحكام وفترات حكمهم والحكام الذين أوردت أسماءهم المصادر هم:

١- محمد الأخيضر بن يوسف مؤسس الدولة وهو الذي اتخذ الخضرمة عاصمة لدولته.

٢- يوسف بن محمد الأخيضر.

٣- إسماعيل بن يوسف بن محمد الأخيضر وقد أشركه أبوه معه في الحكم بعد وفاة أبيه وكان يحكم اليمامة في عام ٣١٣هـ وعاصر أبا طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي ويبدو أنه كان على علاقة ودية معه فإن أبا طاهر لما استولى على الكوفة وأراد العودة إلى الأحساء سلمه إمرة البلاد، بل ذهب بعض الباحثين إلى أن حصن الأخيضر الذي لا تزال أطلاله باقية إلى اليوم في صحراء العراق على بعد ٢٥ ميلا من كربلاء ربما سمي باسم إسماعيل بن يوسف عندما عهد إليه أبو طاهر بإمرة الكوفة عام ٣١٥هـ.

٤- الحسن بن يوسف بن محمد الأخيضر (هذا غير مؤكد وإن كان اسمه الأخيضر لا يعطي دليلاً قاطعاً على ذلك).

٥- أحمد بن الحسن بن يوسف بن محمد الأخيضر.

١- ثم ترد الخضرمة، جو الخضارم مدينة وقرى وسوق فيها بنو الأخيضر بن يوسف "الهمداني: صفة جزيرة العرب".

٢- وقدمنا فيما أسلفنا من هذا الكتاب وفاة إسماعيل بن يوسف.. وما كان من أمر أخيه بعد وفاته وهو محمد بن يوسف مع أبي الساج وحربه إياه ولما انكشف من بيدي أبي الساج سار إلى اليمامة والبحرين فغلب عليها وخلفه بها عقبة المعروف ببني الأخيضر اليوم "المسعودي مروج الذهب".

٣- وبالاختصار بلغنا اليمامة... وأمراؤها علويون منذ القدم ولم ينتزع أحد هذه الولاية منهم، إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر وهؤلاء العلويون ذوو شوكة فلديهم ثلاثمائة أو أربعمائة فارس. ناصر خسرو- سفر نامة.

٤- ووَلِي مكانه أخوه الأخيضر محمد فنهض إلى اليمامة وملك أمرها وكان له من الولد محمد وإبراهيم ويوسف وعبد الله وهم باليمامة ودار ملكهم بها الخضرمة ومنهم ولاتها اليوم.

٨- ماهية الكيانات ومقوماتها:

الكيان هو السلطة الحاكمة لجزء معين من الأرض والبحر بما عليها من المدن والقرى والأرياف وما تحويه من البشر وما يحيط بها من البحار وما فيها من الثروات والأنهار وما تسقيه من الأراضي الزراعية، غير أنه في شبه الجزيرة العربية وبالذات في منطقة البحث يوجد فيه بعض الاختلاف خاصة فيما يتعلق بالأنهار والبحار لأن هذه البقعة تخلو من ذلك وتتصف بالمناخ القاري الصحراوي ويمثل المطر الموسمي فيها عنصراً مهما تترتب عليه أمور كثيرة تتحكم

في مصير الكيان، وفي ظل هذه الوضع فالكيان الحضري أو الزعامة القبلية في منطقة البحث تتكون من عدة عناصر بشرية منها:

أ- القوة المحاربة:

وتتكون القوة المحاربة من رجال عاديين غير مدربين على شئون القتال بطريقة نظامية كما هو عليه الحال عند القوة العسكرية وإنما يكون لديهم مران وممارسة فردية يتقنها من يتقنها ويلم بشيء منها من يلم حسب مقدرته الجسدية واستعداداته الفطرية وحذقه في المران ويبرز فيها من يبرز بموهبته الذاتية وتشجيع من حوله بما يبرز فيه من أعمال، والفرد في هذه القوة المحاربة ليس متفرغاً لهذا العمل بالضرورة، فقد يكون فلاحاً أو مهنياً أو تاجراً أو راعياً أو غير ذلك من مختلف تخصصات المجتمع الحضري أو البدوي ويستدعى للاشتراك في القوة المحاربة في أي وقت دون أن يكون له مرتب نقدي شهري أو سنوي أو أي ميزة مادية، بل يطلب منه أن يجهز نفسه بالراحلة أو الفرس والسلاح والزاد في أغلب الأحيان إلا إذا كان لدى السلطة متسع من النفقات، وليس له أي شيء من السلطة اللهم ما يخصه مما يحصل عليه المحاربون من الغنائم، هذا إذا كان هناك غنائم أما إذا لم يكن هناك غنائم فإن هذا المحارب لا يطالب السلطة بأي ميزة مالية أو أي تعويض عما فقده في هذه المشاركة أو ما خسره من مال وما يترتب على غيبته عن أهله وممتلكاته من نقص أو خسارة أو ضياع وكل ما في الأمر أن يعود إلى مكانه كما كان، وإن حدث وأنعمت السلطة على المحاربين ببعض المكافأة النقدية أو العينية أو الكساوي فإنهم يرون ذلك شيئاً كبيراً، وإذا حدث وقتل هذا المحارب فليس هناك أي تعويض لأهله وأسرته وأولاده لا ينالون من السلطة أية ميزة مادية أو عينية تساعدهم على شئون حياتهم وليس لهم أي اعتبار معنوي بل يبقون يصارعون تيار الحياة بأنفسهم، وإلى جانب

هؤلاء المحاربين غير المتفرغين هناك فئة قليلة متفرغة لخدمة السلطة من حراسة وتنظيم وغيرها من الخدمات وهي أيضاً غير نظامية تسمى "الفداوية" واحدهم "فداوي" أو "خوياء" واحدهم "خوي" يخدم السلطة ويشترك مع المحاربين ويوكل إلى النابه منهم تنظيم بعض أمور الحرب كالتموين والتحضير للمحاربين ونقل الأوامر من رئيس السلطة بمنزلة الوزير له هذه الفئة تبقى في خدمة السلطة ما دامت تستطيع ذلك وقد يختار من بينهم من يرشح أميراً أو قائداً لغزوة أو غزوات أو أميراً على مقاطعة من مقاطعات السلطة أو منطقة أو ثغراً من ثغورها أو مدينة مهمة وحكم هذه الفئة حكم المحاربين غير المتفرغين ليس لها رواتب معينة أو هبات شهرية وإنما تعطيهم السلطة شيئاً من الزكاة الشرعية أو ما يجبى من أموال أو ما تحصل عليه من غنائم ولكن قد يكون ذلك بطريقة غير منتظمة وقد يحصل لهم في أوقات المناسبات والأعياد بعض الهدايا والنقود والملابس وهي أي فئة "الخويا" أو رجال السلطة في الزعامة القبلية أقل منها عدداً عند الكيان الحضري مع أنهم أكثر تفرغاً من أمثالهم المحاربين في البيئة الحضرية ولكنهم أقل التزاماً ومداومة على الحضور في خدمة السلطة وفي أغلب الأحيان، وأقل تواجداً عند الأمير أو زعيم القبيلة إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك وهم في نفس الوقت غير بعيدين عنه حيث يتواجدون في نفس النزل ويجتمعون عنده في مجلسه ربما مرة أو مرتين في اليوم في الصباح الباكر والمساء المتأخر وإن لم يكونوا كلهم فأغلبهم وإذا حزب حازب أو استجد عند الأمير أو الزعيم أمر فما عليه سوى إشعال نار كبيرة في مجلسه العادي خاصة بالليل وعندها يتسارع الرجال إليه وكان ذلك بمنزلة الدعوة للحضور كما هي عادة العرب منذ القدم وغالباً يكون

هؤلاء المحاربين في الكيان القبلي أكثر إخلاصاً واندفاعاً واستماتة نحو زعيمهم عن نظرائهم في الكيان الحضري وذلك لقوة الرابطة القبلية بينهم وإن لم يكن الحضر لديهم هذه الرابطة وقد اضطر بعضهم بالإكراه على الاشتراك في هذه الأعمال الحربية إلا أنهم إذا لزمهم الأمر لا يقلون عن رجال الكيان القبلي، أما كيفية استدعاء هؤلاء المحاربين بواسطة "الخوياء" للقيام بالعمل في الوقت المعين حسب طبيعة المهمة التي يراد القيام بها إذا كانت مستعجلة أو مباغتة أو سرية سواء أكان ذلك للهجوم أو الدفاع وفي هذه الأخيرة يكون الاستنفار عاماً وفي الغالب يكون تجهيز القوة المحاربة في الزعامة القبلية أسرع من مثيلتها في الكيان الحضري وذلك لتواجد الأفراد في مكان واحد على الأغلب فما على السلطة سوى إشعال النار الكبيرة كما أشرنا آنفا إن كان الأمر بالليل وإن كان الأمر بالنهار فما إن يسمعوا صريخ المنادي حتى يجتمعون في فترة قصيرة تلبية هذا النداء وربما يأتون بكامل استعداداتهم.

ب- معدات الحرب:

وتتكون معدات الحرب من الخيل والركاب من الإبل وتموين المحاربين وتسمى "الحملة" والإبل التي تنقل الماء و "العليق" للخيل ويسمى هذا الجزء من الحملة "الزميل" والقائمين عليها يسمون "الزماميل" وعليق الخيل هي الحبوب التي تتخذ علفاً للخيل وغالباً ما تكون من الشعير وربما القمح أو هما معاً بوضع للفرس شيئاً من هذا العلف ويعلق في رقبتها بوعاء يسمى (مخلاة) تأكل منه وهي صافنة أثناء وقوفها بالليل ويكون الماء متوفراً لشرب الخيل الذي ينقل لها على الإبل بأوعية الروايا أو الروي واحدها راوية وهي من الجلد المدبوغ أكبر

من القربة أو هي قربة كبيرة ويحتوي التموين على الطعام والشراب ومستلزماته وأوعية الطبخ وأوعية نقل الماء وحياض سكب الماء من الجلد تسقى بها الخيل والإبل والأرشية والدلاء وكل ما يحتاجه المحاربون في مهمتهم حتى عودتهم.

جـ- الأسلحة المستعملة:

الأسلحة المستعملة في تلك الحروب هي الأسلحة التقليدية القديمة السيف والرمح والنبال أما السلاح الناري البنادق فلم تدخل المنطقة إلا في وقت لاحق سيأتي ذكره، والسيف المستعمل في هذه الحروب نوعان السيف الطويل المنحني المعروف وهو السيف التقليدي والسيف العريض القصير المعتدل سوى عقفة قليلة قرب رأسه ويسمى هذا النوع من السيوف بـ"القَرْدَة" أو "الكَرْدَة" بقلب القاف إلى كاف ويستعمل للقتال عن قرب والرمح هو الآخر نوعان الرمح الرشيق ذو القناة الطويلة اللدنة والنوع الثاني وهو رمح عريض النصل وقناته غليظة قصيرة قاسية ويسمى هذا النوع من الرماح بـ"الشَّلْفَا" ويقاتل بهذا النوع من الرماح عن قرب كما هي عليه الحال في السيف القصير يضاف إلى هذا سلاح يسمى "القاعوس" أو "الكلنك" وهو أداة تشبه الفأس مصنوعة من الفولاذ لها وجهان حادان أحدهما برأس واحد والثاني برأسين يضرب بهذه الأداة عن قرب عندما يلتحم الفارس مع نده أو يقترب منه بدرجة كافية، وإلى جانب ما سبق هناك الخنجر والمدية ويكونان أو أحدهما في حزام البطن للاستعمال في حالة التماسك بالأيدي والالتصاق بين الخصمين أما السلاح الناري فقد ورد أول ذكر له في حوادث سنة ٨٩٧هـ - ١٤٩١م عندما حدث النزاع بين أهل المجمعة وأهل حرمة وحدث بينهم رمي بالبنادق من بعيد وأصيب من أهل

المجمعة ثلاثة رجال ومن أهل الحرمة اثنان، كما جاء عند ابن بسام في تحفة المشتاق والحادث الثاني الذي حدث فيه قتال بالسلاح الناري هو ما ورد في حوادث ٩٣٧هـ - ١٥٣٠م عندما أغار آل نبهان من آل كثير على أهل العيينة وأخذوا أغنامهم ففزع عليهم أهل العيينة ولحقوهم في الخيسية وحصل بينهم رمي بالبنادق من بعيد فقتل ثنيان بن جاسر شيخ آل نبهان فانهزم الغزو وتركوا الأغنام والحادث الثالث عام ٩٩٦هـ - ١٥٨٧م عندما أغارت سبيع على أهل العيينة فأخذوا أغنامهم ففزعوا ولحقوهم في لبن فحصل بينهم رمي بالبنادق وكانت مليح من سبيع نازلين بإبلهم في لبن ففزعوا نجدة لقومهم فلما رآهم أهل العيينة انقلبوا راجعين وسبيع في أثرهم وصار "بواردية" أهل العيينة يحمون قومهم، ولم يبين ابن بسام رحمه الله نوع هذا السلاح وقوته أو ضعفه غير أن الفترة التي حدث فيها استعمال هذا السلاح غير قصيرة تقارب الأربعين سنة كان بيد الحضر دون البدو مما يدل على أن البادية قد استمروا على استعمال السلاح التقليدي السيف والرمح إلى وقت متأخر ويدل من جانب آخر على سبق الحضر في استخدام السلاح الناري أياً كان نوعه ومستواه وقد يكون لهم يد في تصنيعه أو تطويره فيا ترى ما هو هذه السلاح أهو سلاح مستورد من الخارج؟ أم هو سلاح ناري مصنوع محلياً أم يكون مستورداً من الخارج وجرى تطويره محلياً وتجهيز ذخيرته من الخامات المحلية المتواجدة في هذه المنطقة، وربما كشفت الأيام عن نوع هذا السلاح.

د- تنظيم القتال:

لم تشر المصادر التي اطلعت عليها إلى تغيير خطة القتال أو تنظيمه حيث لا يزال على الطريقة التقليدية المعروفة الميمنة والميسرة والقلب والمبارزة والطراد على الخيل وأضافوا إلى ذلك نمطاً آخر وهو ما يسمى بـ"المُناوَخة" وهي أن يعمد كل طرف من المتحاربين إلى إناخة ما معه من الإبل وحبسها ويتلاقى المتحاربون طراداً على الخيل مخلفين إبلهم ومواشيهم وحتهم وهذا في الغالب عندما تشتد الحرب من متحاربين متكافئين حيث جاء في تحفة المشتاق عدة حوادث جرت على هذا النمط ففي سنة ٨٥١هـ - ١٤٤٧م تناوخ الفضول وآل مغيرة على مبايض وحصل بينهم قتال شديد وأقاموا في مناخهم نحو عشرة أيام كل يوم يقع بينهم طراد على الخيل، وفي سنة ٨٥٣هـ - ١٤٤٩م تناوخت عنزة والفضول على نفي وأقاموا في مناخهم نحو عشرين يوماً يغادرون القتال ويراوحونه طراداً على الخيل وساعد الظفير في هذا الموقف بعض بوادي حرب ثم مشى بعضهم على بعض وحصل بينهم قتال شديد وصارت الهزيمة على عنزة حيث انهزموا بإبلهم ولم يتركوا منها إلا القليل وتركوا محلهم وأغنامهم، وتستمر هذه الوقائع كلها على هذه النحو، فالخطط لا تزال هي الخطط المعهودة منذ صدر الإسلام وقبله عدا الإضافة المشار إليها.

هـ- أوقات الحرب:

لم يكن هناك هدف بعيد المدى حتى يخطط له ويتم تنفيذه بإحكام وتبعاً لذلك فإن الأهداف القريبة المبنية على الغارات والكسب قد لا تحتاج إلى خطط معينة وإنما يحدث ذلك في أي وقت سنحت فيه الفرصة لكن على الأغلب تحدث هذه

الحروب في وقت الربيع وبالأخص فيما يسمى بـ "نقضة الجزو" وهو وقت قرب انسلاخ فصل الربيع ودخول فصل الصيف عندما تشتهي المواشي الماء في هذا الفصل تكثر الغزوات حيث تكون الركاب سمينة قوية قد رعت أعشاب الربيع وتكون الخيل كذلك وحتى المواشي التي سيتم أخذها وكسبها تكون سمينة هي الأخرى تساوي ما يبذل في سبيلها من جهد وعناء وقتال كما أنه بعد فصل الربيع تجلب البوادي منتجاتها من الألبان ومشتقاتها والأصواف والأوبار والمنسوجات الصوفية والوبرية والجلود إلى المدن والأمصار والاستعاضة عنها بما يحتاجونه من الأطعمة والألبسة ومستلزمات الحياة الأخرى فتكثر القوافل في هذا الفصل الذاهبة إلى المدن والأمصار كالأحساء والعراق والمدينة المنورة ومكة المكرمة والشام وهذا يعتبر الموسم الرئيس للغارات والحروب أما الموسم الثاني فيحدث في الخريف عند توفر موسم التمر وقرب ابتعاد البوادي عن الموارد وهو أيضاً وقت اكتيال البوادي من التمر استعداداً لوقت الشتاء في هذا الوقت تحدث الحروب حول أخذ هذه القوافل المحملة بالتمور والقادمة من الأحساء والبصرة وغيرهما أما في فصل الشتاء البارد أو الصيف الحار فإنه قلما يحدث غزو أو حروب إلا عند الضرورة القصوى كما أنه يقل بدرجة كبيرة لدرجة الندرة أحياناً كأن يحصل الغزو أو المناوخة في سنوات الجدب لأن الركاب والخيل تكون هزيلة لا تستطيع بذل جهد في الركوب وقطع المسافات وكما تكون المواشي هزيلة هي الأخرى لا مطمع فيها، ولو ألقينا نظرة على ما جرى من حوادث في هذا الشأن لوجدنا أنه في سنة ٨٧٥هـ - ١٤٧٠م تناوخت عنزة والظفير على المستوي في أيام الربيع، وفي سنة ٩٦٦هـ - ١٥٥٨م تناوخت

عنزة والظفير على المستوي في أيام الربيع ومع عنزة فدغم آل مسعود من شمر، وفي سنة ٨٧٦هـ - ١٤٧١م أخذ آل كثير والعوازم وزغب (الهلاليون) قافلة كبيرة لأهل نجد على اللصافة خارجة من البصرة وفيها من الأموال والأمتعة الشيء الكثير وأمثال هذه الغارات كثيرة ورغم أن المؤلف الذي نقلنا عنه لم يذكر زمن الغارات المشار إليها إلا أنها غالباً ما تكون في الأوقات التي سبقت الإشارة إليها آنفاً وقد تأتي الغارات في الأزمان غير المتوقعة.

هـ- أهداف الحروب:

كما ألمحنا أنه لا توجد أهداف بعيدة من وراء هذه الحروب فالأهداف السياسية تكاد تنحصر في الكيانات الحضرية أما الزعامات القبلية فإن أهدافها تكون مصلحة مادية بالدرجة الأولى ربما كان ذلك بدافع الحاجة والعوز لمواجهة ظروف الحياة القاسية ومعنوية بالدرجة الثانية وذلك لمقاضات ترات أو أداء ثارات بالدرجة الثالثة، فكسب الخيل والإبل يتصدر الهدف المادي يلي ذلك الأموال من ذهب وفضة وأطعمة وملابس وكماليات أخرى ويمثل الهدف الأول كسب كرام الخيل بعد جندلة فرسانها وكسب الإبل السمان بعد هزيمة هذه القبيلة أو تلك بالإضافة إلى الأغنام والأمتعة وذلك لسد الاحتياجات الضرورية لقوام الحياة، أما الهدف الثاني فيمثل الغارة على القوافل التجارية التي تحمل التموين من أطعمة وأشربة وأكسية وغيرها ويمثل الهدف المعنوي وإن جاز أن تسميه السياسي فانتصار زعيم قبيلة على زعيم قبيلة أخرى ليشار إليه بالبنان أو يكون ضحية على رأس ضحايا هذه المعركة أو تلك وقد سقط في هذا السبيل مع الأسف الشديد مئات من صناديد الرجال في المعارك دون أن يحققوا

هذا الهدف، تأتي بعد ذلك المقاصات وأخذ الثأر الفردي أو الجماعي للقبيلة في إغارة قبيلة على أخرى لمجازاتها على إغارة سابقة حين قتلت مجموعة من رجالها أو أخذت عدداً من مواشيها وأمثلة ذلك كثيرة أما الحرب من أجل هدف سياسي فيأتي بين كيان حضري وآخر من أجل بسط نفوذ أكبر أو تحقيق هدف أشمل كما حدث بين المجمعة وحرمة وربما أتى هذا الصراع في نفس الكيان الواحد بين فروع السلطة كما حدث بين فرعين من امراء المجمعة، ومجمل هذه الأهداف وقتية قد تتغير بصفة دورية وبمدد قصيرة بحيث يصبح أعداء الأمس مسالمي اليوم وربما وصل الأمر إلى حد الصداقة ودفن الماضي بكفن الأمس الفائت لهذا فإن هذه الأسباب قد لا تمثل عقبة تعوق مسيرة الحياة إلا إذا تغلبت فئة على أخرى.

ح- الاستعانة بالآخرين:

تكاد تكون الاستعانة بالآخرين على الخصم موجودة منذ زمن بعيد سواء أكان هذا المستعان به من الناس الأقربين أو الأبعدين وسواء أكان من قومه أم من أمة أخرى وليست استعانة جديس بتبع اليمن على طسم إلا نوع من هذه الاستعانة وقد جرت هذه الاستعانة أو التقليد المتوارث بين المتحاربين في هذه البقعة حيث نجد في حوادث ٨٦٠هـ - ١٤٥٥م أن صقر بن راشد بن سويط يستنجد ببوادي حرب مع غزوه ويأتيه المدد بزعامة عبد الله بن سالم بن مضيان ومناحي الفرم ونجد في حوادث ٨٨٠هـ - ١٤٧٥م أن الفضول يستنجدون بآل مغيرة في حربهم مع الدواسر وهؤلاء بدورهم يستنجدون بقبيلة سبيع وفي حوادث ٩٠١هـ - ١٤٩٥م حينما أغار آل كثير على أغنام أهل حرمة وأخذوها

وكان بحرمة غزو من عنزة فاستنجد بهم أهل البلد وفزعوا معهم واستنقذوا الغنم وأخذوا غزو من عنزة غالب جيش آل كثير، وفي حوادث ٩٥١هـ - ١٥٤٤م نجد الفضول يستنجدون بآل مغيرة في حربهم ضد الدواسر فينجدونهم وفي سنة ٩٦٦هـ - ١٥٥٨م تناوخت عنزة والظفير بعد أن ساعد عنزة فرع من المسعود من شمر بقيادة فدغم آل مسعود وداعج بن ناشي ومع الظفير فرع من حرب بقيادة بادي الفرم وهذال بن مضيان واستنجد الظفير أيضاً بالسهول. هذه نماذج لما حدث من استعانة المحاربين بغيرهم لنجدتهم ومساعدتهم على خصومهم غير أنني لم أجد أحداً منهم قد استنجد بقوم من خارج المنطقة وتحدث هذه النجدات في الغالب بين من يعودون إلى أرومة واحدة أو قبيلة واحدة.

نفوذ حكام البحرين (الأحساء):

وانقسمت نجد بين بني جروان وبني جبر حتى استتب الأمر لسيف بن زامل بن جبر الجبري النبهاني الخالدي الذي تمكن من القضاء على دولة بني جروان سنة ٨٢١هـ - ١٤١٨م وعين علي بن إبراهيم بن طاهر أميراً على اليمامة وفي عام ٨٣٣هـ - ١٤٢٩م استقل ابراهيم بن طاهر بحجر اليمامة وما زال نفوذه على ما جاورها ومقاومة قبائل بني لام (بنو الفضل - الفضول، بنو كثير بن المغيرة، بنو الظفير) وأحلافهم مما جعل الجراح بن مدلج بن علي بن محمد بن نعير بن حيار بن مهنا الطائي أمير كافة طيء وبني لام (من طيء أيضاً) يتجه إليه بقواته غير أنه لم يتمكن من دحر قواته حيث التفت حول علي بن طاهر قبائل نجد الجنوبية والشرقية فقتل الجراح في معركة يبرين على يد علي بن

إبراهيم بن طاهر عام ٨٣٥هـ ١٤٣١م وبعدئذ قتل علي بن إبراهيم على يد مهنا بن عمر الكثيري عام ٨٣٦هـ ١٤٣٢م؛ ولما مات سيف بن زامل تولى الحكم في الأحساء بعده أخوه أجود بن زامل بن حسين الجبري وبعد وفاة أجود تولى بعده سيف بن أجود الذي وسع أطراف إمارته على حساب جيرانه وفي مصدر آخر: وبرزت في هذه الأثناء بيت جبر بن نبهان الخالدي وأخذ يمد نفوذه على البحرين وشطآنه حتى تمكن من فرض سيطرته على شرق الجزيرة وأنهى حكم إبن جروان ولا زال هذا البيت في علو حتى عهد زامل بن زايد بن حسين بن سيف بن جبر بن هلال الجبري النبهاني الذي قضى على التشيع وبسط نفوذه على قرى اليمامة وعين على الخرج حسين بن زامل (زويمل) بن سالم بن محمد من ولد حذيفة الأخيضري الحسني الذي كان قد فارق مذهب أسرته، وتمكن حسين من ضم وادي المجازة (الخريق وقراه إلى سلطانه وأخضع بني هزان (٦٢/٥١).

وذلك لأن الدولة الزيادية دخلت مرحلة الضعف والتمزق بسبب تهديد القرامطة لها بزعامة داعيتهم علي بن الفضل لبني زياد في عقر دارهم؛ وسيطرتهم على مناطق كثيرة من تهامة اليمن التي كانت من باب أولى تحت نفوذ بني زياد المباشر وتدخل من الناحية الجغرافية ضمن نطاق مدينة زبيد التي لم تكن هي نفسها لتنجو من تَعَسُّف رجال علي بن فضل الذين دخلوها واستباحوها في حدود عام ٢٩٨هـ ٩١٠م ومن الجدير بالذكر أن دولة بني زياد تأسست عام ٢٠١هـ ٨١٧م في زمن المأمون حيث أسندت ولاية تهامة إلى محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن زياد السفياني مؤسس الدولة الزيادية (فضلاً انظر تفصيلاً عنها في

موضع آخر، وعندما توفي علي بن الفضل سنة ٣٠٧هـ ٩١٥م انحسر بوفاته التهديد القرمطي لبني زياد. (١٧ - ٣٦/١٨).

وفي سنة ٢٨٦هـ ٨٩٢م ظهر بالبحرين أبو سعيد الجنابي القرمطي في أول السنة وسطها قويت شركته وأنضم إليه طائفة من الأعراب فقتل أهل تلك القرى وقصد البصرة (٢٤٠/١٢٠/٣).

وفي سنة ٢٨٦هـ ٩٠١م انتشر القرامطة بسواد الكوفة وكان رئيسهم يقال له أبو الفوارس، فظفر به عسكر الخليفة المعتضد فحمل هو وجماعة معه إلى بغداد فعذبوا بأنواع العذاب ثم صلبوا وأحرقوا، وأما كبيرهم أبي الفوارس فقلعت أضراسه ثم شُدَّ على حاله إلى وقت الظهر ثم قطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه (٢٤٠/١٢٦/٣).

وفي سنة ٣٠٧هـ ٩١٩م دخل القرامطة البصرة فنهبوا وقتلوا وسبوا، وفي سنة ٣١١هـ ٩٢٣م دخل أبو طاهر القرمطي إلى البصرة ووضع السيف في أهلها وأحرق البلد والجامع ومسجد طلحة وهرب الناس وألقوا بأنفسهم بالماء فغرق معظمهم (٢٤٠/٢٠٨/٣) وفي سنة ٣١٣هـ ٩٢٥م سار الحاج من بغداد ومعهم جعفر بن ورقاء في ألف فارس فلقيهم القرمطي فناوشهم الحرب فرجع الناس إلى بغداد ونزل القرمطي على الكوفة فقاتلوه فغلبهم ودخل البلد، ونهب ما لا يحصى فندب المقتدر مؤنساً الخادم لحرب القرمطي وجهزه بألف ألف دينار (١,٠٠٠,٠٠٠) مليون دينار وفي عام ٣٥٣هـ ٩٦٤م بعث القرامطة إلى سيف يستهدونه حديداً فسيَّر إليهم شيئاً كثيراً وحمل إليهم في الفرات ثم في البرية إلى هجر (٢٤٠/٣٠٥/٣) وفي سنة ٣٥٩هـ ٩٧٠م استولى

الفاطميون على الأقسام الجنوبية من بلاد الشام من الإخشيديين بقيادة جعفر بن فلاح، وعندما علم القرامطة بهذا التقدم الفاطمي أسرعوا بالمجيء إلى بلاد الشام لأن المال الذي كان تقرر على الإخشيدية لهم بسبب الخفارة انقطع لما زالت دولتهم وملك المغاربة (يعني الفاطميين) وتمكن القرامطة من الاستيلاء على دمشق وما يقع جنوبها من البلاد حتى وصلوا قريباً من القاهرة. (٣٢/٤٢).

ولم تكن هذه القوى التي تصارعت على المنطقة هي التي أدت إلى سيادة الفوضى وإنما كان لاستعادة القبائل العربية لقوتها وتغلبها على معظم المناطق الواقعة على أطراف البادية وحتى بعض الحواضر أثر في هذا التغيير. (٣٢/٤٢).

بعد أن انتصر القرامطة على الفاطميين في الشام عام ٣٦٠هـ ٩٧٠م وقتل قائدهم جعفر بن فلاح في ناحية الدكّة والاستيلاء على الشام ثم زحفت جيوش الحسن بن أحمد القرمطي إلى مصر في أواخر سنة ٣٦٠هـ هاجمت مدينة القلزم وتمكنت من دخولها وأسروا واليها الإخشيدي عبد العزيز بن يوسف، ولم تلبث أن تابعت سيرها في الأراضي المصرية وفي أوائل سنة ٣٦١هـ فاستولت على عين شمس ثم تقدمت إلى القاهرة حيث صدهم القائد الفاطمي جوهر الصقلي وتقهقر الحسن بن أحمد بجنده ورحل إلى الأحساء. (٢٥٠/٣٠).

وظل القرامطة قوة يخشى بأسها رغم انسحاب قوتهم من مصر في شهر ربيع الأول عام ٣٦١هـ ٩٧١م وعندما قدم المعز لدين الله الفاطمي من المغرب إلى مصر سنة ٣٦٢هـ ٩٧٢م وجه سياسته إلى مناهضة نفوذ القرامطة حتى تيسر له توطيد أركان دولته في مصر والشام. (٢٥٠/٣٠)، فأشار عليه أهل الرأي من نصحائه بالسعي في تفريق كلمة القرامطة ومن معهم، فعمد إلى

استمالة حسان بن الجراح الطائي رئيس جند العرب الذين يعدون أقوى عناصر جيش الحسن بن أحمد القرمطي، واتفق معه على أن يدفع إليه مئة ألف دينار على أن يتظاهر بالهزيمة أمام الفاطميين وكان هذا المبلغ كافياً لحمل الطائيين على الانصراف عن حليفهم الحسن فلما دارت المعركة بين الفريقين عام ٣٦١هـ ٩٧١م قرب القاهرة تقهقر حسان بن الجراح أمام قوة المعز الفاطمي فأدى ذلك إلى هزيمة الحسن بن أحمد القرمطي وارتداده للشام ومن ثم إلى الأحساء وأسر الفاطميون نحو ألف وخمس مئة من القرامطة. (٢٥٠/٣٦)، وفي عام ٣٦٠هـ ٩٧٠م سار الحسن بن أحمد القرمطي إلى الشام في قبائل العرب وحاصر دمشق فخرج إليه من مصر القائد الفاطمي جعفر بن فلاح بعساكره من المغاربة واقتتلوا أياماً إلى أن حمل القرمطي بنفسه على جعفر بن فلاح فقتله وقتل عامة عسكره وملك دمشق وولى عليها ظالم بن موهوب العقيلي، ثم عاد القرمطي إلى بلاده هجر (الأحساء) لم يلبث ظالم بعده بدمشق. (٢٤٠/٥٨/٤)، وفي سنة ٣٦٢هـ ٦٧٢م قطع المعز الفاطمي ما كان على ابن الإخشيد، من أتاوة للقرامطة في كل سنة ومقدار هذه الأتاوة ٣٠٠٠٠٠ دينار ولما بلغ القرمطي ذلك عظم عليه وسار القرمطي الحسن بن أحمد بن أبي سعيد بن بهرام إلى الشام ومعه أعلام سود (أعلام العباسيين) وأظهر أن الخليفة العباسي المطيع ولاه الشام وكتب على الأعلام اسم المطيع (عبد الكريم) وكتب تحته (السادة الراجعون إلى الحق).

وملك القرمطي الشام، ولعن المعز على منبر دمشق وأباه وقال هؤلاء من ولد القدّاح كذابون، مخترمون، أعداء الإسلام، ونحن أعلم بهم ومن عندنا خرج

هذا القداح (القداح جد عبيد الله كان مجوسياً ودخل عبيد الله المغرب وادعى أنه علوي ولم يعرفه أحد من علماء النسب).

ويروى أن المعز الفاطمي عندما قدم إلى مصر سأله علماء النسب عن تسلسل نسبه فقال لهم في مثل هذا الوقت من يوم غد تحضرون هنا لأخبركم بنسبي وفي الوقت المحدد حضر القوم عنده فأراهم كيساً مملوءاً بالدنانير الذهبية وامتشق سيفه وقال هذان هما نسبي ، ثم أقام القرمطي الدعوة لبني العباس ليومن ظهره وسار إلى مصر بعساكره ولما بلغ المعز مجيئه تهيأ لقتالهم فنزل القرمطي بمشتول الطواحين (إحدى قرى مركز بلبيس المديرية الشرقية) وحصل بينه وبين المعز مناوشات ثم تقهقر المعز ودخل القاهرة وانحصر بها إلى أن أرضى القرمطي بمال وخدعه، فانخدع القرمطي ثم عاد إلى الشام فمات بالرملة (بفلسطين) في شهر رجب (٣٦٢هـ ـ ٩٧٢م) وصفى الوقت للمعز فإن القرمطي كان أشد عليه من جميع الناس للرعب الذي سكن في قلوب الناس منه فكان القرامطة إذا كانوا في ألف حطموا مئة ألف (٧٤/٤ ــ ٢٤٠/٧٥)، وقد اتجهت سياسة المعز إلى الاستعانة ببني الجراح من طيء على استرداد بلاد الشام كما قرب إليه ظالم بن موهوب العقيلي (صاحب الموصل) بعد انصرافه عن تأييد الحسن بن أحمد القرمطي وأسند إليه ولاية دمشق عام ٣٦٣هـ ـ ٩٧٣م فقضى هذا (ظالم) على واليها أبي المنجا القرمطي (٢٥٠/٣٧).

لما استقر المعز الفاطمي بالقاهرة سنة ٣٦٣هـ ـ ٩٧٣م خرج عليه الحسن بن أحمد القرمطي أتى من الشام بجيش كثيف من العساكر وكان معه الأمير

حسان بن الجراح الطائي أمير العرب ومعه الجمّ من عربان الشام حتى سدّ بهم الفضاء فكان ينشد ويقول:

زعمت رجال العرب أني هبتهم ... فدمي إذاً من بينهم مطلول

يا مصر إن لم أسقِ أرضك من دم ... يروى ثراك فلا سقاني النيل

فلما رأى المعز أنه لا يقوى على محاربة حسان بن الجراح أرسل إليه يقول في الدس: ارحل عن مصر وأنا أرسل لك ١٠٠٠٠٠ دينار فبعث حسان يقول: إن بعثت إلي بما تقول رحلت عن مصر فأرسل إليه المعز مئة ألف بأكياس مختومة فلما التقت الجيوش للحرب أظهر حسان أنه انكسر فانهزم بمن معه من العربان فعند ذلك ضعفت شوكة عسكر القرمطي وانهزم من ساعته وقويت شوكة المعز فكسروهم وولوا مدبرين (٤٣/١٩٠/١).

وقد انضم إلى القرامطة الكثير من القبائل العربية في الجزيرة العربية وخارجها بدافع الطمع وليس اعتناق المذهب ومن هذه القبائل قبائل عبد القيس، وغطفان، وهوازن، والرباب، وبنو عقيل، بنو زعب من سليم، عنزة بن أسد، طيء، قيس عيلان، بنو سعد (من تميم) بنو حنيفة، بنو تميم، بنو هلال، بنو قشير، بنو جعدة، بنو كعب، بنو جرم (من طيء)، بنو عبس.

ومن الإمارات التي انضوت تحت مظلة القرامطة إمارة بني الأخيضر باليمامة (للتقارب المذهبي) وتمكن القرامطة من السيطرة على معظم الجزيرة العربية ثم أخضعوا أطراف العراق وأجزاء من الشام وطرقوا أبواب مصر. (٦٢/١٣).

وقد ظل القرامطة يملأون طريق الحج العراقي بالرعب والمخاوف حتى عام ٣٩٨هـ ١٠٠٧م إذ استطاع الخليفة العباسي إعداد حملة عسكرية لإيقاف القرامطة عن اعتداءاتهم (١٠٧/٦٣)، ومنذ عام ٤٠٣هـ ١٠١٢م بدأت قبائل بني سليم، وطيء، وبني هلال، تخرج لاعتراض ركب الحجاج العراقي حتى عام ٤٢٤هـ ١٠٣٢م إذ استطاع الأمير أبو الفتوح (من حكام مكة) محاربة هذه القبائل التي تهدد طريق أمن الحج العراقي وعندما توفي أبو الفتوح خلفه ابنه شكر بدأت اعتداءات القبائل السالفة الذكر على طريق الحج ولكن شكر استطاع أن يرد عصيان هذه القبائل لهذا يصفه أكثر مؤرخي مكة بأنه كان يتمتع ببأس شديد (١٠٧/٦٣).

ثم إن أبا طاهر القرمطي أراد أن يخطب لعبيد الله بن المهدي أول الخلفاء العبيديين الفاطميين؛ فبلغ ذلك عبيد الله فكتب إليه؛ إن أعجب العجب إرسالك بكتبك إلينا هنا بما ارتكبت في بلد الله الأمين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام، الذي لم يزل محترماً في الجاهلية والإسلام، وسفكت فيه دماء المسلمين وفتكت بالحجاج والمعتمرين، وتعديت، وتجرأت على بيت الله تعالى وقلعت الحجر الأسود الذي هو (يمين الله في الأرض يصافح به عباده!!) وحملته إلى منزلك، ورجوت أن أشكرك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك، والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم ليومه ما ينجو به غده (١٠٤/١٤).

واستمر الحجر عندهم اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة أيام وكان المنصور بن القائم بن المهدي العبيدي أرسل لأحمد بن أبي سعيد القرمطي، أخي أبي طاهر بخمسين ألف ذهب (أي ٥٠٠٠٠ دينار ذهب) في الحجر الأسود ليرده فلم

يفعل وبذل بَجْكَمُ التركي؛ مدبر الخلافة ببغداد خمسين ألف دينار ذهب للقرامطة على رد الحجر فأبوا وقالوا: أخذناه بأمر الله، ولا نرده إلا بأمر الله، إلى أن أراد الله رده على الوجه الذي ذكرناه. (١٠٤/١٥) ورد الحجر إلى مكانه عام ٣٣٩هـ ٩٥٠م في يوم النحر العاشر من ذي الحجة وأمير مكة أبو جعفر محمد بن الحسن وفي سنة ٣٤٠هـ قلعت حجبة الكعبة الحجر الأسود الذي نصبه سُنْبَر بن الحسن صاحب القرمطي وجعلوه في الكعبة فأحبوا أن يجعلوا له طوقان من فضة فشدّ به كما كان قديماً كما عمله عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وأخذ في إصلاحه صانعان حاذقان فأحكماه قال أبو الحسن محمد بن نافع الخزاعي: دخلت الكعبة فيمن دخلها فتأملت الحجر فإذا السواد في رأسه دون سائره، وسائره أبيض وكان طوله فيما حزرت مقدار عظم الذراع ومبلغ ما عليه من الفضة فيما قيل ٣٧٩٧.٥ درهم (٣/١٣٣٦/٢٤٠).

حدث عام ٣٧٩هـ ٩٨٩م حين خرج على الحاج في طريق عودتهم ابن الجراح الطائي بين سميراء وفيد ونازلهم حتى صالحوه على ثلاثمائة ألف درهم وشيء من الثياب وكما حدث أيضاً من الأُصَيْفِر محمد بن حسين بن حماد من قبيلة المنتفق حين اعترض الحاج في الثعلبية وأخذ من الحاج رسم سنتين وكان ذلك عام ٣٨٤هـ ٩٩٤م وكما حدث لحاج البصرة عام ٣٩٣هـ ١٠٠٢م حين أحازهم بنو زغب الهلاليون بعد أن أخذ من الركب ألف ألف دينار (مليون دينار) وكرر بنو زغب الهلاليون نفس العمل عام ٣٩٨هـ ١٠٠٧م حين أخذوا من حاج البصرة وعددهم ستمائة رجل مازاد على ألف ألف دينار (أكثر من مليون دينار) (١٠٨/٣٦٥).

كما حاول حماد بن عدي النبهاني الطائي عام ٤١٢هـ ـ ١٠٢١م انتهاج نفس المسلك حين اعترض الحجاج على فيد وعرضوا عليه خمسة آلاف دينار فرفضها وقد قتله أحد الحجاج في ذلك اليوم. هذه الأمثلة التي تحدث من الكيانات القبلية ولمزيد من التفاصيل عن ذلك فضلاً انظر لمحات تاريخية.

هذه الزعامات القبلية ذات الكيانات العائمة المتحركة التي تتحين الفرص على من حولها للانقضاض عليها باعتبارها فريسة سهلة تنقض عليها متى وجدت لها فرصة أو لمست مهمزاً لينا.

٥- هل امتد نفوذ حكام البحرين "الأحساء" إلى نجد؟

تشير بعض النصوص التاريخية بإشارات متقضبة إلى امتداد نفوذ حكام البحرين "الأحساء" إلى نجد أو إلى أجزاء منها وخاصة المناطق المتاخمة لهم أو التي يرون فيها درء خطر أو جلب مصلحة أو تأمين طريق وقد تعاقب على حكم البحرين "الأحساء" من السلطات ما يلي:

أ- القرامطة ٢٩٤ - ٤٨٦ - ٩٠٦ - ١٠٩٣م:(١٩٢ سنة):

هناك من المصادر ما يشير إلى أن القرامطة لم يبسطوا نفوذهم على اليمامة لوجود الأخيضريين فيها، فقد ذكر ابن الأثير في الكامل "ولما قتل أبو سعيد عام ٣٠١هـ ـ ٩١٣م كان قد استولى على هجر والأحساء والقطيف والطائف وسائر بلاد هجر" ولم يشر إلى بقية بلاد نجد غير أن الاستيلاء على الطائف لابد أن يكون عبر بلاد نجد إذ من غير المنطق أن يستولى على بلد كالطائف إلا أن تكون المنطقة التي دونه كلها قد استولى عليها أو أمن طريقه إلى المكان الذي استولى عليه، ونجد في مصدر آخر أن أبا سعيد القرمطي بعد أن هزم جيش

الخليفة العباسي المعتضد عام ٢٨٧هـ ـ ٩٠٠م زحف إلى اليمامة وضمها إلى جمهوريته فضلا راجع النص ١٨٨/١٩٢، وقد ظل القرامطة يعيثون فساداً بطريق الحج العراقي الكوفي والبصري اللذان يأتي عن طريقهما حجاج العراق وحجاج ما وراء النهرين خراسان وما والاها لمدة طويلة أثناء عبور هذه القوافل شمالي نجد دون أن يظهر لهم من يوقفهم عند حدهم وحتى الخلافة العباسية ببغداد لم تستطع حماية طرق الحج مما اضطرها إلى الرضوخ للقرامطة بما يدفعه الحجاج من المبالغ الكبيرة، وأحياناً حتى هذه المبالغ لا تحمي الحجاج من السلب والنهب والقتل ومثال ذلك عندما أغار زكروية القرمطي عام ٢٩٤هـ ـ ٩٠٦م على الحجاج أثناء عودتهم بالهبير قرب فيد وقتلهم تلك المقتلة الشنيعة وكما حدث عام ٣١٢هـ ـ ٩٢٢م عندما اعترض أبو طاهر القرمطي الحجاج عند عودتهم وأخذوهم على فيد وقتل منهم أعداداً كبيرة وسبي النساء والصبيان فضلا انظر التفاصيل في حوادث ٣١١/٣١٢هـ وقد تعدا أمر القرامطة نجد إلى مكة المكرمة عام ٣١٧هـ ـ ٩٢٩م حينما هاجم أبو طاهر القرمطي مكة وحصلت تلك المذبحة الشنيعة واقتلع الحجر الأسود ونقله إلى البحرين "الأحساء" وغير ذلك مما هو موضح باللمحات التاريخية وفوق هذا فإنهم يحاولون القضاء على أي قوة تبرز ضدهم أو حتى جارة لها مهما كان حجم تلك القوة كما حدث عام ٣١٩هـ ـ ٩٣١م عندما استعان أهل ضرية بالقرامطة لمحاربة أهل الربذة فجاء القرامطة وخربوا الربذة وارتحل من بقي من أهلها.

فيا ترى هل القرامطة مدوا نفوذهم الفعلي على هذه المنطقة أم أنهم استضعفوا الكيانات التي فيها إذا كان هناك كيانات أو زعامات قبلية تذكر

وجعلوها تحت أيديهم وكل من تحرك منهم سحقوه ومن ثم سرحوا ومرحوا فيها مطامعهم أم أن تلك الكيانات أو الزعامات استخدموها كرأس حربة لهم كما تشير المصادر التاريخية إلى استعانتهم بقبائل بني هلال وسليم وجشم وغيرها من القبائل في داخل نجد وخارجها فعاثوا في الأرض فساداً في هذه المنطقة وغيرها؟ أم أنهم أمنوا عقاب الخلافة العباسية ببغداد فبدءوا يسرحون ويمرحون وينهبون دون أي اكتراث بما تفعله السلطة في بغداد؟ أم أن عملهم هذا كله من أجل أن يهينوا خلافة بغداد ويستخفوا بها ويعتبرون ذلك نكاية بها بكل ما يفعلونه في طرق الحج وجنوب العراق والشام وغيرها؟.

ب- العيونيون ٤٨٦ – ٦٣٦هـ ١٠٩٣ – ١٢٣٨م:(١٥٠ سنة):

يعتبر شعر علي بن المقرب العيوني من أولى المصادر التاريخية حتى الآن على الأقل لتاريخ العيونيين حيث أن تاريخهم لم يكن واضحاً قبل ظهور الديوان وشرحه، ولهذا فإن ما يتعلق بمدى بسط نفوذهم على نجد أو جزء منها، ومع أن الإشارات الواردة في الشعر عن هذا الموضوع هي تلميحات عامة إلا أنها مع ذلك قد تكون إشارة من نوع ما عن هذا النفوذ وإن لم تكن كافية من وجهة النظر التاريخية غير أنها قد تعطي بصيصاً من الضوء نحو معلومات تاريخية أفضل وأرسخ عندما يتسنى ذلك بتوفر المعلومات التاريخية وعلى هذا الأساس نورد شيئاً مما أشار إليه علي بن المقرب لعله أن يقرب إلى الغاية التي أشرنا إليها ومن ذلك قوله:

أطاعت لهم ما بين مصر إلى القنا   إلى حيث تلقى دارها الشحر والنقب

والقنا موضع باليمن، والشحر ساحل البحرين بين عمان وعدن والنقب بضم النون بلدة باليمامة.

وقال في موضع آخر:

بني المعالي لهم فضل وشيدها   أبو سنان قريع العجم والعرب

وأحمد ابنه الملك الذي منعت   ما بين نزوى سراياه إلى حلب

ونزوى كما هو معروف بعمان وحلب وبسوريا، وقال أيضاً:

وقمت بأحكام الشريعة واستوت   لديك ذوو الأجيال طيء ووائل

وأوهيت كيد الفاسقين فأصبحوا   وناصرهم في جملة الدين خاذل

وقال في مكان آخر:

سلو تخبروا من غير جهل لفعله   بني مالك فالحر بالحق قائل

ألم يجلب الجرد العتاق شوازبا   من الخط تتلوها المطايا المراسل

إلى أن أناخت بالدجاني بعدما   براها السرى والأين فهي نواحل

إلى أن قال:

وفي لينة أردى شغاميم طيء   جهار ولون الجو بالنقع حائل

عشية لا يلوي عنان جواده   حمى والعذارى دأبهن التعاول

وجاءت زبيد كالجراد وطيء   وكل يمني نفسه ما يحاول

ج- العصفوريون ٦٣٦ - ٧٥٠هـ ١٢٣٨ - ١٣٤٩م:(١١١ سنة):

العصفوريون من بني شبانة من عامر وخلال حكمهم للبحرين الأحساء لم أجد فيما اطلعت عليه سوى إشارة واحدة مقتضبة عند عبد الرحمن بن خلدون في تاريخه العبر وديوان المبتدأ والخبر الجزء الثاني ص٣١٣ تنص على امتداد نفوذ العصفوريين إلى جزء من نجد حين قال: قال أبو سعيد: ملكوا أرض اليمامة من بني كلاب وكان ملكهم لعهد الخمسين من المئة السابعة عصفور وبنوه. وما عدا هذه الإشارة العابرة لم أجد حتى الآن أي ذكر أو إشارة إلى بسط نفوذ حكام الأحساء من العصفوريين على نجد وربما جادت الأيام بالاطلاع على تفصيل هذه العبارة.

د- آل جروان ٧٥٠ - ٨٢٠هـ ١٣٤٩ - ١٤١٧م:(٦٨ سنة):

انتزع جروان المالكي من بني مالك بطن من قيس حكم الأحساء وبعد وفاته قام ولده ناصر مقامه، ثم قام إبراهيم مقام أبيه وكان موجوداً في العشرين والثمانمائة هجرية وهم من أنصار العيونيين وقد ذكرهم بن المقرب في شعره حيث قال يوصي أمير العيونيين:

وجد واجتهد في آل جروان سيوف تفري حاسديك نصالها

هم بذلوا فيما يسرك أنفسا كراما ونار الحرب يعلو اشتعالها

وهم حطموا سمر العوالي وفللوا مضارب أسياف حديثا نصالها

وفي موضع آخر:

وآل بني جروان لما رمتهم بداء على غير الكرام عضال

أرادت عداهم نيل ما كان من على هم بالقومي من عمي وضلال

وأطمعهم قتل الرئيس وما جرى من إخراج آل واستباحة مال

ولكن مع هذا لم نجد ما يفيد أنهم مدوا نفوذهم إلى نجد فيما بين أيدينا من مصادر.

هـ- الجبريون ٨٢٠-٩٣٣هـ ١٤١٧-١٥٢٦م: ٩٥٣-٩٩٩هـ ١٥٤٦-١٥٩٠م؟؟

الجبريون أو آل جبر، هم آل جبر بن حسين بن ناصر الجبري العقيلي العامري وهم من أكثر حكام الأحساء المتأخرين احتكاكاً بالمنطقة موضع الدراسة ومع أن الإشارات التاريخية لا تفيد ببسط الجبريين نفوذهم على كامل نجد إلا أن المصادر التي تم الاطلاع عليها تعطي إشارة عامة ومبهمة؛ فقد ذكر السمهودي في كتاب وفاء الوفاء قوله: وأخبرني بذلك رئيس أهل نجد ورأس سلطان البحرين والقطيف..أن قبر كليب هناك معروف عند العرب يقصدونه قال: ودلني عليه بعضهم لأقصده قلت واحد من الجاهلية. وقال السخاوي عن أجود بن زامل العقيلي الجبري: وانتزع البلاد المشار إليها الأحساء والقطيف وملكها وسار فيها بالعدل فدان له أهلها ولما مات خلفه أجود هذا واتسعت مملكته وصار رئيس نجد ذا أتباع يزيدون على الوصف غير أن هناك حوادث تشير إلى أن نفوذ الجبريين على نجد إما أن تكون غير كاملة بمعنى سيطرتهم عليها وحكمها حكماً مباشراً أو أن هناك تمرد عليهم من بعض القبائل التي تسكن

فيها بدليل الحوادث التي أوردها ابن بسام في كتابه تحفة المشتاق الذي لا يزال مخطوطة حين ذكر أن عدداً من القبائل كانت تغير على بادية الأحساء مما يضطر زامل بن جبر أن يغزوهم غزوات تأديبية فقد حدث في سنة ٨٥١هـ ١٤٤٧م أن غزا زامل الجبري العقيلي العامري ملك الأحساء والقطيف ومعه جنود عظيمة من البادية والحاضرة وقصد الخرج وصبح الدواسر وعايذ وحصل بينهم قتال شديد صارت الهزيمة على الدواسر وعايذ فاستولى زامل على محلهم وأغنامهم وبعض إبلهم وأقام بالخرج نحواً من عشرين يوماً ثم قفل عائداً إلى وطنه وفي سنة ٨٥٢هـ ١٤٤٨م ظهر إلى نجد زامل بن جبر العقيلي العامري من الأحساء ومعه جنود كثيرة من البادية والحاضرة وقصد الدواسر في واديهم وكانوا قد أكثروا من الغارات على بوادي الأحساء فأوغروا صدره فداهمهم في منازلهم ثم إنهم صالحوه على أن يكفوا الغارة عمن تحت يده من العربان وأعطوه من الخيل والركاب ما أرضاه فرجع إلى وطنه، وجملة "تحت يده" قد تدل على أنه ليس له نفوذ على بادية نجد وربما حاضرتها، وفي سنة ٨٥٥هـ ١٤٥١م غزا زامل بن جبر العقيلي العامري من الأحساء ومعه جنود كثيرة من الحاضرة والبادية وصبح الفضول على "سفر الدول" وأخذهم وفي سنة ٨٥٨هـ ١٤٥٤م غزا زامل بن جبر العقيلي العامري من الأحساء ومعه جنود كثيرة من الحاضرة والبادية وقصدوا بوادي زغب (الهلاليين) والعوازم وهم على "اللهابة" فصبحهم وأخذهم وقتل منهم عدة رجال ثم رجع إلى وطنه، وفي سنة ٨٦٦هـ ١٤٦١م غزا زامل بن جبر العقيلي ملك الأحساء والقطيف ومعه جنود كثيرة من الحاضرة والبادية وتوجه إلى نجد وصبح آل مغيرة وسبيع وأخذهم، وكان

آل مغيرة قد أكثروا الغارات على بوادي الأحساء والقطيف ثم توجه إلى الخرج وأقام بها نحو عشرة أيام ثم رجع إلى وطنه، وفي سنة ٨٨٧هـ ١٤٨٢م غزا أجود بن زامل العقيلي العامري ملك الأحساء ومعه جنود كثيرة من البادية والحاضرة وتوجه إلى نجد وصبح الفضول على "تبراك" وغنم منهم مغانم كثيرة وكانوا قد أكثروا من الغارات على بادية الأحساء وفي سنة ٨٩٠هـ ١٤٨٥م غزا أجود بن زامل العقيلي العامري ملك الأحساء والقطيف ومعه جنود كثيرة من الحاضرة والبادية وتوجه إلى نجد وصبح الدواسر وسبيع على "الحرملية" وأخذهم وكانوا قد أكثروا الغارات على بواديه وفي سنة ٩٠٠هـ ١٤٩٤م غزا أجود بن زامل من الأحساء بجيش كثير من الحاضرة والبادية وصبح بوادي زغب والعوازم وبني رشيد على "ثاج" وغنم منهم شيئاً كثيراً ثم توجه إلى نجد وصبح الدواسر على الرويضة وأخذهم وفي سنة ٩١٦هـ ١٥١٠م غزا أجود بن زامل من الأحساء بجنود كثيرة من الحاضرة والبادية وتوجه إلى نجد وصبح الدواسر على الخرج وقتل منهم عدة رجال وأقام في الخرج عدة أيام ثم عدا على آل المغيرة وهم على "عقرباء" فأنذروا عنه فهربوا وفاتوه ثم عاد إلى الخرج وأقام فيه عدة أيام وأركب له آل المغيرة يطلبون الصلح فصالحهم ورجع إلى وطنه، وفي سنة ٩٢٩هـ ١٥٢٢م غزا أجود بن زامل من الأحساء بجيوش كثيرة من الحاضرة والبادية فصبح الفضول على حفر الباطن وغنم منهم غنائم كثيرة ثم رجع إلى وطنه.

ومما يتضح أن هناك غارات وغزوات متبادلة بين حكام الأحساء وبعض القبائل في وسط نجد وشرقيها وشماليها الشرقي حيث كانت هذه القبائل تغير

على القبائل القاطنة بما تحت سلطة حكام الأحساء مما جعل هؤلاء يردون على هذه الغزوات بغزوات مضادة لهذه القبائل لتأديبها أو لكسر شوكتها لتكف عن الإغارة على بادية الأحساء وقد قام زامل بن جبر وابنه أجود بإحدى عشرة غزوة على هذه القبائل اختص زامل منها ست غزوات وقام ابنه أجود بخمس غزوات على قبائل الدواسر أربع غزوات على عائذ غزوة واحدة وعلى الفضول ثلاث غزوات وزغب غزوتين والعوازم غزوتين وسبيع غزوتين وآل مغيرة غزوتين.

هذه الغزوات إن دلت على شيء فإنما تدل على عدم بسط نفوذ الجبريين على نجد وبخاصة البادية أما الحضر فلم تتوفر المعلومات الشافية عن بسط نفوذ الجبريين عليهم اللهم إلا إذا كان هذا النفوذ إسمياً بدليل تعريج الحكام الجبريين على الخرج كلما اقتربوا منه والاستراحة فيه لبعض الوقت أما ما أورده السمهودي والسخاوي فيحتاج إلى برهان تاريخي يمكن الاقتناع به.

وفيما يتعلق بفترة الجبريين الثانية من ٩٥٣ – ٩٩٩هـ ١٥٤٦ – ١٥٩٠م التي أشار إليها بعض المؤرخين فلا يزال الغموض يكتنفها حتى بالنسبة إلى الأحساء فضلاً عن نجد موضع البحث خلاف لم تتضح حقيقته بعد.

و- آل مغامس ٩٣٣ – ٩٥٣هـ ١٥٢٦ – ١٥٤٦م:

وآل مغامس هم أبناء راشد بن مغامس بن صقر من آل شبيب من المنتفق وقيل من آل شبيب من بني كبش بن منصور بن جماز بن شيحة ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما وقد استعان به آخر أمراء آل جبر لضعف

حالهم فقوي عليهم وأخذ منهم الحسا والقطيف وأعمالها وكان ذلك عام ٩٣٣هـ ١٥٢٦م ولم نجد لهم أي نفوذ على نجد فيما اطلعنا عليه من مصادر.

وفي مصدر آخر: فلما أستولى البرتغاليون على البحرين (الأحساء) وقضوا على أمير البحرين أصاب الضعف بني جبر في القطيف والأحساء لذلك استعانوا بأمير البصرة الشيخ راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل لحمايتهم من التدخل البرتغالي في القطيف فلما رأى الشيخ راشد ما هم فيه من التفكك واضطراب الأحوال الداخلية جاء إلى القطيف واستولى عليها وأقام بها وولى البصرة أخاه محمداً. (٧١/١٣٠)

٧- تكوين القبائل:

تنقسم القبائل التي تعيش في هذه المنطقة إلى قسمين رئيسين هما:

أ- القبائل التي كان لها نشاط في المنطقة واختفت أسماؤها:

لقد ذكرت في الجزء الأول من هذا الكتاب أسماء القبائل التي كان لها نشاط ملحوظ في الجزيرة العربية وبخاصة موضع البحث في صدر الإسلام مرتبة أبجدياً على النحو التالي: أسد، باهلة، بكر بن وائل، تميم، ثعلبة، حنيفة، خفاجة، ذبيان، سليم، طيئ، عامر، عبس، عبد القيس، عذرة، عنزة، غاضرة، غطفان، غني، فزارة، قريش، القين، كلب، كلاب، محارب، هزان، هلال، وائل، بفروعها التي بلغت حوالي ٦٥٠ ستمئة وخمسين فرعاً. فمن هذه القبائل من بقي في موطنه وفي قوته سواء كل القبيلة أو فرع منها، ومن هذه القبائل من انتقلت أجزاء كبيرة منها إلى الحواضر الإسلامية وبقيت منها أجزاء في مواطنها ولكنها لا شوكة لها مما جعلها تنضوي تحت كيانات قبائل أخرى أكبر منها وتتسمى باسمها وتعد منها، ومن هذه القبائل من اتجهت إلى التحضر تاركة حياة البداوة نهائياً مثل تميم مستوطنة بالمدن والقرى والأرياف وبالإضافة إلى قبيلة بني تميم الكثير من فروع القبائل الأخرى السابق ذكرها الذين تحضروا كل في نطاق المدن والقرى الواقعة في نطاق قبيلته كما ألمحت إلى ذلك في باب "وقفة تأمل" ومن هذه القبائل التي بقيت في حياة الترحال من تشكل منها قبائل جديدة غير أسمائها الأولى وتكونت بقالب واسم جديد وهناك قبائل وفدت إلى المنطقة من جنوب الجزيرة العربية من اليمن أو الحجاز، فمن القبائل التي بقيت واستمرت باسمها في مواطنها وبقي لها ذكر بنفس اسمها الأول قبيلة طيئ فقد

بقيت باسمها حتى نهاية القرن الرابع الهجري ٣٩٧هـ ثم تفرع منها عدة بطون مثل الفضول وآل مغيرة وبني لام وآل كثير والظفير وبني نبهان وبني خالد من غزية الطائية وبني عمرو فضلاً انظر تفصيل تحركاتهم في موضع آخر من هذا الكتاب وكذا الأمر بالنسبة لقبيلة هلال العامرية وجشم وسليم فقد استمرت بأسمائها حتى بداية القرن الخامس الهجري حيث ساروا مع القرامطة في حروبهم ضد الدولة العباسية في العراق ثم الشام حتى إذا تغلب الفاطميون على القرامطة بالشام عملوا على احتواء القبائل العربية التي كانت معهم من بني هلال بن عامر وجشم وسليم وغيرهم ونقلوهم إلى مصر وأنزلوهم على العدوة الشرقية لنهر النيل ثم استخدموهم لمحاربة مناوئيهم بالمغرب وعلى رأسهم ابن باديس فضلاً انظر تفصيل ذلك في موضعه وبقي من بني هلال فرع في شمال شرق نجد هم بنو زغب الذي بقي لهم ذكر حتى نهاية فترة هذا البحث سنة ٩٩٩هـ ولمزيد من التفاصيل عنهم انظر صدر هذا الجزء أما بقية القبائل الأخرى فقد تغيرت أسماؤها وظهرت تحت أسماء جديدة بعد أن تحضرت أجزاء كبيرة منها في المدن والقرى والأرياف في نطاق كل قبيلة كما أسلفنا.

ب- القبائل التي تكونت من قبائل قديمة جديدة أو جاءت وافدة من خارج المنطقة وانضم تحت كنفها من انضم من بقايا القبائل الموجودة أصلاً:

إذا ألقينا نظرة على هذه القبائل بعد ترتيبها على أحرف المعجم وحسب ذكرها في الكتب التي اطلعت عليها نجدها كما يلي:

١- آل رمعة من قحطان وقد ورد أول ذكر لها في حوادث ٩٩٩هـ - ١٥٩٠م.

٢- آل غزي من الفضول من طيئ وقد ورد أول ذكر لهم في حوادث ٨٥٧هـ/١٤٥٣م.

٣- آل كثير من طيئ وقد ورد أول ذكر لهم في حوادث ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م.

٤- آل مسعود من قحطان وقد ورد أول ذكر لهم في حوادث ٩٩٨هـ - ١٥٨٩م.

٥- آل نبهان من آل كثير من طيئ وقد ورد أول ذكر لهم في حوادث ٩١٩هـ/ ١٥١٣م.

٦- بنو حسين من قحطان وقد ورد أول ذكر لهم في حوادث ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م.

٧- حرب من خولان وقد ورد أول ذكر لها في حوادث ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م. وموقفهم دائماً بجانب الظفير في كل نزاعاتهم.

٨- جنب من قحطان وقد ورد أول ذكر لها في حوادث ٩٩٨هـ/ ١٤٤٩م.

٩- الدواسر من عدة فروع قحطانية وعدنانية وقد ورد أول ذكر لها في حوادث ٨٥١هـ/١٤٤٧م وهي من أكثر القبائل العربية يومذاك نشاطاً واحتكاكاً بالآخرين.

١٠-بنو زعب من سليم من قيس عيلان وقد ورد أول ذكر لهم في حوادث ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م بطريق الحج.

١١-زغب من بني هلال العامريين وقد ورد أول ذكر لها في حوادث ٣٩٣هـ/١٠٠٢م واستمر نشاطهم حتى ٩٩٩هـ/١٥٩٠م وموطنهم في الشمال الشرقي من نجد بطريق الحج البصري وكان لهم شوكة وقوة يضمنون بموجبها الحاج البصري.

١٢-سبيع من عامر وقد ورد أول ذكر لها في حوادث ٨٦٦هـ/١٤٦١م.

١٣-السهول وقد ورد أول ذكر لها في حوادث ٩٠٢هـ/١٤٩٦م.

١٤-شمر من طيئ وقد ورد أول ذكر لها في عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م في حوادث ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م.

١٥-طيئ قحطانية وكانت موجودة قبل الإسلام وآخر ذكر لها بهذا الاسم في حوادث ٣٩٧هـ/ ١٠٠٦م.

١٦-الظفير من طيئ وقد ورد أول ذكر لها بهذا الاسم في حوادث ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م وهي من أنشط القبائل حركة في المنطقة.

١٧-عايذ من قحطان وقد ورد أول ذكر لها في حوادث ٨٥١هـ/١٤٤٧م.

١٨-عنزة من ربيعة وهي موجودة قديماً وأول ذكر لنشاطها في حوادث ٨٥٣هـ/١٤٤٩م.

١٩-العوازم وقد ورد أول ذكر لها في حوادث ٨٥٨هـ/١٤٥٤م.

٢٠-غزية من طيئ وقد ورد أول ذكر لها في حوادث ٨٦٠هـ/١٤٥٥م.

٢١-الفضول من طيئ وقد ورد أول ذكر لها في حوادث ٨٥١هـ/١٤٤٧م وهي من أنشط القبائل وأكثرها احتكاكاً بالآخرين في المنطقة.

٢٢-لام من طيئ وقد ورد أول ذكر لها في حوادث ٩٦٠هـ/١٥٥٢م.

٢٣-المغيرة من طيئ وقد ورد أول ذكر لها في حوادث ٩٣١هـ/١٤٢٧م.

٢٤-نبهان من طيئ وهي موجودة قبل الإسلام وقد ورد آخر ذكر لهم في حوادث ٤١٢هـ/١٠٢١م.

٢٥-هلال بن عامر من هوازن وقد ورد آخر ذكر لهم في حوادث ٣٩٣هـ/١٠٠٢م قبل انتقالهم من الجزيرة العربية إلى مصر ومنها إلى المغرب عدا زغب.

٢٦-بني رشيد وقد ورد أول ذكر لهم في حوادث ٩٠٠هـ - ١٤٩٤م.

ولمزيد من التفاصيل عما سبق إيجازه فضلاً انظر مفصل الحوادث في موضع آخر مما اشتركت فيه هذه القبائل والبطون والعشائر ولئن كان ظهور هذه القبيلة أو البطن أو الفخذ أو العشيرة قد سبق هذا التاريخ بوقت كثير أو قليل فإن ما أثبته هنا هو دليل الاشتراك الفعلي بالحوادث على الساحة العامة حسب ما ذكره المؤرخون، وإن كانت هذه الحوادث تكون في الأغلب من الغارات المتبادلة من أجل منفعة مؤقتة وليس لها هدف بعيد وإنما يأتي أكثرها للإغارة على قوافل الآخرين التجارية ثم يترع هؤلاء الآخرون للقيام بغارة مضادة على قوافل من قد أغاروا على قوافلهم أو تكون لغرض أخذ إبلهم وأغنامهم

وأمتعتهم فيدافع من أغير عليهم لصد هذه الغارة واستعادة ما أخذ منهم وإذا فاتهم ما أخذ منهم فإنهم يتحينون الفرص للقيام بغارة انتقامية على من سبق وأن أخذوا مواشيهم للاقتصاص ممن أخذوا إبلهم وأغنامهم، وهي غارات ذات طابع محدود ومنافع سريعة ومحددة لا من أجل السيطرة على الأرض أو تكوين كيان معين أو زعامة يشار إليها ويتبعون في حروبهم اصطلاح "المناوخة" وهو أن يتقابل المتحاربون وينيخوا إبلهم ويتركون خلفها حلالهم ومواشيهم وربما بيوتهم وذراريهم فضلاً انظر تفصيل ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب، يذهب نتيجة هذه الحروب أعداداً كبيرة من الرجال وللأسف الشديد من خيرة الرجال الأبطال والمشاهير من أجل هذه الأهداف المتواضعة، دماء عربية إسلامية غالية تراق من أجل مكسب هزيل يتمثل في عصعص بعير أو شاة أو قسط من طعام أو شيء من ملابس وللأسف الشديد كلهم من المسلمين يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت الحرام وتذهب حياتهم لهذا الهدف التافه الذي يمكن التعويض عنه بأساليب الحياة الأخرى، وإن كان بدافع الحاجة والعوز في بعض الأحيان إلا أنه في أحيان أخرى يأتي من باب المفاخرة غير الواعية البعيدة عن الهدف النبيل الذي وجهنا إليه ديننا الإسلامي الحنيف.

بنو هلال وعلاقتهم بنجد

كانت بطون من بني سليم قد جاءت مع بني هلال إلى مصر في القرن الثاني الهجري – الثامن الميلادي ١٠٩ هـ ٧٢٧م ثم أرغمها الخليفة الفاطمي ٣٦٥ – ٣٨٦ هـ ٩٧٥- ٩٩٦م بعد أن تغلب القرامطة بالمصير إلى الصعيد لإقامه لبطون منهم بالجزيرة العربية بالتعاون مع القرامطة، ثم دفع محمد اليازوري وزير الخليفة الفاطمي المستنصر عام ٤٢٧- ٧٨٧هـ ١٠٣٥- ١٠٩٤ م بني هلال لاقتحام أفريقيا، لهذا استولى الهلاليون عام ٤٢٢هـ ١٠٥١/٥٠ م على برقة ثم تابعوا سيرهم إلى تونس بعد أن تركوا برقة لبني سليم (٣١/٤٨) .

وفي سنة ٤٣٣ هـ ١٠٥١م أقام المعز بن باديس الصنهاجي ملك المغرب الدعوة للقائم بأمر الله العباسي وأبطل دعوة بني عبيد (الفاطميين) خلفاء مصر من المغرب، وكان المعز لدين الله الفاطمي لما خرج من المغرب وقصد الديار المصرية سلم إلى المعز بن باديس فأقام بها سنين إلى أن توفي، وملكها إبنه من بعده فأقام مدة سنين يخطب لبني عبيد إلى هذه السنة (يقصد ٤٤٣ هـ) فأبطل (الخطبة) لهم وخطب لبني العباس، ودعا للقائم بأمر الله وهو ببغداد فلم تزل الدعوة العباسية بعد ذلك بالمغرب حتى ظهر محمد بن تومرت المصمودي البربري بالمغرب وتلقب بلقب المهدي وقام بعده عبد المؤمن بن علي فقطع الدعوة لبني العباس أيام المقتفي (٥/٥٠/٢٤٠)، أقتضت خطة الفاطميين استئصال وجود القرامطة وتشتيت أعوانهم وذلك عندما تولى العزيز بالله الخلافة الفاطمية فأرسل جيشًا بقيادة جوهر الصقلي عام ٣٦٧هـ ٩٧٧م لمهاجمة

القرامطة في الشام وبالفعل تمكن هذا الجيش من إنزال الهزيمة بالقرامطة والقضاء عليهم وتشتيت شملهم وتعتبر هذه المعركة من المعارك الفاصلة والحاسمة في تاريخ القرامطة في الشام، ولقد استطاع المعز لدين الله بعد هزائم القرامطة أن ينفرد بفلول مؤيديهم من بني هلال وبني ربيعة وبني سليم فنقلهم إلى منطقة مصر العليا حيث أنزلهم في العدوة الشرقية من صعيد مصر وكأنه بذلك حدد إقامتهم لحين الاستفادة منهم في تأديب خصوم الدولة، لقد هيأ الفاطميون سبل الإقامة لبني هلال في مصر، إلا أن هؤلاء لم يألفوا بطبيعتهم الاستقرار فبدأت تطفو مشاكلهم ومظاهر طبائعهم على جماعتهم وعلى المصريين وذلك فيما اعتادوا عليه من الغارات بفعل الأحقاد التي بينهم، وبخاصة ما بين زغبة ورياح، وما لبثوا أن قاموا بالاعتداء على السكان الآمنين في ديارهم، يعتدون على محاصيلهم، ويسلبون أموالهم ودوابهم ويقطعون على التجار الطريق، ويتطاولون بالأذى على من يقربهم أو يقربوه، ولو نظرنا إلى مضارب بني قرة في الشمال الغربي لدلتا النيل الذين اتخذوا هذا الأقليم مقامًا لهم قبل قدوم أخوتهم في العدوة الشرقية بأجيال حيث ذكرهم عبد الرحمن بن خلدون بقوله: إن مقر إقامتهم كان بالجبل الأخضر وما يليه من برقة ولم يستقروا ولم يتحولوا عن البدواة على الرغم من طول مقامهم في أرض خصبة واختلاطهم بأقوام من الفلاحين، ولاشك أنهم كسائر البدو يكرهون النظام ويتربصون بالسلطان ويعيشون على الغنيمة ولا يحتفظون بالمذاهب الدينية إلا بمقدار اتصالها بمنافعهم وتبرير أفعالهم، لقد أثبتت الشواهد التاريخية أن بني هلال من أجل منافعهم لم يكن لهم ولاء لمذهب أو عقيدة أو حاكم فقد ذكر المؤرخون أنهم استجابوا في شق عصا

الطاعة للعبيدية الشيعة، والبيعة للقائم العباسي؛ كما انضموا للمعارضين الساخطين على الدولة الفاطمية (٥٢/٢٦) وفي عام ٤٤٣ هـ/١٠٥١م تم انتصار المالكية باعلان أوامرها العصيان على الدولة الفاطمية وإزالة أسماء الشيعة من الرايات؛ وعدم سك العملة بأسمائهم بقيادة المعز بن باديس، وبالتالي تم اختيار الفاطميين لقبائل بني هلال ومن معهم لمهاجمة الانفصاليين وذلك لعدة أسباب:

١- تم اختيار هؤلاء نظراً لخبرتهم في القتال عند اشتراكهم مع القرامطة في معارك كثيرة ضد العباسيين في الكوفة بالعراق وضد الطولونيين والأخشيديين والفاطميين في بلاد الشام.

٢- نظراً لأن بني هلال ومن معهم يتمتعون بميزة الفروسية ووعيهم بدروب الصحراء وقدرتهم على تحمل أجوائها.

٣- اسناد هذه المهمة الحربية إلى بني هلال ومن معهم ليشعروا بأن لهم شخصية مستقلة وهذا ما يرضى فضولهم ويشبع غرورهم.

٤- العامل الهام جداً في نظر الفاطميين هو التخلص من عبثهم وأذاهم داخل مصر.

ولذلك أذن المستنصر بالله الفاطمي لعرب بني هلال ومن معهم بعبور العدوة الشرقية لمحاربة المنشقين عليه بمشورة وزيره محمد اليازوري الذي وجه لبني هلال ومن معهم رسالة أوردها عبد الرحمن بن خلدون يقول فيها: لقد أعطيناكم المغرب وملك المعز بن باديس الصنهاجي العبد الابق فلا تفتقرون، كما وجه للمعز بن باديس رسالة أخرى يقول فيها: أما بعد، فقد أرسلنا إليك

خيولاً، وحملنا عليها رجالاً فحولاً، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.(٥٣/٢٩)، وكان خروج الشاعر أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني صاحب قصيدة :

يا ليل الصب متى غده   أقيام الساعة موعده

كان خروجه من القيروان بعد نكبتها التي خربت سنة٤٤٩هـ/١٠٥٧م في أعقاب الخلاف الذي نشب بين الفاطميين والمعز بن باديس الذي أدى إلى انقضاض قبائل بني هلال وبني سليم على القيروان فتشتت أهلوها وخرج علماؤها وأدباؤها (٥٢/٢٦) وبعد أن توفى باديس بن منصور بن بلكين بن زيري سنة ٣٦٨/٣٦١ هـ ٩٩٦/٩٧٢م خلفه إبنه المنصور ٣٨٦/ ٤٠٦هـ ١٠١٦/٩٩٦م توفى وتولى بعده ابنه باديس ٤٣٩/٤٠٦هـ ١٠٥٨/١٠١٦م ثم خلفه ابنه المعز بن باديس ٤٣٩هـ ١٠٥٨م الذي أعلن انفصاله عن الفاطميين بالقاهرة، وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي، ثم هجم البدو من بني هلال على القيروان وعجز المعز عن صدهم، فأشار عليه أصحابه بالارتحال عنها إلى المهدية وكان عليها ابنه تميم بن المعز، فانقض هؤلاء المهاجرون على القيروان هدمًا وإحراقًا وتخريبًا ونكبوا أهلها، ودكوا معالمها الزاهرة بتحريض من الفاطميين في مصر وذلك عام ٤٤٣هـ ١٠٥١م وشهد الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي هذه النكبة الأليمة فقال في ذلك مرثية من أروع ما رثيت به المدن في الشعر العربي تتكون من ٥٦ بيتًا منها:

حسنت فلما أن تكامل حسنها   وسما إليها كل طرف ران

وتجمعت فيها الفضائل كلها   وغدت محل الأمن والإيمان

نظرت لها الأيام نظرة كاشح   ترنو بنظرة كاشح وبيان

حتى إذا الأقدار حم وقوعها ودنا القضاء لمدة وأوان

أهدت لها فتنًا كليل مظلم وأرادها كالناطح العيدان

بعصائب من فادع أو شائب ممن تجمع من بني دهمان

نقضوا العهود المبرمات وأخفروا ذمم الإله ولم يفوا بضمان

فاستحسنوا غدر الجوار وآثروا سبي الحريم وكشفة النسوان

ساموهم سوء العذاب وأظهروا متعسفين كوامن الأضغان

والمسلمون مقسمون تنالهم أيدي العصاة بذلة وهوان

ما بين مضطر وبين معذب ومقتل ظلما وآخر عان

يستصرخون فلا يغاث صريخهم حتى إذا سئموا من الإرنان

أعظم بتلك مصيبة لا تنجلي حسراتها أو ينقضي الملوان

أترى الليالي بعدما صنعت بنا تقضي لنا بتواصل وتداني

وتعيد أرض القيروان كعهدها فيما مضى من سالف الأزمان

أمست وقد لعب الزمان بأهلها وتقطعت بهم عرى الأقران

فتفرقوا أيدي سبا وتشتتوا بعد اجتماعهم على الأوطان

(١٢٢/١٦٠)

وقد بقي في الجزيرة العربية من بني هلال من بقي حيث ذكرهم الشاعر الأبيوردي من شعراء القرن الخامس والسادس الهجري المتوفي عام ٥٠٧هـ ـ ١١١٣م حيث قال من قصيدة له:

ألمت ودوني رامة فكثيبها ينم على مسرى البخيلة طيبها

وفوق العزيزيات أعناق فتية يشد طلاها بالرحال دؤوبها

وأنى اهتدت والليل داج ودونها حزون البطاح من منى وسهوبها

وما راقبتها عصبة عامرية تزر على أسد العرين جيوبها

فإن نسيم العنبر الورد إن سرت إلينا ووسواس الحلى رقيبها

ولله عين تمتري دمعها النوى ونفس يعنيها الهوى ويذيبها

وإني لأستنشي الرياح فربما تجيء بريا أم عمرو وطيبها

وانشق منها نفخة عضوية ولي عبرات ما تجف غروبها

أعلل نفسًا بالعراق مريضة ولكن بأكناف الحجاز طبيبها

فيممت أخوالي هلال بن عامر وأغربه الخين شاب تعيبها

(١٢٨/٤٧٠)

وانضم معظم بني هلال بعد زوال القرامطة إلى الشريف شكر بن أبي الفتوح حيث استمالهم إليه وقاتل بني مهنا من أحفاد الشريف طاهر بن مسلم الحسيني أمير المدينة ونجد حينما أراد الاستيلاء على مكة المكرمة وانتصر

الشريف، شكر بني هلال ومن انضم إليهم من قبائل الجزيرة واستطاع بعدها أن يستقل بالحجاز ويدحر قوات أبناء عمه آل مهنا وبقي مرهوب الجانب حتى توفي عام ٤٥٣هـ ـ ١٠٦١ م وأصبح بنو هلال تحت وطأة آل مهنا لمناصرتهم الشريف شكر، وقد تعرضت المدينة المنورة إلى اعتداء الأعراب المقيمين حولها فقد تجمعت هذه القوات عام ٥٩٠ هـ ـ ١١٩٤م بزعامة قبيلة زغب الهلالية وشنوا هجومًا عليها منتهزين فرصة غياب أميرها في بلاد الشام وطمعوا في الاستيلاء عليها فتصدى لهم الأمير هاشم بن قاسم أخو الأمير سالم الذي كان ينوب عنه بها وقاتلهم حتى قتل (٩١/٧٩) .

وكان أبو البركات الجرجرائي الوزير الفاطمي قد سن في أواخر السنة التالية من وزارته ٤٤٠هـ/١٠٤٩م سياسة جديدة قوامها نقل العناصر العربية المثيرة للعبث والشغب الذين لا يرضخون لأوامر الفاطميين إلى بلاد حكام الأطراف العصاة (الثائرين) فعندما نبذ أمير أفريقية شرف الدولة المعز أبو تميم بن باديس بن منصور بن بلكين يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي٤٠٦-٤٥٤ هـ/١٠١٦-١٠٦٢م طاعة المستنصر وقطع خطبته ودعا للخليفة العباسي القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله سنة ٤٢٢ – ٤٦٧ هـ ـ ١٠٣١- ١٠٧٥م أباح لعرب بني هلال النازلين بالصعيد فجاز النيل منهم خلق عظيم وأقاموا بناحية برقة، وضيقوا خناقه وقد واصل سياسة الجراجرائي خلفه الوزير محمد بن الحسن اليازوري الذي تولى تهجير العرب من مصر قبائل بني هلال وسليم وجشم وفزارة ومعقل وغيرهم لتقليم أظافر أميرها العاصي، فعاثوا فسادًا في نواحي القيروان، وذكر ابن الأثير وابن عذاري وابن خلدون أنه في يوم ١٢ ذي

الحجة عام ٤٤٣هـ ـ أبريل ١٠٥٢م أنزل العرب بقيادة أمير رياح (من بني هلال) موسى ويقال (يونس أو مؤنس) بن يحيى المرداسي الضنبري الهلالي هزيمة هائلة بجيوش المعز بن باديس جنوب جبل حيدران (جندران) من ناحية قابس ووصلوا إلى نواحي القيروان وسميت هذه الواقعة بيوم (العين) لأن موسى بن يحيى أمر العرب بطعن الصنهاجيين في أعينهم لأنهم كانوا يرتدون دروعًا مسبلة تغطي الجسم كله فلا يبدوا منه غير العيون (٥٣/١٢٩).

وكان من خبر دخول العرب إلى المغرب أن بطون بني هلال وسليم من حضر لم يزالوا في البادية ونجعوا من نجد إلى الحجاز فنزل بنو سليم مما يلي المدينة ونزل بنو هلال في جبل غزوان عند الطائف وكانوا يطرقون العراق في رحلة الشتاء والصيف فيغيرون على أطرف الشام والعراق وكانت بنو سليم تغير على الحاج أيام مواسم الزيارة ثم تجهز بنو سليم وكثير من ربيعة بن عامر إلى القرامطة عند ظهورهم وصاروا جندًا لهم بالبحرين وعمان قدموا معهم إلى الشام فلما غلبت القرامطة أيام المعز لدين الله أبي تميم معد ثم في أيام ابنه نزار وانهزموا من الشام إلى البحرين نقل المعز من كان معهم من بني هلال وسليم إلى مصر وأنزلهم بالجانب الشرقي من بلاد الصعيد، وأقاموا هناك وضروا البلاد إلى أن ملك المعز بن باديس القيروان عام ٤٠٨ هـ وهو ابن ثمان سنين فحلف المعز ليحولن الدعوة إلى بني العباس ولج في ذلك وقطع الدعاء للمستنصر وأزال اسمه من الطراز والرايات ودعا للقائم أبي جعفر بن القادر (العباسي) في سنة ٤٤٠هـ وكتب إليه بذلك فكتب إليه بالعهد صحبة أبي الفضل بن عبد الواحد التميمي فقرأ كتابه بجامع القيروان ونشر الرايات السود (رايات العباسيين)

وهدم دار الإسماعيلية ووصل الخبر إلى القاهرة فأشار اليازوري بتجهيز أحياء (بن) (و) جشم والأشروزبنية ورياح وعدي وربيعة إلى المغرب وتولية مشايخهم أعمال أفريقية فغلبت مشورته وأرسل إليه سنة ٤٤١ هـ وحمل إلى مشائخهم الأموال وأنعم على سائرهم بفرو ودينار لكل واحد وأبيح لهم حمى المغرب وكتب اليازوري إلى المعز: أما بعد فقد أنفذت إليك خيولاً فحولاً، وأرسلنا عليها رجالاً كهولاً ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً، فسارت العرب إلى برقة وفتحوا أمصارها وكتبوا لإخوانهم الذين بشرقي الصعيد يرغبونهم في البلاد فأعطوا من الدولة دينارين لكل واحد ومضوا إلى أصحابهم فتصارعوا على البلاد فحصل لسليم الشرق ولهلال الغرب فأقامت بطون من سليم وأحلافها بأرض برقة، بمدن الحمراء، أحدابيه، سرت، وسارت قبائل زياد، وعرق، وزغب وجميع بطون هلال إلى أفريقيا غربًا ثم بعد القضاء على ابن باديس سنة س٤٤٣هـ اقتسم العرب بلاد أفريقيا سنة ٤٤٦ هـ ١٠٥٤م فكان لزغب طرابلس وما يليها ولمرداس بن رياح باجة وما يليها وزغبة والعقل زابنة فكان لهلال من قابس إلى المغرب وهم رياح وزغبة والعقل وجشم ترنجة والأسبج وشداد والخلط وسفيان. (٢/١٥-١٧/٧).

أ- رحلة بني هلال وبني جشم للمغرب:

نقلاً عن كتاب الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى) للشيخ الناصري الجزء الثاني،جاء فيه: وأما خبر دخولهم (يعني بني هلال) إلى المغرب والسبب فيه فقد ذكر المؤرخون أن بني سليم بن منصور وبني هلال في جبل غزوان عند

الطائف ثم تحيز بنو سليم والكثير من بني هلال بن عامر إلى البحرين (الأحساء) وعمان وصاروا جندًا للقرامطة ثم غب إغارة القرامطة على بلاد الشام وظاهرهم على ذلك بنو سليم وبنو هلال، ثم انتفضت دولة العبيديين من أفريقية (تونس) وغلبوا القرامطة على الشام أشياعهم من بني سليم وبني هلال فأنزلوهم بصعيد مصر في العدوة الشرقية من بحر النيل فأقاموا هنالك، وكان لهم أضرار بالبلاد ولما انتقلت الدولة العبيدية من أفريقية إلى مصر كما قلنا استنابوا على أفريقية بني زيري من مناد الصنهاجيين فسلكوها وكانوا يخطبون بملوك العبيديين على منابرهم ويضربون السكة بأسمائهم ويؤدون إليهم إتاوة معلومة وطاعة معروفة ولما انساق ملك أفريقيا إلى المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن زيري الصنهاجي كان له مذهب أهل السنة خالف فيه أسلافه الذين كانوا على مذهب الشيعة الرافضة وكان الخليفة من العبيديين بمصر يومئذ المستنصر بالله معد بن الظاهر بن الحكم بن العزيز بن المعز لدين الله، والمعز هذا هو الذي انتقل إلى مصر وبنى مدينة القاهرة وكان المعز بن باديس الصنهاجي لا تزال المراسلات والهدايا تختلف بينه وبين المستنصر العبيدي صاحب مصر كما كانت أسلافهما واستمر إبن باديس على إقامة الدعوة لهم حتى تولى وزارة المستنصر أبو محمد الحسن بن علي اليازوري الذي مدحه الشاعر ابن حيوس بهذه المناسبة بقوله:

وكان يسمى معزا فمذ تحديته صار يدعى مذل

فما يأملن فرجًا بالبعاد طريدك مستضعف حين حل

ولو أقلع الخوف عنه اهتدى ولكنه راد رعيا فضل

(٢/٤٩٠/١٢٥)

فخاطبه المعز بن باديس دون ما كان يخاطب به من قبله من الوزراء فحنق عليه وصارت القوارص تسري من بعضهم إلى بعض إلى أن أظلم الجو بين المعز بن باديس والمستنصر العبيدي ووزيره اليازوري فقطع ابن باديس الخطبة لهم على منابره سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م وأحرق بنود المنتصر ومحا اسمه من السكة والطرة ودعا للقائم العباسي خليفة بغداد وجاءه خطابه وكتاب عهده فقرئ بجامع القيروان ونشرت الرايات السود وهدمت دور الإسماعيلية وبلغ الخبر بذلك المستنصر بالقاهرة فقامت قيامته وفاوض وزيره اليازوري في أمر ابن باديس، فأشار عليه أن يسرح له العرب من بني هلال وبني جشم بالصعيد وأن يتقدم إليهم بالاصطناع ويستميل مشايخهم بالعطاء وتولية أعمال أفريقية وتقليدهم أمرها بدلاً من صنهاجة.

فبعث المستنصر وزيره إلى هؤلاء الأحياء وأرضخ لأمرائهم في العطاء ووصل عامتهم ببعير ودينار لكل واحد منهم وأباح لهم إجازة النيل وقال لهم: قد أعطيناكم المغرب وملك ابن باديس العبد الآبق فلا تفتقرون بعدها وكتب اليازوري إلى المعز (أما بعد فقد انفذنا إليكم خيولاً فحولاً وأرسلنا عليها رجالاً كهولاً ليقضي الله أمراً كان مفعولاً) فسرحت العرب هناك وعبروا النيل إلى برقة شرقي النيل يرغبوهم في البلاد فأجازوا إليهم بعد أن أعطوا للمستنصر لكل رأس دينارين، فأخذ منهم أضعاف ما أخذوه وتقارعوا على البلاد فحصل لبني سليم شرقها ولبني هلال غربها ثم انتشروا في أقطار أفريقية مثل الجراد لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه.

ولم تمض إلا مدة يسيرة حتى استولوا على ضواحي أفريقية ونازلوا أمصارها واقتضوا من أهلها الإتاوة وحاصروا ابن باديس في مصره وصاهرهم ببناته تألفاً لهم ومع ذلك فلم يجد شيئاً قال ابن خلدون (ولهؤلاء الهلاليين في الحكاية عن دخولهم في أفريقية طرق يزعمون أن الشريف ابن هاشم كان صاحب الحجاز في مكة ويسمونه شكر بن أبي الفتوح وأنه أظهر إلى الحسن بن سرحان في أخته جازية فانكحه إياها وولدت منه ولداً اسمه محمد وأنه حدث بينهم وبين الشريف المذكورمغاضبة وفتنة فأجمعوا الرحلة عن أرض نجد إلى أفريقية وتحيلوا عليه في استرجاع أختهم جازية المذكورة.... وكلفت به وكلف بها إلى أن ماتت في حبه ويروون كثيراً من أشعارها محكمة المباني متفقة الأطراف وفيها المطبع والمنتحل، والموضوع لم يفقد فيها من البلاغة شيء وإنما فقد الأعراب فقط ولا مدخل له في البلاغة وهذه الأشعار شيء كثير دخلته الصنعة وفقدت فيه صحة الرواية فلذلك لا يوثق به، ولو صحت روايته لكانت فيه شواهد بأيامهم ووقعاتهم مع زناته وحروبهم وضبط الأسماء رجالاً وكثير من أحوالهم ولكنا لا نثق بروايتها وربما يشعر البصير بالبلاغة بالمصنوع منها وغيره وهم متفقون على الخبر عن حال الجازية هذه مع الشريف خلفاً عن سلف وجيلاً عن جيل ويكاد القادح فيها والمستريب في أمرها أن يرمى عندهم بالجنون، لتواترها بينهم وهذا الشريف الذي يشيرون إليه هو من الهواشم وهو شكر بن أبي الفتوح الحسن بن جعفر بن أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد الأكبر بن موسى الثاني بن عبد الله بن أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأبو الفتوح هو الذي خطب لنفسه بمكة أيام الحاكم العبيدي وبايع له بنو الجراح أمراء طيء بالشام وبعثوا عنه، ووصل إلى أحيائهم وبايع له كافة العرب ثم غلبتهم عساكر الحاكم العبيدي ورجع إلى مكة وهلك سنة ٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨م فولي بعده ابنه شكر وهذا هلك سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م وولي بعده ابنه محمد الذي يزعم هؤلاء الهلاليون أنه من جازية هذه.

وقال ابن حزم أن شكر بن أبي الفتوح لم يولد له سقط وإنما صار أمر مكة من بعده إلى عبد كان له.

وقال ابن خلدون: بل أخبرني من أثق به من الهلاليين لهذا العهد [٨٠٠هـ] أنه وقف على بلاد الشريف شكر بن أبي الفتوح وأنها بقعة من أرض نجد مما يلي الفرات وأن ولده بها لهذا العهد.

وأعلم بأن جازية بنت سرحان هذه كانت من بني دريد بن أثبج فهي هلالية وأثبجية ودريدية ومن مزاعمهم أنها لما صارت إلى أفريقية وفارقت الشريف ابن هاشم المذكور خلفه عليها منهم ماضي بن مقرب من رجالات دريد أقامت عنده مدة ثم غاضبته ولحقت بأخيها الحسن بن سرحان فمنعها منه فقامت عشيرة ماضي بن مقرب معه وقاتلوا الحسن بن سرحان وعشيرته وثارت الفتنة بينهم وقتل الحسن بن سرحان واستمرت العداوة بينهم إلى أيام الموحدين.

فهذا سبب انتقال هؤلاء العرب من الحجاز ونجد إلى أفريقية وأما سبب تنقلهم من أفريقية يعني تونس إلى المغرب الأقصى فقد ذكرنا أن بني سليم بن منصور وبني هلال بن عامر اقترعوا على بلاد أفريقية فكان لبني سليم شرقها ولبني هلال وبنو جشم بن معاوية بن بكر غربها فعلت أيديهم على الجميع

واستمر أمرهم على ذلك إلى أن كانت دولة يعقوب المنصور الموحدي رحمه الله وثار ابن غانية ببلاد أفريقية كما تقدم فظاهرته العرب من جشم وهلال على الموحدين وأوقعوا بمقدمة المنصور فنهض إليهم من تونس وأوقع بالملثمين أولاً ثم بالعرب ثانيًا، وفل جمعهم واتبع آثارهم إلى أن شردهم إلى صحاري برقة وانتزع تلك البلاد من أيديهم ثم راجعوا بصائرهم فأتوا طائعين خاضعين حسبما قدمنا الخبر عن ذلك مستوفى.

وكان الذين قاتلوه أولاً ثم راجعوا طاعته ثانيًا هم قبائل هلال بن عامر وجشم بن معاوية بن بكر كما قلنا وهم أصحاب غرب أفريقية وأما بنو سليم بن منصور فلم يقاتله منهم أحد فلذلك بقي بنو سليم بأرض أفريقية ونقل منصور رحمه الله بني هلال وبني جشم إلى المغرب الأقصى حين أتوه طائعين وكان ذلك سنة ٥٨٤ هـ/ ١١٨٨م فأنزل قبيلة رياح من بني هلال ببلاد الهبط فيما بين قصر كتامة المعروف بالقصر الكبير إلى أزغار البسيط الأفيح هناك إلى ساحل البحر الأخضر (المحيط الأطلسي) فاستقروا بها وطاب لهم المقام وأنزل قبائل جشم بلاد تامسنا البسيط الأفيح ما بين سلا ومراكش وهو أوسط بلاد المغرب الأقصى وأبعدها عن الثنايا المفضية إلى القفار لإحاطة جبل الدرن بها فلم يمسوا بعدها فقرًا ولا أبعدوا رحلة والإقليمان يعرفان الآن بالغرب والحوز فكان لرياح بلاد الغرب ولجشم بلاد الحوز.

وهناك تفصيلات عن أقسامهم وتنقلاتهم وصراعاتهم مع بعضهم البعض ومع غيرهم ليس محل استعراضها.

تكوين القبائل العربية

يقصد في هذا الجزء إيراد أسماء القبائل حسب ورود ذكرها لها في الحوادث التاريخية:

أ- **بنو خالد:** أثناء النزاع بين أبناء الشريف أبي نمي حميضة ورميثة وأبي الغيث من عام ٧٠١-٧١٥هـ ١٣٠١-١٣١٥م هرب حميضة ورميثة إلى بيشة واحتلاها وقتلا أميرها محمد بن سعيد بن زيد المخزومي القرشي في بلدة المراغة فوق الثنية التي كان أعاد بنو خالد بناءها قبل استقرارهم في وادي ترج بحوران قال العلامة أبو الهدى الصيادي في كتابه (الروض البسام) بأن أحد أجداد بني خالد وهو مهنا بن فضل بن عبد الرحمن الذي يتصل نسبه بسيف الإسلام خالد بن الوليد من ذرية ابنه عبد الرحمن بن خالد نزل ضيفاً مع طائفة من بني مخزوم على فضل أمير ربيعة الطائي، وهو فضل بن عيسى بن مهنا الطائي كان أمير طيء من عام ٧١٦هـ - ٧٣٩هـ ١٣١٦- ١٣٣٨ م فتزوج منها أمير بني خالد أبنة فضل أمير طيء التي يلقبونها البيضاء ولهذا فإن العلاقة الوثيقة بين أعقابهم لازالت متينة لحد الآن (زمن المؤلف في مطلع القرن الرابع عشر) وصلة القربى قد جعلتهم أحلافاً لبعضهم فأعقب مهنا من البيضاء ابنيه سليمان وعيسى (إليهما انتهت أمارة آل فضل الخالديين) فإلى سليمان وعيسى ينتهي نسب آل ملحم ويعرفون أيضا بآل مهنا وبآل عيسى وهم شيوخ الحسنة الذين هم أمراء البادية وكانت إمارة ديار نجد ورئاسة قبائلهم منحصرة في الأمراء من بني خالد (رضي الله عنه) ويقال لأسلافهم آل منيع وآل عريعر (٩-١٠/٧٣) ويقول ابن الساعي (٥٩٣- ٦٧٤ هـ/١١٩٦- ١٢٧٥م) وأما القسم الثاني فهم آل فضل بن عيسى بن مانع بن محمد الأشقر بن سليمان بن

سيف بن فضل بن عيسى بن عبد الكريم بن مصلت بن مهنا بن فضل بن محمد بن عبد الرحمن بن سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه، ومهنا بن فضل بن محمد بن عبد الرحمن بن خالد مات عن ثلاثة أولاد سليمان وعيسى ومصلت، فسليمان وعيسى أمهما طائية وهي البيضاء بنت فضل أجل الأمراء الطائيين آل فضل بن ربيعة أمراء طيء الذين سبق ذكرهم وفضل بن ربيعة جد آل مهنا المخزوميين لأم، وآل عيسى أمراء ربيعة من طيء وهم بنو عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل، وفضل هذا ينتهي إلى فضل بن ربيعة نزل عليه مهنا بن فضل بن محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد رضي الله عنه قافلاً من نجد مع طائفة من بني مخزوم فأكرم مثواه وأعزه ولم يكن لفضل أمير ربيعة من يقوم مقامه ويشاكله في شأنه وعظم بيته، فتوسم النجدة والغيرة وعلو الجانب بمهنا بن فضل الخالدي فزوجه ابنته البيضاء وكان لمهنا الخالدي المذكور زوجة أخرى من بني عمه وله منها ولداً اسمه مصلت، فأعقب من البيضاء بنت الأمير فضل الطائي الربيعي سليمان وعيسى وإليهما انتهت إدارة آل فضل الروض البسام (١٧٥- ١٧٦).

وبنو خالد من بني مخزوم من العدنانية انتشر الكثير منهم في العراق ونجد والحجاز وبلاد أخرى بادية وحاضرة، وعند ابن الأثير أن ذرية خالد بن الوليد المخزومي قد أنقرضت، ولكن السبكي وعبد الغافر والسمعاني والبقاشي وخلائق نصوا في طبقاتهم وتواريخهم على وجود الذرية الخالدية وترجموا لكثير من أكابر رجالها، وقال شيخ الإسلام السراج في صحاحه: أما ما رواه العلامة ابن الأثير الموصلي في تاريخه عن إنقراض عقبه وإن النسابين أجمعوا على ذلك فهفوة مؤرخ لا يعبأ بها، بلى إن جماع النسابين على أن لا عقب له في المدينة المنورة وهذه الكلمة التي أوهمت ابن الأثير، وقال : إنما رواه ابن الأثير إنما كان

في المدينة المنورة وليس على وجه الإطلاق، وقال العلواني: بنو خالد من أحلاف آل فضل وعشائرهم مشهورة وتتناقل نسبها المعروف المتواتر وكان لهم أعظم شأن في الشام خاصة وجاء تعداد فرقهم في أنحاء الشام (١٤٠/٨) والجدير بالذكر أن رواية ابن الأثير ربما كان لها علاقة بما حدث لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية بن أبي سفيان مما هو مفصل في كتب التاريخ.

ب- بنو لام: قبيلة بني لام من جديلة من طيء كانت لها السيادة في نجد ولها حروب مع الحجاز والاحساء وذلك في القرن التاسع الهجري ودخلت فيما بعد القرن الحادي عشر في شمر وتفرع منها بطون انتشرت في نجد أثناء قوتها وانتشارها وبعد ضعفها منهم آل مغيرة وآل كثير والفضول والظفير.

انتسب بنو عمرو إلى ربيعة بن عامر بن صعصعه في القرن الرابع الهجري عندما قويت شوكة بن هلال وقوى سلطانهم على نجد سنداً للقرامطة أما عائذ فقبيلة قحطانية ويزيد ومزيد عشائر من العطيان (بنو عطية) من عائذ المذكورة.

ج-بنو وائل وبنو حنيفة ومن حالفها من قبائل شيبان بن روف بن جحدر بن عبد الله بن سنحان، وتغلب بن حلوان من لحاف القضاعي وحرب وتميم وزغب(الهلاليين)ومطير وخفاجة وعنزة وغيرها من القبائل التي ذابت في منتصف القرن الثامن وتفرقت إلى أسر في قرى نجد بعد أن أنحلت رابطة القبيلة فيها ورجعت قبيلة شيبان ودخلت البقوم تحت إمرة حنش الحنتوشي أمير تربة، ودخلت عشيرة من الوهبة من بني تميم الأحساء ضمن القبائل التي توجهت إلى الأحساء لمساعدة علي بن عبد الله العيوني للقضاء على القرامطة وبقي بنو وهب مستقرين مع بني خالد الذين أنحدر منهم بنو جبر الذين كانت السلطة لهم على

نجد ومنطقة الأحساء وقد كانت سلطة بني جبر من ٨٢٠-٩٣٣ هـ/ ١٤١٧- ١٥٢٦م .

كما ظهرت قوة شمر التي انضم إليها بقايا عشائر طيء ولام وأسد مثل بني سنبس وأكبر عشائرها بنو التمياط وبنو جديلة وأكبر عشائرها بنو التيم (التومان) وأصبحت هاتان القوتان (بنو خالد وشمر) هما اللتان يمكنهما الامتداد نحو قرى نجد واقتسامها (سلطة بني خالد ــ أحلاف وسط نجد ــ حلف شمر) (٥٣-٥٤/٣٣).

والمعروف أن التمياط أحد فروع التومان، فالتومان ثلاثة فروع هم التمياط، العايش، والرُبعَة، وأحدهم ربع منهم سند الربيع أما بنو التيم فهم الذين مدحهم امرؤ القيس حين قال : "بنو تيم مصابيح الظلام".

د- عتيبة : قبيلة عدنانية وتنقسم عتيبة إلى فرعين رئيسين هما برقا وروق ومشائخ عتيبة آل حميد وآل ربيعان وآل محيا، قالت الشاعرة قمراء الدعجانية العتيبية:

يفدى عشيري كل برقا على روق واللي بعيد الدار واللي هنيّا

ويفداه من يركب على الخيل بعروق مع خيل ابن هندي وخيل المحيا

الجانب الديني :

يمثل الجانب الديني مركز الثقل هذه المنطقة، فالسكان دخلوا في دين الله طواعية منذ البداية، وإن كانت الأعرابية في البداية لم تكن مدركة لأعماق هذا الدين مما جعل بعض العناصر التي أخذت الدين بسطحية وأرادوا السير وراء

بعض أهواء المنحرفين عن الدعوة الإسلامية غداة وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قام بعض هؤلاء المنحرفين بقيادة طليحة الأسدي ومسيلمة الحنفي وغيرهما حتى أعادهم خالد بن الوليد إلى صوابهم في موقعتي بزاخة واليمامة فعادت المنطقة إلى المنهج الصحيح تدين بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فرسخ هذا الدين في النفوس أيما رسوخ واستمر أجيالاً وقروناً عديدة وحتى عندما جاء الأخيضريون بمذهبهم الشيعي في منطقة اليمامة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري لم يقبله الناس رغم أنهم حاولوا أن يفرضوه على السكان بالقوة لكنه كان يقابل بالرفض وما كادت دولتهم يأفل نجمها وتنقرض حتى اضمحل معها هذا المذهب ولم يكن حظ مذهب القرامطة الذين جاءوا في القرن الرابع والخامس الهجريين في البحرين وأرادوا إضفاء ظلال مذهبهم على جزء من هذه المنطقة لم يكن حظهم بأحسن من حظ سابقيهم لأن السكان قد اتخذوا مذهب أهل السنة والجماعة الذي سار عليه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله مذهبًا لهم فكان هذا المذهب المنتشر بالمنطقة على نطاق واسع لا ينازعه منازع اللهم إلا بقايا جيوب صغيرة هنا وهناك ولذلك فالسكان قد اقتنعوا به وساروا عليه بصفة عامة لقرون عديدة عدا بعض الحالات الشاذة والنادرة التي قد توجد كما سبق التنويه عنها، وهذا ما جعل هذه المنطقة تمثل الناحية الدينية كتلة واحدة متماسكة لا يؤثر فيها مؤثر وذلك للأسباب الآتية:

أ- **أن الدين الإسلامي لم يخالطه** أي دين آخر في الجزيرة العربية عامة وفي هذه المنطقة خاصة منذ صدر الخلافة الراشدية في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي نظف آخر جيوب الديانات الأخرى من هذه

ب- الجزيرة تنفيذاً لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لا يجتمع على أرض الجزيرة دينان، فكان الدين الإسلامي بمختلف مذاهبه (مالكي، شافعي،حنبلي، حنفي) في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية وكان نصيب هذه المنطقة المذهب الحنبلي وإن كانت هذه المذاهب الأربعة كلها تسير في بوتقة واحدة من حيث الأساسيات وهي بوتقة الإسلام عدا بعض الأمور الفرعية التي يوجد فيها خلاف حول هؤلاء الأئمة بين من يعتبرها سنة وبين من يعتبرها واجب وغير ذلك من الأمور الصغيرة المهم أنها تؤدي على أي اعتبار كان ليس هذا مكان تحليله، المهم أن الأسلام في هذه المنطقة لم يدخل معه أو لم يكن بجانبه دين أخر ولذلك بقيت هذه المنطقة متماسكة من هذه الناحية لم يدخل فيها حتى المذاهب الإسلامية الأخرى وحتى المذاهب التي حاولت سلطة ما أن تفرضها على السكان لم تلبث أن تبخرت بزوال تلك السلطة كما أسلفنا ولهذا السبب فإن رسوخ الإسلام في النفوس أمر مسلم به، وإن كانت هناك بعض النوازع التي تتنافى وتعاليم الإسلام تبرز أحياناً بدوافع معينة مثل إغارة بعض الأعراب على بعض والسلب والنهب التي تحصل على الطرقات كما رأينا في الفصول السابقة وهذا ولا شك ينافي تعاليم الإسلام السمحة، لكن قد تكون الحاجة الماسة من الدوافع التي تجعل هذه الفئات ترتكب تلك الأعمال، وقد تكون هناك دوافع أخرى تكمن وراء ذلك التصرف كالنوازع السياسية أو إدراك الثارات والترات وغير ذلك من المسببات التي تحيد بفئة من السكان بصفة مؤقتة عن السير في الطريق الإسلامي في المستوى بالإضافة إلى بعض جوانب النشوز في المعاملة التجارية، أما أركان الإسلام الأساسية من شهادة وصلاة

وزكاة وحج وصوم فإنها تؤدي كاملة، وهذا ما جعل الإسلام يسري في دماء الناس ويعيشون في ظله طيلة هذه المدة الطويلة من القرون دون أن يلتفتوا إلى أي دين آخر.

ب- التمسك بما جاء بالقرآن الكريم والسنة المطهرة:

يمثل القرآن الكريم المرتكز الأساسي لشئون الناس العامة، وما لم يرد لأمر من الأمور نص من القرآن الكريم فإن حكمه في الشريعة المطهرة، ويتركز هذا في الحضر ومن يعود إليهم من البادية حيث أن بعض سكان البادية قد يلجأون في أمور جانبية لا تمس جوهر الأمور الشرعية كالأمور الصغيرة فيحلونها بموجب الأعراف القبلية التي يتراضون بها والتي ربما توسعت دائرتها فشملت أشياء أكبر مما بدأت فيه وما عدا ذلك فإن أمورهم بمجملها يعودون بها إلى النص القرآني أو أحكام الشريعة أو إلى الاجتهاد الذي له نصيب كبير كما حدث حول ماء قنيع حين حكم فيه بالاجتهاد سلمة بن عمرو العتريفي وكثير من الأمور يحل بالتراضي وبموجب ما جاء في القرآن الكريم أو الشريعة الإسلامية ولا يلجأ للقضاء إلا في الأمور العميقة والصعبة، ويظهر أن الناس أقل مشاكل بكثير من الأوقات التي تلت هذه الفترة حيث يعيش الناس في ظل المروءة والشيمة العربية، لا تترطهم انفسهم لصغائر الأمور، أما الأشياء الكبيرة فمرجعها الكتاب والسنة، والناس قد اتجهوا إلى دين الإسلام طواعية واتبعوه عن قناعة توارثها الأجيال جيلاً بعد جيل بصفة عامة بصرف النظر عن الشواذ التي لا تمثل إلا نسبة تصل إلى حد الندرة وذلك حاصل في أي مجتمع حتى في المجتمع الإسلامي في عهد

الرسول صلى الله عليه وسلم والعصر الراشدي، وتواجد القضاء في الأقاليم ومع تكرار القرون وبعد المجتمع القبلي عن مركز الإشعاع قد تكون وجدت بعض البثور على وجه النقاء الإسلامي هذه البثور قد تتمثل في بعض المغالات في أمور معينة، ربما تطورت شيئًا فشيئًا حتى أصبحت تمثل بعض المعتقدات التي يميل إليها بعض الناس سطحيي الاعتقاد والتفكير سيما إذا روج لها بعض المتحذلقين وصادفت هوى في نفوس ممن هم بحاجة إلى مثل هذا الشيء وهي من منطلق طرق كل الأبواب والتقاء الأسباب كالاعتقاد أن هذا الشيء ينفع من آفة كذا فيقبل على استعماله من يعاني من هذه الآفة فإذا نجا منها بطريق الصدفة اعتقد أن ما حدث له كان بفعل هذا المعتقد لا من تقدير الله وتدبيره فصار يشيد بهذا الشيء الإشادة التي قد تجذب إليه غيره ممن يعاني من نفس الآفة وشيئًا فشيئًا حتى يصير ذلك معتقدًا وكأن يكون الإنسان مصاب بمرض ما ويأتي إليه متحذلق فيصف له شيئًا معينًا يعتقد أنه يشفيه وأحيانًا يكون هذا المرض نفسي فمبجرد أن يفعل هذا الشيء يشعر بالعافية ولم يؤول في ذلك إلى إرادة الله سبحانه: كما فعلوا بالنساء اللاتي لا يحملن بأن من جاءت حول هذه الشجرة أو غيرها صارت تحمل، مما أدخلهم في دائرة الشرك بالله ولو نظرنا لمن أقبل على هذا الاعتقاد؟ لاشك أقبلت عليه النساء وهن المسلمات يصلين ويصمن ويؤمن بالله ولكن دافع الحاجة وربما من باب طرق الأسباب فإن النساء اللاتي لا يحملن هن وحدهن اللاتي يتوجهن إلى تلك الشجرة أو غيرها أما اللاتي يحملن فلا يتوجهن إليها مطلقًا وإذا ما حملت امرأة منهن بعد ذلك بقدرة الله وارادته وتدبيره فربما ظنته بسبب ذهابها إلى ذلك الموضع وقد تكون واحدة

بين عشرات غيرها لم يحلن ما نالت ومع هذا فتلك التي حملت بإرادة الله وليست بتأثير المكان يكون لذلك دوي مؤثر على الباقيات وقد لا يمثل الحدث سوى نسبة ضئيلة لا تذكر فتغطي هذه الحادثة النادرة عند من هن بحاجة إلى هذا الشيء من ذوات النظرة السطحية والنفوس المريضة فتتطور هذه الأمور حتى تكون معتقدات مع الزمن وقد وجدت هذه البثور على هامش حياة الناس العامة لمن يعانون من أمراض أو نواقص تجعلهم يتساقون تحت ظرف الحاجة إلى مثل هذه الأمور وفي رأيي أن مثل هذه البثور بولغ فيها فيما بعد وكبرت وذلك لحاجة في نفس يعقوب لتعطي بعض التبريرات لموقف ما وهي كما قلت لا تعدو كونها أمورًا يطرقها السطحيون من الناس لمعالجة معانات يكا بدونها وإذا زالت هذه المعاناة فلن يعودوا إليها ثانية فمثلاً إذا حملت المرأة التي لم تكن تحمل فإنها بالتأكيد لن تعود إليها وإن شفي ذلك المريض فإنه لن يعود إلى ذلك المكان لأن حاجته قد انقضت وهذا ما يدل على أنها سطحية ووقتية ولغرض معين إذا انقضى بإرادة الله وقدرته فإن الإنسان لا يعود إليه وهذا بلا شك ينافي التوحيد لله عز وجل ويتنافى مع مسلك العقيدة الصافية ولا يجوز اللجوء إليه لأن الله وحده هو الشافي الكافي الواهب مدبر كل الأمور وليس لأحد غيره أي سلطان ولا يتم شيء إلا بقدرته وتدبيره ومع هذا فنجد الشيطان يوسوس للإنسان ويسول له سوء عمله بواسطة بعض المتحذلقين الضالين الذين يزينون للناس بعض المناحي المنحرفة ولكن من فضل الله أن هذه البثور على صفحة الصفاء الإسلامي كانت سطحية أيضًا ولا تغوص في العمق وإنما تبقى طافية على السطح تشوهه وهي سريعة الإزالة إذا وجدت اليد الصالحة الصادقة الجادة

لإزالتها، وهكذا نرى أن هذه المنطقة كانت تستظل تحت المظلة الإسلامية الصافية الوحيدة لا يشاطرها أي مظلة أخرى من الأديان المعروفة من يهودية ونصرانية أو ينتشر فيها أي مذهب من المذاهب الإسلامية أو ما جنح عنها وبقيت تمثل مذهب الإمام أحمد بن حنبل بعد أن نفضت مذهب الأخيضريين.

الجانب الاجتماعي:

يتكون الجانب الاجتماعي من العلاقات والأمشاج التي تربط أفراد المجتمع بوشائجها المتشابكة والتي تتكون أحيانًا أقوى من حبال الفولاذ وأحيانًا أخرى أوهن من خيوط العنكبوت، ولكن تبقى لها سيطرتها وتحكمها في مسيرة المجتمع سواء أكان المجتمع الحضري أو المجتمع القبلي فلكل واحد منها روابطه وضوابطه ورب رابطة في المجتمع الحضري لا نظير لها في المجتمع القبلي وقد يكون هناك مثيل لها مع بعض الاختلاف خفة وشدة وتمسكًا تامًا وتراخيًا متذبذبًا وقد تكونُ هذه الرابطة أو تلك مستهجنة في المجتمع الحضري وهي موجودة ومحترمة في المجتمع القبلي وبالعكس مثلما يجرى في المجتمع القبلي من حيث نظرته لبعض الروابط في المجتمع الحضري فكذلك المجتمع الحضري تكون لديه نفس الاعتبارات غير أن السِّمَة السائدة في المجتمع الحضري تميل إلى اللين واللطف والتسامح والنظرة الأوسع بينما الروابط في المجتمع القبلي ذات صبغة مغايرة تتصف بالشدة والقسوة والعنف وربما يكون مرد ذلك إلى تأثير الحياة البرية والتخوف يستثنى من ذلك ما يتعلق بالعرض فإن الروابط فيه تكاد أن تكون متساوية لأن المجتمع الحضري في هذه المنطقة لم يكن بالبعيد جدًا عن المجتمع القبلي، وذلك لحداثة عهد بعض عناصره بالبداوة ولكثرة ودوام

الاحتكاك بينهما ولهذا نرى هذا الجانب وما يتعلق به شديد الحساسية، وماعدا هذا فإن الجوانب الأخرى تتفاوت شدة ولينا وتشددًا ومسامحة من رابطة إلى أخرى غير أنها محترمة لدى كل طرف ولها مفعول مثل مفعول النظام في الوقت الحاضر لا يحيد عن الامتثال لسلطتها أحد، وهذه الروابط تتكون من:

أ- العادات:

وهي التصرفات التي ارتاح الناس إلى فعلها فعادوا عملها حتى اعتادوا عليها وأصبحت بمنزلة قانون اختياري ارتضوه وساروا عليه، ومن العادات ما هو قديم متوارث ورثه الخلف عن السلف وعدلوا وحسنوا في مجرياته، ومنها ما هو جديد ابتدعه فرد أو أفراد وأيده آخرون ثم كبرت دائرة مؤيديه شيئًا فشيئًا حتى شملت قطاعًا كبيرًا في المجتمع وربما المجتمع كله وكثر عمله وممارسته حتى أصبح عادة، وتنبع العادات من احتياجات المجتمع وتكثر العادات في المسائل المتكررة في المجتمع مثل كيفية اكرام الضيف، واستقبال الزائر وترتيبات الزواج من أول خطوة فيه وهي الخطبة ثم ليلة الزفاف وما يترتب عليها ثم ارتحال العروس إلى بيت زوجها أو ترتيبات استقبال الجار الجديد أو مساعدة الفقير الذي يطلب الرفد أو المنقطع كالمسكين وعابر السبيل أو ترتيب مساعدة الجار المقيم أو القريب في حالة قيامه بمشروع لا يستطيع القيام به كبناء منزل أو حفر بئر أو حرث زرع أو غرس نخل وما إلى ذلك أو ما يتعلق بالاحتفالات بالأعياد الاسلامية أو موضوع الختان للذكور وغير ذلك من الجوانب هذا في حالة السلم كما تتناول العادات الإجراءات والترتيبات التي تتخذ في حالة الحرب ابتداء من الاجتماعات للحرب والاستنفار العام والطرق الوقائية وغير ذلك هذه العادات

وإن لم تكن مكتوبة بسجلات إلا أنها محفوظة في الصدور تتناقلها الأجيال جيل بعد جيل يأخذها الخلف عن السلف عن طريق الحديث تتناقلها عنها في المجالس والمنتديات أو يعلمها الأب أبناءه والمرأة بناتها وفوق هذا التعلم والتعليم والاقتباس من مجالس السمر والمنتديات هناك التطبيق العملي لها هذا التطبيق الذي يجعلها ترسخ في العقول وتجري مجرى الدم في العروق دونما حاجة إلى أن تكون مدونة وقد يدخل على العادات بعض التعديل الطفيف أو الجذري لكن ذلك يأتي بشكل بطيء وبعد مداولة الرأي، ويصدر هذا التعديل غالبًا عن من بيدهم تعديل هذه العادات، وللعادة حكم قد يكون أقوى من حكم القانون العرفي ودون حكم الشرع وقد يكون حكم العادة في بعض المواضع أقوى تأثيرًا من حكم الشرع في أمور ثانوية تخضع للمفهوم العام ومن العادات ما هو بناء وجيد يحث إلى الإنسانية والإخاء والدين بوشائج قوية مثل مساعدة المحتاج وعابري السبيل والقريب والجار وغيره ومنها ما هو سيء مثل بعض ترتيبات الزواج هذه العادات ضربت بنصيب وافر على مر السنين في أعماق المجتمع وسرت بين أفراده مجرى الدم في كل جسم مما قد يتعذر معه إزالتها أو اقتلاعها وبقيت راسخة في أذهانهم يعرفها كل واحد منهم صغيرهم وكبيرهم لو جهلها جاهل فإن هناك من الشيوخ من يحفظ الكثير من هذه العادات التي قد تختلف من مكان إلى آخر وبين قبيلة وأخرى أو بين قرية أو مجموعة قرى ومثيلاتها أو بين مدينة وأختها فيكون أولئك الشيوخ على إطلاع بمجموع هذه العادات أو جلها إن لم تكن كلها فيحكم فيها وهذا الجانب ما جرت ممارسته في الحكم ومعالجة المسائل الصغيرة التي لا تحتاج إلى حكم شرعي فقد يحكم بها مثل هؤلاء

الشيوخ بحكم العادات والتقاليد ما لم تخالف الشرع وهذا قد تطور فيما بعد حتى تناول بعض الجوانب الشرعية في بعض المناطق.

غير أن غالبية أفراد المجتمع يعرفون الكثير من العادات لما عرفوه قولاً أو عملاً كما أسلفت فلذلك ربما لو سألت أي فرد عن موضوع كذا لقال لك إن هذا ليس من عادات العرب ويقصد عربه أو غيرهم وهذا من عادات العرب ويقصد العادات السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه أو يدركه سواء أكان حضريًا أو بدويًا.

ب- التقاليد:

تنطلق التقاليد من أن يبدأ إنسان مرموق ذو مكانة أو ممن يستحسن قوله أو فعله بعمل أو قول معين يستحسنه الناس ويبدأون في تقليده ضمن دائرة صغيرة ثم تكبر هذه الدائرة وتكبر حتى تصل إلى الاتساع الكافي بحيث تشمل المجتمع كله فتصبح تقليدًا يسير عليه الناس ويتوارثونه ويدخل ضمن التقاليد التي تسير بموجبها بعض تفاعلات المجتمع وتتصف التقاليد بحركة دائمة وتجديد مستمر بحيث تحل تقاليد مكان أخرى بين الفترة والفترة وكلما استجد تقليد وفيه تفاعل أكثر وخدمة أفضل أو بروز أميز كلما اتجه إليه الناس وقد تستمر بعض التقاليد لفترة طويلة دون تغيير وذلك لسبب أو آخر وتختلف التقاليد في المجتمع الحضري وتقاليد التحضر في الملبس والمأكل والمشرب والمركب والمسكن بالإضافة إلى أعمال الفروسية والمروءة والكرم والشجاعة والأخلاق الفاضلة بينما تأتي التقاليد في المجتمع القبلي على نمط آخر حيث تنطلق من الشدة والصرامة والفروسية والشجاعة والكرم والمروءة بالإضافة إلى حسن المظهر،

وللتقاليد في هذا المجتمع سلطان قوي كسلطان العادات يتمسك الناس بهذه التقاليد تمسكًا قويًا وتربطهم بأسرهم ربطًا محكمًا ومن هذه التقاليد النافع البار الذي يتمشى في صميم التقاليد العربية الكريمة من إكرام الضيف ورفد العاني وقضاء حاجة المحتاج ورفع الضيم عن المظلوم ومنها ما يدخل في تعاليم الدين الإسلامي الحنيف والدعوة الإنسانية الصريحة كالإحسان إلى الأقارب والشيوخ والنساء والأطفال والرفق بالبهائم وغير ذلك من الجوانب الإيجابية ومنها الضار وهو ما يتعلق بالتفاضل والترفع والتقاطع والتقوقع، وهذه التقاليد بمحملها تفاعلات مؤثرة داخل المجتمع تتحكم في كثير من تصرفات أفراده وقد يصل تأثيرها إلى حد تأثير القوانين الاجتماعية وربما قاربت تأثير التشريعات الإسلامية في بعض الأحوال.

ج- الأعراف:

الأعراف نوع من العلاقات الاجتماعية وتبدأ بتعارف فئة أو مجموعة من الناس على شيء معين بعد أن استساغوه واستحسنوا آثاره فتعارفوا عليه ثم اتسعت دائرة هذا العرف حتى يشمل جزء كبير من هذا التجمع أو التجمع بأكمله سواء أكان قرية أو بلدة أو مدينة أو كان حيًا من أحياء العرب الرحل أو عشيرة أو فخذ أو قبيلة وأصبح عرفًا متعارفًا على ما يفرضه وما يتطلبه من ترتيبات وإجراءات وللعرف تأثير قوي مثله مثل العادات والتقاليد غير أنها أبطأ تغييرًا من التقاليد وتشمل الأعراف مختلف شئون الحياة وتكون مساندة لها مستقلة عن سابقتها تمامًا حيث يقال العادة عند أهل هذه القرية أو البلدة أو الحي أو العشيرة أو الفخذ أو القبيلة كذا والتقاليد عندهم كذا والأعراف كذا

وكل واحد من هذه الإجراءات له استقلاليته عن الثاني وتتركز الأعراف عن العلاقات العامة بين الناس وهي بمنزلة التعليمات والقواعد العامة في الوقت الحاضر من ذلك ما يتعلق بالحقوق والواجبات بين شخص وأشخاص أو ما يتعلق بالاعتداءات والمناوشات التي لا ترقى إلى أحكام الحدود الشرعية فإن العرف يتولى حلها كما ترقى أحيانًا إلى حل المشاكل التي تنشأ بين فئة وأخرى حتى أنها لترقى إلى ترتيب بعض الأمور الكبيرة مثل كيفية التسامح ودفع ديات القتلى وتقدير شجاج الجرحى بما يساعد التشريعات الإسلامية ويساعد على حل مشاكل الناس ويدخل فيها جماعات الجاه أو (الجاهيات) التي تتولى حل مشاكل الناس أو تبارك لهم بعض مبادراتهم البناءة حتى أصبحت هذه الأعراف لها تأثير في بعض الأحيان على هزل الأمور وجزلها وربما تطور أمرها في بعض المواقع إلى حل بعض المسائل الشرعية بطريقة التراضي بما لا يتنافى وأحكام الشرع من مفهوم الأعراف وخاصة في المجتمع القبلي الذي قد يبعد بعض الشيء عن أماكن تواجد القضاة الشرعيين مما أوحى إلى البعض بأن هذه الشريحة في المجتمع وبعده عن مراكز القضاء الشرعي جعلهم يحلون مثل هذه الإشكالات بطريقة الأعراف المهم التراضي على الحل وهو ما تؤدي إليه الأحكام الشرعية ومع أنني لا أميل أو أساند هذا الإجراء إلا أن هذا ما كان يحصل يومذاك ومن هذا يتضح ما للأعراف والتقاليد والعادات من تأثير نافذ على المجتمع في هذه المنطقة.

الجانب الأخلاقي:

يتمتع الجانب الأخلاقي بنصيب وافر من تفاعلات المجتمع حيث نعم بعدد من الخصال الطيبة والسجايا الحميدة التي تكون لُحْمَةُ نسيج المجتمع وسَدْوِه والعامل المساعد في التغلب على الظروف الصعبة التي تلم بهذه المنطقة بين الحين والآخر سواء ما كان منها دائمًا يحيط بظروف الحياة ويتطلب حتمية هذه السجايا والخصال أو ما تمثله من أواصر القربى وتداخلاتها العميقة أو ما يتضح في وشائج الجوار وتماسكها ومتانتها أو ما يبرز من روابط التحالفات المختلفة أو ما يطرأ على المجتمع بسبب النوازل والشدائد التي تطل بوجهها بين الحين والآخر وليس المجتمع في هذه المنطقة كما يتخيله البعض وخاصة ممن لا يعرفون أبعاد غوره ويكتفون بالنظر إلى قشرته الخارجية أو ما يحدث على السطح من أحداث ثم يطلقون أحكامهم على ضوء تلك القشرة أو ما يسمونه حلاقة وما دام كذلك فإن ما يحدث على سطحه من خشونة تتمثل في المناوشات المتقطعة البارزة على السطح والسلب والنهب التي تحدث من عناصر محدودة ربما أعوزتها الحاجة وحب البقاء لتتنكب هذا الطريق ثم يحكم هذا البعض على المجتمع كله بهذه المنطقة بأحكام منافية للواقع دون أن ينظروا بعمق إلى ما تحت هذه القشرة الخشنة التي يجري فوقها عبث العابثين، ولو غاصوا تحت هذه المساحة الوهمية الرقيقة لوجدوا بها، أمورًا تمرًا بأرقى ما وصلت إليه حضارة اليوم إن كانت وصلت إلى درجة راقية من التحضر سيجدون أن هذا المجتمع عامر بعدد من المزايا التي قد لا تتوفر في مجتمع معاصر له، أخلاق عربية صميمة مهذبة ومنمقة ومطعمة بتعاليم اسلامية كريمة تتدرج من أصغر الأشياء وتنتهي

بأكبرها وهي كثيرة العدد يصعب حصرها كاملة ولكن نكتفي بذكر أبرز هذه الخصال في أربع نقاط:

أ- المروءة:

والمروءة كما هو معروف هي المبادرة بالمساعدة والبذل والعطاء والفزعة عندما يرى الإنسان أن الوضع يوجب هذه المبادرة قبل أن يطلب منه ذلك، وقد جاءت هذه الخصلة الحميدة طبيعة لا تطبعًا تنبع من معدن الإنسان في هذه البقعة وتجري في دمه تنبثق من ذاته لا من غيره وهذا دليل واضح على رقة احساسه وعمق عواطفه وقوة إيمانه وصدق إنسانيته يرى الإنسان وربما الحيوان في وضع معين يشعر معه أنه واقع تحت حيف أو ظلم أو خطر محدق أو حاجة ويجب مساعدته فتندفع مروءته نحو هذا الإنسان من أساس عميق وقاعدة صلبة فيعطي ما أمكنه العطاء ويبذل ما وسعه البذل ليس بالمال فقط بل بالجهد الجازم والفزعة الجادة والاندفاع القوي والمغامرة المنصلتة حتى إذا أحس أن هذا الإنسان بحاجة إلى الطعام أو الشراب كان يؤثره على نفسه كما فعل ابن هذه المنطقة كعب بن مامة الأيادي ويقدم له ما يملك من هذه العناصر دون أن يطلب منه المحتاج ذلك لا يريد من وراء ما قدم مكسبًا ماديًا أو ميزة معنوية وإنما تدفعه أريحيته وكرم نفسه إلى تقديم ما يملك مستندًا في ذلك على شعوره الإنساني النبيل مرتكزًا على تعاليم دينه السمحة ومقتديًا بسيرة سلفه من الآباء والأجداد ومعلنًا أن هذا المسلك ينبغي أن يسير عليه الأحفاد من البنات والأولاد وإن رأى إنسانًا مظلومًا أو مهضومًا اندفع إليه ليرفع عنه هذا الحيف الذي ألم به ما أمكنه ذلك فإن لم يستطع إزاحته عنه تمامًا فلا أقل من أن يخفف

عنه وفي أضعف المواقف أن يشعر الظالم أو المُضْطَهِد بأن وراء هذا المظلوم أو المُضْطَهَد من يذب عنه ويذود عن حقوقه المهم ألا يجلس وينظر مثل هذا الحيز غير مبال بما يحدث، هذا الاندفاع ينبع من اعتقاده الإسلامي الراسخ بأن هذا التصرف شاذ عن الطريق السوية السليمة، وبأنفته وكبريائه العربية أن يرى مضهودًا دون أن يمد إليه يد المساعدة، وبشعوره الإنساني الإسلامي أن فوق كل قوي من هو أقوى منه فلا يرضى أن يرى هذا الإنسان يظلمه أو يضطهده من هو أقوى منه ويتعدى هذا الشعور الإنساني إلى الحيوان فلا يرضى أن يجور الإنسان على الحيوان بما فوق طاقته بل يشعر الإنسان أن لهذا الحيوان رب قادر للانتقام له ممن جار عليه وهناك عادات وتقاليد وأعراف تنبثق من المروءة وتتعلق بحقوق الإنسان على الحيوان وهي بمكانة الأنظمة والقوانين وإن لم تكن مكتوبة على ورق إلا أنها محفوظة في الصدور وتكاد أن تكون محفورة على صفحات الوجدان فيما يتعلق بالشيوخ والنساء والأطفال والمقعدين والعاجزين عن العمل والكسب ومكفوفي البصر والمصابين بعاهات وذلك في الأوقات العادية وتبرز هذه الأهمية في الظروف غير العادية كأوقات المجاعات أو عندما يكون الناس في مظمأة فترى المروءة وتبرز بطلعتها البهية وتخنس الأنانية وتتروى خلف الستار أمام أحفاد كعب بن مامة فيقدم الماء أولاً للأطفال ثم الشيوخ والعجائز ثم النساء وذوي العاهات وربما أصاب الظمأ من يخرجون الماء ويحضرونه فتسمو بهم شيمتهم ومروءتهم أن يطفئوا ظمأهم إلا بعد أن يرتوي الناس وكذا الحال بالنسبة للطعام، وتأبى المروءة العربية أن ترى الإنسان يقسوا على صغير أو إمرأة بالضرب أو التعذيب حتى ولو من أقرب الناس إليه دون إن يتدخل ولو لفترة

معينة ليكف المعتدي عن عدوانه أو يوقف هذا التصرف النشاز ولو إلى حين وإذا سمع صوت صياح المستغيث تواثبت الناس إلى مصدر الصياح تدفعهم مروءتهم لانقاذ المستصرخ ودفع الشر عنه بما يتاح لهم من السبل فإذا وصلوا إليه أسهم كل واحد منهم بقدر امكانياته وبدافع ذاتي من أعماقه بانقاذ هذا المستصرخ ولم يقل واحد قط إن هذا الأمر لا يعنيني ولذلك فلا حاجة لي بأن أذهب إليه واترك عملي الذي منه مصلحتي لكن مروءته تجعله يرمي بأي عمل في يده أو يؤديه أو ينوي القيام به وينطلق مسرعًا نحو هذا الصريخ وأحيانًا يندفع الإنسان في مغامرة لانقاذ إنسان آخر قد يدفع حياته ثمنًا لانقاذ حياة غيره، هذه الخصلة الحميدة التي تجعل الإنسان في هذه المنطقة يمثل الإنسانية بكامل حقوقها ويمثل الإسلام بأرفق تعليماته ويمثل الأخلاق العربية بأدق معانيها وهي إحدى الدعامات الأساسية في المجتمع العربي الإسلامي بهذه المنطقة موضع البحث.

ب- الكرم:

هذه السجية العربية العريقة التي كانت موجودة قبل بزوغ فجر الإسلام وحينما جاء الإسلام الحنيف باركها وزاد من ترسيخ قواعدها، هذه السمة التي نشأت مع العربي في هذه الجزيرة منذ وجد فيها وانطلقت معه إلى أقطار الوطن العربي الأخرى، لقد انبثقت من هذه الجزيرة المعطاء ورسخت في النفوس قبل أن ترسخ على أرضية الواقع لقد تدفقت هذه السجية من ينبوع إنساني ثر ومن مفهوم إنساني عميق هدفه المحافظة على حياة الإنسان ليعيش عيشة كريمة واعتمدت هذه الخلة على قاعدة متينة من التحكم والصبر وانبثق منها البذل

والعطاء وتدفقت منها الأريحية والسخاء فبرزت منها قمم شماء تعد بالآلاف فيما قبل الإسلام وبعده ويتسنم قمة هذه القمم في العهد الجاهلي شهرة حاتم بن عبد الله الطائي، ومن هذه القمم على سبيل المثال لا الحصر في هذه المنطقة وخارجها الأسود بن عبد المطلب القرشي وأوس بن حارثة الطائي، وبجير بن أوس الطائي، وجوين بن ظهر الضبي والحارث بن الأعرج الغساني المعروف بالوهاب والحارث بن هشام القرشي، والحارث بن مرة القيسي، والحر بن مبع الضبي وربيعة بن الأسود اليشكري وسلمى بن نوفل الكناني، والسليل بن مسعود الشيباني، وشريك بن عمرو الشيباني وصعصعة بن ناجية التميمي والصعق بن خويلد الكلابي وصفوان بن أمية القرشي وطلبة بن قيس التميمي وعامر بن عمروالشيباني وعبد الله بن جدعان القرشي وعوف بن عمرو الشيباني وغالب بن صعصعة التميمي والقعقاع بن معبد التميمي وقيس بن مسعود الشيباني وكعب بن مامة الأيادي ولبيد بن ربيعة العامري ومالك بن حنظلة التميمي ومسافر بن أمية القرشي ونفيل بن عمرو الكلابي والنمر بن تولب العكلي وهاشم بن عبد مناف بن مرة الشيباني وطريف بن مالك الطائي والوليد بن المغير القرشي وياسر بن عمرو الحميري ويقظان بن زيد الحنفي، ومن القمم النسائية سعدى بنت حصن أم أوس بن حارثة الطائي وسفانة بنت حاتم الطائي وغنية بنت عفيف الطائي وعوانة بنت زيد الحنيفية ومن هذه القمم في الإسلام التي يتربع على ذروة سنامها أكرم الأكرمين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن هذه القمم أسد بن عبد الله القسري وأسماء بن خارجة الفزاري وجعفر بن محمد المعتصم والحجاج بن يوسف الثقفي وحميد بن عبد الحميد الطوسي الطائي

وزياد بن أبية وصخير بن الجهم القرشي وطلحة (الخير) بن الحسن بن علي الهاشمي وعتبة بن المغيرة المخزومي وعتاب بن ورقاء التميمي وعدي بن حاتم الطائي وعكرمة بن ربعي الربيعي وعمرو بن عبد الله القرشي الجمحي والقاسم بن عيسى العجلي وقيس بن عاصم التميمي ومعن بن زائدة الشيباني والمهلب بن أبي صفرة الأزدي ويزيد بن مزيد الشيباني وألوفًا غير هؤلاء يفوقون العد والحصر ومن القمم النسائية زبيدة بنت جعفر المنصور.

وإن ننسى فلا يمكن أن ننسى كرم البرامكة وهم يحيى بن خالد البرمكي وابنيه جعفر والفضل وإن لم يكونوا من أصل عربي إلا أنهم تسنموا هذا المرتقى النبيل الذي يتميز به العرب وربما غيرهم هذه السجية المليئة بالإنسانية المفعمة بالجود قد أسهم في إيجادها طبيعة المنطقة فانبثقت فيها ومنها انتشرت إلى أنحاء مختلفة من أصقاع الوطن العربي، ولو عدنا إلى نفس المنطقة موضع البحث لوجدنا صنو هذه النبتة المباركة قد رسخت فيها ولو نظرنا بإمعان نظرة مجردة من أي اعتبار آخر لوجدنا أن طبيعة المنطقة والحاجة الملحة إلى غرس هذه الدوحة والتعهد بريها حتى يتفيأ بفيئها من ترهقه حرارة سموم الصحراء صيفًا ولسعات بردها شتاء فيجد المأوى والمأكل والمشرب وزاد المسافر وذلك للحفاظ على الحياة واستمرارية الوجود حيث أن هذه المساحات الشاسعة لا يوجد بها مياه يستقي منها المسافر ولا غابات يتظلل بظلها أو يأكل من أثمارها ولم تكن فيها أنهار عليها أشجار ذات ثمار، أو ترتبط فيها القرى كما عليه الحال في أجزاء أخرى من المعمورة ولا توجد فنادق أو خانات ينزل بها المسافر وعابر السبيل ولا توجد مطاعم يمكن للإنسان أن يطعم منها ويشرب كما

يحدث عند بعض الأمم الأخرى وإنما عوض الله عن ذلك كله بهذه السجية الإنسانية العربية الإسلامية الصميمة التي تقدم للمسافر وعابر السبيل والمحتاج والفقير ما يقوم بأوده من طعام وشراب ومأوى وزاد سفر بحيث يسدد فاتورة ذلك كله بكلمة أو جملة (عوض الله عليكم) أو (زادكم الله من فضله) أو (جزاكم الله خيرًا) هذه الجمل وأمثالها التي من أجلها فتح هؤلاء الكرماء صدورهم وأسفرت وجوههم وبسمت ثغورهم وارتخت جيوبهم وانبسطت أكفهم وفاضت بالكلمات والجمل الندية السخية شفاههم فقدموا الجفان المجللة بالطعام واللحم يرد إليها الواردون ويصدر عنها الصادرون شبعى ثم تأتي الدفعة بعد الدفعة في أوقات معينة من النهار والليل وربما الليل بطوله تبقى تلك الجفان مترعة لطراق الليل، تمتلىء هذه الجفان والقصاع والصحاف والصواني بأنواع الطعام واللحوم حينا وبما يقوم بأود الناس حينًا أخر حسب الوقت الذي يحط بالناس وإلى جانبها المأوى والدفء والفراش والدثار وبعدها يكون زاد المسافر وربما النقود من بعض الكرماء الذين اشتهروا بذلك، ولا يتوقف الكرم على ما يقدم من طعام وشراب ومأوى وإنما يتعداه إلى الهبات المالية وغيرها لقضاء الحاجات ووفاء الديون وقضاء المغارم ودفع الديات وتحمل الحمالات عن الغرماء أو الأثراء وتأتي الهبات على هيئة نقود أو أذواد الابل وكراديس من الخيل ومزارع وضياع وأسلحة وملابس وجواهر وغيرها كما أنهيت حروب بين أحياء من العرب من فيض الكرم العربي ولا يبعد عن الذهن ما فعل هرم بن سنان المري والحارث بن عوف المري حينما أنهيا حرب داحس والغبراء بتحملها ديات القتلى وكما فعل غيرهم، هذه الخصلة التي تسري من العربي مسرى الدم

في عروقه وتستقر في خلاياه وتتركز بهذه المنطقة منذ أمد بعيد ولا تزال تشمل أنحاء كثيرة من أصقاع العالم العربي الإسلامي وتغمر النفوس بحيويتها وصفائها وانسانيتها.(فضلاً لمزيد من المعلومات عن الكرم انظر كتابنا أهل المناخ في منطقة حائل،١٤٢٥هـ).

جـ- حق الجار:

هذه الخلة الحميدة التي كانت إحدى ركائز الأخلاق العربية منذ أن وجد الإنسان على تراب هذه الجزيرة، ولما جاء الدين الإسلامي الحنيف أوصى على المحافظة عليها لدرجة التشديد على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان يوصي على الجار حتى كاد أن يورثه أي يجعل له شراكة في ملك الرجل، هذه الخلة التي تعتبر إحدى الروابط الأساسية في وشائج المجتمع فقد كان لها أثراً كبيراً في ربط الناس بعضهم ببعض ولو لم يكن بين الجار وجاره علاقة قربى ودم رحم فيكفيه ما يعوضه عن ذلك وهي رباط الجيرة، فالجار له وضع خاص يأمن جاره بوائقه، يعطيه من ماله، ولو لم يجد غير قوت يومه، فيقتسمه مع جاره يرعى غيبته إذا غاب يحافظ على محارمه وأولاده كما يحافظ على محارمه وأولاده هو، يغض الطرف عن محارم جاره وكأنهن أخواته أو بناته، يستر عوراته ويتجاوز عن سيئاته يقضي حوائجه في حضوره وغيابه أو مرضه حتى يعود أو يشفى أو يتدبر أمره وإن كان صاحب مواشي سرح مواشيه وأصلح أمرها حتى يعود أو يتدبر أمره إن كان عليه خلة سدد خلته، يفزع له عند أي طارىء أو أمر مفاجىء لا يدخر وسعًا في مساعدته مهما كلفه ذلك وإن كان غائبًا ونابته نائبة يتحملها عنه جاره وإن كان حاضراً ولا يستطيع

الوفاء بما ساعده على الوفاء بما يتحمل عوراء جاره مهما كانت وإذا رأى من جاره حيفا متعمدًا فربما باع منزله أو خرج إلى منزل آخر دون أن يجازى إساءة بإساءة مثلها، هذه التصرفات وغيرها جعلت لهذه الخلة الحميدة كبير الأثر بين المتجاورين وهذا لا يعني أنه لا يوجد غير من يتخلقون بهذه الأخلاق غير أن هذا في حكم الشاذ عن القاعدة المتبعة والشاذ لا حكم له إنما القاعدة العريضة من المجتمع تسير على هذا المنوال سواء في المجتمع الحضري الذي تربطه أيضًا وشائج من القربى والرحم، أو في المجتمع القبلي الذي تشده أواصر القبلية أو العشيرة بالإضافة إلى رباط الجوار وهكذا نرى أن هذه الخصلة لها دور كبير الأثر في هذه المنطقة موضع الدرس.

د- حق الضيف:

الضيف هذا القادم إلى هذا المنزل يقصده بالنهار أم يطرقه بالليل ابتغاء الحلول فيه للضيافة في وقت لم يكن فيه من يقوم بهذه المهمة من فنادق أو خانات أو نزل كما أسلفنا في فقرة الكرم وإنما كان العربي يحل ضيفًا على أخيه العربي سواء في المدن أو البلدات أو القرى أو في بيوت الشعر في أحياء العرب الرحل يأتي إلى هذا النزل أو البيت نهارًا أو ليلاً دون سابق معرفة وكل هويته التي يقدمها لصاحب البيت أنه ضيف، هذه الكلمة وحدها كافية لأن يفتح المضيف صدره له ويرحب به ويبش ويهش في وجهه ويدخله إلى غرفة من منزله أو جزء من بيته الشعري ويوليه عنايته ورعايته ويقدم له الطعام والشراب والدفء في أيام الشتاء ويجهز له الفراش والدثار ويعتني براحلته أو دابته ويقدم

لها الماء والعلف كل هذا بالمجان ودون أي مقابل، يؤانس ضيفه بالحديث كما قال الشاعر العربي عقبة بن مسكين الدارمي:

أحادثه إن الحديث من القرى ... وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

ويعلم أنه مخبر أهله عن مضيفه وما لاقاه عنده كما قال الشاعر الآخر:

وأعلم أن الضيف يوم مخبر ... بمبيت ليلته وإن لم يسأل

أو كما قال الشاعر القطامي شييم بن عمرو التغلبي:

ولابد أن الضيف مخبر أهله ... بما قد رآه أو مخبر صاحب

فيبذل له المضيف ما يستطيع بذله مما في حوزته أو تناله حباله هذا المضيف الذي لا يرجو من الضيف إلا تلبية لأداء سجية الكرم التي سبقت الإشارة إليها وأن يخرج الضيف من عند مضيفه حامدًا له على ما قدم من صنوف الكرم المادي والمعنوي، فاستمر الكرم العربي واستمر المضيف موئلاً للأضياف على مدى قرون وقرون وقد هال الأوربيون هذا الأمر عندما وطأت أقدامهم أرض هذه المنطقة في أوقات متأخرة في القرن الثالث عشر الهجري – الثامن عشر الميلادي فقال أحدهم وهو (نيبور): "إذا كان هناك شعب في العالم له أمجاد قديمة وعلى قدر كبير من البساطة فالعرب هم الذين يتصفون بذلك"، وقال (داوتي): "وباستثناء الجزيرة العربية، أين هو المكان الذي يستطيع فيه المرء أن يعيش ثمانية عشر شهرًا وهو لا يملك شيئًا من المال دون أن يجوع حقيقة"، وهذه الخصلة التي أشار إليها المستشرقون وغيرهم لها جذور تاريخية عميقة من آلاف السنين واستمرت خلال هذه القرون والأجيال ولا تزال باقية إلى اليوم

وهي إحدى دعائم الأخلاق العربية التي ساعدت على استمرارية الحياة في هذه المنطقة. (فضلاً انظر كتابنا أهل المناخ في منطقة حائل).

هـ- صلابة الجانب:

وأعني بصلابة الجانب ما يتحلى به المرء في هذه المنطقة ذكرًا كان أو أنثى من قوة الاحتمال إزاء ما يعانيه من المتاعب والمشاق وما يقاسيه من المصاعب والأزمات أولاً، ومدى المحافظة على سلامة العرض وصيانة الشرف ثانيًا، فالمرأة تجوع ويبلغ بها حد الجوع حافة الهلاك وربما تهلك ولا يخطر ببالها أن تضحي بسمعتها فضلاً عن تدنيس شرفها ويبلغ بها العرى درجة إلا ما تستر به عورتها وتواري عن الأعين وتشرف على الهلاك من شدة البرد في الشتاء ولا يتسرب إلى ذهنها أن تتنازل قيد أنملة من عفافها وتلويث كرامتها وذلك تطبيقًا دقيقًا وجادًا لمبدأ (تموت الحرة ولا تأكل بثدييها) الذي أصبح مضربًا للمثل ولذلك خلافًا لما يوجد في بعض الأمم الأخرى التي تلجأ فيها المرأة إلى تمريغ عفتها والمتاجرة في عرضها لا لحاجة ماسة وإنما لتوفير بعض الكماليات أو من باب جمع المال والاستزادة منه، والرجل من جانبه شديد الغيرة على محارمه شرسًا كل الشراسة في الدفاع عن عرضه، لا يرضى أن تومي إليه إشارة أو أن يغمز له حاجب أو عين فضلاً عن أن يقال فيه كلام أو يجسد فيه فعل، وكم من المصادمات والمعارك دارت وسقط خلالها العشرات وربما المئات بسبب كلمة خدشت جبين الشرف أو مجرد لمسة بطرف الأنامل أو يتساهل بأي شيء آخر سواه ولهذين السببين المتوفرين بين الرجل والمرأة التي هي صاحبة العلاقة والتي تستطيع إذا أرادت وتدنت نفسها أن تفعل ما تريد أو بعض ما تريد

بطريقة أو بأخرى دون أن يعلم الرجل، لكن صلابة جانبها يربأ بها أن تنزل بنفسها إلى مستوى الانحطاط والرجل من جانبه شديد المراقبة والحذر صارم البطش، في هذا الجانب الذي يبذل النفس والنفيس في الحفاظ عليه، ومن هذا المنطلق فإن العلاقة الجنسية بهذه المنطقة قائمة على العلاقات الزوجية على السنة المحمدية وليس معنى هذا أنه لا يوجد شواذ ولكن ذلك من باب النادر جدًا، ولو أن مجاعات ومساغب وأمراض وتشرد حصلت لأمم أخرى كما حصل لسكان هذه المنطقة في بعض الأحيان لربما وجدت الأعراض مبتذلة وربما ابتذلت في أوقات الرخاء ولهذا الجانب أهميته الكبرى في نقاء النسل وجودة النوعية السكانية وبالتالي صلابة البنية السكانية.

التحفظ في قبول الأشياء الغريبة:

عاش سكان هذه المنطقة معتمدين على الله ثم على أنفسهم فيما يقوم حياتهم مدة طويلة، وقد ألفوا نمط حياة معينة، معتمدين على ما تنتجه بيئتهم من المواد الغذائية وغيرها بعيدين عن الاحتكاك بالأمم الأخرى احتكاكًا متصلاً اللهم إلا عن طريق طرق الحج التي تخترق المنطقة في موسم الحج مرتين في السنة أو عن طريق القوافل التجارية التي تتردد بين هذه المنطقة والمناطق والأقطار الأخرى وبقوا على ترهم عربًا أقحاحًا سواء من كان منهم يسكن المدن والأرياف أو من يقطنون الصحاري والقفار وكانوا يتحفظون في قبول الأشياء الغريبة، وإن أخذوها فيأخذوها على حذر في بداية الأمر حتى يتأكدوا من سلامتها عن طريق التجربة الفعلية ولم يكن تعاملهم مع الأمم الأخرى مباشرة لعدم اطلاعهم على البحر سواء في شرق الجزيرة على الخليج العربي أو غربها على

(بحر القلزم) البحر الأحمر فإن هذه العلاقة تأتي بواسطة أهل مكة والمدينة في الغرب والأحساء في الشرق والبصرة وبغداد والنجف في الشمال الشرقي ودمشق وحيفا ويافا والقدس وغزة في الشمال الغربي والقاهرة في الغرب ولم يكن العالم المحيط بهم فيه من المستجدات التي تلفت الانتباه وما يتوقع منه وجود أشياء جديدة اللهم إلا بمنتجات كل بلد من المأكولات والمشروبات والملبوسات والأفاوية والعطورات التي تختلف بطبيعة الحال من بلد إلى أخر إذا استثنينا علاقتهم التجارية ببلاد فارس وبلاد ما وراء النهر التي تأتي مرافقة لقوافل الحج بمصاحبة الحجاج وهذه يذهب أناس منهم يختارون ما يناسب السكان ويمكن أن يستسيغونه ويهضمونه على دفعات معينة وذلك باعتبارهم من أهل المنطقة ويعرفون ما يناسبها وفي نفس الوقت فإن السكان بدورهم يثقون بما يختاره تجارهم الذين ينتقون لهم أفخر الملابس من بلاد أصفهان والسند وأنوع العطور من الهند والسند وفارس وأزكى وأحر الأفاوية من الهند والسند وأصفهان وأنعم الملابس القبطية من مصر وأفضل اللبان والأبازير من المدينتين المقدستين مكة والمدينة اللتين تأتي إليهما هذه الأصناف من اليمن والحبشة وشرق أفريقيا من زنجبار وغيرها بالإضافة إلى أفوح العطور والبهارات من البحرين والأحساء التي تأتي إليها من عمان والهند وجنوب شرق آسيا هذه المواد التي تستعمل للزينة والعلاج واللباس يتقبلها الناس على تحفظ في بداية الأمر باعتبارها أشياء غريبة لم تكن مألوفة لديهم ثم لا تلبث أن يألفوها ويطلبون منها كميات كبيرة شأنهم في ذلك شأن الأمم الأخرى ولكنهم أشد تحفظًا من غيرهم إزاء هذه الأشياء الغريبة وذلك خوفًا من تأثير هذه المواد على صحتهم والتحفظ منها إذا كان هناك

عناصر تدخل في الأمور المحرمة شرعًا أو لبشاعة لونها أو منظرها الذي تشمئز منه النفوس أو لكراهية رائحتها التي تنفر منها الأنوف أو لمرارة وزناخة طعمها التي تتقزز منها النفوس وقد ينظرون لبائع مثل هذه الأشياء الكريهة الرائحة أو زنخة المذاق نظرة دونية لأنه وطأ نفسه وروضها على أن تألف هذه الروائح الكريهة والمناظر النشاز والطعوم الزنخة خلافًا للذوق العربي الذي لا يرضى بمثل هذه الأمور، وقد يسمون من يتاجرون بمثل هذه المواد بأسماء فيها لمز لهم وقد يحطون من قدرهم ولا يصاهرونهم رغم كونهم من أبناء عمهم وليس لهم ذنب سوى أنهم يتاجرون بمثل هذه الأشياء ذات الرائحة العفنة والطعم المر أو الزنخ والمنظر الغريب وهم في نفس الوقت يهرعون إلى متاجرهم لشراء ما يحتاجونه إليه من هذه المواد للتطبب والتداوي فيها أو التزين بها هذه النظرة الغريبة للأشياء الغريبة عليهم والتي وردت من أقطار أخرى قد تركت فئة من التجار يترل قدرهم في عيون البعض بحيث يصبحون من الطبقة الثانية من المجتمع ويسمونهم "العطارين" بسبب اشتغالهم في المتاجرة بهذه المواد الغريبة التي لا غنى لأحد عنها وهكذا نرى هذا التحفظ من الأشياء الغريبة قد أثرت في هذه المنطقة سلبًا أو إيجابًا، وقبل الانتهاء من هذه الفقرة لا يفوتني أن أشير إلى أن علاقة كانت تربط بعض سكان هذه المنطقة بحكام المماليك في مصر حيث يفدون إليهم ويحصلون منهم على هبات سنوية هذه الوفود التي تذهب إلى هناك هم الذين استفاد منهم من دونوا أنساب بعض القبائل العربية في الجزيرة العربية أما الذين لم يذهبوا إلى هناك فلم تدون أنساب الكثير منهم عند القلقشندي والحمداني والعمري وغيرهم:

التعامل مع الغرباء بحذر:

وكما هو عليه الحال في التحفظ في الأشياء الغريبة كذلك ينطبق الأمر على التعامل مع الغرباء فقد مر بنا في فصول سابقة أن سكان هذه المنطقة لم يخالطهم أحد من الأمم والأجناس الأخرى إلا ما ندر وذلك لصعوبة ظروف الحياة فيها في كثير من الأوقات ولعدم وجود المغريات التي تجذب إليها الناس، بل على العكس من ذلك قد تدفع المنطقة بين الحين والآخر زخات من سكانها إلى خارجها للتخفيف من العبء الذي تنوء به ولتسهم في عمارة المناطق التي تحتاج إلى طاقة بشرية إضافة إلى بعدها عن السواحل البحرية التي قد تتسرب منها عناصر من الأمم الأخرى لهذا السبب وغيره من الأسباب فإنه من النادر أن يلج إليها أحد من غير أهلها وإذا دخلها أجنبي فإنه من الصعب عليه في بداية الأمر أن يندمج مع السكان إلا بعد أن يختبروه ويعجموا عوده ويروا أخلاقه ويسبروا غوره وعندما يطمئنون إليه تمامًا فإنه يعيش معهم كواحد منهم ولكن مع هذا قد يمتنع بعضهم عن مصاهرته حتى لو كان من كان في بلده، وهذا ربما يجري على من يفد من إحدى الجهات البعيدة إلى جهة أخرى فإن عملية المصاهرة معه من قبل الجهة المتشددة تكون صعبة إلا بعد أن يحضر ما يثبت أنه من قوم معينين ولكنه إن وجد فئة متشددة فلن يعدم فئة أخرى يمكنه أن يتصاهر معها ويصبح عنصرًا من عناصرها هذا إذا كان من إحدى أنحاء المنطقة كأن يكون من جنوبها إلى شمالها وبالعكس أو من شرقها إلى غربها وبالعكس أما إذا كان من خارجها فيصعب عليه ذلك إلا إذا كان ذو مال أو برز في أمر من الأمور، ومن هذا المنطلق فإن تعاملهم مع الغريب يتسم بالحذر الشديد في البداية

ثم تخف هذه الشدة تدريجيًا كلما اطمأنوا إليه هذا التخوف من الغريب هو الذي جعل سكان هذه المنطقة على درجة جيدة من النقاوة العربية لسكانها تميزها عن كثير من المناطق المجاورة العربية أو أقطار العالم العربي الأخرى وسبب هذا التحفظ راجع إلى عدة أمور من أهمها عناصر يتحتم التحفظ عليها بقدر الإمكان وهذه العناصر هي:

أ) التخوف على الجانب الديني:

نظرًا لما لاقاه السكان من المذاهب التي تنتمي إلى الإسلام وهي مذهب الأخيضريين الشيعي، وبعده مذهب القرامطة الشيعي من العنت والتمزق فضلاً عن الأديان والمذاهب الدينية الأخرى فإن السكان أصبحوا يتخوفون من شبح مثل هذه المذاهب التي تكدر صفوهم الديني فقد يكون أول سؤال يوجه للشخص أو عنه، ما هو دينه؟ وما هو مذهبه؟ ولهذا فهم يتشددون أيما تشدد على الجانب الديني فإذا رأوا الإنسان على مذهب معين غير مذهبهم دعوه إلى مذهبهم فإن أطاعهم وتحول عن مذهبه أو ما يروج له مثل من كانوا يعملون بمناجم الذهب والفضة من المجوس في معدن شمام وغيره ومتى انتهت المصلحة منهم رحلوا بمذهبهم، هذا التحفظ الديني كان له ما يبرره فقد مر بنا في فصول سابقة ما فعله الأخيضريون بالناس حين فتنوهم عن دينهم وصدوهم عن مذهبهم ثم جاءت الطامة الكبرى على يد القرامطة حينما حاولوا جذب الناس إلى اعتناق مذهبهم ولكنهم استخدموا طرقًا منفرة ومزعجة ومهينة للإسلام والمسلمين مثل اقتلاع الحجر الأسود من الكعبة والاحتفاظ به عندهم في البحرين (الأحساء) لمدة تنوف على عشرين عامًا وذلك حسب زعمهم أن هذا

العمل هو نكاية بالخلافة العباسية ببغداد بالإضافة إلى قطع الطرق وقتل الحجاج في معارك وقعت في مهالك من طرفين غير متكافئين طرف مسلح وآخر أعزل من السلاح ولهذا فقد كرههم الناس ونفروا منهم وأصبح شبحهم يلوح مع كل شخص غريب يفد إلى المنطقة فكان هذا التحفظ الذي أشرنا إليه نابع من الخوف على الجانب الديني أن تتدخل فيه عناصر غريبة يجلبون معهم شوائب أغرب، فلا غرابة أن يتشدد الناس إزاء هذا الجانب حتى يعرفوا هدف كل غريب قدم لهذه المنطقة، أما إذا إطمأنوا إليه فإن هذا التحفظ قد ينقشع عنه تدريجيًا عند كل خطوة تثبت لهم برهانًا جديدًا على صدقه.

ب- التخوف على الجانب الأخلاقي:

كما أسلفنا فإن الجانب الأخلاقي يلعب دورًا مهماً في حياة الناس وخاصة ما يتعلق منه بالعرض أو الشرف فإن حرصهم عليه لا يوازيه حرص ويخشون عليه من أن يكون مع الوافد الغريب ما قد يسيء إليه ولهذا فهم يتحفظون عليه، فإذا قدم غريب أو غرباء تثرت الأعين من حولهم وبث الآذان لمعرفة ما إذا كان لديهم أي سلوك غير سليم عند ذلك يمكن أن يوجهوا التوجيه السليم، فإذا لم يذعنوا للأمر فإن المجتمع يقذف بهم إلى خارجه، وهذه المعاملة ليست خاصة فيمن يسلك طريقًا شاذًا حتى من مواطني البلد أنفسهم فإنه يُجلى من مكان إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى على ذلك أن يكون رادعًا له أو حافزًا لتقويم اعوجاجه، هذا يأتي بالدرجة الأولى من الجانب الأخلاقي، ثم تأتي بعده الجوانب الأخرى من التأثير في العادات والتقاليد والأعراف ومدى احترامه لها وعدم احتقار هذا الغريب أو استهتاره بها وما إذا كان هؤلاء الغرباء قد جاءوا

معهم بعادات أو تقاليد أو أعراف تتنافى والتعاليم الإسلامية أو الذوق العربي ويخشى من انتشار هذه الأشياء الجديدة فإن المجتمع لا يلبث أن يمج هذه الأمور الوافدة مع الغرباء ويلفظها وأحيانًا يخنقها وأحيانًا أخرى قد تجد آذانًا مصغية وعيونًا منفتحة وأذهانًا فارغة فتأخذ من هذه العادات والتقاليد الوافدة ولكن على استحياء وخجل وقد تثبت فترة من الزمن وقد لا تقف على أقدامها حتى تزول، هذا الوضع في المجتمع الحضري أما المجتمع القبلي فإنه أشد صرامة على محاربة العادات والتقاليد الوافدة وحتى العادات والتقاليد والأعراف التي تكون في أحد جوانب أي قطر من أقطار المنطقة وربما لا يعد كثيرًا هناك صعوبة في تقبله فضلاً على أن يهضم أشياء غريبة قد حملها الغرباء ولهذا السبب فإن العادات والتقاليد والأعراف الموجودة داخل المجتمع تكاد أن تكون كلها من صميم المجتمع لا يؤثر فيها مؤثر وذلك لتحفظ الناس في هذه المنطقة من الغرباء خوفًا على التأثير على النواحي الأخلاقية أو الاقتراب مما يمس الكرامة والدين.

جـ- التخوف على الجانب الأمني:

يلعب الجانب الأمني دورًا هامًا في تحفظ السكان من الوافد الغريب ومع أن الناس يعيشون في هذه المنطقة الشبه منحازة ولا خوف عليهم من أعداء من البعيد وذلك لوجود الموانع الطبيعية من صحاري وجبال التي مر ذكرها سابقًا، لكن رغم ذلك فهناك احتراز وحيطة تلازم الإنسان في هذه المنطقة إزاء من يكون قد أتى من ناحية أخرى من المنطقة أو من قبيلة أو مدينة ثانية من نفس المنطقة فضلاً عن أن يكون غريبًا عن المنطقة كلها والإنسان في هذه المنطقة متحفظ جدًا ذكرًا كان أو أنثى فإذا سأل إنسان عن شخص فقد يجد صعوبة

فيمن يدله عليه إلا بعد الاطمئنان إلى حسن نيته وسلامة هدفه هذا إذا كان من أحد نواحي المنطقة أما إذا كان السائل غريبًا فمن الصعوبة بمكان أن يجد من يدله على من يسأل عنه، ويمكن لهذا السؤال إذا كان ممن لهم مكانة في المجتمع أن يستضيف صاحب هذا السؤال ويبقيه عنده عدة ليال أو أيام وينتحل له أي عذر ويأتي بالمسئول عنه ويسأله عما إذا كان هناك أي أمر يتعلق به أو يتخوف منه وما إذا كان هذا السائل يريد به خيرًا وربما يريه السائل بنفسه دون أن يعلم السائل بذلك وما إذا كان يعرفه وهل يريد أن يخبره به على مسئوليته أو أن يصرفه بأي عذر، هذه الإجراءات الاحترازية تتم دون أن يعلم السائل عما يجري فإن لمسوا منه أمرًا إيجابيًا أخبروه به وإلا اعتذروا له، هذا في المجتمع الحضري أما المجتمع القبلي فهو أشد من ذلك وربما لا يعرف الإنسان باسمه أو اسم قبيلته إلا لمن يطمئن إليه تمامًا هذا التحرز عائد إلى انتشار الثارات بين قاتل وواتره، فحين يقتل شخص آخر ولم يستطع ولي أمر القتيل أن يأخذ بثأره من قاتله مباشرة فإنه يعمد إلى أحد أقاربه الأدنى فالأدنى أو أحد أفراد عشيرته أو قبيلته ويأخذ بثأر قتيله فضلاً عن أن يكون هناك أمورًا أكثر خطورة فيما لو صار هذا القادم غريبًا من خارج المنطقة فلا شك أن الأمر يكون أكثر تحفظًا لاتقاء ما قد يحدث من أخطار فربما يكون جاسوسًا أو له هدف آخر ولذلك فإن هؤلاء الغرباء يعاملون معاملة إنسانية تكفل لهم حياتهم الكريمة لكنهم لا يمكنون من الوصول إلى أهدافهم ويخضعون للمراقبة المنظورة وهم الذين يعرفون (بالدراويش) وبعضهم يحقق أهدافه أو بعضها ببطء والبعض الآخر ينكشف أمره فيرحل أو يقتل.

نظرة فاحصة:

إذا نظرنا بامعان لسكان هذه المنطقة نجدهم شعب حي يتفاعل مع ظروف الحياة ويقاوم الصعاب ويقتحم الأهوال ويصارع أعتى تيارات الحياة في سبيل الحياة والبقاء، يتحمل أقسى الظروف وشظف العيش من أجل البقاء بموطنه يعض على أرضه بالنواجذ ، لا يرضى عن تراب وطنه بديلاً ، ولا يرحل عن أرضه إلا بأعداد ضئيلة تحت ظروف قاتلة ، وإذا رحل عن هذه الأرض فإنه يظل يتلفت إليها في كل خطوة يخطوها في طريق المغادرة بيد أنه لم يترك الوطن خاليا وإنما يترك فيه أقاربه وأصدقائه ويظل على علاقة وثيقة بهم ومن يبقى منهم فإنه يقنع بأقل القليل الذي يسد رمقه ويقتل عنده غائلة الجوع ، وهذا في سنوات القحط والشدة، أما في سنوات الخصب ورغد العيش فلا تسأل عن سروره واغتباطه وهو في نفس الوقت شعب نشط يعمل على مدى ثماني عشرة ساعة في اليوم والليلة إن لم يزد على ذلك عند الكثير من فئاته وأقلهم من يعمل اثنا عشرة ساعة في النهار والليل ، شعب له يد صانعة ، غالبيته يعمل بالصناعة اليدوية فهو شعب صانع ، الفلاح يقوم بصناعة متطلبات فلاحته ، يشترك في ذلك الرجل والمرأة فكل يوكل إليه ما يخصه من هذه الصناعة فالرجل يستخرج الليف من النخل ويصنع منه الحبال والأرشية والأشطان ويفصل الغروب ويخرزها ويركب عدة البئر لاستخراج الماء فإذا استخرج الماء أسقى به الأرض وفلحها وقام بزراعة الزرع وغرس النخيل وسقيها والمرأة تقوم بغزل الصوف ودباغة الجلود وسف السفيف وخياطة الملابس ، والنجار يقوم بأعمال النجارة في اختصاصه كما أسلفنا ،والحداد يقوم بصناعة الحديد والنحاس وغيره كل في

بمجال اختصاصه ، والبناء يقوم ببناء البيوت والخراز يقوم بصناعة الأحذية والأوعية الجلدية والصائغ يقوم بصياغة المصوغات الذهبية والفضية والتاجر يقوم بصناعة ما يتعلق بمهنته والجمّال يقوم بصناعة ما يتعلق بمهنته ، والأعرابي يقوم بالإضافة إلى رعي مواشيه بصناعة ما يحتاج إليه من مستلزمات الرعي ورعي المواشي من حبال ودلاء وأحواض جلدية وغيرها تساعده زوجته في دبغ الجلود وخرزها وغزل الصوف ونسجه لتصنع منه بيوت الشعر والبسط والمنسوجات الأخرى فالمرأة في البادية قلما تجدها وليس بيدها مغزلها تغزل فيه الصوف حتى في أوقات فراغها والأوقات التي تجلس فيها للمتعة والتسلية فإن مغزلها لا يفارق أناملها وأختها في الحضر يكون مغزلها مصاحبًا لها وإبرتها وخياطتها أو خوصها وسفيفها الكل يعمل بجد واجتهاد كما رأينا في فصول سابقة ، حياة جدية ليس فيها مكان للهو والعبث الكل يصنع شيئًا ،شعب متفاعل مع الحياة رجالاً ونساءًا شعب حقق الاكتفاء الذاتي لنفسه في احتياجاته اليومية ومستلزماته الحياتيه على مدى قرون عديدة لم تدعه الحاجة أن يستورد ما يلزمه من جيرانه إلا من باب الكماليات، شعب يستنبط الماء من أعماق الأرض ويستخرجه بالطرق التي اخترعها بنفسه، يفري أديم الأرض ويستخرج منه قوام حياته المتمثل في رغيف العيش وثمار النخيل والفواكه والخضار.

شعب يصنع ملابسه بنفسه ويصنع أوانيه ومستلزماته ومعداته بنفسه لا يحتاج إلى استيرادها من خارج وطنه ولا يستقدم أناسًا يصنعونها له، شعب حي استطاع أن يبقى على مدى هذه القرون الطويلة صامدًا يتحدى أعتى الأعاصير التي تلوي بهذه المنطقة بين الحين والآخر، يجابه أقسى الظروف يهزأ بالملمات

والنوائب، شعب تتثاقل عليه ظروف الحياة القاسية من جدب وكوارث وتظن أنها سحقته وينتفض من تحت كابوسها ينفض عن نفسه غبار الذل ويلقي بأطمار الهزيمة وينتفض قويًا مشرئب العنق شامخ الجبين وكأن هذا الكابوس الذي جثم على صدره لبعض الوقت لم يكن فيعاود نشاطه وحيويته وينطلق من جديد، لا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلاً، تغلب عليه سمة التفاؤل والثقة بالله عزوجل وذلك انطلاقًا من الروح الإسلامية الراسخة فى أعماق أعماقه والتى تسري وتجري فى دمه متكلاً على الله في أعماقه حق التوكل ، يتطلع إلى الأمام ويؤمل بمستقبل أفضل، إذا حز به حازب فزع إلى ربه عز وجل ، فإذا تأخر نزول الغيث فزع إلى ربه يتضرع إليه لإنزال الغيث، شعب تحمل الظروف المناخية والطبيعية القاسية وتفانى فى الثبات بأرضه على قلة مواردها ولم يكتف بذلك بل شق أديمها ونحت صخورها بأظافره ليخرج منها معين الحياة من أعماق سحيقة ليشرب منه ويخرج منه رغيف عيشه ، لهو حقيق بأن ينظر له باحترام وتقدير ولا يقل أهمية عن أي جزء من الشعب العربي المسلم في أى قطر من أقطار العالم العربي والأمة العربية أو العالم الإسلامي في مختلف أقطاره ، هذا الشعب في هذه البقعة رغم ما يحيط به من ظروف صعبة فإنه يتمسك بأخلاقه ومثله العليا ويعض عليها بالنواجذ ، لا يفرط بشيء منها مهما كانت الصعاب، يعاني الإنسان من الجوع وشظف العيش وتمنعه مروءته وشيمته وأنفته من أن يشعر الآخرين بذلك فضلاً عن أن يمد إليهم يده يستجديهم ، تموت الحرة جوعًا ولا يعلم بها أحد ولا ترضى أن تهمس لأحد فضلاً عن أن تضحي بعفتها أو تفرط بشرفها في سبيل البقاء على حياتها ورغم ما يحدث فى بعض أصقاع

المنطقة وخاصة في البادية من غارات وسلب ونهب كما مر بنا إلا أن هذا لا يمثل واقع الناس ومفاهيمهم وإنما يمثل تصرفات فردية أو جماعية لفئة معينة قد يكون الدافع من وراء ذلك حالة تعبير ذاتي عن كبت نفسي أملته ظروف أو أوضاع معينة فيقع منهم ما يقع من باب الانتقام كما هي عليه الحال في مذهب الصلعكة ومفهوم الصعاليك هي ظاهرة يمكن أن تظهر في كثير من المجتمعات وليس بالضرورة أن تمثل بنية المجتمع أو أساسيته ، والناس في هذه المنطقة كما أسلفنا بنية متراصة متلاحمة متفاعلة صانعة منتجة لديها الاكتفاء الذاتي في معظم متطلبات الحياة.

قول الشعر باللهجة العامية في هذه المنطقة :

هناك اختلاف لا يزال قائمًا حول بداية قول الشعر باللهجة العامية ، فهناك من يقول إن الشعر العامي أو "الشعبي" كما يسميه البعض موجود منذ القدم ، أي قبل بزوغ الإسلام وكان يقال بجانب الشعر الفصيح ولكنه لم يدون ولم يعتن به أحد واستمر متزويًا جوف الظل في العصر الأموي ثم العصر العباسي يقال ويغنى ولكنه لم يدون وأكثر من يستعمله الذين لم يؤتوا نصيبًا من الفصاحة من سكان الحواضر ، وقد يكون من بينهم أخلاط من غير العرب الذين يتغنون به في مواسم الحصاد أو الحرث أو مزاولة المهن الأخرى وذلك ليواكب الوضع الذي يعملون به عندما يستعملون الكلمات السهلة التي تلامس شغاف قلوبهم وتعبر عن مكنون صدورهم دون تقيد بأوزان الشعر الفصيح وبحوره، وأصحاب هذا الرأي يستدلون بما فعله الرشيد عندما خرج ذات ليلة قمراء للتنزه في دجلة وأحب أن يغنى الملاحون في تلك الجولة فنًا غنائيًا غير

المألوف فطلب من أبي العتاهية في سجنه أن ينشيء له قصيدة يغنيها الملاحون فاستجاب أبو العتاهية ونظم حائيته المشهورة التي مطلعها :

خانك الطرف الطموح أيها القلب الجموح

فحين طلب هارون الرشيد هذا الطلب إنما يدل على وجود نوع آخر من الشعر يختلف عن الشعر الفصيح الذي يغنيه اسحاق الموصلي وأمثاله وهذا النوع من الشعر أعني الشعر العامي أو الشعبي قد ينشئه ويغنيه أناس مجهولون أو معروفون وإن كانت قصيدة أبي العتاهية بلغة الشعر الرسمي إلا أن خفتها أقرب إلى التقطيع الغنائي الذي يغنيه الملاحون بلهجتهم وربما دل ذلك على وجود شعر عامي أو شعبي له نفحات ومذاق غير الموجود في الشعر الفصيح ومن المستبعد أن يطلب الرشيد فنًا مفقودًا ولكنه أراد أن يكون بأغاني الملاحين بلهجتهم البحتة، وإنما رغب أن يكون بأنغامهم وبشعر قريب من حسهم وهو في ذات الوقت معروف لديه، فأراد الجمع بين الشيئين وكما هو معروف أن الشعر العامي أو الشعبي له سمات معينة منها تهاونه بقواعد النحو، التعبير المباشر عن الرغبات والأحوال بلا تورية ولا مجاز في كثير من الأحيان، ولا يتقيد بأوزان الشعر الفصيح وبحوره وإن كانت له أوزانه الخاصة وطروقه المختلفة التي يسير عليها غير أنها تختلف بعض الشيء عن الفصيح، ومع أن بعض طروقه تتوافق مع بحور الشعر الفصيح إلا أنها لم تكن كلها، (فضلاً انظر كتابنا درر الشعر الشعبي) وكما هو معلوم فإن اللهجة العامية قد دخلت إلى الجزيرة العربية مع بداية القرن الثالث أو في القرن الرابع الهجري كما رأينا في موضع آخر من هذا الكتاب، إلا أن الشعر الملون جاء متأخرًا عن ذلك عدة قرون

فأقدم شعر عامي أو شعبي مدون نسبه مدونوه إلى القرن العاشر الهجري مثل شعر الخلاوي والسمين وقطن بن قطن وغيرهم ، وإن كنت أشك في ذلك إذ ربما هناك أشعار عامية تناقلها الأفواه دون أن تدون وظن من ظن أنها في وقت متأخر فهناك قصائد "الدقيس" التي تمدح باحداها الشيخ مانع بن مرشد بن سويط شيخ قبيلة الظفير ومنها :

وراك يا مانع تبتن بجيرة   زود على حكي العرب والمعايير

وكما هو ثابت تاريخيًا أن مانع بن سويط قد قتل على الضلفعة عام ٨٥٤ هـ فإذا كان هو المعنى فإن ذلك يعطي إشارة واضحة أن الشعر الشعبي قد انتشر في هذه البقعة قبل القرن العاشر الهجري لا سيما وأنه انتشر باليمن في القرن السابع الهجري ، وقد يكون هناك من الأشعار المتناقلة بالرواية الشفهية ما يغوص إلى أعماق تلك القرون سيما وأننا نجد من الأشعار العامية أو الشعبية القديمة ما هو قريب جدًا من الشعر الفصيح مبنى ومعنى ووزنًا، فإن ذلك قد يدل على عمقها في قرون متقدمة ربما بلغت القرن السادس أو الخامس الهجري لكن ما قد تم تدوينه منها من أفواه الرواة كابرًا عن كابر توقعوا أن يكون قائل هذا الشعر في القرن العاشر الهجري ، وأخذ هذا الشعر مكانته في غياب الشعر الفصيح واحتل مكانة مرموقة في عصور العامية فأصبح قويًا له أوزانه وقوافيه وطروقه وجزالته بما يشبه مكانة الشعر الفصيح وربما فاق بعضه بعض الشعر الفصيح في جانب من الجوانب ولا تزال قوته حتى يستعيد الشعر الفصيح استلام المنبر منه.

بداية كتابة الشعر الشعبي :

لعل الشعر الشعبي كان مصاحبا للشعر الفصيح وربما قبله لكن هذه دعوى تخذلها النصوص ولكن سيؤازرها القياس التاريخي الزمني ونتيجة لارتباط السياسة بالدين والأدب والتقاليد العربية أهمل الرواة الشعر الشعبي لأنه لا يقدم الدليل على الإعجاز القرآني ولا يعطي البرهان على صحة القاعدة النحوية أو فسادها ولا يملك المثال على صحة الاستعارة أو اعتلالها لهذا أهمل الشعر الشعبي، لكن يبقى دليل كاف على وجوده فقد خرج "الرشيد" ذات ليلة قمراء للتنزه في دجلة وأحب أن يغني الملاحون في تلك الجولة فنا غير المألوف فطلب من أبي العتاهية في سجنه أن ينشيء له قصيدة يغنيها الملاحون فاستجاب أبو العتاهية ونظم حائيته المشهورة التي مطلعها :

خانك الطرف الطموح أيها القلب الجموح

لماذا طلب الرشيد أغنية غير مألوفة ؟ هذا دليل على وجود فرق في ذلك الحين بين القصائد التي كان اسحاق الموصلي وأمثاله وبين شعر شعبي كان ينشئه مجهولون أو معرفون ويغنيه مجهولون أو معروفون إلا أن أبا العتاهية لم يعرف الفرق أو لم يرد معرفته فأنشأ قصيدة بلغة الشعر الرسمي وإن كانت خفتها أقرب إلى التقطيع الغنائي بأن طلب الرشيد لأغنية خاصة يغنيها الملاحون يدل على شيئين:

أولاً : الحس بضرورة وجود شعر شعبي مختلف عن شعر الأغاني المروي في كتاب الأغاني للأصفهاني.

ثانيًا : وجود شعر شعبي له روائح أخرى ونغمات أخرى.

ثالثًا : يمكن أن يضاف سبب ثالث مروي وهو تأذي الرشيد من لحن الملاحين ولكن مع محبته غنائياتهم من فنانين حقيقين ولا يمكن أن الرشيد طلب فنًا مفقودًا أو معدومًا فمن الأرجح أنه سئم الفن الرسمي وبحث عن الإطراب في غناء شعبي مؤلف بلغة الشعب.

ولكن كيف ظهر هذا الشعر الشعبي ؟ لقد ظهر وعليه ثلاث سمات الأولى التهاون بقواعد النحو ، الثانية التعبير المباشر عن الرغبات والأحوال بلا تورية ولا مجاز ولا استعارة ، الثالثة السخرية بالتقاليد في نطاق العدوى الثقافية.

ولقد بدأ ازدهار الشعر الشعبي أو ربما اتضح هذا الازدهار في القرن السابع الهجري بالنسبة لليمن.

أما قصيدة أبي العتاهية فهي:

خانك الطرف الطموح أيها القلب الجموح

لدواعي الخير والشر دنو ونزوح

كيف إصلاح قلوب إنما هن قروح

أحسن الله بنا إن الخطايا تفوح

فإذا المستور منا بين ثوبيه فضوح

كم رأينا من عزيز طويت منه الكشوح

صاح منه برحيل صائح الدهر الصدوح

موت بعض الناس في الأرض على البعض فتوح

سيصير المرء يومًا جسدًا ما فيه روح

بين عيني كل حي علم الموت يلوح

لبني الدنيا من الدنيا غبوق وصبوح

رحن بالوشي وأصبحن عليهن المسوح

كل نطاق من الدهر له يوم نطوح

نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح

لست بالباقي ولو عمرت ما عمر نوح

وعندما سمع الرشيد البيتين الأخيرين بكى بكاء شديداً وقال: أراد أن يكدر علي هذه الرحلة.

نمط الحياة المتوارث:

تكاد الحياة أن تكون على نمط واحد في المنطقة المعينة للفترة موضع البحث فلم يحدث فيها أي تغيير يذكر لا من حيث المفهوم العام ولا الوسائل الحياتيه ولم يدخل فيها فكر جديد أو تيارات جديدة، فقد بقيت راكدة في زاوية منزوية عن الحركات والتيارات والموجات التي تعاقبت على الأجزاء الباقية

من أقطار العالم العربي الإسلامي سواء أكانت هذه التيارات إيجابية أو سلبية فلم يقم فيها كيان قوي يلفت الأنظار إليها حسبما أطلعت عليه حتى الآن ولم يكن بها مطمع للغزاة الأجانب حتى يتجشموا المشاق إليها فلم تطأها قدم أجنبي طيلة تلك الفترة ولذلك بقيت على ما هي عليه منذ ما قبل الإسلام في ظلها واستمرت على هذا الوضع طيلة هذه المدة لم يحدث فيها أي تيار قوي حسب المعلومات المتوفرة حاليًا اللهم إلا إذا كان هناك معلومات مطمورة في بطون المخطوطات التي لا تزال راقدة في مكتبات العالم غربية وشرقية، وبقيت على ما هي عليه وربما ظهر خلاف ذلك من الكتب التي لم يكشف النقاب عنها أما الجانب النمطي فيمكن أن يتمثل في الفقرات الآتية:

أ- وسائل الحياة العامة:

فقد بقيت الحياة العامة رتيبة على النمط القديم فمصادر الرزق كما هي منذ بزوغ الإسلام تعتمد على عنصرين أساسين هما الرعي والزراعة وهذان العنصران يمتلكهما الشعب بطبقاته المختلفة وهناك عنصر ثالث هو عنصر التعدين ويملك هذا العنصر فئة من الناس من كبار الملاك سواء ما كان من مناجم الذهب والفضة أو من مناجم الحديد والنحاس وغيره وغالبًا ما يكون الملاك من خارج أهل المنطقة كما مر بنا، إن معظم من عملوا بالتعدين هم القرشيين، أما أصحاب المنطقة فقد بقوا على مصادر الرزق التقليدية المومى إليها وهي الزراعة والرعي بالطرق البدائية المتوارثة عبر الأجيال المتعاقبة من مئات السنين فطرق الرعي المتوارث منذ أقدم العصور هي كما كانت وتربية المواشي وتكاثرها لم تتغير اللهم إلا بعلاج بعض الأمراض التي تصيبها وأساليب الزراعة

بقيت على ما هي عليه لم يدخلها أي تحسين أو آلات أو أساليب جديدة لزيادة الإنتاج أو القضاء على الآفات الزراعية وبقي العنصران الرئيسان لمصدر المعيشة مرتبطان ارتباطًا وثيقًا بنزول الغيث إن نزل الغيث مبكرًا صائبًا توفر الرعي ونشطت الزراعة وتوفرت الأرزاق بدرجة جيدة وإن تأخر الغيث أو قل تأثر الرعي واضطربت الحياة الرعوية واهتزت الزراعة وتخلخت الحياة الاقتصادية ويكون العنصران خاضعين أيضًا لتأثير الكوارث الطبيعية وعوامل المناخ والآفات الوافدة فموجة برد قارس قد تؤثر أو تهلك المرعى والزرع وبرد أو سيول جارفة قد تؤثر على المرعى وتدق الزرع وتغمره وتذهب به، وعواصف صيفية حارة قد تذهب ببقية المرعى وتطيره وتؤثر على ثمرات النخيل والأشجار والثمار فتكون قاصمة الظهر للفلاح هذه العوامل وغيرها قد أثرت تأثيرًا بالغًا على قوة ونشاط السكان وفتت في عضدهم وجعلتهم يقفون حائرين إزاء صد مثل هذه الحوادث أو التخلص منها ولم يكن أمامهم سوى أن يعيدوا الكرة تلو الأخرى على نفس النمط صابرين لما يصيبهم في هذا السبيل.

ب- وسائل المواصلات:

بقيت وسائل المواصلات على ما كانت عليه طيلة هذه الفترة المشار إليها وما بعدها لعدة قرون لاحقة، فهي منذ فجر التاريخ وإلى ما قبل نحو ستين سنة من يومنا هذا مما في تلك الفترة المعنية بالبحث وبالتحديد عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م والمواصلات تجري على ظهور الإبل والحمير في جميع أصقاع هذه المنطقة سواء أكان ذلك الركوب أو نقل الأحمال والمؤن والتجارة

وغيرها، وواضح أثر ذلك على حركة المنطقة في أنشطتها المختلفة سواء ما يتعلق بالأمور الحيوية أو غيرها، وحتى ما يترتب على هذه الحركة من بعد المسافة بين نقطة وأخرى وما يكتنف هذه المسافات الشاسعة من الناحية الأمنية وغيرها أو ما يتصور الإنسان ويستكبره أو يستكثره من الأمور إذا حسب هذه الحسابات فيما إذا أراد أن يقطع هذه المسافة من الجنوب إلى الشمال أو من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي واحتاج ذلك إلى ما يزيد على عشرين يومًا على كور مطيته أو أراد قطعها من الشرق إلى الغرب فإنه يحتاج إلى حوالي خمسة عشر يومًا وما يكتنف هذه المسافات من المخاوف والمهالك وما يعترض سبيله من القبائل والكيانات الصغيرة وما يحيط بالطرق الرئيسة من الأخطار في بعض الفترات كما مر بنا واضحًا على طرق الحج هذه الطرق التي تخترق هذه المنطقة وقبوعها في الوضع الذي كانت عليه قبل قرون عديدة وأبعد عنها أخطار الأطماع الأجنبية وكان لهذا الوضع جانب حسن حيث بقيت نظيفة لم تدنسها أقدام الأجنبي، وإذا صح التعبير فإن هذا المفهوم قد انطبق على كافة أقطار الجزيرة العربية وعلى وسطها بالذات وأصبحت بالنسبة للأجانب كأنها قطعة من العالم المجهول الذي لم يتجاسر على ارتياده أحد من الأجانب إلا في أخر الفترة المعنية بالبحث حين بدأوا يغازلون أطراف الجزيرة العربية الجنوبية والشرقية بحذر شديد أما وسطها موضع البحث فلم يتجرأ أحد منهم أن يقترب منه إلا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين الثامن والتاسع عشر الميلاديين وقد بقيت سليمة نقية من أي شوائب خارجية تتفاعل داخل نفسها ببطء وذلك بسبب النمط الذي تعيشه معتمدة على ذاتها في جميع متطلبات

الحياة مكتفية ذاتيًا بمنتجاتها الغذائية والصناعية متعاملة مع جيرانها بشموخ وإباء معاملة الند للند على ضوء المصلحة المتبادلة بين الطرفين، مؤثرة التحيز والصمت والتمنع على أن تفتح صدرها للأجنبي أو أن يقترب من حرمتها، فبقيت مهيبة الجانب لا يدخل إليها أحد إلا على ضوء مصلحة بينه أو خدمة يؤديها لفترة معينة حتى إذا انقضت مهمته فإنه غالبًا يعود من حيث أتى، هذا الوضع الذي أسهم في جعلها نقية العنصر العربي إلى حد ما إذا قارناها بالأقطار العربية الأخرى المجاورة لها فقد أثبت التاريخ أنها تمد الأقطار العربية المجاورة بزخات من الطاقة البشرية بين الحين والآخر مما يتكاثر بجوفها من سكانها وليس العكس وأن معظم ما يأتي إليها من موجات بشرية إنما تأتيها من مستودع العنصر العربي العريق وهو اليمن ولم يحدث أن استقر بها أي جماعة وافدة غير عربية من أي قطر من الأقطار وذلك لصعوبة الحياة فيها أولاً ولصعوبة المواصلات ثانيًا، هذه المواصلات التي قلنا عنها أنها بقيت على ما كانت عليه منذ أمد بعيد وإن كانت لا تختلف في حقيقتها عن وسائل المواصلات في جميع أنحاء العالم يومذاك إلا أنها تفتقر إلى المواصلات البحرية أو النهرية التي توجد في أنحاء أخرى من المعمورة وذلك بسبب طبيعة أراضيها الصحراوية والجبلية ومناخها الصحراوي.

ج- الظروف المحيطة بالمنطقة:

لقد ظلت المنطقة طيلة فترة الخلافة الأموية والعباسية ضمن زاوية هامشية مظلمة عدا ما يقوم بها ما بين الحين والآخر من حركات تمرد على عمال الخلافة في اليمامة وما يوكل لأولئك العمال أو الولاة من قمع لتلك

الانتفاضات حينًا كما فعل إبراهيم بن عربي الكناني في العهد الأموي أو ما يقوم به قواد الحملات المكلفة بقمع تلك الثورات أحيانًا أخرى كما فعل (بغا) في صدر القرن الثالث الهجري كما مر بنا وإذا استثنينا ما قام به القرامطة من صولات وجولات في أطراف المنطقة وخلالها روحة وجيئة في القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري وما يتوقع أن قام به حكام الأحساء في القرن الخامس والسادس والسابع من بسط نفوذهم على هذه المنطقة فإن ذلك لا يعلو كونه إشارات عابرة قد وردت في شعر شاعر دولة العيونيين بالأحساء ولا تزال بحاجة إلى دلائل تاريخية تثبت ذلك وربما كشفت الأيام عن أشياء كانت غامضة، ثم ما قام به العقيليون حكام الأحساء بعد ذلك في القرن التاسع والعاشر الهجريين من غارات تأديبية على وسط هذه المنطقة وما عدا ذلك فإنه لم يثبت حتى الآن أي تحرك من الجهة الغربية من أشراف مكة إلا في نهاية القرن العاشر الهجري عندما حاول شريف مكة استعراض عضلاته ووصل في غزوته إلى وسط المنطقة بعد أن جس النبض قبل ذلك في المنطقة الغربية منه، أما من الناحية الشمالية والجنوبية فلم يثبت أن تعدا حكام اليمن منطقة نجران شمالاً، ولم يتجه حكام بغداد والشام جنوبًا ولا حتى لحماية طرق الحج التي تخترق المنطقة وتتعرض لغارات القرامطة والأعراب ويحدث فيها السلب والنهب وإزهاق الأرواح البريئة وقطع أداء فريضة الحج في بعض السنين لم يحدث أن تحركت بغداد بقوة فاعلة لفرض نفوذها وسيطرتها على هذه المنطقة أو على الأقل على طرق الحج إذا استثنينا بعض الحملات الصغيرة التي تذهب طعمًا لموجات القرامطة كل ما سبق حتى الآن لم يثبت فيه خلاف ما ذكرت وربما كشفت

الأيام مخطوطات تفيد في هذه الفترة هذا الوضع الذي أبقى المنطقة في حالة ركود وإذا استثنينا موجات القرامطة غير المحبوبة التي سبقت الإشارة إليها والتي ربما نظر إليها الناس بالازدراء والضيق مع أن هناك بعض الأفراد الذين ربما وجدوا في هذه الموجات ضالتهم في عملية السب والنهب مثل قبائل بني هلال وبني سليم وبني جشم ومن التف لهم وما لبث هؤلاء أن ركدت ريحهم وخمدت جذوتهم بركود مشجعهم عندما تضعضع أمر القرامطة وزالت دولتهم من الوجود أو عندما انتقلت مثل تلك القبائل المومى إليها إلى مصر ومنها إلى المغرب العربي؛ وما عدا هذه الفترة الزمنية التي قاربت القرن من الزمن لم أطلع حتى الآن على معلومات تاريخية مهمة فيما يكتنف المنطقة من الجيران فبقى ما حولها راكدًا هو الآخر، إما لضعف في تلك الأجزاء وهو احتمال مرجح وإما لهيبة المغامرة في الدخول إلى هذه المنطقة؛ لأنه لا تزال هناك فكرة أن هذه المنطقة جزء من المجهول خاصة في العراق والشام والحجاز أو أن اقتحام هذا الجزء المجهول يعتبر مجازفة لا طائل من ورائها وربما دل على ذلك تراجع الخلافة العباسية في بغداد وعجزها عن اخضاع هذه المنطقة وهيمنتها عليها والاكتفاء بشراء أمن الحجاج بالمال من قطاع الطرق من الأعراب والدخول معهم في مفاوضات تنجح أحيانًا وتخفق أحيانًا أخرى، وهذا الموقف نابع من الضعف في مركز الخلافة أولاً ثم الخوف من خوض المجهول ثانيًا ولا تقل الحال عن هذا في المدينتين المقدستين عن موقف بغداد فأشراف مكة بأسهم بينهم شديد يعيشون في صراع مستمر أنهكهم وحد من طموحاتهم للتوسع من ناحية وربما تهيبوا من المغامرة في دخول المنطقة من ناحية أخرى حيث أنهم ينظرون إليها بنفس النظرة

وكأنها عالم مجهول وحين أرادوا الدخول فيها في وقت متأخر من القرن العاشر الهجري دخلوها بالتدريج في فترات متباعدة وهكذا نرى أن هذه الأوضاع المحيطة بالمنطقة أثرت في ربطها مدة أطول بالماضي البعيد وأبقتها في شبه عزلة عما حولها من الأقطار.

الوضع الاجتماعي في نجد:

قال عبد الرحمن بن خلدون في المقدمة: تتشابه حياتهم (أي أهل نجد) الاجتماعية مع حياة بدو الجاهلية في كثير من مجالاتها إن لم تتطابق معها تمامًا (بساطة المسكن –تواضعًا في المأكل والمشرب والملبس – تماثلاً في كثير من العادات والتقاليد- تمسكًا بأهم مستلزمات حياة الصحراء من الكرم والفخر والشجاعة) ثم قال: إن التحضر يكون غاية لبعض البنود تحت قسوة الأحوال المناخية في بعض الفترات فيحصل من جراء نقص الأمطار أو عدم هطولها أن يقطن بعض البدو قريبًا من أحد البلدان ريثما تتحسن الأحوال في البادية وقد يطول ذلك فيطيب له المقام فيتحضر مبدئيًا بامتهان بعض الأعمال الحضرية فممارسة الزراعة على نطاق ضيق ثم التجارة بعد ذلك ومن أسباب التحضر غنى بعض البدو وميلهم للترف وحب الراحة نتيجة مللهم من عيشة الصحراء القاسية والنظرة القبلية تظهر واضحة لدى هذين القسمين وحتى فئة المخضرمين بحفظ النسب وقصر بعض أنماط التعامل الاجتماعي على أساسه إلا أن هذه النظرة تتعرض أحيانًا لما يقلل منها وقد حصل هذا في كثير من القبائل منذ فترة متقدمة عن الإسلام إذ عرف من أساليب التعامل الاجتماعي بين القبائل الجوار والحلف والولاء وكلها تتيح للفرد الانضمام إلى قبيلة غير قبيلته. مما نشأ معه

دخول أفراد وأسرو أفخاذ من قبائل معينة إلى قبيلة أخرى فعدت فيها وهذا ما جعل بعض الأفخاذ تتشابه بين قبيلة وأخرى علاوة على اختفاء بعض الأسماء لقبائل أخرى وظهورها بأسماء جديدة وهي لا تزال في مرابعها نتيجة لبروز اسم فخذ على الأفخاذ الأخرى حتى ينسى اسم القبيلة الأم ويظهر هذا الفخذ مكانها.

إن مجتمع نجد يعود في غالب أصوله إلى قبائل معروفة النسب ويمكن إرجاعها إلى أصولها العربية القديمة التي تتوقف على معرفة أصول القبائل الحديثة وهذا ما جعل سكان نجد يعدون من أنقى السلالات العربية الخالصة أما تلك الفئات العربية الأصل سواء النجدية منها أم غير النجدية التي وفدت من أقطار الجزيرة العربية خارج نجد والتي جهلت أنسابها أو تجوهلت تحت أي سبب من الأسباب إذ كان تجاهل النسب لدى النجديين قديمًا وحديثًا يعود لعدة أسباب:

١- طول فترة الاستيطان والارتباط بالأرض نتيجة لبروز وتكثف ظاهرة التحضر في المجتمع النجدي منذ القرن السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين حيث برز في تلك الفترة تعمير عدد من البلدان النجدية ابتداء أو إعادة عمران وهذا ما جعل الانتساب إلى الأمكنة أوضح من الانتساب إلى القبائل عند بعض الأسر النجدية، وهذه ظاهرة طبيعية تمت مع نمو تلك البلدان، كما قد يكون للسبي أثره حيث يعامل أبناء السبايا معاملة دونية النظرة في حالة التصاهر مع أنهم لا يقلون عن سواهم وإن لم يبذوهم وقد حدث هذا منذ زمن بعيد وبقيت رواسبه وعن هذا يقول حاتم بن عبد الله الطائي:

وما أنكحونا طائعين بناتهم ولكن خطبناها بأسيافنا قسرا!

إلى أن قال:

وكائن ترى فينا من أبن سبية إذا لقي الأبطال يطعنهم شزرا

ويأخذ برايات الطعان بكفه فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

أغر إذا أغبر اللثام رأيته إذا ما سرى ليل الدجى قمرًا بدرًا

٢- عامل اقتصادي يتمثل في الدَّيْنْ والهروب منه والاختفاء كما فعل راشد الخلاوي عندما قال:

تخلويت مديون للأشياء خامد والدين شين والمدايين طالبه

فاخترت لي اسم الخلاوي صيانة عن كل ما تخشاه نفسي وفات به

٣- قد يكون مطلوبًا بثأر قدم من قبيلته أو من حولها فيهرب ويخفي نسبه وموطنه حتى عن أولاده الذين ينشأون جاهلين لأصلهم وقد يحتاج للعمل لدى إحدى الأسر بأي عمل فيعد مجاورًا أو محالفًا وما دام أنه لا يعرف أصله فلا أحد يزوجه ومن ثم يتزوج من أي طبقة.

٤- قد يكون لديه طموح قيادي وهو ليس من أسرة المشيخة المتوارثة ولا يحصل له تحقيق هذا الطموح فيهرب منهم ويزدري أصلهم كما قال الشاعر:

لبق مع (....) والأصل ما بيه لا سايل عني ولاني بسايل

نويت أهوم وكافل العبد واليه والبعد طبٌ للقلوب الغلايل

٥- النظرة الاجتماعية المتباينة نوعًا ما بين المستوطنين القدامى للبلدان النجدية والقادمين الجدد إليها مما غذى ذلك التقسيم في حاضرة نجد، إذ أن تملك

القدامى للبلد جعلهم يشعرون بنوع من السمو الاجتماعي أما الوافدين الجدد لا يمنعهم من الاستيطان معهم وإنما يبرز هذا التعالي في قضية الزواج.

أ- المهور: كانت مهور النساء عند انبثاق الدعوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وفي العهد الراشدي والأموي كما يلي:

١) مهر الفتاة كحد أعلى مئة ناقة وقيمة الناقة آنذاك ٢٥ درهمًا (أي أن المهر يساوي ٢٥٠٠ درهم). وكان المحلق(وهو عبد العزى بن ختنم بن شداد بن ربيعة بن عامر بن صعصعه) لديه أخوات فأشاد أحد الشعراء بالمحلق ولم يمض طويل وقت حتى تزوجن جميعًا فأيسر المحلق من مهور أخواته.

٢) وقد طلبت إمرأة من قيس بن ثعلبة من الشاعر أبي النجم العجلي التميمي أن يذكر بنتًا لها جاوزت سن الزواج.

٣) أعطى الفرزدق إمرأة تزوجها من بني ذهل بن شيبان مئة من الأبل.

٤) أعطى محمد بن سيرين مهر زوجته من بني سدوس عشرة آلاف درهم (٤٠٠) بعير.

٥) وتزوج يحيى بن أبي حفصة ابنة إبراهيم بن النعمان بن بشير الأنصاري على عشرين ألفًا فعيره الناس على تزويج ابنته ليحيى فقال:

ما تركت عشرون ألفًا لقائل مقالاً فلا تحفل مقالة لائم

فإن أكن قد زوجت مولى فقد قضت به سنة قبلي وحب الدراهم

وهو يشير بذلك إلى زواج بلال بن رباح من ابنة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وزواج أبو وداعة من ابنة سعيد بن المسيب المخزومي، وزواج سالم غلام أبي حذيفة من ابنة أبي حذيفة وغيرهم.

٦) يحيى بن أبي حفصة وهو من أجود الناس وأكثرهم مالاً جعل مهر خولة بنت مقاتل بن طلبة المنقري التميمي أثوابًا وكسوة ودخل بها في حجر فقال الشاعر:

لم أر أثوابًا أجر لخزية وألام مكسوًا وألام كاسيًا

من الخرق اللاتي صببن عليكم بحجر فكن المبقيات البواليا

وقد يكون المهر نخلاً، فقد عقد نعمان بن سوار المرائي قران واصل بن حصين الربعي بحنة بنت عديس على أربعين نخلة.

ب- الولائم:

أولم أبو صدقة المازني في زواج ابنه بعشر جفان من الثريد ولحم الإبل والثريد خبز يفت ويبل بالمرق ويجعل فوقه اللحم.

وقد شاهد الشاعر ناهض بن ثومة من بني كلاب حفلة زواج فيها من ضروب وأطايب الطعام ما أدهشه.

ج-التحضير للزواج:

تحضر الخاضبات للمرأة قبل زفافها لينقش على كفيها الخضاب وتنثر العطور على رداء العروس الذي تتميز به وقد يكون الرداء من الحرير، وقد

يكون طويلاً فتجره من خلفها وقد تكون ثياب العروس مصبوغة بالزعفران وتشم عادة رائحة الطيب من ملابس الرجل أيام الزفاف.

الجانب الثقافي:

أ- اجازات العلماء:

مع أن هذه المنطقة كانت مهد الثقافة ومنبع اللغة العربية حيث أنجبت فحول الشعراء قبل بزوغ فجر الإسلام واستمرت مركز الثقل بعد انبثاق فجر الإسلام لبضعة قرون تالية، غير أن هذا المعين الذي تناقص فيضه شيئًا فشيئًا ولم نكد نرى منه ما يلفت النظر بعد انقضاء القرن الثالث الهجري فكانت المنطقة معين اللغة المساعد للقرآن الكريم وكان خلفاء بني أمية وبني العباس يرسلون أبناءهم إلى هذه المنطقة ليتعلموا العربية أو يحضرون لهم مربين من أهلها أو ممن عايشهم وعاصرهم وحفظ أشعارهم وأخبارهم طيلة القرون الثلاثة الأولى ثم تلاشت هذه الصورة بعد انتشار العامية في أواخر القرن الرابع الهجري على ما رواه الهجري عندما زار المنطقة آنذاك وذكر الفصاحة واللحن والجانب الثقافي الذي احتفظت به المنطقة هو الجانب الثقافي الإسلامي وذلك بفضل ما حفظه القرآن الكريم والسنة المطهرة بهذه المنطقة حيث استمر طيلة هذه القرون التي يكتنفها الغموض في كثير من جوانبها لكي يتبين منها بوضوح الثقافة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة وهذا يدل على رسوخ الدين الإسلامي في المنطقة كما أسلفنا هذه الثقافة التي تنشط وتفتر بين الحين والآخر وقد نشطت في بداية القرن العاشر الهجري حين وجدت المراكز العلمية وشهدت المنطقة رحلات

العلماء وطلاب العلم بين مدن هذه المنطقة وخارجها إلى مناهل العلم سواء أكان في الجزيرة العربية في مكة والمدينة والأحساء أو خارجها في البلاد الإسلامية كالشام ومصر، حين تشهد من المراكز العلمية التي نشأت يومئذ وكان أقدمها في بلدة أشيقر حيث عرفت كمركز للتعليم في القرن التاسع الهجري – الخامس عشر الميلادي، وفي القرن العاشر عرف عدد من العلماء في العيينة وقصدها طلاب العلم للأخذ من هؤلاء العلماء كما تحدثت المصادر في أوخر هذا القرن عن ظهور عدد من العلماء في بلدة مقرن (الرياض) وعنيزة القصيم فإذا وجدوا ما يروي ظمأهم في هذه المراكز في نفس المنطقة وإلا رحلوا إلى المناطق المتاخمة لها في الجزيرة العربية بمكة المكرمة والمدينة المنورة والأحساء وإذا أرادوا الاستزادة رحلوا إلى مصر والشام ومن هؤلاء الرواد الذين سلكوا هذا السبيل على سبيل المثال لا الحصر ممن رحل إلى مصر الشيخ زامل بن سلطان الخطيب المتوفي عام ٩٦٩هـ ١٥٦٢م رحمه الله والشيخ محمد بن إبراهيم بن حميدان المتوفي عام ١٠١٤ هـ ١٦٠٥م رحمه الله وغيرهم ومن أشهر من رحل إلى الشام الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة المتوفي عام ٩٤٨هـ ١٥٤١م والشيخ حسن بن علي بن بسام المتوفي عام ٩٤٥هـ ١٥٣٨م والشيخ أحمد بن محمد بن مشرف المتوفى عام ١٠١٢ هـ ١٦٠٣م رحمهم الله جميعًا.

(١٦) عرف عدد من العلماء في كل من العيينة وقصدها طلاب العلم للأخذ عن هؤلاء العلماء كما تحدثت عن المصادر في أواخر هذا القرن عن ظهور عدد من العلماء في بلدة مقرن الرياض وعنيزة ومن المراكز التعليمية القريبة من منطقة نجد مكة المكرمة والمدينة المنورة. والأحساء وإن تكن الأحساء

آخر هذه الثلاث ظهوراً إذ عرفت في القرن العاشر الهجري (١٦)م. أما خارج الجزيرة العربية فكان طلاب العلم يرحلون إلى الشام ومصر؛ وكان من عادة العلماء أن ينتقلوا تعليمهم في بلادهم ويأخذوا عن الشيوخ فيها فإذا وجدوا أن ما لديهم من حيث العمق في المادة أو تنوع العلوم لا يرضي طموحهم ولا يروي ظمأهم شدوا الرحال لطلب العلم فبعضهم رحل إلى الشام مثل الشيخ زامل بن سلطان الخطيب المتوفى بعد ٩٦٩هـ - ١٥٦٢م والشيخ محمد بن إبراهيم بن أبي حميدان المتوفى بعد عام ٩٦٨هـ- ١٥٦١م، وبعضهم رحل إلى الشام ومن أشهرهم الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة المتوفى عام ٩٤٨هـ- ١٥٤١م والشيخ حسن بن علي بن بسام المتوفى ٩٤٥هـ - ١٥٣٨م.

والشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة الذي يعد رائد الحركة العلمية التي ظهرت في نجد في أوائل القرن العاشر الهجري ١٦م فقد رحل إلى دمشق التي كانت تغص بعلماء الحنابلة وأخذ العلم على ثلاثة من كبار شيوخ الحنابلة في تلك الفترة الذين عاشوا في القرن التاسع وأدركوا أول القرن العاشر الهجري ١٥، ١٦م وهم المرادي وابن عبد الهادي والعسكري.

علماء نجد:

إذا استعرضنا ما بأيدينا من مخطوطات ووثائق وكتب مطبوعة نجد أن هناك قرابة مائة عالم عاشوا في القرنين والنصف السابقين على ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٩٠٠ – ١١٥٠هـ – ١٤٩٤ – ١٧٣٧م.

ويعد الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة التميمي رائد الحركة العلمية التي ظهرت في هذه المنطقة في أول القرن العاشر الهجري- السادس عشر الميلادي فقد رحل إلى

دمشق التي كانت تغص بعلماء الحنابلة وأخذ العلم عن ثلاثة من كبار شيوخ الحنابلة وهم الشيخ علي بن سليمان المرداوي ٨٢٠- ٨٨٥ هـ ١٤١٧-١٤٨٠م والشيخ يوسف بن حسن بن عبد الهادي ٨٤٠ - ٩٠٩ هـ ١٤٣٦- ١٥٠٣ م والشيخ أحمد العسكري الصالحي المتوفى عام ٩١٢ هـ ١٥٠٧ م رحمهم الله أما العلماء الحنابلة الذين درس عليهم علماء نجد في مصر الشيخ أحمد بن عبد العزيز الفتوحي المعروف بابن النجار ٨٦٢-٩٤٩ هـ ١٤٥٨- ١٥٤٢م والشيخ موسى بن أحمد بن موسى الحجاوي المتوفى بدمشق عام ٩٦٨هـ ١٥٦٠م والشيخ مرعي بن يوسف الكرمي ١٠٣٣ هـ ١٦٢٤ م والشيخ منصور بن يونس البهوتي المتوفى ١٠٥١هـ ١٦٤١ م والشيخ محمد بن أحمد الغيطي الأسكندري المتوفى عام ٩٨٣ هـ أو ٩٨٤ هـ ١٥٧٦ م وغيرهم رحمهم الله جميعًا.

وممن حصلوا على إجازات علمية من خارج الجزيرة العربية:

١-الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة فقد حصل على ثلاث اجازات من مشائخه المرداوي وابن عبد الهادي والعسكري.

٢- الشيخ حسن بن علي بن بسام الذي حصل على اجازة من شيخه موسى الحجاوي.

٣-الشيخ زامل بن سلطان الخطيب وقد أجازه شيخه ابن النجار في مصر وشيخه الحجاوي بدمشق.

٤-الشيخ محمد بن ابراهيم بن حميدان وقد أجازه شيخه الحجاوي في دمشق وشيخه الغيطي بمصر.

آثار العلماء في هذه المنطقة فقد كان فيها من العلماء في القرنين والنصف السابقين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ٩٠٠- ١١٥٠ قرابة مئة عالم ومن آثارهم في الفقه ما يأتي:

أ- كتاب الروضة الأنيقة.

ب- كتاب عقيان القلائد ودرر الفوائد.

حـ- كتاب التحفة البديعة.

د- كتاب القواعد.

٢- الشيخ اسماعيل بن رميح بن جبر العرني المتوفى حوالي ٩٧٠ هـ ١٥٦٢م.

أ- كتاب المجموع الذي طبع باسم التحفة حسبما جاء عند ابن بسام.

هكذا نرى هذه المنطقة تعمر بالثقافة الإسلامية التي بقيت فيها منذ أن انبثق فيها الاسلام وهي تنشط وتفتر بين الحين والآخر كما سبقت الإشارة إلى ذلك وقد نشطت في القرن العاشر الهجري وما بعده مما يجعلنا نشك في قول من قال إن هذه المنطقة في تلك الفترة كانت تعيش حالة مربكة تعج بالمعتقدات والخرافات والأضاليل وهي على عكس ذلك عامرة بالثقافة الإسلامية يقطع أبناؤها بطون البيد في أقاصي الأرض طلبًا للعلم والثقافة وبالأخص الثقافة الإسلامية وعلى الأخص المذهب الحنبلي حسب ما أطلعنا عليه حتى الآن هذه الثقافة تتوزع على ما يلي:

أ- القضاء:

يحتل القضاء مركزًا مهمًا في الوظائف الثقافة الاسلامية فالقاضي إلى جانب دراسته للعلوم الإسلامية من علوم القرآن الكريم والسنة المطهرة من فقه

فرائض وتوحيد فإنه يدرس إلى جانبها علوم العربية من نحو وصرف وبيان وأدب وشيء من الحساب مما هو متعلق باختصاصه والقاضي في هذه الحالة على جانب كبير من الثقافة الإسلامية والعربية التي تؤهله من الاضطلاع بالمهام الموكلة إليه ويشغل القاضي منصبًا مهمًا في الكيان الذي يبت في الأمور المهمة من الناحية الشرعية فيه ويتعرض لقضايا الناس من قمة الهرم إلى قاعدته يتقاضى عنده أرفع الناس مركزًا أو مكانة مثلما يتقاضى عنده أدنى الناس مكانة، يعرف قبل غيره الكثير من مشاكل الناس والبلد بكامله ويحل كل كبيرة وصغيرة من وجهة النظر الشرعية سواء ما يأتي حله على النص القرآني أو السنة المطهرة أو الاجتهاد الصائب، فالقاضي مهمته صعبة ومركزه مرموق يتولى شئون الناس في الجانب الشرعي من البت في الخصومات وحل مشاكل الناس وقسمة المواريث والممتلكات والأموال بين الناس إلى جانب عقود الأنكحة والطلاق وكتابة المبايعات والاتفاقيات بين الناس وغير ذلك فهو وإن كان شخص واحد بعينه فإنه يقوم بعدد من المهام التي تنوء بحملها في الوقت الحاضر عدد من الوزارات والمصالح الحكومية فهو غالبًا ما يكون خطيب المسجد الجامع، ويتولى مهمة التدريس في المسجد أو في منزله، يتعلم على يده طلبة العلم الذين قد يواصلون تعليمهم حتى يصبحون قضاة مثله أو يتحولون إلى معلمي صبيان، والقاضي غالبًا ما تكون صلته برئيس السلطة مباشرة سواء أكانت سلطة مدنية أو زعامة قبلية وقد يعلو شأن القاضي في تعليم طلبة العلم متى بلغوا المرحلة التي تؤهلهم للدراسة على يديه فبعد أن ينتهوا من الدراسة المبدئية على أيدي المعلمين ويختمون القرآن الكريم ويجيدون الكتابة يبدأ تدريسهم علوم

العقيدة بفروعها والفقه بفروعه والعربية بفروعها ويجري لهم اختبار على هذه المواد سنة بعد أخرى ويسمح لمن نجح منهم بالانتقال إلى مرحلة أخرى حتى يقرأ عليه ويجتاز الامتحان من أمهات الكتب ذات الاختصاص ويصبح مؤهلاً لمرحلة أعلى حتى يصل الفرد أو الأفراد إلى المرحلة التي تؤهل الواحد منهم للاضطلاع بمهمة القاضي وعند ذلك يعطي القاضي من يصل إلى هذه المرحلة أجازة القضاء. هذه الاجازة التي أخذها الغرب من علماء المسلمين في أوقات متأخرة لما يسمى (License) وأطلقوها على شهادة الجامعة كثير من التخصصات وهي في الأساس عند علماء المسلمين منذ القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي بأنواعها المختلفة، بعد أن يمنحها القاضي وإلى جانب التعليم الخاص شبه النظامي الذي يقوم به القاضي والذي سبقت الإشارة إليه هناك مهمة أخرى وهي الإشراف أو إدارة حلقات الذكر التي تعقد في المساجد وهي مفتوحة لجميع الناس لمن ينشد الفائدة من علماء الدين الذين يحضرون هذه الحلقات وتدور هذه الحلقات في إطار التفقه في الدين والاستماع إلى ما يدور فيها من أسئلة وأجوبة وما يحدث به المحدث من أحاديث وما يجرى عقب ذلك من نقاش حول ما دار في هذه الجلسة أو تلك وما قد يدور فيها من المناظرة بين شيخ وآخر في مسائل يستفيد منها جمهور الحضور وعادة يدير القاضي أو من ينوب عنه أو من يرى في نفسه الكفاءة لإدارة مثل هذه الحلقات وهكذا القاضي في ذلك الوقت يقوم بمهمة وزارة العدل ووزارة التعليم العالي ووزارة الأوقاف وإدارة الإرشاد وهو شخص واحد ولذلك فلابد أن يكون على مستوى جيد من التحصيل والمدخر العلمي الشرعي والثقافي الذي يؤهله لذلك.

ب- التعليم المبدئي:

يتكون التعليم المبدئي أو الأولي من تعلم القراءة والكتابة ويتركز هذا التعليم على القرآن الكريم بعد دراسة الأبجدية وتعلمها وتعلم شيء من الحساب والإملاء وهذا التعليم يتم على يد المعلم، ولا يقتصر التعليم على فترة معينة أو سن معينة فكل من أنس في نفسه الرغبة في التعليم من الصبية والغلمان ومن كانت لديه المقدرة على دفع أجرة المعلم الذي يقوم بهذه المهمة على حسابه الخاص في جزء من منزله أو أمام المنزل أو في جزء من المسجد أو ربما في بيت أو بنية أو حوش مجاور لمنزله يستعيره أو يستأجره من صاحبه ليدرس فيه طلابه إذا كان منزله ضيقًا لا يتسع لهم ويدرس المعلم أو (الخطيب) أو (المطوع) كما كان يسمى يدرس هؤلاء الطلاب مقابل مقدار من الطعام على الأغلب كالقمح والشعير والذرة والدخن والتمر عن كل شهر أو عن فترة من السنة ومدة السنة الدراسية ليست محدودة فهي من ساعتين إلى ثلاث ساعات يومياً في الصباح وساعة أو تزيد بعد صلاة العصر حتى قبيل أذان المغرب على طول السنة عدا أيام الجمع وعيدي الفطر والأضحى وما عداها فكل العام وقت دراسة غير أن المعلم يمكن أن يوقف الدراسة لفترة معينة حينما يعن له سفر أو أمر مهم أو يلم به مرض وغير ذلك من العوارض تتوقف أيامًا أو أسابيع دون أن يكون هناك أي التزامات للمعلم أو عليه وبمعنى أخر فإن هذا المعلم هو الكل في الكل بلا أحد يعينه أو يدفع له شيئًا أو يراقبه من قبل سلطة أو سلطان وإنما يدرس طلابه متى كان متواجدًا لا التزام عليه وحسب حاجته إلى المردود المادي الذي يأتي إليه من أولياء أمور هؤلاء الطلاب، هذه الأجرة أو المكافأة التي تدفع للمعلم في

الغالب من المواد الغذائية كما أسلفنا قد تدفع نادرًا من النقود إلا من التجار وقد يحصل المعلم من ميسوري الحال الذين يدرس أبناءهم عنده بعض المكافآت الإضافية كالأكسية وغيرها في المناسبات أو عندما يقطع أبناؤهم مراحل معينة من القرآن مثل منتصف المصحف أو عندما يختمونه، كما يحصل على هدايا رمزية تقديرية أو عينية ممن يحبون أبناءهم حبًا مميزًا ويرجون أن ينالوا قسطًا وافرًا من التعليم علهم أن يصلوا إلى المراحل العليا فتكون هذه الهدايا بمنزلة الحافز التشجيعي للمعلم أن يوليهم رعايته أكثر وعناية أعمق حتى يصلوا إلى هذا المستوى، أما وسائل التعليم فلا تعدوا عن مصحف أو مصاحف مخطوطة عند المعلم ونسخ مخطوطة من حروف الأبجدية والكلمات المترتبة عليها ودفتر للحساب وربما أخر للأملاء هذه النسخ تكون عند المعلم أو من يستطيع شراء نسخة ونسخة المعلم يملي منها على طلابه آيات محدودة أو قطع محدودة ويكتبونها على ألواحهم الخشبية ثم يبدأون يرددونها بعد المعلم يقرؤونها بصوت جماعي أو فردي ومتى حفظوا ما في هذه الألواح بدأوا يُسَمِّعُون المعلم واحدًا واحدًا هذا الجزء الذي درسوه ومن يتقنه من هذه المجموعة يمكن أن يملي عليهم آيات أو جزء جديد ويبقى من لم يجيدوا الجزء حتى يتقنوه أما الطلاب فليس معهم على الأغلب سوى الألواح الخشبية التي غالبًا ما تكون من خشب الأثل بطول حوالي من ٤٠- ٥٠ سم وعرض ١٥- ٢٥ سم وسماكة ٢-٣ سم حسب مقاييس اليوم وفي أعلى اللوح مقبض من نفس جسمه على هيئة رقبة بأعلاه ثقب ينظم فيه خيط يساعد على حمله أو تعليقه بعيدًا عن متناول الصغار أو عند نشره ليجف بعد طلائه بالمادة الجبسية المبيضة التي يطلى بها بين الحين

والأخر وبعد نهاية كل درس ليتحول إلى اللون الأبيض ويصنع الطلبة الحبر بأنفسهم أو يصنعه المعلم من عناصر محلية من حب شجر الرال + قشور ثمر الرمان+ الصمغ بكميات متناسبة إذا أريد من الحبر أن يكون أزرق داكنًا أما إذا أراد أن يكون أسود فيصنع من قشور ثمر الرمان + سناج القدر أو الصاج أو الفحم المسحوق + الصمغ وقد تستعمل مواد أخرى حسب كل بقعة وتتم الكتابة في المنزل على الأغلب ولا يحضر الطالب معه سوى هذا اللوح الخشبي وما كتب عليه مع المحبرة إن كانت هناك مادة إملاء ويمكن الاستعانة بمحبرة المعلم إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وبأمر استاذه الشفهي يمسحه في اللون الأبيض ويكتب عليه في اليوم التالي الآيات الجديدة أو القطعة المحددة، وقد خول المعلم لنفسه صلاحية تأديب الصبية وحثهم على الدراسة وربما معاقبتهم إذا لم يدرسوا جيدًا وقد يصل الأمر إلى القسوة في العقوبة وقد يفوض المدرس من قبل والد الطالب بأن يعاقبه إذا قصر في دروسه وأداء واجباته المدرسية وهكذا فإن هذا المعلم الذي يعد طلابه للمرحلة القادمة من التخصص في الدراسة العليا على يد الشيخ أو القاضي والتي تؤهله لمهام أكبر كما يكون على يده تخريج الذين يستطيعون قراءة القرآن الكريم ويكتبون، ويتركز تعليمهم على قراءة القرآن الكريم وهذه الدراسة مع عدم عمقها إلا أنها قد لا تخلو منها قرية أو بلدة أو مدينة التي قد يوجد بها أكثر من معلم ومع طول الوقت واستمرارية العمل الذي أصبح عاملاً مهمًا لانتشار الثقافة الإسلامية التي تتركز على القرآن الكريم قراءة وكتابة في المرحلة الأولى ثم تنتقل في المرحلة الثانية إلى العلوم الشرعية، كما أن للمرونة التي يمنحها المعلم لطلابه لمن ألم به ظرف طارىء أو كان لديه عمل

مهم أدى إلى انقطاعه عن الدراسة فترة معينة فإنه متى رأى نفسه وقد زال عنه هذا الظرف أو انتهى من هذا العمل فإن بامكانه العودة إلى المعلم والبدء من حيث انتهى في الفترة السابقة حتى يكمل ختم القرآن الكريم، وإن رآه قد تزود خلال هذه الفترة فيمكنه أن يعود معه إلى الجزء الذي يستطيع اتقانه وينطلق منه إلى نهاية المصحف، هذه المرونة بدون عوائق أو عوائر في فترة معينة إضافة إلى ذلك فإن المعلم قد يستمر في عمله إلى سن متأخرة من عمره قبل أن يبلغ الثمانين أو تزيد متى كان نشيطًا وقادرًا على العطاء ولهذا نرى أن التعليم للمواد الإسلامية هو السائد في هذه المنطقة على ما فيه من بدائية لكنه موجود.

نجد ملهمة الشعراء ومهدهم الأول

لو أمعنا النظر لوجدنا معظم شعراء العربية فيما قبل الإسلام في العهد الجاهلي وصدر الإسلام من هذه البقعة فقد أنجبت مئات الشعراء ومنهم فحول الشعراء وأصحاب المعلقات المشهورة الذين ولدوا فيها وعاشوا بداخلها وفي تخومها، ابتداء من أمرىء القيس بن حجر الكندي، وعمرو بن كلثوم التغلبي، والحارث بن حلزة اليشكري، وطرفة بن العبد البكري، وزهير بن أبي سلمى المزني، ولبيد بن ربيعة العامري، وعنترة بن شداد العبسي، والنابغة الذبياني، وعبيد بن الأبرص الأسدي، والأعشى بن ميمون بن قيس، فشعراء نجد هم الذين أخذ عنهم الرواة اللغة، قال عمرو بن العلاء وأبو عبيدة والأصمعي:(والعرب لا تروي شعر عدي بن زيد العبادي التميمي لأنه عاش في الحاضرة في الفرات ولم يعش في نجد، وألفاظه غير نجدية) وقال : (إنه من الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجرى مجراها) وكذلك الحال في شعر (أبي داؤد الأيادي لأن ألفاظه ليست نجدية).

وقد ألهم صباها وهواها ومروجها وجبالها وحزومها وحزونها وأنفادها ورياضها وفياضها وقيعالها وحمادها وشيحها وقيصومها وعبيثرانها، وأقحوانها ونفلها وخطيمها وخزاماها وبانها وعرارها وغضاها ورمثها وحمضها وأثلها وطرفائها، وظباها وغزلانها ومهاها وحمر وحشها وخشوفها وخيولها وإبلها وطيورها الصداحة هذه العناصر وغيرها من الكائنات الحية والمعالم والنباتات الطبيعية قد ألهمت الشعراء العابثين واللاهين والمرحين غرر قصائدهم الرائعة التي

بقيت تنبض بالحياة وتعج بالحيوية والنشاط كما صهرت قساوتها وشدتها وعميق التجربة فيها الحكماء منهم فبقيت قصائدهم تتجسد فيها الحكمة والمثل السائر الذي بقى حقيقة شاخصة تنطبق في كل زمان ومكان على مختلف شئون الحياة.

بالإضافة إلى ذلك إسهام الشعراء النجديين بسوق عكاظ (التي تقع على عدوة من ماءه يقال لها نقعاء بئر لا تنكف، قال محمد بن حبيب: عكاظ بأعلى نجد قريب من عرفات، وأرضها لبني نصر واتخذت سوقًا بعد الفيل بخمس عشرة سنة أي ٥٨٥م، ويبدأ سوق عكاظ صبح هلال ذي القعدة عشرين يومًا وسوق مَجَنَّة عشرة أيام؛ وقال محمد بن سهل: من مخالف مكة النجدية عكاظ وتربة وبيشة وتباله، وكانت عكاظ سوقًا للعرب في الجاهلية تقام بموضع يقال له الأثيداء، وبها رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قس بن ساعدة الإيادي، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتردد لنشر دعوته للإسلام، وقد وقع بعكاظ وقائع مَرَّةً هي أيام الفجار قال دريد بن الصمة:

تغيبت عن يومي عكاظ كليهما وإن يك يوم ثالث أتغيب

وإن يك يوم رابع لم أكن به وإن يك يوم خامس أتجنب

وهذه الوقائع هي يوم شمطة، ويوم العبلاء، ويوم شرب، ويوم الحريرة.

وكانت عكاظ سوقًا تجاريًا وأدبيًا وسياسيًا وحربيًا حيث يلتقي فيها الشعراء والخطباء والفرسان ورؤساء القبائل يُحَكِّمُونَ كل عام شاعر من كبار الشعراء أو خطيبًا من أفصح الخطباء والبلغاء ليتولى الحكم على من في السوق

من الشعراء والخطباء كما يجري فيها التفاخر حيث يحضرها زعماء القبائل فيدلي كل واحد منهم بما وصلت إليه قبيلته وكان للشعراء النجديين دوراً هاماً في هذا السوق حيث يمثلون العمودي الفقري فيه فهم أغلب شعرائه، ومنهم الحكَمُ في أكثر الأحيان، ولوجودهم أثر كبير في تدفق اللغة العربية الفصحى من هذا المنبر الثقافي والسياسي والتجاري والحربي والاجتماعي الهام حيث تجتمع فيه الصفوة من زعماء القبائل وفرسانها وشعرائها من مختلف أصقاع الجزيرة العربية. هؤلاء الشعراء الذين يعدون بالمئات وربما بالآلاف ولا غرابة في إيراد هذا الرقم إذا علمنا أن قبيلة كطيء مثلاً يوجد فيها ٢٢٠ شاعراً منهم ٧٤ شاعراً وشاعرة قبل الإسلام و ٧٢ شاعراً إسلاميًا بالإضافة إلى ٧٤ شاعراً وشاعرة مجاهيل الأسماء والعصور من جاهليين وإسلاميين ممن عرفوا بألقابهم ولم يهتد أحد إلى عصرهم وأسمائهم، فإذا كانت قبيلة واحدة قد نبغ منها هذا العدد من الشعراء فيمكن أن تقاس عليها القبائل الأخرى كتميم وأسد وعامر وعبس وذبيان وغيرها، وإذا كان من تغنوا ببعض المعالم في هذه البقعة بأبيات من قصائدهم وأوردت شواهد من أبياتهم في هذا البحث تبلغ المئات من الشعراء والشاعرات، فهذه المنطقة منبع الشعر ورافد هام من روافد اللغة العربية في الجاهلية وصدر الإسلام، وموطن للفصاحة العربية كما أشار إلى ذلك أبو تمام بقوله:

ومن شك أن الجود والبأس فيهم كمن شك في أن الفصاحة في نجد

سواء فيمن انتقل من شعرائها خارجها إلى الحواضر العربية الإسلامية في العهد الراشدي والأموي والعباسي أو من بقي فيها وإذا كانت بقعة كهذه تعج بهذه الأعداد الهائلة من الشعراء الذين يمثلون مختلف القبائل حيث دون لها ٣٢ ديواناً

لقبائلها وتمثل ٥٤% من دواوين القبائل العربية البالغة ٦٠ ديوانًا غير ما ضاع منها ولم يدون ممن قد عفى عليه الزمن من شعرائها وأشعارهم منذ عهد الأفوه الأدوي، هذه الدواوين التي تحتوي على ذخيرة هائلة من مفردات اللغة العربية قد نحتها أولئك الشعراء وصاغوها في قصائدهم معبرين بها عما تكنه جوانحهم من لواعج الشوق أو الحزن أو العواطف الجياشة نحو من يحبونهم، أو نظرتهم لتفاعلات الحياة من حولهم بما فيها من سلبيات وإيجابيات أو وصفهم للمحسوسات التي تقع عليها أعينهم، وتجسيد النواحي الجمالية في هذه المحسوسات، ورسمهم لمعالم الطرق والأمكنة التي يحتاجونها في أمورهم الحياتية، والحكم والأمثال التي صاغوها من عنصر التجربة في معترك الحياة الفعلية أو الطموحات التي يتطلعون إليها ويرومون تنفيذها، أو الأماني التي تدغدغ أخيلتهم ويصبون إلى تحقيقها، كل هذه التفاعلات التي أبرزها هؤلاء الشعراء في هذه المنطقة كانت انعكاسًا واضحًا لحياتهم، ورافدًا ثرًا لينبوع اللغة العربية الفصحى وقد استعان بها اللغويون كشواهد عند تدوين اللغة العربية في العصرين الأموي والعباسي وما بعد ذلك.

وقد بقيت نجد مثار الإعجاب على مر القرون والعصور وحتى في وقتنا الحاضر وقد قيل فيها من الشعر ما لم يقل في أي بقعة من الأرض ولا غرو في ذلك فكما تقدم هي منبع الشعر العربي ومنبت الشعراء الفحول، وبالمناسبة لا تفوتني أن أذكر ما حدث ذات ليلة حيث تساءل شيخنا الجليل علي الطنطاوي رحمه الله في برنامجه التلفازي عن السر الكامن في نجد حتى قيل فيها ما قيل من الشعر الذي لم تحظ أي بقعة من العالم العربي والإسلامي بمثله ومع أن شيخنا

واسع المعرفة والإطلاع وله كتيب عن نجد إلا أنه ربما غابت عنه ساعتها أن هذه البقعة قد تفجر منها معين الشعر العربي الصافي، وكان لهذا الحديث صدى في نفسي عبرت عنه بما يلي:

وشيخ تساءل في لهفة مساءلة الواله المطرق

لماذا على نجد هذا الثنا يزيد على الحد والمنطق

بكل العصور لها حضوة حديثا وفي الغابر المعرق

له الحق فيما تراءى له فأسرارها صعبة المفتق

فلم ير منها شموخ الجبين ومجدًا يلوح على المفرق

ولم يتلذذ بها نكهة ويرشف من طعمها الريق

ولم يتضلع بأنسامها عبير الحياة العليل النقي

وما شم بَنَّةَ أردفها شذى الشيح والعرفج المورق

ونفح الخزامي بحق الكثيب وأنفال من روضها المعبق

إذا الأقحوان يعج الندى يناغي الضياء من المشرق

وقد ضمخت نسمات الصَّبا أزاهير من طَلّها تستقي

ولم يطوه في الشتا حضنها لُيَيْلَةَ من بردها نتقي

ولم يلتحف خد بطائحها إذا علها السيل من مغدق

وما التف في لين كثبانها سُحَيْرًا وفي الليل ما قد بقي

إذا ضحكت مثل خود لعوب تُشَوِّفُ بالحسن والرونق

بشوش هنوف لعشاقها يهيمون في وجهها المشرق

تداعبهم بابتساماتها وتوعدهم، ها هنا نلتقي

وتمنعهم عن بلوغ المرام فتحذهم بالسنا الشّيّقِ

وإن عطفت مثل أم رؤوم تفدّي بمهجتها من تقي

تضم بنيها على صدرها تذوب حنانا لمن تنتقي

تلف سواعدها خلفهم ملاطفة الواله المشفق

تنافح عنهم . بأزنادها فتعصف بالخطر المحدق

وإن ساعة قطبت بالجبين تناور في صمتها المطبق

وتنساب من شزر نظراتها سهام كرمي الشظى المبرق

فذاك عتاب لابنائها إذا كان منهم فريق شقي

فتقسوا عليهم لارشادهم إلى المسلك الواضح الأبلق

لتصهر منهم رجالاً شدادًا يُصَفُّونَ من صقلها المحرق

فكم أنجبت من دهاة الرجال كماة ومن فتية سُبَّقِ

يميلون قدرًا بوزن الجبال كرام السجايا بهم تلتقي

وكم ولدت طيبات البنات بمنبت طهر وجيب نقي

يقمن مقام الرجال العظام بأمثالهم نجدنا ترتقي

فتلك مآثرها جملة ويقصر عن حصرها منطقي

لا شك أن هذا التعبير المتواضع لا يمثل سوى رؤية شخصية محدودة لا تمثل شيئًا يذكر مما كانت عليه نجد منذ أقدم العصور وحتى وقتنا الحاضر.

الناحية الفكرية:

تنوع الحياة الفكرية في هذه المنطقة تنوعًا شاملاً بحيث تلم بكثير من جوانب الحياة الفكرية التي تعتبر في ذلك الوقت لها وضع مميز ومن هذه التفرعات وأشهرها:

١- منتديات السمر:

ومن أشهر منتديات اليمامة، نادي بني حنيفة وأشهر من تَصَدَّرَهُ قتادة بن مسلمة بن عبيد بن يربوع بن الدول بن حنيفة، وكان من قادة ربيعة المشهورين، ومن كرام بني حنيفة وسادتها، وكان أهل اليمامة يحرصون على حضور المنتديات وما يدور فيها من أحاديث الكرم والشجاعة، وقد حن إلى هذه المنتديات في بلدته أُشَيٍّ الشاعر زياد بن منقذ العدوي التميمي وهو في صنعاء باليمن حين قال:

يا حبذا حين تمسي الريح باردة وادي أشي وفتيان بهم هضم

مخدمون ثقال في مجالسهم وفي الرحال إذا صاحبتهم خدم

٢- مجالس العلماء:

بقي المسجد يؤدي رسالته في نشر الوعي الديني والثقافي بين مرتاديه من المصلين والراغبين في المعرفة والعلم فتعددت مجالس العلماء في المساجد وكثرت حلقاتها، وقامت باليمامة حركة نشطة لرواية الحديث ونشره، انطلقت من مجالس العلماء وقد وصف بعض المحدثين من أهل اليمامة بأنهم ثقات في روايتهم، وكان جامع اليمامة الكبير منارة علم ومركز إشعاع، ومن أشهر الفقهاء والمحدثين الذين يتولون آنذاك مهمة تعليم الناس وتثقيفهم منهم القضاة ومنهم المحدثون ممن هم من أصل يمامي بقي منهم في اليمامة من بقي وانتقل إلى الأمصار الإسلامية من انتقل وهم:

١- أبو أيوب بن عتبة.

٢-يزيد بن عبد الرحمن بن أذينه السحيمي.

٣-الإمام الأوزاعي: وقد تلقى علوم الحديث والفقه في أروقة جامع اليمامة:

لقد ضرب عليه بعث إلى اليمامة فجاء مع جند الشام إلى اليمامة، ثم هجر حياة الجندية، أو أنهى مهمته التدريبية وبقي في اليمامة متفرغًا للعلم.

٤-إبراهيم بن محمد بن جناح اليمامي.

٥-إبراهيم بن ناشر اليمامي.

٦-أحمد بن محمد بن عمر بن يونس اليمامي.

٧-إياس بن صبيح الحنفي.

٨-أيوب بن جابر بن سيار بن طلق الحنفي اليمامي.

٩-أيوب بن عتبة اليمامي، قاضي اليمامة.

١٠-أيوب بن محمد اليمامي

١١-أيوب بن النجار بن زياد اليمامي، قاضي اليمامة.

١٢-ثمال بن إسحاق اليمامي.

١٣-ثمامة بن أثال بن النعمان الحنفي اليمامي.

١٤-ثمامة بن كلاب اليمامي.

١٥-جارية بن ظفر الحنفي اليمامي.

١٦-جسر بن الحسن اليمامي.

١٧-جهضم بن عبد الله بن أبي الطفيل القيسي الخراساني اليمامي.

١٨-الحارث بن مرة بن مجاعة الحنفي اليمامي ثم البصري.

١٩-حجار بن سليمان اليمامي.

٢٠-الحسن بن المثنى اليمامي، البغدادي.

٢١-الحسن اليمامي.

٢٢-حضرمي بن لاحق التميمي، السعدي، الأعرجي، اليمامي.

٢٣-حفص بن عنان الحنفي اليمامة.

٢٤-حميد بن زياد اليمامي.

٢٥-حنظلة بن حذيم بن حنيفة المالكي.

٢٦-خالد اليمامي.

٢٧-خالدة بنت طلق الحنفي السحيمي اليمامي.

٢٨-خصيف بن عبد الرحمن الجزري.

٢٩-الدخيل بن إياس بن نوح بن مجاعة اليمامي.

٣٠-دهثم بن قران العقلي اليمامي.

٣١-راشد أبو سرية اليمامي.

٣٢-ربيع بن سلمة اليمامي.

٣٣-زفر بن أبي كثير السحيمي.

٣٤-زياد بن الهرماس.

٣٥-سراج بن عقبة بن طلق اليمامي.

٣٦-سراج بن مجاعة الحنفي اليمامي.

٣٧-السري بن هوذة بن قيس الحنفي.

٣٨-سلام أبو محمد الحنفي.

٣٩-سليمان بن داود بن محمد بن شعبة اليمامي.

٤٠-سليمان بن داود اليمامي.

٤١-سليمان بن محمد بن شعبة اليمامي.

٤٢-سماك بن الوليد الحنفي اليمامي.

٤٣-سهل بن عبد المؤمن بن يحيى بن أبي كثير.

٤٤-صالح بن أبي الأخضر اليمامي.

٤٥-صخر بن صدقة اليمامي.

٤٦-صلت بن إياس الحنفي.

٤٧-ضمضم بن جوس الهفاني اليمامي.

٤٨-طلق بن علي اليمامي.

٤٩-طيب بن محمد اليمامي.

٥٠-طيسلة بن علي البهدلي اليمامي.

٥١-عاصم بن شيمخ اليمامي الغيلاني.

٥٢-عامر بن يساف اليمامي.

٥٣-عبادة بن عمر اليمامي

٥٤-عبد الحميد بن سليمان اليمامي.

٥٥-عبد الحميد بن عبد المجيد الحنفي.

٥٦-عبد الحميد بن عقبة بن طلق الحنفي.

٥٧-عبد ربه بن بارق الحنفي.

٥٨-عبد الرحمن بن أذينة اليمامي.

٥٩-علي بن شيبان اليمامي.

٦٠-عبد الكريم بن مالك الجزري.

٦١-عبد الله بن بدر بن عميرة بن الحارث بن شمر الحنفي السحيمي اليمامي.

٦٢-عبد الله بن زياد اليمامي.

٦٣-عبد الله بن طلق بن علي الحنفي.

٦٤-عبد الله بن عصم اليمامي.

٦٥-عبد الله بن عمار اليمامي.

٦٦-عبد الله بن فروخ اليمامي.

٦٧-عبد الله بن محمد اليمامي.

٦٨-عبد الله بن النعمان السحيمي اليمامي.

٦٩-عبد الله بن يحيى بن أبي كثير اليمامي.

٧٠-عبد الله بن يحيى بن زيد بن النجار.

٧١-عبد المؤمن بن يحيى بن أبي كثير.

٧٢-عبد الواحد بن نافع الكلاعي اليمامي.

٧٣-عبيد بن عبد الرحمن بن عبيد الحنفي اليمامي.

٧٤-عجيبة بن عبد الرحمن بن عبيد الحنفي اليمامي.

٧٥-عكرمة بن عمار العجلي اليمامي.

٧٦-علي بن شيبان اليمامي.

٧٧-علي بن طلق اليمامي.

٧٨-عمارة بن عقبة اليمامي.

٧٩-عمر بن جابر اليمامي.

٨٠-عمر بن راشد بن شجرة اليمامي.

٨١-عمر بن عبد الله بن أبي خثعم اليمامي،

٨٢-عمر بن كثير اليمامي.

٨٣-عمر بن يونس بن القاسم الحنفي اليمامي.

٨٤-عمرو بن سعد الفدكي، ويقال اليمامي.

٨٥-عمرو بن قتادة اليمامي.

٨٦-عيسى بن خالد اليمامي.

٨٧-عيسى بن خثعم اليمامي.

٨٨- القرافصة بن عمير الحنفي اليمامي.

٨٩- قيس بن طلق بن علي الحنفي اليمامي.

٩٠- مالك بن أحيمر اليمامي.

٩١- مبارك بن أحيمر اليمامي.

٩٢- مجاعة بن مرارة بن سلمى الحنفي اليمامي.

٩٣- محمد بن إبراهيم الباهلي.

٩٤- محمد بن أيوب اليمامي.

٩٥- محمد بن سيار السحيمي الحنفي اليمامي.

٩٦- محمد بن سليمان بن محمد اليمامي.

٩٧- محمد بن مسكين بن نميلة اليمامي.

٩٨- محمد بن موسى اليمامي.

٩٩- محمد بن يزيد اليمامي.

١٠٠- مصعب بن حرموز.

١٠١- ملازم بن عمرو بن عبد الله اليمامي.

١٠٢- مهاجر اليمامي.

١٠٣- موسى اليمامي.

١٠٤- موسى بن عمير الثمالي اليمامي.

١٠٥- موسى بن نجدة الحنفي اليمامي.

١٠٦- نجدة بن نفيع الحنفي.

١٠٧- نمار بن جدي الحنفي.

١٠٨- النضر بن محمد بن موسى الجرشي اليمامي.

١٠٩- الهرماس بن زياد الباهلي.

١١٠- هشام بن حسين اليمامي.

١١١- هلال بن سراج بن مجاعة الحنفي اليمامي.

١١٢- هوذة بن قيس بن طلق اليمامي الحنفي.

١١٣- وعلة بن عبد الرحمن بن وثاب اليمامي.

١١٤- يحيى بن أبي كثير اليمامي.

١١٥- يحيى بن أبي كثير بن يحيى بن أبي كثير.

١١٦- يحيى بن مطر اليمامي.

١١٧- يزيد بن عبد الرحمن بن علي بن شيبان الحنفي اليمامي.

١١٨- يزيد بن عبد الله بن يزيد اليمامي.

١١٩- يزيد بن معبد اليمامي.

١٢٠- يونس بن أبي ظبية اليمامي.

١٢١- يونس بن القاسم الحنفي اليمامي.

١٢٢- أبو غادية اليمامي.

١٢٣- أبو كثير السحيمي الغبري اليمامي. وغيرهم كثير.

٢- **مجالس الشعراء:** وقد جاءت مجالس الشعراء على ثلاثة مستويات:

١) ما كان يقام في المسجد بجانب مجالس العلوم الشرعية وكان رجالها رواة الشعر وأيام العرب، فقد جلس العباس بن يزيد بن الحكم الثقفي في مسجد

اليمامة، وجاء إليهم الشاعر جرير يتأرجح في مشيته لكبر سنه وجادل العباس بن يزيد طويلاً في شعر أبيه يزيد بن الحكم.

٢) ومن هذه المجالس ما كان يعقد مع والي اليمامة، فقد استمع والي اليمامة ابراهيم بن عربي إلى المجادلة التي وقعت بين الشاعر جرير وشاعر من بني حمان حول بئر إدعى كل واحد منهما أنها له، ودافع كل منهما عن حجته في تملكها بالشعر، وكان المهاجر بن عبد الله الكلابي من أكثر ولاة اليمامة الأمويين رغبة في الجلوس إلى الشعراء والحديث معهم، والاستماع إلى شعرهم ومن ذلك ما جرى من مخاصمة بين حمزة بن بيض الحنفي وأبي الحويرث السحيمي حين قال حمزة أبياته التي مطلعها:

غمضت عن حاجة كانت تؤرقني   لولا الذي قلت فيها قل تغميضي

فأجابه السحيمي الذي أفحمه حين قال:

أنت ابن بيض لعمري لست أنكره   ولكن من أبو بيض

التي سبق أبياتها عند ترجمة المهاجر بن عبد الله الكلابي في فقرة ولاة اليمامة، وقد دخل على المهاجر الشاعر جرير وفي مجلسه ذو الرمة التميمي فقال المهاجر لجرير: كيف ترى؟ قال لقد قال وما أنعم، فغضب ذو الرمة، وتلقى الشاعر جرير نعي الشاعر الفرزدق وهو في مجلس الكلابي فقال جرير:

مات الفرزدق بعد ما جدعته   ليت الفرزدق كان عاش قليلاً

فقال الكلابي: بئس لعمر الله ما قلت في ابن عمك! أتهجو ميتاً؟ أما والله لو رثيته لكنت أكرم العرب وأشعرها،فقال، رأى الأمير أن يكتمها علي فإنها سوءة ثم قال من وقته:

فلا وضعت بعد الفرزدق حامل   ولا ذات بعل من نفاس تعلت

هو الوافد الميمون والراتق الثأى   إذا النصل يومًا بالعشيرة زلت

واستمرت المجالس في عهد الوالي قثم بن العباس والسرى بن عبد الله الهاشمي.

٣- مجالس الشعراء: وهي المجالس التي كانوا يعقدونها بأنفسهم وهي أقرب ما تكون إلى المطارحات الفكرية، يستعرض فيها الشعراء ما قالوه من الشعر، وقد يختار الشعراء المجتمعون واحدًا منهم ليكون حكمًا، وقد وصف الأصبهاني مجلسًا من هذه المجالس فقال: اجتمع الزبرقان بن بدر التميمي، والمخبل السعدي التميمي وعبدة بن الطبيب التميمي وعمرو بن الأهتم التميمي قبل أن يسلموا وبعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فنحروا جزروا واشتروا خمرًا ببعير وجلسوا يشوون ويأكلون فقال بعضهم لبعض:

"لو أن قومًا طاروا من جودة أشعارهم لطرنا"

وفي العصر الأموي اجتمع ثلة من شعراء اليمامة فيهم العجير بن عبد الله السلولي وأوس بن غلفاء الهجيمي التميمي ومزاحم بن عقيل العامري وعباس بن يزيد الأسود الكندي وحميد بن ثور الهلالي فتفاخروا بأشعارهم، وأدعى كل واحد أنه أشعر من صاحبه، فمر بهم سرب قطا فقال أحدهم :تعالوا نصف سرب القطا ثم نحتكم إلى من نرضى به فأينا كان أحسن وصفًا لها غلب أصحابه ولما أنجزوا وصفهم احتكموا إلى الشاعرة ليلى بنت عبد الله الأخيلية فحكمت بوصف العجير السلولي حيث قالت:

ألا كل ما قال الرواة وانشدوا   بها غير ما قال السلولي بهرج

واجتمع الشاعران المخبل السعدي والزبرقان بن بدر يومًا للمهاجاة واجتمع حولهما الناس ولم يتفرقوا إلا بعد أن انفض مجلسهما.

٤- مجالس التسلية:

وتتنوع مجالس التسلية وفق ما يحدث فيها وما يقدم بها من الأنشطة الفكرية والجسمانية وما يجرى فيها من تفاعلات اجتماعية ومن هذه المجالس:

١- **النزهة والرحلات:** وخاصة ما يتم في فصل الربيع حيث تصبح رياض اليمامة وغيرها بأعشابها الندية وأزهارها المتفتحة خير مكان للنزهة، فقد كان الحكم بن أيوب الثقفي في العصر الأموي من ٧٣- ٧٥ هـ ٦٩٢- ٦٩٤م يخرج متنزهًا في أودية اليمامة ورياضها وقد تطول الرحلة فيقيم المتنزهون في أحد الأودية ويأخذون الأكل والشراب وممارسة بعض الألعاب المسلية خلال فترة إقامتهم.

٢- **الألعاب:** وهي كثيرة ومتعددة على مختلف المستويات لمختلف الأعمار مثل لعبة (الطائر) من ورق الكاغد وهو القرطاس ولعبة (المهزام) ولعبة (المقلاع) ولعبة (الدوداة) ولعبة الخذروف وغيرها.

٣- **المصارعة:** وهي من وسائل التسلية وملء الفراغ لدى العرب وقد اشتهر توبة بن الحمير من بني عقيل بممارستها باليمامة وقد وهبه الله جسمًا كبيرًا حتى أصبح ممن استطاع بجسمه القوى أن يصارع ويباري في الرمي ويسابق في الجري كل من طلب إليه هذا النوع من الرياضة، فقد طلب إليه الشاعر الفرزدق مصارعته وهو لا يعرفه، قال الفرزدق: فقبض على يدي ثم جذبني إليه فصرت في صدره ثم حملني فو الله ما اتقيت الأرض إلا بظهر كبدي

وجلس على صدري "ويجتمع فتيان الحي حول المتصارعين يشجعون هذا أو ذاك، فقد صاحوا مرة بزرارة بن ربيعة بن المخبل السعدي التميمي حينما صرعه رجل من بني علباء بن عوف مكررين خلفه (صرع زرارة وغلب) مما أثار حفيظة زرارة وأغضبه فأخذ حجرًا ورمى به مصارعة فقتله، وعرف هلال بن الأسعر التميمي بجسمه الكبير وعضلاته المفتولة وأنه مصارع شديد قلما يصرع.

٤- **الصيد:** وقد عرف العربي الصيد منذ القدم ولهذا قيل: إن الصيد من ألذ وأطيب ما عرفه الإنسان من هوايات هي أقرب إلى طبيعته، وممارسة الصيد هواية بعض الولاة والخفاء وأفراد الناس، ويخرج هواة الصيد مبكرين وهم يحملون أسلحتهم، قال جرير في رحلة صيد بالعقيق:

ولم أنس يومًا بالعقيق تخايلت ضحاه وطابت بالعشى أصائله

رزقنا من الصيد الغزير ولم أكن كمن نبله محرومة وحبائله

وأشار شاعر أخر إلى الأمليح (من مياه بني تميم يعرف الأن بمليح بين مديني الزلفى والغاط وهو الآن قرية ومنازل) وسمنان (موضع باليمامة يقع شرق مدينة الزلفى) حيث قال ذلك الشاعر:

ياليت شعري متى أغدوا تعارضني جرداء سابحة أو سابح قدم

نحو الأمليح أو سمنان مبتكرًا بفتية فيهم المرار والحكم

ليست عليهم إذا يغدون أردية إلا جياد قسي النبع واللجم

من غير عدم ولكن من تبذلهم للصيد حين يصيح القانص اللحم

وقد تعددت ألوان الصيد وأنواعه قال القحيف بن حمير العقيلي:

به نجد الصيد الغريب ومنظرًا أنيقًا ورخصات الأنامل خردًا

٥-السباق: فقد كانت الفروسية من مزايا الفخر والاعتزاز عند العربي، ومظهرًا من مظاهر الفتوة والقوة وقد أجريت في اليمامة العديد من السباقات منها سباق جري بين فرس عرفت باسم (بذوة) وأخرى باسم (الضيب) وجعل الرهان بين المتسابقين عشرين ناقة ورغب بعض الخلفاء في أقامة حلبات لسباق الخيل وقد شارك في أحد هذه السباقات رجل من بني جرم من أهل اليمامة بفرس له اسمها (البارز) أجراها في حلبة سباق الخليفة يزيد بن معاوية، ويقال أنه أجرى ولدها في حلبة الخليفة عبد الملك بن مروان فسبقت فقال:

قد سبق البارز وابن البارز وباكر الخيل بشد ناجز

وعن أسماء الخيل المشهورة (الحرون) و(الجموم) و(مرحب) و(الورد) و(الضيح) و(سراج) و(الخوصاء) و(فياض) و(سبل) و(قسامة) و(جلوي) وغيرها كثير.

٥- المكتبات في القرن العاشر الهجري:

١- مكتبة الشيخ حسن بن علي بن بسام (أشيقر)

٢- مكتبة الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة (أشيقر)

٣- مكتبة الشيخ أحمد بن إبراهيم بن إبن حميدان

٤- مكتبة الشيخ عبد الله بن محمد بن بسام.

٥- مكتبة الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل.

٦- مكتبة الشيخ سليمان بن علي.

٧- مكتبة الشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان.

٨- مكتبة الشيخ حسن بن عبد الله بن أبا حسين.

٩- مكتبة الشيخ علي بن محمد بن بسام.

١٠-مكتبة الشيخ أحمد بن محمد القصير.

١١-مكتبة الشيخ أحمد بن محمد المنقور.

١٢-مكتبة الشيخ محمد بن ربيعة العوسجي.

١٣-مكتبة الشيخ عبدالله بن أحمد بن عضيب.

ما قيل في نجد من الشعر

لو تقصينا على ما قيل في نجد من الشعر لطال بنا المسار لأن ما قيل فيها من الشعر أكثر من أن يذكر وذلك لعدة أسباب منها أن معظم الشعراء قبل بزوغ الإسلام من هذه البقعة وخاصة كبار الشعراء وأصحاب المعلقات ومن هؤلاء الشعراء من تشوق إلى نجد وجَسَّدَ مشاعره في حنينه إليها وتشوقه إلى ربوعها ومنهم من ألمح إليها إلماحًا ولم يقتصر حب نجد وذكرها على الشعراء من سكانها وأهلها بل تعدا ذلك إلى سواهم من شعراء العربية في مختلف أقطار العالم العربي والإسلامي سواء أكان ذلك ابتداء أو اقتداء بغيرهم ويسرني أن اجتزيء شيئًا مما قيل في نجد من الشعر حسب مقتضى الحال مرتبًا على حروف المعجم بما يلي:

قال حمد بن سعد الجحي ت ١٤٠٩هـ ـ رحمه الله ـ :

أسماء فى نجد مغناها ومرتعها يا حبذا فى روابي نجد أسماء

وقال الشريف المرتضي ٤٣٦ هـ:

أحب ثرى نجد ونجد بعيدة ألا حبذا نجد وإن لم تفد قربا

يقولون نجد لست من شعب أهلها وقد صدقوا لكنني منهم حبا

كأني وقد فارقت نجدًا شقاوة فتى ضل عنه قلبه يبتغي قلبا

وقال ابن نباته السعدي ٤٠٥ هـ:

أيا ليل نجد إن ليل تهامة تنسم نسيمًا منك حتى تحببا

وبا ليل نجد زر تهامة علني أضيفك قلبًا من هواك معذبًا

أحن إلى نجد ونجد قرية أبي الله الا أن أذل وأنصبا

وقال حسام الدين الحاجري:

هيجت وجدي يا نسيم الصَّبَا إن كنت من نجد فيا مرحبا

جدد لهدتك النفس عهد الصَّبَا بذكرك الحي وتلك الربا

وقال سوار بن الضرب:

أيا حبذا نجد وطيب ترابه تصافحه أيدي الرياح الغرائب

وعهد صبافية ينازعك الهوى به لك أتراب عذاب المشارب

تنال الرضا منهن في كل مطلب عذاب الثنايا واردات الذوائب

وقال عطار بن قران:

ولما رأيت البشر أعرض وأنثنت لأعرافهم من دون نجد مواكب

كتمت الهوى من رهبة أن يلومني رفيقاي وانهلت دموع سواكب

وفى القلب من أروى هوى كلما نأت وقد جعلت دار لأروى تجانب

وقال المؤلف من قصيدة:

اتوق إلى نجد إذا مر ذكرها على مسمعي أختال تيهاً وأطرب

ويشفي غليل النفس إن مرت الصَّبَا بأنسامها يشفي الفؤاد المعذب

يعطر أنفاسي نسيم عرارها وأنفال روض بالندى يتحلب

ونفح الخزامى حين أمست ندية وباكرها صبح بجَلِيُّ محبب

وأنسام قيصوم وشيح وعرفج ونور الأقاحي بينها يتوثب

أحب مغانيها إذا علها الحيا ويأسرني ثوب قشيب مطيب

فَذَرَّاتُ جِسْمي قَبْضَةٌ من تُرَابِها وروحي صَبَاهَا حين تُغْرَى

يكحل أجفاني شموخ جبالها وأنفادها للنفس مرآى محبب

وفوق ثراها عاش أهلي وصحبتي رجال سعوا للمكرمات وجربوا

ومازال مجراهم حثيثًا إلى العلا إذا شرقوا نحو المعالي وغربوا

يتوقون للأمجاد من كل موقع ويبنون صرحا للعلى يتأهب

ليشمخ فى جو السماء موازيا مناط الثريا أو على النجم يركب

أولئك أحبابي وتلك ديارهم على أرضها عاشوا طويلا وأنجبوا

صَبَا نجد أنساهم محبة غيرها وخيرة أوطان الأنام المحبب

وقال الأبيوردي ٥٠٧ هـ:

بمنشط الريح من نجد لنا وطن لم تجن ذكراه إلا حن مغترب

إذا رأى الأفق بالظلماء مختمر أمسى وناظره بالدمع منتقب

ونشقة من عرار هز لمته روبحة في سراها مسها لغب

تشفى غليلا بصدري لا يزحزه دمع تهيب به الأشواق منسكب

وقال في موضع آخر:

ونحن في روضة جر النسيم بها ذيلاً به بللاً من أدمع السحب

إذا ذكرت بها نجدًا وساكنه وضعت حبوة حلمي في يد الطرب

وقال مسلم بن جندب:

طرقتك زينب والركاب بين المحارم والندى يتصبب

بثنية العلمين وهنا بعدما خفق السماك وجارته

فتحية وسلامة لخيالها ومع التحية والسلامة مرحب

أني اهتديت ومن هداك أجأ فرملة عالج فالمرقب

وقال عطار بن قران :

طربت إلى نجد وما كدت تطرب وهبت جنوب مسها لك

يمانية يسرى بمسك إذا سرت نسيم لها يشفى من الداء طيب

وقال قيس بن ذريح ٦٨ هـ:

وما سجعت ورقاء تهتف بالضحى تصعد فى أفنانها وتصوب

وما أمطرت يومًا بنجد سحابة وما اخضر بالأجراع طلح وتنضب

عليها سلام الله ما هبت الصَّبَا وما لاح وهنا فى دجى الليل كوكب

وقال هاشم الكعبي ١٢٣١ هـ:

عدتك نجد فماذا أنت مرتقب يدنوا إليك الحمى أم تنقل الهضب

أعراب بادية تهمى بيومهم حيث العوامل والهندية القضب

فكلما قلت رفقًا بالحشى عنفوا فليت لو قلت بعدًا بالسرى قربوا

يستعذب القلب من تعذيبهم أبدًا كأنهم كلما قد عذّبوا عذُبوا

وقال شاعر:

صبَا البرق نجديا فهاج صبابتي كأني لنجدي البروق نسيب

بدا كالصداع الليل عن وجه وتطرده بين الأراك جنوب

فطورًا تراه ضاحكًا بابتسامة وطورًا تراه قد علاه قطوب

وقال مهيار الديلمي:

يا صبا نجد ويا بان الغضا أرفقا بي بالتثني والهبوب

واسلما لا مثل ما طاح دمي منكما بين نسيم وقضيب

قسم البين فما عدل بي غدرة الوافي وتبعيد القريب

وقال عبد الرحيم بن أحمد البرعي:

ويا أثيلات نجد ما لعبت ضحى إلا لعبت بقلبي يا أثيلات

تهيج لوعة قلب المستهام إذا هبت بنشر الصبا النجدي هبات

وقال امرؤ القيس بن حجر ٥٤٨م:

غشيت ديار الحي بالبكرات فعارمة فبرقة العيران

فغول فحليت بأكناف منعج إلى عاقل فالجب ذي الأمرات

ظللت ردائي فوق رأسي قاعداً أعد الحصى ما تنقضي عبراتي

وقال الشاب الظريف ٦٨٨ هـ:

يا أهل نجد على هوائي سددتم سائر الجهات

واعجبًا ترتضون قتلي وأنتم في الهوى حياتي

وقال الصمة بن عبد الله القشيري ٩٥هـ:

ولا وجد أعرابية قذفت بها صروف النوى من حيث لم تك

تمنت أحاليب اللقاح وضيعة بنجد فلم يقدر لها ما تمنت

وزاد في الحماسة البصرية:

إذا ذكرت ماء العضاة وطيبه وبطن الحصى من بطن خبت أرنت

بأعظم مني لوعة غير أنني أجمجم أحشائي على ما أجنت

وقال الأبيوردي ٥٠٧ هـ:

تهيم إذا ريح الصبا نسمت لها بنجد أو الأيكية الورق غنت

وتصبو إلى ليلى وقد شطت النوى ومن أجلها حنت ورنت وأنت

وقال ابن زمرك الأندلسي:

يا أهل نجد سقى الوسمي ربعكم غيثًا ينيل غليل الترب ما اقترحا

ما للفؤاد إذا هبت يمانية تهديه أنفاسها الأشجان والبرحا

يا حبذا نسمة من أرضكم نفحت وحبذا ربرب من جوكم سنح

يا جيرة تعرف الأحياء جودهم ما ضر من ضن بالإحسان لو سمح

وقال الأبيوردي ٥٠٧هـ:

حننت إلى واد الغضا سقي الغضا حيا كل غاد من سحاب ورائح

أكر إليه نظرة بعد نظرة بطرف إلى نجد على النأي طامح

ولما أجزنا الرمل قال لنا السرى إلا رفهوا عن ساهمات طلائح

فنمنا غشاشا ثم ثرنا من الكرى إلى كل نضو لاعب الشمس رازح

قال الصاحب شرف الدين:

ومن أجل مغناها بنجد تشوقني مـــرابـــعـــه كثبـــانها والأباطح

وقال الصمة بن عبد الله القشيري:

خليلي قوما أشرفا القصر فانظرا بأعيانكم هل تؤنسان لنا نجدا

وإني لأخشى إن علونا عُلْوَّة ونشرف أن نزداد ويحكما بعدا

نظرت وأصحابي بذروة نظرة فلو لم تفض عيناي أبصرتا نجدا

إذا مر ركب مصعدين فليتني مع الرائحين المصعدين لهم عبدا

وقال في موضع أخر:

خليلي إن قابلتما الهضب أوبدا لكم سند الوكاء أن تبكيا جهدا

سلا عبد الأعلى حيث أوفى عيشة خزازي ومد الطرف هل آنس نجدا

فما من قلبي للنجد أصبحت هاهنا إلى جبل الأوشال مستخبيا بردا

ولكن حاجات الفتى قذفت به إذا لم يجد من أن يطالبها بدا

دعوني من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيبًا وشيبننا مردا

لحا الله نجدًا قد كساني حلة إذا ما رآني جاهل ظنني عبدا

سوادًا وأخلاقًا من الصوف بعدما أراني بنجد ناعمًا لابسًا بردا

ونجد إذا جادت به رهم الحيا رأيت به المكنان والنفل الجعدا

سقى الله نجدًا من ربيع وصيف وماذا ترجى من ربيع سقى نجدا

ألم تر أن الليل يقصر طوله بنجد ويزداد النطاق به بردا

بلى إنه قد كان للعيش قرة وللبيض والفتيان منزلة حمدا

وقال في موضع أخر:

يا سعد إن فراقا كنت تحذره دنا ليوزع من أحشائك الكبدا

هلم نبك على نجد وساكنه فلن ترى بعد نجد عيشة رغدا

ودع هزيما فقد طاف السلو به وعن قريب تراه يلتوي كمدا

انتجدان فؤادًا شيقًا علقت به الصبابة إن ألهمتها نجدا

فلا رأت علمي نجد عيونكما ولا رعى بالحمى نضوا كما أبدا

وقال سحيم بن المحرم:

ألا أيها البرق الذي كان يرتقي ويجلو دجى الظلماء أذكرتني نجدا

وهيجتني من أذرعات ولا أرى بنجد على ذي حاجة طربا بعدا

ألم تر أن الليل يقصر طوله بنجد وتزداد الرياح به بردا

فأشهد لولا أنت قد تعلمينه وحبيك ما باليت ألا أرى نجدا

وقال يزيد بن الطثرية:

أيا رفقة من أهل بصرى تحملت تؤم الحمى لقيت من رفقة رشدا

إذا ما بلغتم سالمين فبلغوا تحية من قد ظن ألا يرى نجدا

وقولا تركنا الحارثي مكبلا بكبل الهوى من حبكم مضمرًا وجدا

وقالت إمرأة من بني الصادرة:

فياليت شعري هل أرى جانب الحمى وقد أنبتت أجراعه نفلاً جعدا

وهل أردن الدهر ماء وقيعة كأن الصبا تسدي على متنه بردا

وقال عبد الله بن الدمينة ١٨٠ هـ:

أيا أخوي بالمدينة أشرفا بي الصمد انظر نظرة هل أرى نجدا

فما زادني الاشراف إلا صبابة ولا ازددت إلا عن معارفها بعدا

فإن بنجد من براني حبه فلم يَتْرِكْ مني عظامًا ولا جلدا

فقال المدينيان أنت مكلف بداعي الهوى لا تستطيع له ردا

وقال الحسين بن مطير الأسدي ١٦٩ هـ:

بكرت عليك فهيجت وجدا هوج الرياح وأذكرت نجدا

أتحن من شوق إذا ذكرت نجد وأنت تركتها عمدا

أبي القلب إلا أن يهيم بذكرها ويذكرنيها وهي ساكنة نجدا

وقال آخر:

أتبكي على ريًا ونجد ولن ترى بعينيك ريًا ما حييت ولا نجدا

ولا مشرفا ما عشت أنقاء حرة ولا واطئا من تربهن ثرى جعدا

ولا واجدًا ريح الخزامى تسوفها رياح الصبا تعلو دكادك أو وهدا

تبدلت من ريا وجارات أهلها قرى نبطيات يسمنني مردا

والمرد: تعني الرجل باللهجة النبطية.

وقال بديع الزمان الهمذاني(أحمد بن الحسين بن يحيى) ٣٩٨ هـ:

سقى الله نجدًا كلما ذكروا نجدا وقل لنجد أن أهيم بها وجدا

طربت وهاجتني شمال بليلة وجدت لمسراها على كبدي بردا

ويا حبذا نجد وبرد أصيلة وعيشا تركناه بساحته رغدا

قال أبو زياد الطائي:

أحقًا عباد الله أن لست ناسيًا بلاي ولا قومي ولا ساكنًا نجدا

ولا ناظرًا نحو الحمى اليوم نظرة أسلي بها قلبي ؛ ولا محدثًا عهدا

بلاد بها نيطت على تمائمي وكان بها عصر الصبا نضرًا رغدا

وقال الأبيوردي ٥٠٧ هـ:

أقول لسعد وهو خلي بطانة وأي عظيم لم أنبه له سعدا

إذا نكبت نجدًا مطاياك لم أبل بعيش وإن صادفته خضلاً رغدا

تلبث قليلاً يوم طرفي بنظرة إلى ربوات تنبت النفل الجعدا

فإنك إن أعرقت والقلب منجد ندمت ولم تشمم عراراً ولا رندا

ولم ترد الماء الذى زادك النوى وقد ذقت ماء الرافدين به وجدا

وقال ابن الزقاق البلنسي ٥٢٨ هـ:

سل الريح عن نجد تخبرك أنها معطرة الأنفاس مذ سكنت نجدا

وأن الغضا والسدر مذ جاورهما لطيب شذاها أشبها الغار والرندا

وقال ابن السراج المالقي (القرن الخامس الهجري):

ألا أيها البرق الذى ظل يرتقي ويجلو دجى الظلماء أذكرتني نجدا

وقال ابن شيخان السالمي ١٣٤٦ هـ:

بالله يا ريح نجد هي سقى الله

هبت صباحًا شوقًا شديدًا

روت حديث ظباء فجددت لي عهدا

وأهجت لي قلبًا فحكت للشيخ بردا

وقال الشريف الرضي واسمه محمد بن الحسين موسى ٤٠٦ هـ:

إذا طلع الركب يممته أحيي الوجوه كهولا ومردا

وأسألهم عن جنوب الحمى وعن أرض نجد ومن حل نجدا

نشدتكم الله فليخبرن من كان أقرب بالرمل عهدا

هل الدار بالجزع مأهولة أنار الربيع عليها وأسدى

وهل حلب الغيث أخلافه على محضر من زرود ومبدا

وقال في موضع آخر:

تزود من الماء النقاخ فلن ترى بوادي الغضا ماء نقاخاً ولا بردا

ونل من نسيم الرند والبان نفحة فهيهات واد ينبت البان والرندا

وكر إلى نجد بطرفك إنه متى يعد لا ينظر عقيقًا ولا نجدا

وعج بالحمى عينًا فلست برامق طوال الليالي ذلك العلم الفردا

تلفت دون الركب والعين غمرة وقد مدها سيل الدموع بما مدا

لعلي أرى دار بأسنمة النقا فأطربنا للدار أقربنا عهدا

وقال صالح حجي الكبير: (١٢٧٥هـ):

وحي الحمى وليالي الحمى وعيشًا بأكناف نجد رغيدا

تولى حميدًا ومـاضـره علينا ولو ساعة أن يعودا

ليالي كنا وكان النديم وكان المدام اللمى والخدودا

نميد من السكر فيه وما على شارب حرج أن يميد

وقال بشار بن برد ١٦٧هـ:

تنفست شوقًا كلما ذكروا نجدا ولم يرق دمعي بعد بعدهم وجدا

وقال عبد الله بن علي آل عبد القادر:

هيم بنجد وأوطانه كأن بنجد لها مولدا

إذا هبت الريح تلقاءه سحيرا تصوم عليها غدا

تحن إليه حنين العشار لفقد الحوار إذا أبعدا

فيا ضاحك البرق من أفقه كوجه الكريم إذا استرفدا

ظمئت إليك ألا فاسقني فقد أنضج القلب حر الصدى

ويا ساجعًا فوق أفنانه يهيج القلوب إذا ما شدا

وقال مجنون ليلى:

سقى الله نجدًا من ربيع وصيف وماذا يرجى من ربيع سقى نجدا

بلى أنه قد كان للعين قرة وللصحب والركبان منزلة حمدا

وقال الملك الأمجد الأيوبي ٦٢٨ هـ :

هي العيس دعها بي إلى حاجر تحدى طلاحًا تؤم الجزع أو تنتحي نجدا

فلله رند الواديين وبانه وقد رنحت ريح الصبا قضبه الملدا

كأن القدود الهيف وهي موائس أعرن التثني ذلك البان والرندا

وقال ناصح الدين الأرجاني ٥٤٤ هـ:

كل شيء لقيته دون نجد حين يممته ولم ألق نجدا

قل لنجد عنا سقى الله نجدًا قول من ضم منه في القلب وجدا

فرعى الله ذلك العهد عهدا ورأى الله ذلك الحي سعدا

وكسا الله ذلك العهد روضًا وكسا الله ذلك الروض وردا

وقال نمير بن كهيل الأسدي:

يحن قعودي ذو الخياط صبابة بمكة وهنا من تذكره نجدا

تذكر نجدًا موهنا بعدما انطوت ثميلته وازداد عن إلفه بعدا

تذكر نجدًا حاديا بعد قادم ولا يلبث الشوقان أن يصدعا الكبدا

فقلت له قد هجت شاعفة الهوى أصاب حمام الموت أضعفنا وجدا

وقال يزيد بن الطثرية ١٢٦ هـ:

ألا يا صبا نجد لقد هجت من نجد فهيج لي مسراك وجدًا عى وجد

أإن هتفت ورقاء في رونق الضحى على فنن غض النبات من الرند

بكيت كما يبكي الحزين صبابة وذبت من الحزن المبرح والجهد

وقال الطرماح بن حكيم الطائي:

أصاح ألاهل من سبيل إلى نجد وريح الخزامى غضة من ثرى الجعد

وهل لليالينا بذي الرمث رجعة فتشفى جوى الأحشاء من لاعج

فمالك من نجد ولا رمل عالج إلى حضر الفج الميامن من زند

وقال أبو الحسن التهامي (علي بن محمد بن هند ٤١٦هـ):

بدا البرق من نجد فحن إلى نجد أيابا رقا ماذا أثرت من الوجد

وما حن من وجد بنجد وإنما يحن إلى نجد لمن حل في نجد

وقال الأمير: إسماعيل الصنعاني:

سلامي على نجد ومن حل في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

وقد صدرت من سفح صنعا سقى رباها وحياها بقهقهة الرعد

سرت من أسير ينشد الريح إن سرت ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد

وقال الشريف الرضي(محمد بن الحسين بن موسى ٤٠٦هـ):

خذي نفسي يا ريح من جانب الحمى فلاقي بها ليلا نسيم. ربى نجد

فإن بذاك الحي إلفًا عهدته وبالرغم مني أن يطول بها عهدي

ولولا تداوي القلب من ألم الجوى بذكر تلاقينا قضيت من الوجد

ويا صاحبي اليوم عوجا لتسألا رُكَيْبًا من الغورين أنضاؤهم تخدي

عن الحي بالجرعاء جرعاء مالك هل ارتبعوا واخضر واديهم بعدي

كأن بعيني بعدهم غائر القذى إذا أنا لم أنظر إلى العلم الفرد

شممت بنجد شيحة ها جرية فأمطرتها دمعي وأفرشتها خدي

ذكرت بها ريا الحبيب على النوى وهيهات ذا يا بعد بينهما عندي

وقال الأبيوري:

فلولا ابنة السعدي لم يك منزلي بحيث العرار الغض يلتف بالرند

ولا هاج شوقي نفحة غضوية غداة تلقتها العرائين من نجد

ومن أجلها أبدى الخضوع لقومها وأمحضهم ودي وأوطئهم خدي

وقال في موضع آخر:

خليلي إن الحب ما تعرفانه فلا تنكرا إن الحنين من الوجد

أحن وللأنضاء بالغور حنة إذا ذكرت أوطانها برُبى نجد

وتصبوا إلى رند الحمى وعراره ومن أين تدري ما العرار من الرند

وقال الطغرائي :

أيا حادي الأظعان غرد فقد بدا لنا حضن واستقبلتنا صبا نجد

وبشرنا مزن من المزن صادق بواصٍ عن الحوذان والنفل الجعد

وقال في موضع أخر:

أجدك ما تنفك بالغور ناشدًا فؤادًا بنجد يا لقلبلك من نجد

تمادى غرام ليس يجري إلى مدى وفرط سقام لا يقيم على حد

أقول لأنضاء الغرام عشية ببصري وانضاء المطي بنا تخدي

أقيموا صدور العيس أو استخبروا الصبا عن الحي بالجرعاء ما فعلوا بعدي

وما طاب نشر الريح إلا وعندها أخابير من نجد وعن ساكني نجد

تظنون حالي في الهوى مثل حالكم وهيهات أني في الهوى أمة وحدي

وقال أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي):

لعمري لقد أقوت مغانيكم بعدي و مَحَتْ كما مَحَّتْ وشائع من برد

وانجدتم من بعد اتهام داركم فيا دمع انجدني على ساكني نجد

وقال الصمة بن عبد الله القشيري:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بسعد ولما تخل من أهلها سعد

وهل أقبلن النجد أعناق أينق وقد سال مسيا ثم صبحها النجد

وكنت أرى نجدًا وريا من الهوى فما من هواي اليوم ريا ولا نجد

فدعني من ريا ونجد كليهما ولكنني غاد إلى ما غدا الجند

وقال يزيد بن الطثرية وقيل المجنون:

أحن إلى نجد فياليت أنني سقيت على سلوانه من هوى نجد

ألا حبذا نجد وطيب ترابه وأرواحه إن كان نجد على العهد

وقال الابيوردي ٥٠٧هـ:

فلا زال يكسوها الربيع وشائجًا ترف حواشيها على علمي نجد

فما هب علوى الرياح ولا بدا سنا بارق إلا ضربت إلى هند

وما روضة حل الربيع نطاقها وجرت بها الأنوار حاشية البرد

إذا حدرت فيها النعامى لثامها ثنى عطفه الحوذان والتف بالرند

ولولاك لم يخطر ببالي قصائد هوابط من غور طوالع من نجد

إذا ما الغمام الجود حل نطاقه فخص به نجد ومن ضمه نجد

وقال سبط بن التعاوذي (محمد بن عبد الله ٥٨٣هـ):

يا رفيقي هل لذاهب أيام تقضت حميدة من مرد

الجداي بوقفة من مفالي الحمى إن جزتما باعلام نجد

وقال الحاجري (عيسى بن سنجر بن بهرام ٦٣٢هـ):

ألا حاد يعللنا بنجد فينقص ما بها من فرط وجد

سرت لا تستضيق هوى وشوقًا إلى ماء بكاظمة ورند

تلفتها إلى نجد دليل على أن الغرام بأرض نجد

تحن إلى الغوير لطيب مرعى بصحراء الغوير وبرد ورد

ولو غنى برامة حاديها جرت جري العواصف حيث تحدي

وقال صُرَّدْ (علي بن الحسن بن علي البغدادي ٤٦٥هـ):

النجاء النجاء من أرض نجد قبل أن يعلق الفؤاد بوجد

إن ذاك الثرى ينبت شوقا في حشى ميت اللبانات صلد

كم خلي غدا إليه وأمسى وهو يهذي بعلوة أو بهند

قال الدكتور إبراهيم بن محمد العواجي :

عرف الهوى نجدا وأنت ربيعه ورياحه مهما توارت تنجد

عبق الخزامى في ربيعك موسم ينمو به العشق الأصيل ويولد

والطلح حتى الطلح أصبح مزهرا أشواكه من همس طلك عسجد

والسحب تمطر في دلال راقص تختال في ترحالها لا ترعد

عشق جماد الكون جسد صفوة ومضى يغني شدوه ويردد

وقال ابن زمرك الأندلسي : (٦٥٨هـ):

سلو البارق النجدي من علمي نجد تبسم فاستبكى جفوني من الوجد

أجاد ربوعي باللوى بورك اللوى وسح به صوب الغمائم من بعدي

ويا زاجري الإظعان وهي ضوامر دعوها ترد هيما عطاشًا على نجد

ولا تنشقوا الأنفاس منها مع الصبا فإن زفير الشوق من مثلها يعدي

وقال الأخرس ١٢٩٠هـ:

متى ترني يا سعد والشوق مزعجي بما هيج التذكار من لاعج الوجد

أحث إلى نجد مطايا كأنها لها قلب مفؤود الفؤاد إلى نجد

سوابح يطوين الفدافد بالخطا ومسرجة جرد لواعب بالأيدي

إذا استنشقت أرواح نجدٍ أهاجها جوى هاج من مستنشق الشيح والرند

وقال أسامة الشيرازي: (٥٨٤ هـ):

تناءت بنا عن أرض نجدٍ وأهله نوى غربة كالصدع في الحجر الصلد

وقد قيل فى اليأس الشفاء من الهوى ودائي الذى أقضي به اليأس من نجد

بلاد بها صاحبت شرخ شبيبتى وفارقت إخواني الكرام ذوي ودي

إذا خطرت منهم على القلب خطرة تدلهت حتى ما أعيد ولا أبدي

وقال الأبيوردي ٥٠٧هـ:

لقد جئت من نجد وعدت إلى نجد وأحيا بنجد بين مهدي واللحد

إذا كانت الأوطان روحا ومأملا فروحي وآمالي العظيمة فى نجد

وقال أبو تمام ٢٣١ هـ:

ومن شك أن الجود والبأس فيهم كمن شك فى أن الفصاحة فى نجد

وقال التهامي ٤١٦ هـ:

بدا البرق من نجد فحن إلى نجد أيا بارقًا ماذا نشرت من الوجد

وما حن من وجد بنجد وإنما يحن إلى نجد لمن حل فى نجد

سقى العهد من هند عهاد من الحيا ضحوك ثنايا البرق منتحب الرعد

يحل عقود القطر بين معاهد يحل بها من قبل درية العقد

هى الشمس تخفي الشمس عنها إذ بدت قضاعية الأخوال فهرية الجد

دجوجية الفرعين شمسية الرؤى كثيبية الأرداف خوطية القد

وناظرة من ناظري أم جوذرٍ خذول به أو مقلتي رشإٍ فرد

وقال حسام الدين الحاجري:

ألا حادِ أعللها بنجد فينقص ما بها من فرط وجد

تلفتها إلى نجد دليل على أن الغرام بأرض نجد

تحن إلى الغوير لطيب مرعى بصحراء الغوير وبرد ورد

وقال الحيص بيص ٥٧٤ هـ:

حي نجدًا وأين من مرو نجد إنما يبعث التحية وجد

عرضت بيننا البلاد وأضحى للمطايا دون التزاور وخد

شامخات من الجبال صعاب وقفار من التنائف ملد

وقال ابن حميدس ٥٢٧ هـ:

أمسك الصَّبا أهدت إليَّ صبَا نجد وقد ملئت أنفاسه لي بالوجد

رماني بحر الشوق برد نسيمها أحدثت عن حر مذيب من البرد

وقال الشريف الرضى ٤٠٦هـ:

شممت بنجد شيحة حاجرية فأمطرتها دمعي وأفرشتها خدي

وقال ابن خاتمة الأندلسي ٧٧٠ هـ:

هب نسيمات الصبا من ربا نجد فينفحن عن طيب ويعبقن عن ند

وما ذاك إلا أهن يجلن في معاهدنا بين الأثيلات والرند

هناك الثوى يربي على المسك طيبة ودوحاته تزري على العنبر الورد

معاهد نهواها ونهوى لقاءنا بها قد مضى حكم العفاف على الرد

على حين لا واش يفوه بريبة ولا عاذل يعدو ولا كاشح يعدي

أخذنا مع الأيام فيها مواثقًا فحالت ومازلنا كرامًا على العهد

كذاك سبيل الدهر نقض عهوده فنعماه للبلوى ولقياه للفقد

ألا ليت شعري والمنى غاية الهوى أأبصر نجدًا أم أحل ربا نجد

وهل أنقعن من ماء ظمياه غلة على كبد لم يبق منها سوى الوجد

وهل أنزلن من حيها جاده الحيا منازل قد جلت منازلها عندي

بحيث القباب البيض والسمر والظبا سماء وأنوار يشمن على البعد

وقال دوسر القريعي:

وحنت قلوصي من عدان إلى نجد ولم ينسها أوطانها قدم العهد

وإن الذي لاقيت فى القلب مثله إلى آل نجد من غليل ومن وجد

وقال عبد الله بن الدمينة الخثعمي: (١٣٠ هـ):

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد لقد زادنى مسراك وجدًا على وجدي

أإن هتفت ورقاء فى رونق الضحى على فنن غض النبات من الرند

بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن جليدًا وأبديت الذى لم تكن تبدي

وقال ابن دقيق العيد:

فى أرض نجد منزل الفؤاد عمرته شوقي وصدق ودادي

ما كان أقربه على من رامه بمسرة لولا اعتراض عوادي

أصبو إليه مع الزمان فكيف لا أصبو وتلك منازلي وبلادي

أرض بها الشرف الرفيع وغاية العز المنيع ومسكن الأجواد

أوطنتها فخرجت منها عنوة بمكائد الأعداء والحساد

وقال ابن رشيق القيرواني ٤٥٠ هـ:

غني يا محمود الخلق عندي حي نجدًا ومن بأكناف نجد

وقال ابن زمرك الأندلسي: (٦٥٨هـ):

سلو البارق النجدي من علمي نجد تبسم فاستبكى جفوني من الوجد

أجاد ربوعي باللوى بورك اللوى وسح به صوب الغمائم من بعدي

ويا زاجري الأظعان وهي ضوامر دعوها ترد هيما عطاشا على نجد

ولا تنشقوا الأنفاس منها مع الصبا فإن زفير الشوق من مثلها يعدي

براها الهوى بري القداح وخطها حروفًا على صفح من القفر ممتد

عجبت لها أنى تجاذبني الهوى وما شوقها شوقي ولا وجدها وجدي

لئن شاقها بين العذيب وبارق مياه بفيء الظل للبان والرند

فما شاقني إلا بدور خدورها وقد لحن يوم النفر في قضب ملد

فكم في قباب الحي من شمس كلة وفي فلك الأزرار من قمر سعد

وكم صارم قد سل من لحظ أحور وكم ذابل قد هز من ناعم القد

خذوا الحذر من سكان رامة إنها ضعيفات كر اللحظ تفتك بالأسد

وقال شرف الدين الحلي ٥٢٧ هـ:

أتعلم ما أهدى لي العلم الفرد سنى بارق بين الضلوع له وقد

تألق نجديًا فبت أشيمه فأذكرني بالشام من داره نجد

فلله صب لا تزال تروعه نوازع أشواق تروح كما تغدو

وقال الشريف الرضي ٤٠٦ هـ:

ياطيب نجد وحسن ساكنه لو أنهم أنجزوا الذي وعدوا

قالوا وقد قربت ركائبنا والقلب يظما بهم ولا ير

أتارك أرضنا فقلت لهم أنجد قلبي وأعرق الجسد

وقال ابن الصباغ الجذامي:

تنسم هذه نفحات نجد تأرج عرفها فأثار وجدي

سرت من أرضهم سحرًا فخلنا فتيق المسك خالط ماء ورد

وجرت في مغانيهم ذيولا فاهدت نحونا أرواح ند

تذكرني صبابتي صباها فتهمي أدمعي سحا لنجدي

إذا سجعت بدوح البان ورق أحن إلى مغاني أهل ودي

وفي موضع آخر:

النجاء النجاء من أرض نجد قبل أن يعلق الفؤاد بوجد

إن ذاك الثرى لينبت شوقا في حشا ميت اللبانات صلد

كم خلي غدا إليه وأمسى وهو يهذى بعلوة أو بهند

وقال محمد بن حمير الهمداني:

تحدث بعلم الظاعنين إلى نجد وزدني بها يا سعد وجدا على

وأخبر عن الأخدار أخدار عامر متى قوضت عن ذلك العلم الفرد

وهل نجعوا صوب الربيع بحاجر أواستوطنوا بالبان ذي القضب الملد

وقال صفوان بن إدريس ٥٩٨ هـ:

سقى مضرب الخيمات من علمي نجد أسح غمامي أدمعي والحيا الرغد

لي الله كم أهذي بنجد وأهلها ومالي بها إلا التوهم من عهد

وقال محمد الفهد العيسى:

ألا يا صبا نجد فديتك يا نجدي متى عهدك بالأحباب فى نجد

متى كنت فيهم في مواسم حبهم وفى روضة التنهات كيف هو بعدي

أيذكرني الخلان فى الوشم عندما تلوح بروق المزن أم أنسو عهدي

سقى الله أرضا كنت بين رياضها أريق كؤوس البوح وجدا على الوجد

بها كنت لحنا بين أضلع شاعر يغني لليلى الشوق فى القرب والبعد

ويبكي جريحا نأي ليلى وبعدها وذكرى ليالي الوصل فى المنهل الرغد

تعلقت ليلى وهي بعد غريبة وقلبي غريب مثل ما عندها عندي

وكنت وليلي نحتسي الكأس مترعا بشوق كراح كالشعاعة كالشهد

وقال محمد قابادو ١٢٧١ هـ:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد أذبت الحشا والجفن بالفيض والوقد

حنانيك طار حي حديثك واتئد فقد زادني مسراك وجدًا على وجد

وقال محي الدين بن عربي ٦٤٠ هـ:

ألا يا نسيم الريح بلغ مها نجد بأني على ما تعلمون من العهد

وقل لفتاة الحي موعدنا الحمى غدية يوم السبت عند ربى نجد

وقال مصطفى صادق الرافعي:

مري علينا يا صبا نجد تشكو إليك مدامعي وجدي

أمسيت والأشواق مضنية عندي من الأشواق ما عندي

تجري عيوني فى محاجرها ومدامعي تجري على خدي

ما أنس والأيام تجمعنا وكأنني فى جنة الخلد

تشكو كما اشكو الهوى وإذا طارحتها أبدت كما أبدي

وقال ابن المعتز ٢٩٦ هـ:

أرقت جميع الليل للبارق الذي ترفع مع نجد فشاق إلى نجد

أحل بدار اللهو حيث لقيتها وأهزل باللذات والدهر في جد

ألا إنما الدنيا بلاغ لغاية فإما إلى غي وإما الى رشد

وقال عبد الباقي العمري:

سرت سحرا من أرض نجد صبا نجد مضمخة الاذيال بالشيح والرند

فأهدت إلى الأرواح أيدي شمالها يمينا على راحاتها نفحة الند

بعيد ويبدي نشرها ما قد انطوت عليه قلوب لا تعيد ولا تبدي

ويقول عبد الرحمن بن داره :

خليلي إن حانت بحمص منيتي فلا تدفناني وارفعاني إلى نجد

ومرا على أهل الجناب بأعظمي وإن لم يكن أهل الجناب على القصد

وإن أنتما لم ترفعاني فسلما على صارة فالقور فالا بلق القرد

لكيما أرى البرق الذى أومضت له ذرى المزن علويا وماذا لنا يبدي

وقال عزيز أباظة ١٣٩٣ هـ:

أهذي ربى نجد نعم أنها هيا فدل عليها البان والشيح والرند

ودلت عليها من بعيد شمائل مؤرجة تسري وعاطرة تغدو

لك الشرف المنقوس يا نجد والسنا فقد جمع القيسين واديك يا نجد

وقال ابن عنين الدمشقي ٦٣٠ هـ:

تعرض وهنا والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشب على بعد

حننت إليه بعدما نام صحبتي حنين العشار الحانمات إلى الورد

يذكرني عصرًا تقضى على الحمى وأيامنا فى أيمن العلم الفرد

وإذ أم عمرو كالغزالة ترتعي بوادي الخزامى روض ذات ثرى جعد

غلامية التخطيط ريمية الطلى كثيبية الأرداف خوطية القد

وقال فؤاد شاكر ١٣٩٢ هـ:

أجل هذه نجد فسائل ربى نجد عن العرب الأمجاد من سالف العهد

فقل للصبا إذ هب نفح عبيرها ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد

أجل هذه نجد وهذي رياضها وتلك أفاويح من البان والرند

أجل هذه نجد وهذا أقاحها تفتح عن نور وأشرق عن ند

فمن روضة الخفس التي فاح عطرها إلى روضة التهنات فى الغور والوهد

وقال مجنون ليلى (قيس بن الملوح ٦٨ هـ):

خليلي مرا بي على الأبرق الفرد وعهدي بليلى حبذا ذاك من عهد

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد فقد زادني مسراك وجدًا على وجد

أإن هتفت ورقاء فى رونق الضحى على فنن غض النبات من الرند

بكيت كما يبكي الوليد ولم أزل جليدًا وأبديت الذي لم أكن أبدي

وأصبحت قد قضيت كل لبانة تهامية واشتاق قلبي إلى نجد

إذا وعدت زاد الهوى لانتظارها وإن بخلت بالوعد مت على الوعد

وإن قربت دار بكيت وإن نأت كلفت فلا للقرب أسلو ولا البعد

ففي كل حب لا محالة فرحة وحبك ما فيه سوى محكم الجهد

أحن إلى نجد فيا ليت أنني سقيت على سلوانه من هوى نجد

ألا حبذا نجد وطيب ترابه وأرواحه إن كان نجد على العهد

وقال مهيار الديلمي:

ويا أهل نجد كيف بالغور عندكم بقاء تهامي يهيم بمنجد

ملكتم عزيزًا رقه فتعطفوا على منكر للذل لم يجرد

وقال ابن ابي الجنوب ٢٤٠ هـ:

سقى الله نجدًا والسلام على نجد ويا حبذا نجد على النأي والبعد

نظرت إلى نجد وبغداد دونها لعلي أرى نجدًا وهيهات من نجد

ونجد بها قوم هواهم زيارتي ولا شيء أحلى من زيارتهم عندي

وقال الشريف المرتضي ٤٣٦ هـ:

تذكرت نجدًا بعد ما غرت موهنًا وأين امرء بالغور من ساكني نجد

وأذكرني شبه القضيب ونحن في ظهور مطايانا قضيب من الرند

ومتعــجــرات بالجمـــال كأنما بسمن إذا يسمن عن لؤلؤ العقد

لهن صباح من وجوه منيرة تخللها ليل من الفاحم الجعد

وقال ابن معصوم:

أصبو من الهند إلى نجد هوى وأين نجد من ديار الهند

والتقى كل رياح خطرت أحسبها ليلاً نسيم نجد

آه من البين المشت والنوى كم قرحا من كبد وخد

وقال مكي الحوخي:

قفا تنشد الأحباب عل الندا يجدي بسفح اللوي والبان من علم

وقولاً إذا ما هيمنت نسمة الرند ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد

وقال الدكتور محمد بن سعد بن حسين:

أحن إلى نجد ولم أبرح الحمى حماها كأن قد حال دوني بيد

واهفو إلى أفيائها وهي مسرحي وأصبوا إلى وصلٍ بها فتجود

وأنظر وجدي لو رأيت مبرحًا ودمعي من خوف الفراق شديد

تفيأتها شعثاء غبراء حلوة لها منزل بين الضلوع وحيد

فكيف وقد نضت ثيابًا وجددت فحاضرها بين العصور فريد

ستبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة حب بالبلاء تزيد

وقال حمد بن سعد الحجي ١٤٠٩هـ:

يا ساكني نجد إنا بعد بينكم كأنما قد شوى الأضلاع سفود

فادعوا بحق الهوى أن نلتقي بكم فإن أيامنا من بعدكم سود

ياليتكم تبصرون الصب عن كثب حتى يبين الذي يلقاه مهمود

وقال ابن معصوم:

وحي ربى نجد ورملة عالج ومر بنعمان وطف بنجوده

وسلم على ربع لسلمى وزينب به فتكت آرامه بأسوده

وقال الباخرزي ٤٦٧ هـ:

تذكر نجدًا فحن ادكارا　　وقال سقى الله تلك الديارا

ولاح بها برقها فاستعار　　فؤاد المتيم منها استعارا

فلله ما أجهل المستهام　　أبعد العشية يرجو عرارا

وقال الشريف الرضي ٤٠٦هـ:

يا قلب ما أنت من نجد وساكنه　　خَلَّفتَ نجداً وراء المدلج الساري

راحت نوازع من قلبي تتبعه　　على بقايا لبانات وأوطار

أهفوا إلى الركب تعلوني ركابهم　　من الحمى في اسيحاق وأطمار

تضوع أرواح نجد من ثيابهم　　عند النزول لقرب العهد بالدار

يا راكبان قفالي واقضيا وطري　　وخبراني عن نجد بأخبار

هل روضت قاعة الوعساء أم مطرت　　خميلة الطلح ذات البان والغار

أم هل أبيت ودار عند كاظمة　　داري وسمار ذاك الحي سماري

أيام أودع سري في الهوى فرسي　　وأكتم الحي إدلاجي واخطاري

فلم يزل إلى أن نم لي نفسي　　وحدث الركب عني دمعي الجاري

وقال الطغرائي:

أقول له وانضاء المهار طلائح　　قدونين من السفار

تعزَّ أخا الغُرَيْبِ فما بنجد　　لنا أخرى الليالي من قرار

أتطمع في شميم عرار نجد　　وهل بعد العشية من قرار

وقال الصمة بن عبد الله القشيري:

أقول لصاحبي والعيسى تهوى بنا　　بين المنيفة فالضمار

تمتع من شميم عرار نجد　　فما بعد العشية من عرار

ألا يا حبذا نفحات نجد　　ورّيا روضه بعد القطار

وأهلك إذ يحل الحي نجدًا　　وأنت على زمانك غير زاري

شهور ينقضين وما شعرنا　　بأنصاف لهن ولا سرار

فإما ليلهن فخير ليل　　وأفضل ما يكون من النهار

وقال محمد عبد المنعم خفاجي:

إيه نجد بك الزمان ربيع　　والأماسي كلها أسحار

طبت يا نجد في الزمان وطابت　　بك فينا الأيام والاعصار

منك يا نجد الحب والسحر والعطر　　ومنا البيان والأشعار

وقال عبد الجليل الطبطائي ١٢٧٠ هـ:

وعللاني بذكرى من ولعت بهم وخبراني عن نجد بأخبار

تضوع أرواح نجد في ثيابهم فهاج شوقي لمغنى فيه أوطاري

لا شيء يعدل لقيا منجدين بدوا عند القدوم بقرب العهد بالسمر

وقال ابن نباته السعدي ٤٠٥ هـ:

يا حبذا أرض نجد كيفما سمحت بها الخطوب على يسر وإعسار

وحبذا دمث من تربها عبق هبت عليه رياح غب أمطار

أحببها وبلاد الله واسعة حب البخيل غناء بعد إقتار

ما كنت أول من حنت ركائبه شوقًا وفارق إلفًا غير مختار

وقال مانع بن زيد السويداء :(جبل أجأ)

ألا أيها الشاهد الحاضر مهاب فما مثله آخر

وقور كأنك شيخ الحديث بإيمانه قلبه عامر

تساميت في عزة لم ترعك خطوب فأنت لها قاهر

شعافك ما أثقلتها الرياح ولا هدها المطر الماطر

تطوف عليك نجوم السماء فأنت لها القدر القاهر

صداك إبتهال له رددت تهامة يال الصدى الطائر

جثمت كشيخ القبيلة تصغي الوفود ويأنسه السامر

شهدت العصور وقارعتها فأنت مطاع لها آمر

حفظت حكاية كل الزمان وأودعتها سرك الغائر

جمعت ببرديك كبر القديم تورثه كابر كابر

فأنت الإباء وألبسته رجالاً بدا شهد السائر

حفظت عهود الألى وأدعوك وما أنت في عهدهم كافر

فكم كنت أمنًا لمن لاذ فيك ومن خانه حظه العاثر

وكم كنت سر العذارى اللواتي بغيرك ماستر الساتر

وكم من تلاعك قد أشبعت نخيل بطونًا لها ساجر

تعانقت والجود في حاتم فأنت له الشاهد الحاضر

وقال ناصيف بن جنبلاط اليازجي ١٢٨٨هـ:

سقى الله نجدًا والسلام مكررًا على أول من أرض نجد وآخر

ألا إن نجدًا للذخائر معدن نعم إن نجدًا معدن للذخائر

إلى الدهر من آثار بكر وتغلب إفاضة ذكر في المحافل دائر

ألا حبذا من أرض نجد نُسَيْمَةٌ وجرعه ماء من شبيث احاز

ويا حبذا ماء الجفار وحبذا ربوع تميم والعراق الحجاز

وقال عبد الرحيم بن أحمد البرعي ٨٠٣ هـ:

وما الحب إلا لوعة وصبابة تذيب ومهجور يحن لهاجر

عسى نسمة من سفح نجد تهب لي بريح الخزامى والبشام النواضر

وقال اعرابي من عقيل:

أكرر طرفي نحو نجد وإنني مُعَنّى وإن لم يدرك الطرف أنظر

حنينًا إلى أرض كأن ترابها إذا مطرت عود ومسك وعنبر

بلاد كأن الأقحوان بروضه ونور الأقاحي وشي طرف محبر

أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي خيام بنجد دونها الطرف يقصر

وما نظري من نحو نجد بنافعي أجل لا، ولكني إلى ذاك أنظر

أفي كل يوم نظرة ثم عبرة لعينيك مجرى مائها يتحدر

متى يستريح القلب إما مجاور بحرب وإما نازح يتذكر

وقال يحيى بن طالب الحنفي ١٨٠هـ:

أحقا عباد الله أن لست ناظرًا إلى قرقري يومًا وأعلامها الغبر

كأن فؤادي كل ما مر راكب جناحا غراب رام نهضا إلى وكر

أقول لموسى والدموع كأنها جداول فاضت من جوانبها تجري

الاهل لشيخ وابن ستين حجة بكى طربا نحو اليمامة من عذر

إذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة دعاك الهوى واهتاج قلبك بالذكر

فوا حزني مما أجن من الأسى ومن مضمر الشوق الدخيل إلى حجر

تغربت عنها كارها وهجرتها وكان فراقها أمر من الصبر

وقال ابن خفاجة الأندلسي (إبراهيم بن أبي الفتح ٥٣٣هـ):

يا ليل وجدي بنجد أما لطيفك مسرى

وما لدمعي طليقا وأنجم الجو أسرى

وقد طمى بحر ليل لم يعقب المد جزرا

وقال عبد الرحيم أحمد البرعي ٨٠٣هـ:

ذكرت جيرة نجد يوم دارهم داري وسمار ذاك الحي سماري

وقالت رامة بنت الحصين:

يا ليت شعري وليت أصبحت غصصًا هل أهبطن قرية ليست بها دور

لقد تبدلت من نجد وساكنه أرضا بها الديك يزقو والسنانير

وقال ابن الزقاق الأندلسي:

وركب تساقوا كؤوس الكرى وقد طلب النوم طول السرى

يؤمون نجدًا فيا نجد بشرى سيغبط منك الثريا الثرى

وقفت بواديهم لا أرى كواعبه البيض فيما أرى

أسائله أين أدم الصريم وأنشده أين أسد الشرى

وقال ابن دقيق العيد:

إذا كنت في نجد وطيب نسيمها تذكرت أهلي باللوى فمحجر

وإن كنت فيهم ذبت شوقًا ولوعة إلى ساكني نجد وعيل تصبري

وقد طال ما بين الفريقين قصتي فمن لي بنجد بين أهلي ومعشري

وقال السهروردي ٥٨٧ هـ:

أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي خيام بنجد دونها الطرف يقصر

وما نظري نحو الحجاز بنافعي علمت ولكني على ذاك أنظر

وقال شرف الدين الحلي ٥٢٧ هـ:

هيهات عز عزاء من بضلوعه نار بفيض دموعه تتسعر

يصبو إذا هبت صبا نجدية يطوى بنفحتها الغرام وينشر

ويشوقه ترب الحمى فكأنما رياه عن نشر العبير يعبر

ويهيم عن كثب بعفر ظبائه من حيث يعتن الكثب الأعفر

وقال أبو العلاء المعري ٤٤٩ هـ:

يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر لعل بالجزع أعوانًا على السهر

فالحسن يظهر في شيئين رونقه بيت من الشعر أو بيت من الشعر

الموقدون بنجد نار بادية لا يحضرون وفقد العز في الحضر

وقال أبو فراس الحمداني ٣٥٧ هـ:

يذكرني نجدًا حبيب بأرضها أيا صاحبي نجواي هل ينفع الذكر

تطاولت الكثبان بيني وبينه وباعد فيما بيننا البلد القفر

أشيعه والدمع من شدة الأسى على خده نظم وفي نحره نثر

وقال يوسف الثالث الأندلسي ٨٢٠ هـ:

نحن إلى نجد وقد حال دونه طلاب المعالي والقضاء المقدر

تعطر ذاك الأفق منه فأودعت نسيم الصبا هذا الذكا والتعطر

أيصبر عن نجد فؤاد متيم وتنسى ليال بالمصلى وتكفر

فإن غبت عن نجد فليس بغائب ضمير يناجي أو فؤاد يفكر

وقال ابن زمرك الأندلسي:

وفي السرب من نجد تعلقت ظبية تصول على الباينا وتغير

وتمنع ميسور الكلام أخا الهدى وتبخل حتى بالخيال يزور

أسكان نجد جادها واكف الحيا هواكم بقلبي منجد

وقال أبو نباته الكلابي :

أريتك إن نجدًا ألظّ بأهله وحرته العليا الغيوث الروايح

وعاد نبات الأرض رطبًا كأنه إذا أطردت فيه الرياح الطلا

أمطلع تلك الديار فناظر إلى أهلها أم أنت من ذاك آيس

وقال الابيوردي ٥٠٧ هـ:

يا نجد ما لأحبتي شطوا لم يحم أرضك منهم ظا

ظعنوا فما لك لا تفارقهم يا قلب إن رحلوا وإن خا

وكأن عيسهم على حدق تدمى الجفون دموعها تخـ

وقال الصمة بن عبد الله القشيري:

أمن أجل دار بالرقاشين أعصفت عليها رياح الصيف بدءاً ورجّـ

قفا ودعا نجدًا ومن حل بالحمى وقل لنجد عندنا أن تودعا

ولما رأيت البشر أعرض دوننا وحالت بنات الشوق يحنن نزّعا

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتًا وأخدعا

بكت عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

الجزع والحيان لم يتفرقا فكيف إذا داعي التفرق أجمعا

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا وما أطيب المصطاف والمتربعا

وأذكر أيام الحمى ثم انثنى على كبدي من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا

وقال يزيد بن الطثرية:

أجد دموع العين في ربع دمنة بذي العطف همت أن يحم فتدمعا

قفا ودعا نجدًا ومن حل بالحمى وقل لنجد عندنا أن يودعا

سائني على نجد بما هو أهله قفا راكبي نجد لنا قلت أسمعا

فما حسن أن تأتي الأمر طائعاً وتجزع إن داعي الصبابه ودعا

وهناك تداخل بين قصيدة الصمة القشيري وأبيات يزيد حيث خلط بينهما.

وقال ابن الفارض (عمر بن علي بن مرشد ٦٣٢ هـ):

أبرق بدا من جانب الغور لامع أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع

أنار الغضا ضاءت وسلمى بذي الغضا أم ابتسمت عما حكته المدامع

أنشر خزامى فاح أم عرف حاجر بأم القرى أم عطر عزة ضائع

وهل بربي نجد وتوضح مسند أهيل النقا عما حوته الأضالع

وقال جرير ١١٠ هـ:

نحن قلوصي بعد هدوء وهاجها وميض على ذات السلاسل لامع

فقلت لها حي رويدًا فإنني ... إلى أهل نجد من تهامة نازع

ألا حبيا الأعراف من منبت الغضا ... وحيث حبا حول الصريف الأجارع

وقال الأبيوردي ٥٠٧ هـ:

ولما تجلت للوداع وأشرقت ... وجوه كأن الشمس منهن تطلع

وقفنا بوادى ذى الأراكة والحشى ... يذوب وما للصبر فى القلب موضع

وليس به إلا حبيب مودع ... على وجل يتلوه دمع مشيع

وقد كاد أجفان شرقن بأدمع ... ينشرن أسرارًا طوهن أضلع

فليت جمال المالكية إذ نأت ... أقامت بنجد وهي حسرى وظلع

وهذا مصيف بالحمى لا تمله ... وفيه لمن يهوى البداوة مربع

وقال المؤلف:

ناغميني ياهتزازات الربا ... طرقت سمعي أهازيج الربيع

لبس الخد قشيبًا مزهرًا ... عزفت أفوافه اللحن البديع

ضحك المزن عليها مسبلاً ... عبرة الأفراح في الخد المطيع

أقحوان بلجت أكمامه ... وسط حوذان على الرمل الجريع

وخزامى كلما لاح لها ... وهدة سارت إليها كالشفيع

ماست الأنفال في أغصانها ... وتخطت ربلة السهل المريع

نثر الخطمي من أعرافه ... عبقًا ينساب في رقع سريع

واشرأب الشيح في أردانه ... يسبق القيصوم في الأفق الرفيع

صافحت ريح الصبا أعطافه ... في موجات كأحلام الوديع

وسرت أزهاره هامسة ... هكذا يختال في نجد الربيع

وقال عبد الله بن الرحمن بن صالح البسام:

ألا هل لأيام القصيم رجوع ... فإني بها مهما أنست ولوع

وهل لي بأيام مضين بأوبة ... تخفف من هم طوته ضلوع

فما طلعت شمس ولا لاح بارق ... من الشرق إلا تستفيض دموع

إذا ذكر القلب الحزين مجالسا ... بها الهم ينسى والحديث يضوع

دهته جيوش من هموم تتابعت ... تضعضع منها الجسم وهو منيع

مجالس أصحاب سعدت بقربهم ... وأيام أنس سيرهن سريع

وقال حافظ إبراهيم ١٣٥١ هـ:

أمير القوافي قد أتيت مبايعًا ... وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

فغن ربوع النيل واعطف بنظرة ... على ساكني النهرين واصدح وأبدع

ولا تنس نجدًا أنها منبت الهوى ومرعى المها من سارحات

وقالت بنت الخصين الأسدية ٩٢هـ:

ألام على نجد ومن يك ذا هوى يهيجه للشوق شيء

تهجه الجنوب حين تغدو بنشرها يمانية والبرق إن لاح

ومن لا منى فى حب نجد وأهله فليم على مثلي وأوعب

لعمرك للغمران غمر مقلد فذو نجب غلاته

ونحو إذا نحو سقته ذهابه وأمرع منه تينه

وصوت مكاكي تجاوب موهنا من الليل من يأرق له فهو

أحب إلينا من فراريج قرية تزاقي ومن حي تنق

وقال حسام الدين الحاجري:

خليلي عوجا نسأل الركب حاجة بنجد فإنا قد عرفنا به

ولا تعذلاني أن لثمت أراكة تميل فمن سلمى تعلمت

وقال محمد بن حمير الهمداني:

رأى البرق من نجد عشية رفرفا فبت عميد القلب حران

خليلي من سعد عفى الله ما مضى فلا تحدثا شرًا جديدًا وقد

أمستحسن عذلي إذا الورق لي شدا على البان من نجد أو البرق

وهل ضائر دمعي إذا جاد منة ذكرت بها إلفًا قديمًا ومألفا

فإن أمرأ القيس بن حجر بعلمكم دعا صاحبيه يوم سقط اللوى قفا

وقيسًا بكى الأظعان يوم عبورهم على جبلي نعمان حتى تلهفا

وقال الأبيوردي ٥٠٧ هـ:

ألام على نجد وأبكي صبابة رويدك يا دمعي ويا عاذلي رفقا

فلي بالحمى من لا أطيق فراقه به يسعد الواشي ولكنني أشقى

وأكرم من جيرانه كل طارىء يود ودادًا أنه من دمي يسقى

وقال حسام الدين الحاجري:

يشتاق قلبي إلى نجد ويطربه نسيم نجد إذا ما هَبَّ خفاقا

وأسأل البرق أحيانًا فتخبرني عنهم بما يملأ الأحشاء إحراقا

وقال محمد بن الطاهر المجذوب:

إذا هب الصبا النجدي وهنا ومال أراك نعمان اعتناقا

وفاح عبير ناسمه سحيرًا بريح الرند أطربني انتشاقا

وقالت د. مباركة بنت البراء (موريتانيا):

نجد وينتفض التاريخ مزدهيًا عبر المسافات فياضا ومؤتلقا

نجد أتيت ومن شنقيط منزلتي أجاور الفل والنسرين والحبقا

أشم أرضي بوحاً من ربى وطني اشتم نوارها ريحانها العطـ

ضوع الخزامى مع الأنسام تحمله ريح الصَّبا وعبير الورد منبثقـ

وصلت يا نجد هل تدرين كم سنة بحثت عنك وأعييت النوى طرقـ

وصلت أحمل في كفيّ أزمنة ماجت بذكراك تأسيساً وملتقـ

لكن يا نجد لي سر أبوح به أني عشقت فهل وصل لمن عشقـ

وقال مهيار الديلمي:

فارقت حولاً أهل نجد والهوى ذاك الهوى وحرقي تلك الحرقـ

فقل لمن ظن البعاد سلوة لا تنتحل طعم شيء لم تذقـ

آه لقلب شق عنه أضلعي من الحمى تخالج البرق التفـ

ثار به الشوق فهب فهفا تطلعًا ثم نزا ثم مر

وقال في موضع آخر:

يسرون من نجد حديثًا عيوهم به في الأحاديث المريبة تنطـ

ورام بنجد خضب السهم من دمى على ما اتقيت وهو بعد يفوقـ

وقال الشريف الرضي ٤٠٦ هـ:

ولقد أقول لصاحب نبهته فوق الرحالة والمطي روافـ

أو ما شممت بذي الأبارق نفحة خلصت إلى كبد الفتى المشتاق

نجنى نسيم الشيح من نجد له حرق الحشى وتحلب الآماق

آها على نفحات نجد إنها رسل الهوى وأدلة الأشواق

وقال حسن فليح ١٣٩٨م:

لا تسل عن صبابة المشتاق وترفق بقلبه الخفاق

إيه يا نجد إن بغداد ظمأى تتلظى لضمة وعناق

حملتني لك التحية من دجلة من عذب مائها الرقراق

ثم قالت نشدتك الله بلغ أهل نجد تحيتي واشتياقي

جئت يا نجد أجتليك بقلب مستهام متيم تواق

حملتني إليك ذات جناح من بنات الأجواء والآفاق

وإذا بالصبا تفوح أريجا شيق العرف طيب الانتشاق

قلت هذا عرار نجد فحطي نتزود من طيبه العباق

فانثنت نحو أرضه ثم حطت بمغاني الجلال والاشراق

طفت في أرضها طويلاً كأني ثمل بين صحبتي ورفاقي

وتساءلت أن صناجة العرب تغني بلهفة الدفاق

اين مقط اللوى فتوضح فالمقراة ياقوم هل لها من باقي

يتغنى بها الذي استوقف الركب ليبكي بدمعه المهراق

اين دار القى عليها ابن شداد سلامًا يفيض بالأشواق

أين سفح التوباد يزخر بالآهات نجوى المشتاق للمشتاق

أين قيس وأين ليلى وماذا كان من أمر سيد العشاق

إيه يا نجد أنت فخر البوادي ومنار الغدو والأطراق

وقال الطغرائي:

أيا حبذا نجد وأعراق الثرى لدن وأنفاس النسيم رقاق

فهواؤه خضر النسيم وتربه حالي الأديم وماؤه رقراق

وبساكنيه إن استقر بنا النوى تشقى النفوس وتمسك الأرماق

وقال حمد العسعوس:

يا نجد يا فتنق الوهى ويا وترا أصداؤه تترامى نحو آفاقي

إليك ينقلني سحر اهوى قمرا وتشرب النور من خديك أحداقي

ردي إليَّ فؤادي فهو يسبقني إليه والوجد يغلي بين أعماقي

لكي أسافر من قلبي إلى بدني أهدي تحية مشتاق لمشتاق

وقال محمد بن عبد الله بن بليهد:

بلادي بلاد العز والمجد والندى لقد شاقني يا نجد حسن ربالك

كأني أرى حسن الربيع وقد كسا من السندس المرسوم كل ذراك

كأني أرى وجه الرياض وقد بدا كثوب عروس فى زمان أرلاك

ونبتك ريحان ، أديمك سندس وكل المنى أن التحف بسماك

أرى النار أورى فى الجوانح ناره ألا فأطفئي نار النوى بصباك

نسيم صبا نجد على القلب فانسني وروض القطا إني عشقت شذاك

فيا صاحبي رحلي دعاني والجدا إذا كنتما لا ترضيان هلاكي

وقال المرار بن سعيد الفقعسي الأسدي:

لعمرك أنني لأحب نجدًا وما أرأى إلى نجد سبيلا

وكنت حسبت طيب تراب نجد وعيشًا بالطريفة أن يزولا

أجدك أن ترى الأجفار يومًا ولا الخلق المبينة الحلولا

ولا الولدان قد حلوا عراصًا ولا البيض الغطارفة الكهولا

إذا سكتوا رأيت لهم جمالاً وإن نطقوا سمعت لهم عقولا

وقال ابن حبيش الأندلسي:

يا أهل نجد ومن وجد دعوتكم والبين قد سد فيما بيننا السبلا

هبوا رضاكم لمشغوف بحبكم راض بحكم هواكم جار أو عدلا

صلوا غريبًا عن الأوطان منقطعًا يهدي حنينًا إلى الأحباب متصلا

وقال عبد الرحيم بن أحمد البرعي ٨٠٣ هـ:

أيها القادمون من أرض نجد هل وجدتم لهم قلبي عزيزا

إن قوما أحبهم هجروني بعد وصل فصار قلبي عليلا

وقال ذو الرمة (غيلان بن عقبة العدوى التميمي ١١٧هـ):

وما الوسمي أوله بنجد تهلل في مساريه الالا

بذي لجب تعارضه بروق شبوب البلق تشتعل اشتعالا

فلم تدم البوارق عرض بطن رغيب سيله الاسالا

وقال هاشم الميرغني:

يا حادي الظعن يحدو الظعن معتفسًا في جنح ليل ظليم يقطع السبلا

قف لي رويدًا لكي تحمل سلام فتى لأهل نجد وتقضي حاجة السئلا

من أجلهم ألفت عيني السهاد وقد عييت مما جرى من بعدهم رجلا

وقال الأبيوردي ٥٠٧ هـ:

ونحن بنجد قبل أن تفطن النوى بنا ويروع القاطنين زيال

على منهل عذب النطاف كأنما أدار به كأس الشمول شمال

ركزنا حواليه الرماح وما لنا سواها إذا فار الهجير ظلال

وقالت تماضر بنت مسعود بن عقبة أخي ذي الرمة:

نظرت ودوني القف والنخل هل أرى أجارع في آل الضحى من ذري الرمل

فيالك من شوق وجيع ونظرة ثناها عليَّ القف خبلاً من الخبل

ألا حبذا ما بين حزوي وشارع وأنقاء حزوي من حزون ومن سهل

لعمري لأصوات المكاكي بالضحى وصوت صبا من حائط الرمث

وصوت شمال زعزع بعد هدأة ألاء وأسباطا وارطى من الحبل

أحب الينا من صياح دجاجة وديك وصوت الريح في سعف النخل

فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة بجمهور حزوي حيث ربتني أهلي

وقال محمد بن سعد المشعان ١٤٢٢ هـ:

نجد التي عاش في أفيائها سلفي متى إليها إلى آمالنا تصل

على الرياض سلام والذين بها وألف ألف سلام للألى نزلوا

بأرض نجد سقاها الغيث حيث بها تحنو الروابي ويحنو السهل والجبل

وقال أعرابي قدم ليضرب عنقه:

تألق البرق نجديا فقلت له يا أيها البرق إني عنك مشغول

أليس يكفيك هذا ثائر حنق في كفه صارم كالملح مسلول

وقال الأبيوردي ٥٠٧ هـ:

أضاء بريق بالعذيب كليل فتني نجادي للدموع مسيل

تناعس ف حضن الغمام كأنه حُسام رميض الشفرتين صقيل

فآهاً من البرق الذى بز ناظري كراه وأسراب الدموع همول

تألق نجديًا فحنت نويقة يجاذبها فضل المراح جديل

وقال يحى بن طالب الحنفي ١٨٠هـ:

أيا أثلاث القاع من بطن توضح حنيني إلى أطلا لكن طويل

ويا أثلاث القاع قلبي موكل بكن وجدوى غير كن قليل

ويا أثلاث القاع قد مل صحبتي مسيري فهل في ظلكن مقيل

ألا هل إلى شم الخزامى ونظرة إلى قرقري قبل الممات سبيل

فأشرب من ماء الحجيلاء شربة يداوى بها قبل الممات عليل

أحدث عنك النفس أن لست راجعًا إليك فحزني فى الفؤاد دخيل

أريد انحدار نحوها فيصدني إذا رمته دَيْنٌ علي ثقيل

وقال ابن السنان الخفاجي:

أفي نجد تحاورك القبول أظن الريح تفهم ما تقول

تغنت فى رحال الركب حتى تشابهت الذوائب والذيول

صبحنا ف دياركم صباها تناولها التنفس والنحول

وأمطرنا سحاب الدمع حتى حسبنا أنه مهج تسيل

وعجنا ذاهلين فما علمنا أنحن السائلون أم الطلول

وأعدينا بذكركم الخزامى فمال مع النسيم كما يميل

وقال أحمد بن علي بن مشرف ١٢٨٥ هـ:

وإن هبت صبا من أرض نجدٍ بعرف الشيح منها والخزاما

تصابي قلبه واهتز وجدًا كأن هبوبها يسقى المداما

تذكرني الخيام بأرض نجد وقلبي عند من سكن الخياما

وقال الأخرس ١٢٩٠ هـ :

أبى الله إلا أن تعز وتكرما وأنك لم تبرح عزيزًا مكرما

تحف به من أهل نجد عصابة يرون المنايا لا أبا لك مغنما

أأبناء نجد أنتم جمرة الوغى إذا اضطرمت نار الحروب تضرما

وفى العام ما شيدتموها مبانيًا من المجد يأبى الله أن تتهدما

وما هى إلا وقعة طار صيتها وأنجد فى شرق البلاد وأتهما

رفعتم بها شأن المنيب وخضتم مع النقع بحرًا بالصناديد قد طمى

وقال ابن معصوم ١١٩ هـ:

أرج الروض بريا طيبها وروى عن طيبها نشر الخزامى

وسرت بالهند منها نسمة فشممنا شيح نجد والبشاما

يا رعى الله ربوعًا بالحمى وسقاها صوب دمعي فالغماما

وقال الأمير ابن عبد المؤمن ٦٠٤ هـ:

وسلني عن مهى نجد تجدني خبيرا ما أردت به عليما

ومن عجب الأمور أكون ليثًا لدى الهيجاء ثم أخاف ريما

وقال ابن الحجاج النميري ٧٦٨ هـ:

رعى الله نجدًا وحيا الخياما وإن هي هاجت لقلبي غراما

وروى بعينين من دمع عيني وصوب السحائب داري أماما

وقدس دون الحمى أربعا حمت مقلتي أن تذوق المناما

وبالأجرع الفرد من حاجر منازل هامت بمن فيه هاما

ومما أثار لي الوجد برق ظنناه بين الثنايا ابتساما

ونفحة ريح أتت من زرود بهبتها الركب ماتوا هياما

قال حميد بن ثور الهلالي ٣٠ هـ:

خليلي هبا علالي وانظرا إلى البرق إذ يفري سني وربما

عروضًا تعدت من تهامة أهديت لنجد فساح البرق نجدًا وأتهما

كأن رباحًا أطلعته مريضة من الغور يسعرن الأباء المضرما

وقال عبد الرحيم أحمد البرعي ٨٠٣ هـ:

هيجتني نسمة نجدية قلبت قلبي عميداً مستهاما

كلما ناحت حمامات الحمى في أراك الشعب ناوحت الحماما

وقال في موضع أخر:

وإذا هبت صَبَا نجد لهم فهمتهم عن ربي نجد كلاما

عذي الوجد وقلبي فيهم يكره المسك ويرتاح الخزاما

والفتى العذرى لا ينفك عن عهدة الشوق وإن ذاق الحماما

وقال مهيار الديلمي ٤٢٨هـ:

وشمت فيك أنفاس الصبا يتناجين بأنفاس الخزامى

قل لجيران الغضا آها على طيب عيش بالغضا لو كان داما

حملوا ريح الصبا نشركم قبل أن تحمل شيحاً وثماما

وقال ابن معتوق الموسوي:

سقى غيث السرور حزون نجد وجاد على مرابعها الغمام

ديار تكفل الآرام فيها عتاق الخيل والأسد الكرام

بروج تشرق الأقمار فيها بأطواق وتحجبها

إذا نشرت غوانيها الغوالي تعطر في مغانيها

وقال ابن الصباغ الجذامي:

يخيل أنه قد حل نجدا فيشفى من مواردها

أيا بانات نجد هل شميم فيحييني على النأى

تهب به الرياح على مشوق يهيمه بنفحته

وعلوي الرياح لها بقلبي إذا هبت روائحها

وقال شرف الدين الحلي ٥٢٧ هـ:

أحن إلى نجد وإن حال دونها زمان بتفريق الأحبة

وأهفو إلى وادي الأراك كما هفت ظماء على ماء النقيب حوائم

وقال أشجع السلمي ١٩٥ هـ:

يذكرني نجدًا وطيب عراصها على ظمإٍ برد الرياح النواسم

وقال ابن هانئ الأندلسي:

فكيف بها نجدية حال دونها صعاليك نجد في متون الصلادم

أنى دونها نأي المزار وبعده وآساد أغيال وجن صرائم

وقال عبد الباقي العمري:

نجد أحب معاهدي ومراسمي فيها قضيت مع الحسان مواسمي

دار بها الآرام تسرح والطلا مرحا تهادى في سماح نعائم

ومعالم منها الأماني تجتنى أثمارها من غصن قد ناعم

وقال أحمد سالم باعطب:

ما الشيح ما الرند ما القيصوم غير رؤى تطوف بالطهر في حل وفي حرم

وما الخزامى وما طيب العرار سوى جداول الحب تروى قلب كل ظمي

لقنت من عزتي الأجيال أغنية نجدية اللفظ والأوزان والنغم

هامت بها أنفس ميمونة شغفت بالمجد يقدمها للمكرمات كمي

وقال عبد العزيز بن زراره الكلابي ٥٠ هـ:

رحلنا من الوعساء وعساء مالك لحين وكنا عندها بنعيم

فما لبثنا العيس أن قذفت بنا لذي غربة والعهد غير قديم

فأصبحن قد ودعن نجدًا وأهله وما عهد نجد عندنا بذميم

فلما بدت جلدية من أمامنا رفتك وجاوزنا بلاد تميم

وأعرض رعن من خفاف كأنه نعايم ربد بينهن ظليم

بكيت بكى ذي الودعتين تلده عن الندي رجزاء القيام هضيم

وإن الذي يرجو إيابي وقد أتت ركابي على خبث لغير حليم

وقال جرير بن الخطفى ١١٠هـ:

يا أم عثمان ما تلقى رواحلنا لو قست مصبحنا من حيث [illegible]

ترمي بأعينها نجداً وقد قطعت بين السلوطح والروحان صواء

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كان

وحبذا نسمات من يمانية تأتيك من قبل الريان أحيا

وقال ابن زاكور الفاسي:

صبا نجد ألا هبي علينا فإن لنا على مسراك دينا

فربتما بردت غليل صب يحن إلى بثينة أو ربنا

أجدك هل رأيت ولن تريها بدورًا كان مطلعهم لدينا

سموا صعدًا إلى مهفاك شوقًا إليه فاستراحوا واكوبا

وقال الشريف المرتضى (علي بن الحسين بن موسى ٤٣٦هـ):

يا أرض نجد سقاك الله منعبقا من الغمام غزير الماء ملآنا

إذا تضاحك منه البرق ملتمعًا في حافيته أردن الرعد إرنانا

أرض ترى وحشها الآرام مطفلة وفي منابتها القيصوم والبانا

وإن تجل في ثراها طرف مختبر لا تلق إلا حديقات وغدرانا

وقال عبد الرحيم أحمد البرعي ٨٠٣هـ:

سمعت سويجع الأثلات غنى على مطلولة العذبات رنا

أجابته مغردة بنجد وثنت بالإجابة حين ثنى

وذكرني الصبا النجدي عيشا بذات البان ما أمرأ وأهنا

ذكرت أحبتي وديار انسي وراجعت الزمان بهم فضنا

وكاد القلب أن يسلو فلما تذكر أبرق الجنان حنا

وقال في موضع آخر:

هل باكرته الغوادي وهى مثقلة بالري تسقى الأراك الغض والبانا

وهل بنجد وسفح البان من أضم ما يذهب القلب عن نعم ونعمانا

وقال محمد البزم:

يمم سقاها الحيا نجدا وحي بها منابت العز قيصوما وحوذانا

وانزل بحيث ترى العرباء خالصة والدين عفا وطرف العدل يقظانا

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي:

تذكرت الصبا واشتقت لما رأيت حمولها أصلاً حدينا

فأعرضت اليمامة واشمخرت كأسياف بأيدي مصلتينا

وقال مجنون ليلى قيس بن الملوح العامري ٦٨هـ:

أحن إذا رأيت جبال قومي وأبكي إذ سمعت لها حنيـ

سقى الغيث المجيد بلاد قومي وإن خلت الديار وإن بليا

رعى نجد وساكن أرض نجد تحيات يرحن ويغتديـ

وقال محمد المستطير ١٤٢٦هـ:

أتذكر ذلك المغنى وربعا قرب أهلينا

به للروح محياه كما والمزن يسقينا

صبا نجد تصافحه فننشق منه ما شينا

فمن شيح لقيصوم تضوع في نواحينا

وقال الشريف الرضي ٤٠٦هـ:

أيا جبلي نجد أبينا سقيتما متى زالت الأظعان يا جبلا

أناديكما شوقاً وأعلم أنه وإن طال رجع القول لا تعلا

أقول وقد مدّ الظلام رواقه وألقى على هام الربى بجرا

نشدتكما أن تضمناني ساعة لعلي أرى النار التي تزه

والقى على بعد من الدار نفحة تذم على عيني من المهلا

قفا صاحبيّ اليوم أسأل ساعة ولا ترجعا سمعاً بغير بيا

هل الربع بعد الظاعنين كعهده وهل راجع فيه علي زماني

وهل مس ذاك الشيخ عرنين عاشق وهل ذاق ماء باللوى شفتان

وقال محمد بن الله بن بلهيد:

قلبي الذي عمرت نجد جوانبه بحبها وهوى الأوطان فتان

يا نجد أنت بلاد المجد مذ عرفت أسماؤه وهفت للمجد أوطان

وقال محمد بن عبد الله بن عثيمين:

عج بي على الربع حيث الرند والبان وإن نأى عنه أحباب وجيران

طفت المعالم من شام إلى يمن ومن حجاز ولبتني خراسان

فما لقيت ولن ألقى ولو بلغت بي منتهى السد همات ووجدان

وقال ابن زاكور الفاسي ١١٢٠هـ:

تذكر مشتاهم بنجد وهاجه مصيف لهم حيث وعيد وظيان

وشاقته أحداج لسلمى بعاقل وأغرته آرام هناك وغزلان

متى لاح من نجد بريق يراق من محاجره مزن من الدمع هتان

وإن فاح من نجد نسيم عراره يطير به قلب إليهم حنان

بأكثر مني حسرة وتشوقاً إليكم فصدري من زفيري ملآن

وقال عبد الرحيم بن أحمد البرعي ٨٠٣ هـ:

رياض نجد بكم جنان فضية نورها حسان

وترب واديكم بنجد مسك وحصباؤها جمان

وقال عبد الله بن الدمينة:

ذكرتك والنجم اليماني كأنه وقد عارض الشعري قريع هجا

فقلت لأصحابي ولاحت غمامة بنجد ألا لله ما تروا

فقالا نرى برقا تقطع دونه من الطرف أبصار لمن روا

وقال في موضع أخر:

وأجهشت للتوباد لما رأيته وهلل للرحمن حين رآ

فقلت له أين الذين عهدتهم حواليك في خفض وطيب زما

فقال مضو واستبدلوا بديارهم ومن ذا الذي يبقى على الحدا

وقال مالك بن الريب المازني التميمي:

سقى الله اليمامة من بلاد نوافحها كأرواح الغوا

وجو أزاهر للريح فيها نسيم لا يروع الترب وا

به. سقت الشباب إلى مشيب يقبح عندنا حسن الزما

وقال الأبيوردي ٥٠٧ هـ:

أرض العذيب أما تنفك بارقة تسمو بطرفي إلى الريان أو حضن

أصبو إلى أرض نجد وهي نازحة والقلب مشتمل مني على الحزن

وأسأل الركب عنها والدموع دم بناظر لم يخط جفنًا على وسن

وإن مرى البرق من تلقائها غرضت عيسي بذي سلم من مبرك خشن

والريح إن نسمت علوية نضحت بالدمع حنة علوي إلى الوطن

فهل سبيل إلى نجد وساكنه يهز من ألف المصرين للظعن

ليس العراق له بعد الحمى وطنا يميس عافيه بين الحوض والعطن

وتستريح المطايا من توقصها إذا فلت لم الحوذان بالثفن

فنبت شعري وكم غر المنى أمماً من فرع عدنان والأذواء من يمن

هل أهبطن بلاذا أهلها عرب لم يشربوا غير صوب العارض الهتن

وقال الأبيوردي ٥٠٧ هـ:

نظرت وللأدم النوافخ فى البرى بشرفي نجد يا هزيم حنين

الى خفرات من نمير كأنها ظباء كحيلات المدامع عين

إذا ما تنازعن الحديث اشتفى به من الوجد متبول الفؤاد حزين

وقال الشريف المرتضي ٤٣٦ هـ:

لعمرك إنني فارقت نجدًا وقلبي مودع فيها رهين

وما لي بعد فرقة أهل نجد قرى إلا نحيب أو أنين

وقال ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد ٨٠٨ هـ:

يا أهل نجد وما نجد وساكنها حسنا سوى جنة الفردوس والعين

أعندكم إنما قد مر ذكركم إلا انتشيت كأن الراح يشفيني

أصبو إلى البرق من أنحاء أرضكم شوقا ولولاكم ما كان يصبيني

وقال الأبرص الصلاتي:

جاء الأطباء من حمص تخالهم من جهلهم أن أدواى كالجنين

قال الأطباء ما يشفيك قلت لهم دخان رمث من التسرير يشفيني

إني أحن إلى إدخان محتطب من الجنينة جزل غير ماأون

وقال ابن خفاجة الأندلسي:

خليلي من نجد بودكما انشقا نسيم الصبا هل عطر البان رياه

وهل جر أردانا على أجرع الحمى فأهدى تحايا رنده وخزاماه

ألا هل إلى نجد سبيل لذى هوى سقى مدمع العشاق نجدًا وحياه

ولا برحت أنفاسهم تفضح الصبا هبوبًا لدى أسحاره وعشاياه

وقال محمد الصالحي الهلالي:

لم تدر هل من أعالي الرقمتين سرى أم من زرود فحق قد جهلناه

لنا تبسم ساريه أضاء لنا من نحو نجد على بعد عرفناه

سرى فاجج نار الشوق خافقه بقلب صب ضرام الوجد أصلاه

وقال القتال الكلابي:

إذا هبت الأرواح كان أحبها إلي التي من نحو نجد هبوبها

وإني ليدنيني إلى طاعة الهوى كواعب أتراب مراض قلوبها

كأن شفاه الحو منهن حملت ذرى بردًا ينهل منها غروبها

بهن من الداء الذي أنا عارف وما يعرف الأدواء إلا طبيبها

وقال أخر وقيل لأعرابية من طيء:

أحب بلاد الله ما بين منعج إلي وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها نيطت عَلَيّْ تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

وقالت إمرأة من تميم:

إذا هبت الأرواح هاجت صبابة علي وبرحاً في فؤادي هبوبها

ألا ليت أن الريح ما حل أهلها بصحراء فلج لا تهب جنوبها

وقال الصمة بن عبد الله القشيري ٩٥ هـ:

فيا أهل نجد لا شقيتم ولقيت ركابكم رشدًا وحلت ذنوبها

إذا ما أتيتم أهل نجد وعريت قلائص أدتكم وقد طال دوبها

فمنا عليهم فاقرؤن تحية يخص بها شبان قومي وشيبها

تحية مشتاق إلى أن يراهم ورجع أماثيل يفدى غريبها

وقال عبد الله بن الدمينة:

رِدَا ماء حزوي فانشحا نضوتيكما على حين يخلي ماء حزوي قريبها

وسوفا الثرى حتى يجلي عنكما غليل الصدى برد الحياض وطيبها

فإن على الماء الذي تردانه مفلجة الأنياب ردم كعوبها

فما مزنة بين السماكين أومضت من الغور ثم استعرضتها جنوبها

بأحسن منها يوم قالت وحولنا من الناس أو شاب يخاف شغوبها

تغانيت واستغنيت عنا بغيرنا هنيئًا لمن في السر أنت حبيبها

فقلت لها أنت الحبيبة فاعلمي إلى يوم يلقى كل نفس حسيبها

وددت بلا مقت من الله أنها نصيبي من الدنيا وأني نصيبها

وقال عدي بن الرقاع العاملي ٩٥ هـ:

وناعمة تجلو بعود أراكة مؤشرة يسبي المعانق ضيبها

كأن بها خمرًا بماء غمامة إذا ارتشفت بعد الرقاد غروبها

أراك إلى نجد تحن وإنما منى كل نفس حيث كان حبيبها

وقالت زينب الضبية:

فيا حبذا نجد وطيب ترابه إذا هضبته بالعشي هواضبه

وريح صبا نجد إذا ما تنسمت ضحى أو سرت جنح الظلام جنائبه

وأقسم لا أنساه ما دمت حية ومادام ليل من نهار يعاقبه

ولا زال هذا القطر يسفر لوعة بذكراه حتى يترك الماء شاربه

قال ابن الخياط (احمد بن محمد التغلبي):

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه فقد كاد رياها يطير بلبه

وإياكما ذكر النسيم فإنه متى هب كان الوجد أيسر خطبه

وقالت حسانة المرية:

أقول لأذني صاحبي وأسره وللعين دمع يحدر الكحل ساكبه

لعمري لنهي باللوى نازح القذى نقي النواحي غير طرق مشاربه

أحب إلينا من صهاريج ملئت للعب فلم تحلو لدي مشاربه

فيا حبذا نجد وطيب ترابه إذا هضبته بالعشي هواضبه

وريح صبا نجد إذا ما تنسمت ضحى أوسرت جنح الظلام جنائبه

والبيتان الأخيران وردا منسوبين إلى زينب الضبية.

قال حسام الدين الحاجري ٦٣٢ هـ:

خليلي عوجا بالغوير وكثبه ولا تمنعا المشتاق من لثم تربه

هو الصب يصبيه الهوى دون صحبه خذا من صبا نجد أمانا لقلبه

فقد كاد رياها يطير بلبه

وقالت عاتكة الخزرجي:

نجد وكم هام الفؤاد بسحرها فأضل دربه

نجد حمى ليلى وقيس مهد أسفار المحبة

وبها نعى شدو الحداة كأننا في الوهم قربه

وقال أبو الحسن علي التهامي:

فإن بك شخص بالثغور فمهجتي بنجد سقاه المزن صوب غمامه

فهل ترين عيناي بيض خدوده فجاوره بالدو بيض نعامه

فأشتم من حوذانه وعراره وقيصومه أو شيحه وبشامه

وقال د.محمد بن سعد بن حسين:

هواك ربيع الروح يا نجد كلما تنائيت أدنتني إليك بواكره

أواخره إن تمضي تأتي فتية أوائله حتى تجد أواخر

لعمري لقد شط المزار وأرتعت صروف النوى كاسا زعافا أعاقره

فياليتني كنت الخلي بلا هوى إذا لم تمزق جانحي كواسره

فيا ساكني نجد الجلال تحية لكم وسلاما يأسر الورد عاطره

وهل أملكن إلا تحية نازح وتسليم مشتاق ودمعا أساهره

وقال عبد الله بن محمد خميس:

سقتها الغوادي كم بها من مرابع يعطر أنفاس النعامى عبيرها

من الشيح والقيصوم والبان نشرها وما حاكه ودق السماء غميرها

إذا داعبتها السحب أو جسها الصّبا تأرج مغناها وراق غديرها

فكم في ربى حجر اليمامة مرتع تغنى به ميمونها وجريرها

وفي الشم مما قد سما من هضابها خورنقها إن أعرضت وسديرها

وقال المؤلف:

نجد التي من صميم القلب أهواها قلب الجزيرة نبض في خلاياها

قد غازل البعض شيئاً من شمائلها كابن الملوح غنى في مزاياها

عبيرها حين يسري من حبيبته بما ينافحه من نشر رياها

وفاته ذكر أشياء شغفت بها حتى سرت في دمائي في خباياها

وقال ابن معصوم:

أحب لريا نشرها كل نفحة تمر بنجد أو خزامى خزامها

سقى أرض نجد كل وطفاء ديمة وما أرضها لولا محط خيامها

وقال مهيار الديلمي:

يا طربًا لنفحة نجدية أعدل حر القلب باستبرادها

وما الصبا ريحي لولا أنها إذا جرت هبت على بلادها

وقالت أسماء المرية :

مقطعة أحشاؤها من جوى الهوى وتبريح شوق عاكف لا يريمها

أيا جبلي وادي عريعرة التي نأت عن نوى قومي وحق قدومها

ألا خليا مجرى الجنوب لعله يداوي فؤادي من هواه نسيمها

وقولا لركبان تميمية غدت إلى البيت ترجو أن تحط جرومها

بأن بأكناف الرغام غريبة مولهة ثكلى طويلاً نئيجها

وقال عبد الباقي العمري:

هذه حزوى وهاتيك رباها فتمسك بشذى طيب شذاها

وانشق الارواح من قيصومها وتلق النشر من وادي طواها

يا رعى الله مغاني حاجر بغوانيها عن الحس غناها

هي أرض فى سما أرجائها مرحًا تختال بالتيه تياها

وقال ابن الحجاج النميري ٧٦٨ هـ:

باتت تحدث عن نجد وما فيها فخلت درا سقوط اللفظ من فيها

وطار حتى شجونًا كان ينشرها وجدي القديم وكان الكتم يطويها

إيه على الجيرة الغادين دارهم نجد وعن منجدي من غر أهليها

وأعصر ذهبت عني وقد ختمت رحيق أنسي بمسك من لياليها

وقد نسيت ولا أنسى وإن هي قد أضحى غرور الأماني من أمانيها

بدور تم على قضب على كثب تبدو بأفقين من قلبي وواديها

وقال حسام الدين الحاجري:

تبدت لنا حزوى فهاج جواها نسيم شمال ضوعته رباها

ولاحت لها كثبان رامة فانثنت تبل بطوفان الدموع خطاها

إذا ما حدى الحادي بنجد تمايلت كأن سلاف السلسبيل سقاها

وقال الأبيوردي ٥٠٧هـ:

وسرحة بربي نجد مهدلة أغصانها بغدير ظل يرويها

إذا الصبا نسمت والمزن يهضبها مشى النسيم على أين يناجيها

تقبل في ظلها بيضاء آنسة تكاد تنشرها لينا وتطويها

سود ذوائبها بيض ترائبها حمر مجاسدها صفر ترائبها

عارضتها فاتقت طرفي بجارتها كالشمس عارضها غيم بواريها

وثمت ملقى على سقط اللوي لمي ونفحة المسك تسري في نواحيها

ثم انتبهت ولاح الفجر في ظلم غدا بغص سناه من حواشيها

وجاء في صبا نجد:

والعين من حب أعرابية عرضت تعوم في عبرات كنت أذريها

فليتها لي والآمال أكثرها تعذب النفس في الدنيا وما فيها

وقال ابن دقيق العبد:

فبادر إلى نجد ولذ بنسيمها وبرد جناها ثم طيب ظلالها

وفاح نسيم الروض حتى تعطرت رباك برياه وريق جمالها

وغنت لك الأطيار من كل جانب فأطرب أهل الحي منها مآلها

فلا تبخلي أن ترسلي لي نسمة تبل عليك الشوق مني بلالها

فيا حبذا برق في أراضي مسرة ونفحة ريح من هناك انتقالها

عقدت على حبي لذكرك عقدة عسير على مر الزمان انحلالها

وقال مالك بن الريب ٦٠ هـ:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا

فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه وليت الغضا ماشي الركاب لياليا

وليت الغضا يوم ارتحلنا تقاصرت بطول الغضا حتى أرى من ورائيا

لقد كان في أهل الغضا لو دنا الغضا مزار ولكن الغضا ليس دانيا

تذكرت من يبكي علي فلم أجد سوى السيف والرمح الرديني باكيا

وقالت العيوف بنت مسعود بن عقبة أخي ذي الرمة:

خليلي قوما فارفعا الطرف وانظرا لصاحب شوق وانظرا متراخيا

عسى أن نرى والله ما شاء فاعل بأكثبة الدهنا من الحي باديا

وإن حال عرض الرمال والبعد دونهم فقد يطلب الإنسان ما ليس رائيا

يرى الله أن القلب أضحى ضميره لما قابل الروحاء والعرج قاليا

وقال الشريف الرضي ٤٠٦ هـ:

أقول لركب رائحين لعلكم تحلون من بعدي العقيق اليمانيا

وقال شرف الدين الحلي ٥٢٧ هـ:

تذكرت النسيم الحاجريا فظلت في البرى تهوي هويا

وآلفتها إلى هضبات نجد سنى برق أضاء لها عشيا

فكان خزامها نشر الخزامى ولمع البرق سائقها الوحيا

فدعها أيها الحادي تباري أزمتها وجنبها العصيا

وقال عبد الرحمن العيدروس:

صاحبي عرج على نجد وحي أهل حي لم يكن يحكيه حي

وانتشق عرف الروابي قائلاً يا له عرفاً يعيد الميت حي

طرق الحج وما تمثله من روابط

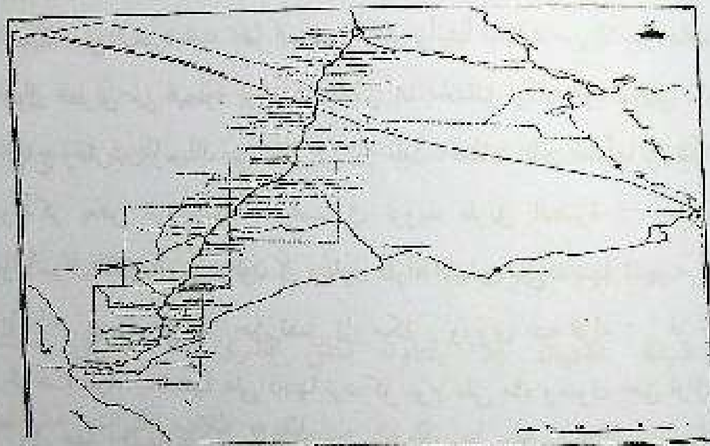
لاشك أن طرق الحج التي تخترق المنطقة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي تمثل عدداً من الروابط الدينية والاقتصادية والاجتماعية حيث تربطها بأجزاء معينة من الأقطار العربية والإسلامية ، وإن كانت هذه الطرق لا تخلو أحياناً من المنغصات بما يكدر صفو هذه الروابط خاصة في الأوقات التي تضطرب فيها الأمور في هذه المنطقة حين يبرز على هذه الطرق أفراد أو مجموعات من قطاع الطرق مثل ظهور ابن الجراح الطائي والأصيفر من المنتفق وذلك في القرن الرابع الهجري أو تكون هناك كيانات لها اتجاهات معينة تحاول الإضرار بالخلافة العباسية وتشوه سمعة المنطقة بابتزاز الحجاج الأبرياء وسلبهم أموالهم وقتلهم بأسلوب بشع تقشعر منه الأبدان كما فعل القرامطة في القرن الرابع الهجري كما أسلفنا أو ما كان بدافع الطمع والجشع كما فعلت قبيلة زعب في القرن السادس الهجري وما عدا ذلك فالوضع يسير بدون أية مزعجات منذ انتشر الإسلام في العراق وخراسان في صدر الإسلام حين بدأ الحجاج يسلكون هذه الطرق حيث استمرت هذه الطرق حوالي ثلاثمائة سنة وهي سالكة بدون أية عوائق وبعد أن انتهى حكم القرامطة في البحرين (الأحساء) خفت هذه المشاكل والمنغصات إلى درجة كبيرة لا يكاد يذكر منها إلا ما ندر من التصرفات الفردية واستمر هذا الوضع إلى عهد قريب وهذا يعني أن هذه الطرق قد استمر العمل بها حوالي ثلاثة عشر قرناً من الزمن في هذه الفترة الزمنية الطويلة ارتبطت هذه المنطقة بالأقطار التي يأتي منها أولئك الحجاج

بعوامل متعددة منها العامل الروحي الذي يشعر به الحاج وهو يجتاز أرضاً أهلها مسلمون يرى فيها المساجد في كل تجمع سكاني يصل إليه وقد يؤدي فيه الفروض التي تصادفه وهم في هذا التجمع يتبادلون تحية الإسلام على تراب هذه الجزيرة التي يوجد على أرضها الحرم المكي وكعبة الإسلام والمسجد النبوي مثوى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقبل الحاج كل ما لاقى من التعب والنصب والمشاق في هذا السبيل ، يلاقي ألطف المعاملة من الأهالي في التجمعات السكانية التي يمر بها سواء أكانت مدنًا أو بلدات أو قرى أو مضارب بادية ، ومن الجانب الاجتماعي فإن اختلاط الحجاج والأهالي فيتخذون منهم رفاقًا ثم يمنحونهم ثقتهم ويودعون عندهم ما ثقل من متاعهم وأقواقم إلى حين عودقم ويتبادلون معهم الهدايا ولا يستأخر الأهالي عن تقديم العون والمساعدة أثناء إقامتهم ومحاولة إسعاف المرضى ومداواقم .

يخترق نجد طريقان رئيسان للحج من العراق والأقطار الإسلامية لما وراء النهر هذان الطريقان لعبا دورًا هامًا منذ انتشار الإسلام في تلك الأقطار وقد كان هذان الطريقان معبرًا للتجارة التي كانت متبادلة بين تلك الأقطار عبر نجد وقد استمرا بعد ذلك ويشار إليهما بطرق الحج لما يعبرها في موسم الحج من القوافل التي تضم آلاف الأفراد هذان الطريقان هما : الطريق الكوفي الذي ينطلق من الكوفة مخترقًا شمالي نجد حتى يصل إلى مكة والطريق يطلق عليه طريق زبيدة ، أو درب زبيدة وقد توفرت معلومات عن هذا الطريق مستقى بعضها من كتاب "درب زبيدة" للدكتور سعد بن عبد العزيز الراشد نقتطف منه ما له

علاقة بالتاريخ شاكرين للمؤلف لطف تجاوبه وسماحه بذلك وقد وردت المعلومات مرتبة تاريخيًا كالآتي:

أثناء تزعم طليحة الأسدي للقبائل العربية المرتدة عن الإسلام وهي أسد وغطفان وطيء (قبل أن تتراجع الأخيرة) عام ١١ هـ - ٦٣٢ م أنشأوا القواعد الحربية على طول الطريق وخاصة من سميراء (قاعدة بني أسد) إلى الربذة.



وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٣- ٢٣ هـ ٦٣٤ – ٦٤٤م حين اختار سعد بن أبي وقاص على رأس جيش المسلمين لفتح العراق نصح الخليفة سعدًا بالأماكن التي يعسكر فيها ليعطي الجيش الراحة والتأهب للانطلاق مرة أخرى ومن الجدير بالذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب قد سلك هذا الطريق كما ذكر البلاذري عندما سافر من مكة إلى المدينة ومن ثم إلى الحيرة قبل البعثة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فالهمداني يذكر أن

عمر ذهب إلى الحيرة مع فتيان قريش لمقابلة النعمان ملك الحيرة الذي أكرم وفادتهم ومنحهم الجوائز الثمينة وقد ولى عمر أبا موسى الأشعري على البصرة عام ١٧ هـ / ٦٣٨م فقام بحفر الآبار على طول طريق البصرة – مكة منها حفر أبي موسى الأشعر (حفر الباطن الحالي) وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ٢٣ هـ / ٦٤٤- ٦٥٦م تم حفر العيون في منطقة فيد (بمنطقة حائل) وفي عام ٢٩ هـ -٦٤٩م اختار الخليفة عثمان عبد الله بن عامر بن كريز واليًا جديدًا على البصرة فقام بحفر العيون والآبار وأنشأ العديد من الاستراحات على طول الطريق من البصرة إلى مكة وألحق بها الحدائق وأشجار النخيل، وكان النباج والقريتين وبستان بني عامر من بين تلك المحطات التي أنشأها (٤٢،٦٠٠) وتذكر بعض الروايات أنه رغب في تزويد طريق البصرة – مكة بالمياه والأسواق اللازمة حتى يكون في متناول المرأة السفر على دابتها تسير من موقع إلى آخر في راحة ويسر حتى تصل إلى مكة . وروى عنه قوله : " لو تركت لخرجت المرأة حداجتها على دابتها ترد كل يوم على ماء وسوق حتى توافي مكة " وفي عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٣٦ هـ – ٦٥٦م يبدو أنه سلك الطريق الرئيس لأنه توقف في بعض المنازل المشهورة على هذا الطريق مثل الربذة وفيد والثعلبية ، ويبدو أن الحسين بن علي رضي الله عنه عندما انتقل إلى العراق سلك نفس الطريق حيث توقف في عدة أماكن منها الحاجر وزرود (الحاجر – البعايث وكلاهما في منطقة حائل) والثعلبية وزبالة والعقبة وبقي الطريق في العهد الأموي غير ذي شأن بارز إلا من بعض الحوادث التي حدثت عليه :

١- خرج عون بن جعدة حاجًا في خلافة عبد الملك بن مروان فتعرض له لصوص فيهم بهدل ومروان أبناء قرفة الطائي فطلبوا منه ما كان عنده ، وألحوا في الطلب ، وكلما عرض عليهم شيئاً أبوا قبوله ، فعلم أنهم لصوص فأخذ لهم أهبته وأناخ رواحله وقاتلهم وقاتلوه وكان بهدل لا يسقط له سهم (أي لا يخطيء) فرماه فأقصده ومات لوقته وأغاروا على متاعه فلم يجدوا ما كانوا يظنون ، فلما رأوا ذلك هربوا ، وتركوه صريعًا ملقى على الأرض ، فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكتب إلى عماله أن يطلبوا قتلة عون وأن يأخذوا السعاة (عمال الولاية والزكاة) بذلك أشد الأخذ ومازالوا يطلبون واحدًا بعد واحد حتى يظفروا ببهدل فقتله عثمان بن حيان وكان أميرًا على المدينة فقالت بنت بهدل ترثيه:

دعا دعوة يوم الشرى يا لمالك ومن لا يجب عند الحفيظة يكلم

فيا ضيعة الفتيان إذ يقتلونه ببطن الشرى مثل الفريق المسدم

أما في بني حصن من ابن كريمة من القوم طلاب الترات غشمشم

ليقتل جبرًا بامرىء لم يكن له بواء ولكن لا تكايل بالدم

عندما انتقلت الخلافة إلى العراق صار لهذين الطريقين عناية خاصة حيث دخلا في حقبة جديدة فلقد أمر عبد الله السفاح أول الخلفاء العباسيين ١٣٤ هـ ٧٥١م بإقامة الأميال (أحجار المسافة) والأعلام على طول الطريق من الكوفة إلى مكة والأميال وكان للخلفاء العباسيين الذين يزورون مكة نزلهم

الخاصة المقامة بين محطة وأخرى على طول الدرب ، وكانت كاملة التأسيس ومزودة بوسائل المبيت من ستائر وأسرة وكل الأدوات الضرورية كما جاء ذلك عند المقريزي حين قال " وكانت الخلفاء يبني لهم في كل منزلة ينزلونها بطريق مكة داراً ويعد لهم فيها سائر ما يحتاج إليه من الستور والفرش والأواني وغير ذلك ، وفي عهد أبي جعفر المنصور ١٣٦- ١٥٨ هـ ٧٥٢-٧٧٥م والذي حج ست مرات وأعلنت له البيعة في موقع صُفَيّة على هذا الطريق وتوفي على نفس الطريق حيث دفن بالقرب من مكة ١٥٨ هـ/٧٧٥م وكان المنصور في حياته يشرف إشرافاً شخصياً على الطريق مدة حكمه من إقامة الحصون وخزانات المياه في عدة نقاط على طول الطريق وفق ذكر الحربي في المناسك وكان الخليفة المهدي أكثر نشاطاً من سلفه وقد عمل الكثير من أجل راحة الحجاج والمسافرين حيث مهد الطريق ورصفه وجعل حركة المرور به سريعة لدرجة أن الثلج أحضر للمهدي وهو في مكة عام ١٦٠ هـ / ٧٧٦م وبعد عام قام المهدي بتحسينات أخرى مما جعل الطريق أكثر راحة وسهولة فقد ذكر الطبري سنة ١٦١ هـ/٧٧٧م وفيها أمر المهدي ببناء القصور في طريق مكة أوسع من القصور التي بناها أبو العباس من القادسية إلى زبالة وأمر بالزيادة في قصور أبي العباس وترك منازل أبي جعفر التي كان بناها على حالها وأمر بإتخاذ المصانع في كل منهل وبتحديد الأميال والبرك وحفر الركايا مع المصانع وولي ذلك ، يقطين بن موسى فلم يزل ذلك حتى سنة ١٧١هـ وكان خليفة يقطين بن موسى أخوه أبو موسى وقد لمس المهدي شخصياً حاجة المسافرين الذين يستخدمون الطريق للمياه فقد رغب في تأدية فريضة الحج عام١٦٤ هـ/٧٨٠م

لكن حينما وصل إلى محطة العقبة وجد المياه شحيحة ونادرة فلم يشأ المخاطرة في الذهاب إلى مكة وأجل السفر ولام يقطين لقلة المياه وتعرض الحجاج الذين يغادرون مكة للعطش والهلاك (٤٨ /١٠٦) ويقول الحربي: أن يقطين أحتفر بئر العمق من ماله الخاص فخرجت أعذب بئر من غيرها من الآبار وقد حاول المهدي تعويض يقطين على ما تجشمه من نفقات فأمر له بما أنفق عليها وتسمية هذا البئر باسمه إلا أنه أبى ذلك وأخبره ما فعل ذلك إلا ابتغاء مرضاة الله عز وجل فسأل المهدي أن يجعل له حظاً من نفقاتها فأجرى له الثلث وقام عيسى بن على العباسي بإنشاء بركة في محطة المسيح وأنفق عليها من ماله الخاص وحاول المهدي شراءها منه فأخبره عيسى أنه ما أنشأ هذه البركة إلا لتكون صدقة للحجاج وعند ذلك صمم المهدي هو الآخر أن ينشيء بركة أخرى بالقرب من هذا المكان ليضمن وفرة المياه وابتغاء مرضاة الله عز وجل وفي عام ١٦٦ هـ ٧٣٢م أمر المهدي بإقامة البريد بين مكة والمدينة واليمن (عبر هذا الطريق) وذلك لأول مرة ولم يسبقه أحد من الخلفاء لهذا العمل وكان هارون الرشيد ١٧٠ -١٩٣ هـ/ ٧٨٦- ٨٠٨ م آخر من أدى فريضة الحج من الخلفاء العباسيين فقد حج تسع مرات للأرض المقدسة ويذكر المقريزي في كتاب الذهب المسبوك بأن الرشيد قسم سنوات خلافته بين محاربة الأعداء في سنة وزيارة الأماكن المقدسة في السنة الأخرى، ويروي أن الرشيد كان يصلي كل ليلة ١٠٠ ركعة ويتصدق من ماله الخاص بـــ ١٠٠٠ درهم (وبالطبع ماله الخاص من مال الدولة) ويذكر اليعقوبي أن الرشيد بنى خزانات المياه وحفر الآبار وأنشأ الحصون على طول الطريق من الكوفة إلى مكة وزوده بالمرافق

المهمة من أجل خدمة الحجاج والمسافرين وراحتهم وكان يرافق في كل زيارة للأماكن المقدسة مئة من الفقهاء كما كان يحج على نفقته ثلاثمائة من الرجال ويزودهم بكل ما يحتاجون إليه في ترحالهم لتأدية فريضة الحج (٥٠/١٠٦م)

ويذكر ابن قتيبة الدينوري فى "الإمامة والسياسة "رواية طريفة عن قصة حج هارون الرشيد ماشيًا وسببها أنه حلف المشي إلى الكعبة وأراد أن يبر بيمينه وحاول وزيره عمرو بن مسعدة السلمي أن يثنيه عن ذلك بالتكفير عن يمينه فأبى الرشيد وأجمع على المشي والمضي إلى الكعبة راجلاً فطلب منه عمرو بن مسعدة السلمي أن يمهله عامًا وقال: يا أمير المؤمنين فأمهل عامك هذا ريثما حتى أسهل ذلك الطريق وأحدد لك مراحل وأوقت لك مواقيت يسهل عليك ذلك إن شاء الله قال ذلك لك فأمر عمرو بالأنهار فحرجت عن مسيلها وبالآبار والجبال فسويت وبالخنادق والأودية فردمت حتى صار ما بينه وبين مكة كالراحة الموزونة وصارت الأنهار والأودية تسايره على طريقه ثم صنع له مراحل وقد حدد له عند كل مرحلة حدًا وأبتنى في كل مرحلة دورًا وكانت المرحلة بريدًا قدرها إثنا عشر ميلاً ثم أمر بالمراحل ففرشت بالبسط الرهاوية ونصبت له جدارًا بالستور وسمكها بأكسية الخز الرفيع الملون وقد ضرب عند كل فرسخ قبة مزوقة قد أقام فيها الفرش الممهدة وقد أحاط بها الظلال الممدودة بالرواق الكثيفة فيها أنواع الطعام والشراب وألوان الفاكهة فلما تم صنعه ذلك وأتى قال يا أمير المؤمنين قد تم ما أوردته وكمل ما حاولته فانهض على اسم الله العظيم (٥١/١٠٦).

وكان الرشيد في هذه المرحلة مصحوبًا بزوجته زبيدة ، وكان يمشي ثلاثة أميال فيرتاح ويمشي ثلاثة أخرى فإذا تم أربعة فراسخ أي إثني عشر ميلاً نزل في قصر شيد له ودوراً قد بنيت له فيها حمام طيب ، ينال فيه راحته مع أهله ويصيب لذته مما شاء وكيف شاء ثم يكسر فيه يومًا ثم يخرج في اليوم الثاني إلى مثل ذلك ، قد شايعه في طريقه الوزراء والقواد وأمراء الأجناد ، والعلماء والفقهاء ، والجنود والعسكر قد صاروا منه بمعزل يحاذونه في طريقه ، وكانت أخبار الأمصار والبلدان تأتيه في كل منزل ينزله فكانت الأخبار تأتيه على المحدث من مسيرة ثمانية أيام ويأتيه الجواب من يومه من مسيرة شهر ونحوه على أجنحة الحمام (الزاجل) فلم يزل كذلك ماشيًا حتى وصل إلى مكة في ثلاثة أشهر.

ولا غرو أن خليفة يحج إلى بيت الله الحرام في تلك العصور البعيدة تسع مرات إما راكبًا أو ماشيًا لابد أنه عرف ما يحتاجه طريق الحج من اصلاحات ومرافق ضرورية لحجاج بيت الله الحرام(٥١/ ١٠٧)أما المأمون١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣- ٨٣٣م فمما فعله في الطريق، أنه وجه من ذرعه من بغداد إلى مكة فوجده بالأميال ٨١٢ ميلاً وفصل ما بينما وهو في جملة المسافة بالتقريب ثلث ثمن، وقد نهض الخليفة الواثق ٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤٢-٨٤٧م بمحاربة عدد من قبائل الحجاز الذين جعلوا الطريق غير مأمون ، ولتأمين سلامة وراحة الحجاج نجد الواثق يقوم بتولية رجلين من رجاله ليشرفا على الطريقين الرئيسين أحدهما إسحاق بن إبراهيم بن أبي حميضة الذي عينه واليًا على اليمامة والبحرين ومشرفًا على طريق البصرة – مكة أما طريق الكوفة فكان يتولى إصلاحه عمر

بن فرج وعلى طول الدرب قام عمر بن فرج بإصلاح وترميم بعض البرك وأمد ٢٠ بئرًا قديمة وزودها بالقنوات والأحواض بدءًا من زبالة وحتى لينه تلتقي بعد ذلك بالطريق الرئيسي عند الثعلبية ، كما أقام عمر لهذا الطريق الأعلام وبنى المواقيت بالإضافة إلى إنشائه محطتين للحجاج على هذا الطريق (١٠٧/٥٣) أما المتوكل ٢٣٢-٢٤٧ هـ/ ٨٤٧-٨٦١م كان يحى بن هرثمة واليًا على الطريق وفى عام ٢٣٩ هـ ٨٥٣م كان جعفر بن دينار مشرفًا على طريق الكوفة ثم في عام ٢٤٤ هـ ٨٥٦م ولي المتوكل أبو الساج على الطريق.

أما المستعين ٢٤٨- ٢٥٢ هـ/٨٦٢-٨٦٦م فقد كان محمد بن حاتم متوليًا على الطريق كما يقول اليعقوبي : وكان بمكة رجل يقال له محمد بن حاتم على نفقات المصانع وفي عام ٢٥١ هـ/٨٦٥م كان عبد الله بن سليمان مشرفًا على تنظيم الطريق الموجه إلى طريق مكة لضبطه ، بينما تولى الإشراف على طريق مكة إلى قصر ابن هبيرة الحارث بن أسد خليفة أبي الساج ومعه قوة عسكرية ثم في عام ٢٥٢ هـ/ ٨٦٧م جاء محمد بن عبد الله خلفًا لأبي الساج ليقوم بإصلاح طريق مكة ، ونجد المعتمد ٢٧٥ هـ/٨٧٠م قد لجأ إلى تعين أخيه الموفق مشرفًا على الطريق بالإضافة إلى عمله الأصلي واليًا على الكوفة؛ وفي عام ٢٦٢ هـ/٨٧٥م ولي المعتمد كعتسر علي بن الحسين داود مشرفًا على الطريق بعد ثلاث سنوات حل علي بن مسرور البلخي محل أخيه عمه كمشرف علي الطريق وفي عام ٢٦٥ هـ/٨٧٨م أصبح محمد بن أبي الساج مشرفًا جديدًا على الطريق ، وفي عام ٢٧١ هـ ٨٨٤م تم تعين أحمد بن محمد الطائي واليًا على المدينة ومشرفًا على الطريق(١٠٧/٥٥)، أما المقتدر ٢٩٥-

٣٢٠ هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م فقد كان الطريق قد وضع تحت حماية دائمة ففي عام ٣٠٢ هـ/٩١٥م كان أبو حامد ورقاء بن محمد واليًا مسئولاً عن حماية الطريق حيث تمكن من دحر مجموعة من رجال القبائل وأرسل من استسلم منهم إلى بغداد، وفي عام ٣١١ هـ/٩٢٢م كان أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان مشرفًا عي الطريق من الكوفة إلى مكة وفي عام ٣١٢ هـ/٩٢٤م أصبح جعفر بن ورقاء الشيباني قاضيًا على مكة ومشرفًا على الطريق، وفي عام ٣١٥هـ/٩٢٧م اقترح الوزير الأكبر علي بن عيسى على الخليفة المقتدر لوقف غارات القبائل وهجماتهم على الحجاج بأن يجند ٥٠٠٠ فارس من قبيلة بني أسد ومنحهم إعانات مالية لهم ولأسرهم ليضمن بواسطتهم سلامة الطريق وإبقائه في حالة جيدة، الجدير بالذكر أن قبيلة بني أسد يمر الطريق في مسافة طويلة بأرضها وهي في ذلك الوقت بهذه الكثرة التي يختار منها هذا العدد من الفرسان وفي عام ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤م كان يحي بن عبد الله بن محمد بن معمر بن جعفر أبي الفضل أحد الوزراء المشهورين قاد الحجيج عدة سنوات وكان إليه الحكم في الطريق ، أما في فترة الحكم السلجوقي ٤٤٧- ٤٨٥هـ/ ١٠٥٥ - ١٠٩٢م فقد خرج السلطان ملك شاه بنفسه يشيع الحاج في بعض سني ملكه، وبني منارة في بيداء من الأرض لابناء حولها قامت وكأنها عمود مخروط من الآجر مجللة بقرون الغزلان مثبتة فيها، وقد بقيت المنارة إلى عهد ياقوت الحموي في القرن السابع الهجري حيث أشار إليها أما المستعصم بالله، ٦٤٠-٦٥٦ هـ/١٢٤١- ١٢٥٨م فقد شهد طريق الحج في عهده بعض الرعاية والإصلاح ؛ وكانت آخر قافلة تجهز بواسطة خليفة عباسي عام ٦٤١ هـ ١٢٤٣م ففي هذه السنة قامت أم

الخليفة المستعصم بالله، بأداء فريضة الحج وكان في خدمتها إقبال الشرابي الدوادار ومعه ستة آلاف خلعة وتصدق بنحو ستين ألف دينار ٦٠٠٠٠ وعدت جمال ركب بغداد تلك فكانت مئة وعشرين ألف جمل، ١٢٠٠٠٠ بعير (١٠٦/٦٢).

قال ياقوت: وقد حددت طرق الحج بمعالم تهدي سالكيها حيث وضعت الأعلام، علمين كل علم يقابله ويحاذيه علم أخر مفصول عنه بمسافة (حوالي٥٠متراً) وبعد مسافة (حوالي٤٠٠ متراً) يوجد علمين آخرين متقابلين، كما يوجد وسط الطريق معالم أكبر وأكثر وضوحًا تسمى الأميال لضبط مسافة الطريق تتكرر كل (١٨٠٠متر تقريبًا) وتتضح بقايا الطريق عندما يمر في أرض متنة أو حرة حيث قد يتضح هذا الطريق بإزاحة الحجارة عن يمين الطريق ويساره ويبقى مجرى الركاب نظيفًا من الحجارة كما تبدو الأعلام مكونة من الحجارة المنحوتة أو المنضودة على هيئة أبراج.

وهذه قائمة بأسماء ولاة (عمال) طريق الكوفة – مكة في العصر العباسي:

١- محمد بن إبراهيم بن علي وينوب عنه أخوه ابو موسى المنصور.
٢- يقطين بن موسى ١٦١ – ١٧١ هـ/ ٧٧٧ – ٧٨٧م في عهد المهدي.
٣- عمر بن فرج ٢٣١ هـ/ ٨٤٥م في عهد الواثق.
٤- يحى بن هرثمة ٢٣٣ هـ/ ٨٤٧م في عهد المتوكل.
٥- جعفر بن دينار ٢٣٩ هـ/ ٨٥٣م في عهد المتوكل.
٦- أبو الساج ٢٤٤ هـ/ ٨٥٨م في عهد المتوكل.
٧- محمد بن حاتم في عهد المستعين.

٨- عبد الله بن سليمان ٢٥١ هـ/ ٨٦٥م، كان مساعدًا لأبي الساج في عهد المستعين.
٩- الحارث بن أسد ٢٥١ هـ/ ٨٦٥م حل محل عبد الله بن سليمان في عهد المستعين.
١٠- محمد بن عبد الله ٢٥٢ هـ/ ٨٦٦م في عهد المستعين.
١١- احمد الموفق ٢٥٧ هـ/٨٧٠م في عهد المعتمد
١٢- كفتمر علي بن الحسين بن داود ٢٦٢ هـ/٨٧٥م في عهد المعتمد.
١٣- علي بن مسرور البلخي ٢٦٥ هـ/ ٨٧٨م في عهد المعتمد.
١٤- محمد بن أبي الساج ٢٦٦ هـ/٨٧٩م في عهد المعتمد.
١٥- احمد بن محمد الطائي ٢٧١ هـ/ ٨٨٤م في عهد المعتمد.
١٦- أبو بكر عبد الله يوسف في عهد المعتمد.
١٧- إبراهيم بن أبي الأشعث ٢٩٤ هـ/ ٩٠٦م في عهد المكتفي.
١٨- أبو حامد ورقاء بن محمد الشيباني ٣٠٣ هـ/٩١٥م في عهد المقتدر بالله.
١٩- أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان ٣١١ هـ/ ٩٢٣م في عهد المقتدر بالله.
٢٠- يحي بن عبد الله بن محمد (أبو الفضل) ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤م في عهد المقتفي.

ويبدو أن عمله واليًا على طريق الحج استمر زهاء عشرين عامًا في عهد ثلاثة خلفاء أما زبيدة التي سمي الطريق باسمها فيما بعد، فهي زبيدة بنت جعفر الأكبر بن أبي جعفر المنصور ولدت حوالي عام ١٤٥-٢١٦هـ/ ٧٦٢-٨٣١م

ولقبها جدها المنصور بزبيدة لنضاحتها ونضارتها وحسن بدنها ، تزوجها ابن عمها هارون الرشيد في خلافة والده المهدي عام ١٦٥ هـ/٧٨١م وتكنى بأم جعفر وقامت بأعمال جليلة ومن ضمن ذلك تسعة منازل اهتمت بها وقد ذكرها الشاعر أحمد بن عمرو بأرجوزته مع بقية منازل ومعالم الطريق، ومن المحطات التي أقامتها إما رئيسة أو ثانوية وهي:

١- المحدث : وهو منزل يقع على ستة أميال بعد النقرة.

٢- العنابة : وهي عبارة عن بركة تقع بين توز وسميراء.

٣- بركة أم جعفر التي تقع بين المغيثة والعذيب.

٤- القنيعة : وهي بركة تقع بين الثعلبية والخزيمية.

٥- الحسني: وهي بئر تقع على ستة أميال من قروري قرب معدن النقرة.

٦- قروري: وهي محطة مزودة ببركة وقصر وبئر.

٧- الزبيدية: وهي عبارة عن منزل يقع بين المغيثة والعذيب وهذه المحطة مزودة ببركة وقصر (حصن) ومسجد.

٨- الهيثم: وهي محطة تقع بين محطتي القاع وزبالة مزودة ببركة وقصر (حصن).

٩- بركة: وتقع على بعد ميلين من التناهي بين البطان والثعلبية.

وترى ثنية عبود ، أن الغرض من اهتمام زبيدة البالغ أنه كان لخدمة وراحة الفقراء والمحتاجين من الحجاج ممن تضطرهم ظروفهم المعيشية إلى أن يقطعوا مسافة طريق الحج الطويلة سيرًا على الأقدام ، لأن من يتتبع المنازل التي تبنيها زبيدة على طول الطريق إلى مكة يجد أنها كانت تقع في منتصف المسافة

بين كل المحطات والمدن المبنية قديمًا (١٠٦/٦٦) يقول ابن خلكان في وفيات الأعيان عن إسماعيل بن جعفر بن سليمان قوله حجت أم جعفر (يعني زبيدة) فبلغت نفقتها في ستين يومًا أربعة وخمسين ألف ألف (٥٤،٠٠٠،٠٠٠) أربعة وخمسين مليون دينار ذهب ولها آثار كبيرة في طريق مكة والمدينة من مصانع وبرك أحدثتها (٦٨ /١٠٦) أما الشخصيات الإسلامية التي أسهمت في الطريق غير زبيدة فهي:

١- **عبد الله السفاح**: أول من أمر بعمارة طريق الحج عام١٣٤هـ/٧٥١م وأكمل ما بدأه السفاح أبو جعفر المنصور وابنه المهدي والرشيد.

٢- **عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس** : وقد بنى بئرًا بمحطة الربذة وأنشأ الطريق الفرعي الذي يصل بين صُفَيْنَة وحاذة وهما معروفتان حتى الآن وطول هذا الطريق من ٦٠-٧٠ كيلاً وهو طريق منقى من الحجارة وجلاميد الصخر.

٣- **موسى بن عيسى بن موسى** : وقد أمر ببناء بركة تبعد تسعة أميال من البطان وهي محطة رئيسة بين الشقوق والثعلبية كما قام ببناء بركة على بعد ستة أميال من فيد للمتجه إلى مكة.

٤- **عيسى بن علي العباسي**: وقد بنى بركة وقصر في منزل المسلح وبركة في منزلة الغمرة إلى الشرق من حاذة ويقع بين أفيعية والغمر.

٥- **أبو مسلم الخرساني**: يروى الطبري أن أبا مسلم الخرساني حج عام ١٣٦ هـ/ ٧٥٣م وكان أبو مسلم في هذه الرحلة يصلح العقاب

(العقبات) ويكسو الأعراب في كل منزل ويعيل من ساله. وكسا الأعراب البتوت والملاحف وحفر الآبار وسهل الطرق.

٦- **يقطين بن موسى:** وقد وقع على كاهله عمارة طريق الحج من الكوفة إلى مكة فقد أشرف على عمارته لمدة عشر سنوات وقد حفر بئر العرض المنوه عنها في مكان سابق من ماله الخاص فخرجت أعذب بئر فأمر له المهدي بما أنفق عليها فأبى قبوله، وأخبره أنه فعل ذلك لله عز وجل فسأل المهدي أن يجعل له حظًا من أجرها فجعل له الثلث.

٧- **الأسرة البرمكية في زمن هارون الرشيد** : وقد أسهمت شخصيات هذه الأسرة بإنشاء بعض البرك في كل من زبالة والخضراء، والأجفر وفي موقع قريب من فيد وفي العمق وهي ما أطلق عليها الحربي صاحب المناسك البئر البرمكي أو البركة البرمكية.

٨- **خزيمة بن خازم** : وكان أحد القادة العسكريين البارزين في صدر العصر العباسي كان حاكمًا للبصرة سنة ١٩٤ هـ/ ٨٠٩م ويذكر الحربي في كتابه المناسك بأن الخزيمية وهي منزل بين الثعلبية والأجفر سميت بهذا الاسم نسبة إلى خزيمة.

٩- **علي بن عيسى:** قاد الحجيج نيابة عن الخليفة في موسمين ٢٣٧هـ/ ٨٥١م، ٢٣٨هـ/ ٨٥٣م، وأول من حفر بالبعث بركة وبنى فيه قصرًا وفيه يعرف كذا قال الحربي.

١٠- **الفضل بن الربيع بن يونس** وهو من أبرز الشخصيات زمن الرشيد ومنحه لقب وزير وكان الفضل بصف الأمين وقد حفر عددًا من الآبار في محطة فيد.

١١- **عبد الله بن مالك الخزاعي:** قائد عباسي مشهور وكان مقربًا للمهدي وقد قام ببناء بركة مربعة الشكل ولها مصفاة في بطن الأغر منزل بين الخزيمية والأجفر، وفي القرائن متعشي بين فيد وتوز قام عبد الله بحفر بئر وبناء بركة وحوض وبالقرب من توز حفر عددًا من الآبار وعلى مقربة من سميراء حفر بئرًا أيضًا.

١٢- **أبو دلف القاسم بن عيسى** : قائد عسكري في عهد المأمون والمعتصم وكان كريمًا توفي رحمه الله عام ٢٢٥ هـ/ ٨٣٩م ومن أعماله الخيرية أنه بنى محطة الحاجر (البعايث) التي تقع على ٣٣ ميلاً من سميراء باتجاه مكة كما بنى حصنًا في فيد (١٠٦/٧٥).

١٣- **خالصة (خادمة الخيزران) أم الخليفة هارون الرشيد:** قال قدامة بن جعفر: تربة قرية عظيمة فيها عيون جارية وزرع وهي لخالصة (مولاة المهدي) وتعتبر خالصة الشخصية النسائية الثانية بعد زبيدة التي أسهمت في عمارة طريق الحج من الكوفة إلى مكة، وقال الحربي في المناسك بأن خالصة قامت ببناء العديد من البرك والآبار والقباب في عدد من منازل الطريق بالإضافة إلى قيامها بالنفقة على رصف أجزاء من الطريق ففي كل من محطتي القاع والطليحة كان لخالصة بعض القباب وخزانات للماء وفي محطة البطان وهو منزل بين الشقوق والثعلبية وبالقرب منه

باتجاه مكة أنشأت خالصة بعض البرك التي سميت باسمها بعض الخزانات الأخرى كما أن خالصة أمرت برصف الطريق بالقرب من الأجفر وبطن الأغر وجندت لهذا العمل الشاق مئة عبد وبعد إكمال لهذا المشروع أطلقتهم أحرارًا (٧٥/ ١٠٦).

١٤- **حسين الخادم:** كان حاجبًا للخليفة هارون الرشيد له بركتان بناهما على طريق الحج بين محطتي البطان والثعلبية إحدى هاتين البركتين مربعة الشكل كما بنى ثلاثة أحسية بعد ميلين من محطة توز وهو منزل بين [illegible] وسميراء وقد زودت هذه الأحسية بمصفاة.

١٥- **مسرور الخادم:** صاحب الخليفة هارون الرشيد، ذكر الحربي أن أحد الآبار القديمة في محطة الأجفر يطلق عليها إسم المسروري وربما تكون منسوبة إلى مسرور الخادم كما أنه بنى بركة في المسلح وهي محطة ربما تقع بين أفيعية والغمرة.

١٦- **عمر بن فرج الرخجي:** اشتهر في عهد الخليفة المأمون والمتوكل [illegible] عهد الخليفة الواثق كان عمر عاملاً على طريق حج الكوفة- مكة [illegible] بعمله خير قيام خاصة في الفترة التي نشطت فيها بعض القبائل العربية [illegible] الإخلال بالأمن على هذا الطريق وعلى مقربة من زبالة بنى عمر بن فرج ثلاثة آبار وأحدث حوضًا وأصلح بركة عتيقة ونحوًا من عشرين [illegible] قديمة وبنى على رؤوسها حياضًا ، وعمل لهذا الطريق أعلامًا صغارًا [illegible] مواقيد ، كما أن عمر بن فرج قام بأعمال أخري في كل من محطتي البطان وفيد.

١٧- **بدر بن حسنويه أمير كردي ت ٤٠٥ هـ ١٠١٤م:** وقد اشتهر بالعدل وكثرة الصدقة فكان يبعث سنويًا مبلغ خمسة آلاف دينار مع أمير قافلة الحج القادمة من خراسان لكي يصرفه على حماية الحجاج وكان الحجاج من قبل يبذلون ذلك من أموالهم الخاصة، وقد ضاعف بدر بن حسنويه البذل فزاد المبلغ تدريجيًا حتى وصل في فترة من الزمن إلى تسعة ألاف دينار ، أما أعمال بدر تجاه طريق الحاج فقد كان يبذل ما يقارب مئة ألف دينار سنويًا في سبيل إصلاح الجادة وعمارة ما خرب من برك وأبار قديمة وحفر أبارًا جديدة كما أنه وفر (العلوفة) الأعلاف في الطريق وكان يعطي سكان المنازل رسومًا لقيامها.

١٨- **جمال الدين الأصفهاني، ت ٥٥٩ هـ ١١٦٣م:** بنى سورًا على فيد وبنى لها فصيلاً.

١٩- **أبو المنصور سرفتكين الزيني، ت ٥٥٩ هـ/ ١١٦٣م:** ذكرا ابن خلكان في وفيات الأعيان أن سرفتكين بنى سور مدينة فيد التي في طريق مكة من جهة بغداد وأثر آثارًا صالحة كل ذلك من ماله الخاص (٨١/ ١٠٦).

الجانب الأمني :

وما جرى على هذا الطريق من الحوادث في زمن القرامطة وبعدهم القبائل العربية المقيمة على هذا الطريق، وكان من جراء هجمات القرامطة وتهديدهم لأمن طرق الحج وحياة المسافرين أن تعطلت الكثير من المحطات الرئيسية نهائيًا مما أضطر أهلها إلى الهجرة والرحيل كما قام القرامطة بابتزاز المدن

الأخرى وفرض الضرائب عليها لبضع سنوات ، وفي عام ٢٩٤ هـ/ ٩٠٦م وقا
زكروية بن مهروية (القرمطي) باعتراض قوافل الحجيج القادمة من مكة ، حيث
انتشرت فرق القرامطة على طول امتداد الطريق في الجزء الشمالي وهو من عط
فيد وحتى مدينة الكوفة وفي السابع من شهر محرم من نفس العام قدم زكروي
نحو محطة واقصة ولما لم يظفر بقافلة الحجيج قام بقتل العلافة وأحرق أعلافهم
أما أهل واقصة فقد تحصنوا في حصونهم واستمر زكروية يحاصرهم لمدة أيام ك
قام بالهجوم على جماعة من بني أسد في طريقه نحو زبالة ثم تعرض زكروي
للقافلة الثانية ومجموعها من الحجاج الخرسانيين في محطة العقبة (المسماة عق
الشيطان) وحاربهم حربًا شديدة ثم تظاهر بالعزوف عن حربهم لشدة ما ذا
منهم ولكنه خدعهم إذ تبعهم بعد ذلك وأوقع بهم وقتلهم عن آخرهم ولم ينج
إلا الشريد وأقدم القرامطة على قتل بعض النساء وسبي البعض الآخر وبعد هذ
الواقعة المشينة غادر القرامطة محطة واقصة بعد أن طم الآبار والبرك بالجيف
والتراب والأحجار وفعلوا الشيء نفسه في محطة الثعلبية وغيرها من المناهل عل
طول الطريق وقام من نجا من الحجاج بإشعار قافلة أخرى بالعدول عن الطري
لكن القافلة تهاونت بهذا الإنذار وتابعت سيرها لتجد زكرويه القرمطي في
انتظارهم بالهبير بالقرب من محطة زرود شمال فيد حيث قاتلهم لمدة ثلاثة أيا
بعد ذلك لشدة العطش فقتلهم جميعًا وجمع القتلى على هيئة تل وبعث
للمنهزمين من الحجاج بالأمان وعند عودتهم قتلهم(٣/١٦٠/٢٤٠و٨٦/٢٠٦)
وقد قدر عدد القتلى في هذه الحادثة بعشرين ألفًا هذا عدا الذين ماتوا بعد
الحرب بالإضافة إلى أولئك الذين أسروا واستعبدوا من قبل القرامطة وبلغ ما

نهب من هذه القافلة ألفي ألف دينار (مليوني دينار) ومكث زكرويه ينتظر مزيدًا من القوافل وتوجه إلى فيد حيث كانت تحتمي وحاصر أهلها ومن فيها من الحجاج بالحصنين الذين بفيد ، وحاول زكرويه جاهدًا مع أهل فيد بأن يخرجوا الحجاج ويسلموه الحصنين إلا أن محاولته ذهبت سدى ولما يئس غادر المنطقة متجهًا نحو النباج (بالقصيم) وحفر أبي موسى (حفر الباطن) على طريق البصرة مكة .

وقد جاء في مصدر آخر وكان في القافلة الثالثة أعين أصحاب السلطان ومعهم الخزائن والأموال وشمسة الخليفة (وكانت الشمسية جعل فيها المعتضد جوهرًا نفيسًا) ثم ساق بقية الخبر (٣/١٦٠/٢٤٠) وقد جهز الخليفة المكتفي جيشًا من أول شهر ربيع الأول من نفس العام بقيادة وصيف بن صوار تمكن الذي تمكن من الاشتباك مع القرامطة في معركة قوية في الثامن من ربيع الأول على طريق البصرة انتهت بالقضاء على جيش القرامطة فقتل منهم خلق كثير وأسر الباقون وقد جرح زكرويه في هذه المعركة واخذ أسيرًا ولكنه مات بعد خمسة أيام من أسره وأخذت جثته إلى بغداد وهناك قطع رأسه وبعث به إلى خرسان ليطمئن الناس على زوال الخطر.

وفي عام ٣١٢ هـ/ ٩٢٤م اعترض أبو طاهر الجنابي (القرمطي) قوافل الحجاج القادمة إلى الكوفة من مكة في موقع الهبير (القريب من زرود) في جيش كبير ، وكانت القافلة الأولى التي بادر بمهاجمتها هي قافلة الحجاج البغداديين فأقدم على نهب القافلة والقضاء على من فيها أما القافلة الثانية فقد اعتصمت في محطة فيد عند سماعها بالاعتداء على القافلة الأولى ، وبقيت في فيد متحصنة

الأخرى وفرض الضرائب عليها لبضع سنوات ، وفي عام ٢٩٤ هـ/ ٩٠٦م قام زكروية بن مهروية (القرمطي) باعتراض قوافل الحجيج القادمة من مكة ، حيث انتشرت فرق القرامطة على طول امتداد الطريق في الجزء الشمالي وهو من محطة فيد وحتى مدينة الكوفة وفي السابع من شهر محرم من نفس العام قدم زكروية نحو محطة واقصة ولما لم يظفر بقافلة الحجيج قام بقتل العلافة وأحرق أعلافهم أما أهل واقصة فقد تحصنوا في حصونهم واستمر زكروية يحاصرهم لمدة أيام كما قام بالهجوم على جماعة من بني أسد في طريقه نحو زبالة ثم تعرض زكروية للقافلة الثانية ومجموعها من الحجاج الخرسانيين في محطة العقبة (المسماة عقبة الشيطان) وحاربهم حربًا شديدة ثم تظاهر بالعزوف عن حربهم لشدة ما لاقاه منهم ولكنه خدعهم إذ تبعهم بعد ذلك وأوقع بهم وقتلهم عن آخرهم ولم ينج إلا الشريد وأقدم القرامطة على قتل بعض النساء وسبي البعض الآخر وبعد هذه الواقعة المشينة غادر القرامطة محطة واقصة بعد أن طم الآبار والبرك بالجيف والتراب والأحجار وفعلوا الشيء نفسه في محطة الثعلبية وغيرها من المناهل على طول الطريق وقام من نجا من الحجاج بإشعار قافلة أخرى بالعدول عن الطريق لكن القافلة تهاونت بهذا الإنذار وتابعت سيرها لتجد زكرويه القرمطي في انتظارهم بالهبير بالقرب من محطة زرود شمال فيد حيث قاتلهم لمدة ثلاثة أيام بعد ذلك لشدة العطش فقتلهم جميعًا وجمع القتلى على هيئة تل وبعث للمنهزمين من الحجاج بالأمان وعند عودتهم قتلهم(٣/ ١٦٠/ ٢٤٠و٨٦/ ١٠٦) وقد قدر عدد القتلى في هذه الحادثة بعشرين ألفًا هذا عدا الذين ماتوا بعد الحرب بالإضافة إلى أولئك الذين أسروا واستعبدوا من قبل القرامطة وبلغ ما

أخذ من هذه القافلة ألفي ألف دينار (مليوني دينار) ومكث زكرويه ينتظر مزيدًا من القوافل وتوجه إلى فيد حيث كانت تحتمي وحاصر أهلها ومن فيها من الحجاج بالحصنين الذين بفيد ، وحاول زكرويه جاهدًا مع أهل فيد بأن يخرجوا الحجاج ويسلموه الحصنين إلا أن محاولته ذهبت سدى ولما يئس غادر المنطقة متجهًا نحو النباج (بالقصيم) وحفر أبي موسى (حفر الباطن) على طريق البصرة مكة .

وقد جاء في مصدر أخر وكان في القافلة الثالثة أعين أصحاب السلطان ومعهم الخزائن والأموال وشمسية الخليفة (وكانت الشمسية جعل فيها المعتضد جوهرًا نفسيًا) ثم ساق بقية الخبر (٣/ ١٦٠/ ٢٤٠) وقد جهز الخليفة المكتفي جيشًا من أول شهر ربيع الأول من نفس العام بقيادة وصيف بن صوار تكين الذي تمكن من الاشتباك مع القرامطة في معركة قوية في الثامن من ربيع الأول على طريق البصرة انتهت بالقضاء على جيش القرامطة فقتل منهم خلق كثير وأسر الباقون وقد جرح زكرويه في هذه المعركة وأخذ أسيرًا ولكنه مات بعد خمسة أيام من أسره وأخذت جثته إلى بغداد وهناك قطع رأسه وبعث به إلى خرسان ليطمئن الناس على زوال الخطر.

وفي عام ٣١٢ هـ/ ٩٢٤م اعترض أبو طاهر الجنابي (القرمطي) قوافل الحجاج القادمة إلى الكوفة من مكة في موقع الهبير (القريب من زرود) في جيش كبير ، وكانت القافلة الأولى التي بادر بمهاجمتها هي قافلة الحجاج البغداديين فأقدم على نهب القافلة والقضاء على من فيها أما القافلة الثانية فقد اعتصمت في محطة فيد عند سماعها بالاعتداء على القافلة الأولى ، وبقيت في فيد متحصنة

حتى فنى زادها فارتحلت عن فيد وكان من ضمن هذه القافلة أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان والي الطريق وقد نصحهم بعدم الإقامة في فيد والعدول إلى طريق وادي القرى على طريق الحج الشامي لكن الحجاج رأوا أن الطريق أطول ولم يقبلوا منه، ولهذا فعندما غادرت القافلة باتجاه الكوفة أوقع بهم القرامطة وأسر أبو طاهر بعض كبار قادة القافلة ومن بينهم أبو الهيجاء نفسه وبعض النساء والصبيان واستولى على كافة إبل القافلة والأمتعة والأموال وترك الحجاج في وضعهم حيث مات أكثرهم جوعًا وعطشًا من حر الشمس وغادر أبو طاهر بعد ذلك إلى هجر وقدر ما أخذه القرامطة في هذه الواقعة بـــ ألف ألف دينار (مليون دينار) وبعد هذه الواقعة لجأ أبو طاهر إلى التفاوض مع الدولة العباسية في بغداد بشأن السجناء وتولى أبو الهيجاء التفاوض بشأن إطلاق سراح السجناء وكتب بذلك إلى الخليفة في بغداد وقدر ابن مسكوية عدد السجناء ٢٢٢٠ رجلاً وعدد النساء ٥٠٠٠ إمرأة وبعث أبو طاهر رسولاً إلى بغداد الذي استقبل استقبالاً حسنًا ولكن مطالبه لم يوافق عليها، ونتيجة لذلك عاود أبو طاهر الكرة مرة أخرى في مهاجمة قوافل الحجاج في محطة زبالة شهري ذي القعدة عام ٣١٢ هـــ/٩٢٤م وقد أوقع القرامطة بقافلة معظمها من الحجاج الخرسانيين القادمين للحج وقتل معظم الحجاج فيها وتمكن بعضهم من الهرب وعلى رأسهم والي الطريق جعفر بن ورقاء تاركين وراءهم الجمال المحملة بالأمتعة والبضائع الثمينة وكانت قوة القرامطة هي الراجحة ، فقد انتشرت قوتهم على وسط الجزيرة العربية وسيطروا على طريق المواصلات التي تربط الحرمين الشريفين بالكوفة والبصرة وغيرها من الطرق الأخرى (١٠٧/٨٨)، وقد برهن القرامطة

بعد حادث دخولهم مكة المكرمة بأنهم قوة ضاربة وذلك لسيطرتهم على المسالك والدروب التي تعبر وسط الجزيرة العربية وشمالها خاصة طريق حج الكوفة مكة الذي سيطر عليه القرامطة سيطرة تامة ونتيجة لهجمات القرامطة المتلاحقة على الحجاج ومحطات طريق الحج أصبح الطريق خاليًا وبدون رعاية وصيانة لمدة تتراوح بين١٥-٢٠سنة ولم يتمكن الحاج من استخدام الطريق إلا في الحالات التي يحصلون فيها على إذن من أبي طاهر القرامطي.(١٠٦/٨٩) وفي سنة ٣٢٧ هـــ/٩٣٨م تمكن ابو الحسن بن معمر أحد أعوان أبي طاهر من فرض ضريبة على قوافل الحجاج في محطة زبالة حيث أخذ عن العمارية ثلاثة دنانير وعن الجمل دينارين وعن الزمالة دينار واحد (١٠٦/٩٠).

القبائل العربية وتعرضهم للطريق:

لم يقتصر الاعتداء على الحجاج على القرامطة ومن انضوى تحت إدارتهم من القبائل العربية الموالية وإنما تعرضت بعض القبائل العربية في غير مظلة القرامطة للطريق ومن هذه الأحداث.

في سنة ٢٦٩ هـــ/ ٨٨٢م قام بعض الأعراب بمهاجمة قافلة للحجاج فيما بين محطتي سميراء وتوز حيث قاموا بنهب الحجاج وسلبوا خمسة آلاف جمل بأحمالها بالإضافة إلى أسر مجموعة من الحجاج أخذوا سجناء ، وبعد هذه الحادثة تمكن بعض أفراد قبيلة طيء سنة ٢٨٥ هـــ/ ٨٩٨م من مهاجمة قافلة للحجيج في محطة الأجفر ، وكانت قبيلة طيء بزعامة صالح بن مدرك الطائي ولقد بلغ إجمالي ما أخذ من الحجاج ما يساوي ألفي ألفي دينار (مليوني دينار) يضاف إلى ذلك بعض النساء أخذت أسرى بواسطة قبيلة طيء.

وفي عام ٢٨٧ هـ/٩٠٠م فشل إعراب طيء في الإيقاع بقوافل الحجيج بعد أداء فريضة الحج وكان عدد هؤلاء ٣٠٠٠ من عرب طيء وغيرهم ما بين فارس وراجل فقد حاول الأعراب الهجوم على الحجاج بالقرب من معدن بني سليم ومحاربة الخاصية العسكرية بقيادة أبي الأغر إلا أن محاولة قبيلة طيء فشلت بعد أن قتل كثير منهم وجرح عدد أخر وأخذ البعض أسرى ، ومن بين القتلى صالح بن مدرك الطائي الذي اخذ رأسه ودخل الركب بالرؤوس على الرماح إلى بغداد (٣/١٢٢/٢٠٠) وتعددت محاولات قبيلة طيء في مهاجمة الحجيج خاصة عام٢٩٤هـ/ ٩٠٦م، و٢٩٥هـ/٩٠٧م ففي السنة الأولى حاور إعراب طيء محاصرة الحجاج في فيد ، وفي السنة الثانية تمكن القائد حسين بن موسى من ملاحقة أعراب طيء وهزيمتهم ، وفي سنة ٣٠٢ هـ/ ٩١٤م قامت مجموعة من الأعراب وعلى رأسهم الحسين بن عمر بن الحسين مع عرب طيء بالهجوم على قوافل الحجيج بالقرب من محطة الحاجر (البعايث حاليًا) فقاموا بسلب الدواب وما عليها من أحمال وباقي أمتعة الحجاج وقاموا أيضًا بأسر العديد من النساء والجواري ٢٨٠ امرأة (٣/٢٨٥/٢٤٠) وفي سنة ٣٠٣ هـ ٩١٥م قام بعض أفراد قبيلة طيء بالاعتراض لقوافل : الحجيج بقيادة حاتم الخرساني حيث قاموا بسلب الحجاج ما يملكون ، أما من نجا من الحجاج فمات ظمأ.

وفي سنة ٣٦٣هـ تمكن بنو هلال من مهاجمة قوافل الحجيج على طريق الكوفة – مكة يساندهم بعض الأعراب وقتلوا أعداداً كبيرة من الحجاج، انقطع بذلك الطريق على الحجاج عدا من تمكن منهم من مرافقة الشريف أبي أحمد

الموسوي والد الشريف الرضي على طريق المدينة فتم حجهم (٩٤/١٠٦)، وفي سنة٣٧٩هـ/٩٨٩م اعترض زعيم قبيلة طيء ابن الجراح الطائي الحجاج القادمين من بغداد بين محطتي فيد وسميراء وقد أضطر الحجاج لدفع ثلاثمئة ألف ٣٠٠,٠٠٠ درهم وشيء من الثياب نظير سلامتهم وفي رواية أعطياه تسعة آلاف دينار من اموال الشريفين الرضى والمرتضي وكانا في ركب الحاج (٤/٢٠٠/٢٤٠) كما انقطع الحج سنة ٣٨٤ هـ/٩٩٤م ولم يحج أحد من العراق أو الشام، فقد عاد الحجاج بعد أن وصلوا إلى الثعلبية، وذلك بعد تعرض بعض الأعراب لهم برئاسة الأصيفر المنتفقي (أمير العرب) واسمه محمد بن حسين بن حماد ومنع الحاج من متابعة الرحلة وذلك لأن الدراهم التي بعث بها السلطان في العام السابق ضريبة عن الحاج كانت نُقْرَةً مطلية(الدراهم النقرة هي التي ثلثاها من الفضة وثلث من النحاس) وطالبهم بالعوض عنها، وفي السنة التالية٣٨٥هـ/٩٩٥م التي بعدها ٣٨٦هـ قام الأمير المحسن بدر بن حسنوية بدفع مبلغ خمسة آلاف(٥٠٠٠) دينار للأصيفر المنتفقي لقاء سلامة الحجاج واستمر الأمير ابن حسنوية بدفع المبلغ خلال سني حياته (٩٥/١٠٦)، وفي سنة ٣٩٤ هـ/١٠٠٣م اعترض ركب الحاج الأصيفر الإعرابي (من المنتفق) وعول على نهبهم فقالوا : من يكلمه ويقرر له ما يأخذه من الحاج؟ فقدموا أبا الحسين الرفاء وأبا عبد الله الدجاجي وكانا من أحسن الناس قراءة فدخلا عليه وقرآ بين يديه فقال لهما: كيف عيشكما ببغداد؟ قالا نعم العيش تصلنا الخلع والصلات فقال: هل وهبوا لكما ألف ألف دينار مرة واحدة ؟ قالا لا، ولا ألف دينار قال قد وهبت لكما الحاج وأموالهم فدعوا له وانصرفوا (٤/٢١٠/٢٤٠)، وفي سنة

٤٠٢ هـ/ ١٠١١م قامت قبيلة خفاجة بزعامة فليته الخفاجي بمهاجمة طريق الحاج، ونزحوا مياه الآبار في محطة واقصة والقوا فيها الحنظل، وعندما وصل الحاج إلى محطة العقبة هاجمتهم خفاجة ومنعوهم الماء والجأوا إلى قتل العديد من الحجاج، ولم يسلم منهم إلا اليسير، ويقدر عدد الحجاج الذين قتلوا على أيدي قبيلة خفاجة بخمسة عشر ألف إنسان واسروا منهم أعداداً أخرى وأجبروهم على رعي الأغنام وبعد سنتين فكوا أسرهم وعندما عادوا إلى ديارهم وجدوا تركاتهم قد قسمت وتزوجت نساؤهم كما ذكر الذهبي (٩٦ /١٠٦).

وفي سنة ٥٥٩ هـ/١١٦٣م انقطع الحجاج في كل من فيد والثعلبية وواقصة وغيرها وهلك كثير ولم يتمكن الحاج من زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الأسباب واشتد الغلاء، ووقع الوباء في البادية هلك بسببه خلق كثير مع مواشيهم في غرة ذي القعدة ، وفي سنة ٦٢٦ هـ/ ١١٢٨م خرج بعض الأعراب على الحجاج وعدلوا بهم عن الطريق المسلوكة ، وطلبوا خفارة من الحجاج ، فتولى نائب أمير الحاج شمس الدين أصلاتكين دفع إثني عشر ألف دينار تعطى للاعراب من نفقات السبل دون أن يلزم الحجاج دفع أي شيء من النفقة.

وفي ١٢ ذي الحجة من نفس السنة جهز الخليفة العباسي خمسة آلاف فارس بقيادة الأمير جمال الدين قشتمر لمعاقبة القبائل المتعدية على الحجاج فاتضح بأنهم متمركزون على الطريق فيما بين الثعلبية وزرود، يرقبون عودة الحاج فالتحم معهم في معركة حاسمة حيث ألحق بهم هزيمة كبيرة وقتل خلق كثير وانهزم آخرون وتمكن من انفاذ قافلة الحجاج بالثعلبية وعاد بهم سالمين الى

بغداد (٩٨/١٠٦) وفي سنة ٦٦٦ هـ/١٢٦٧م وهي أول سنة يحج فيها العراقيون بعد استيلاء التتار علي بغداد وكان هذا بسبب قيام صاحب الديوان في بغداد والمسمى علاء الدين بإشرافه المباشر على قافلة الحج وأخذ التعهدات والإيمانات من أعراب الطريق بعدم تعرضهم للحجاج كما منحهم أموالاً كثيرة ضماناً لسلامة الحجاج وقام علاء الدين أيضاً بتجهيز الفقراء وعين عليهم من يشرف عليهم فتم لهم الحج وعادوا سالمين وفي سنة ٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩م تمكن الحجاج العراقيون من أداء فريضة الحج وعادوا سالمين(١٠٤/ ١٠٦).

وفي سنة ٧٨٥ هـ/١٣٨٣م تعرض الأمير قريش الطائي لحجاج شيراز والبصرة والاحسا ونهب ما تحمله قوافلهم من أموال عظيمة ، ومثلما فعله الأمير مهنا بالحجاج إذ فرض عليهم إتاوة في سبيل السماح لهم بالمرور في مناطقه (٩٩/٣١).

المحطات على الطريق الكوفي

الثعلبية:

سميت بثعلبة بن مالك بن دودان بن أسد بن خزيمة حين أدركه النوم فسمع في نومه خرير الماء فانتبه فقال أقسم بالله إنه لموضع ماء فاستنبطه وقيل انها سميت بثعلبة بن ذهل بن فهم التنوخي لأنه احتفرها فنسبت إليه (٢٣٤/٢٩٣).

وبالثعلبة قصر ومسجد وجامع وبركتان مربعتان وبها من الآبار الكبار والصغار والأواسط أكثر من ثلاثين بئرًا وبين السابع من البريد شقائق ورمل يقال لها الوعساء التي قال فيها ذو الرمة :

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا آأنت أم أم سالم

(٢٣٤/٢٩٧)

وبالثعلبة قال الراجز:

ثم قصدنا ...... للثعلبية لمنزل حيطانه مبنية

وسوقه قائمة مغشية متجر من يسكن البرية

وبيننا مجنوبة وطية لينة كأنها حشية

تحمل في القبة جعفرية غراء فاقت كل هاشمية

بملك آباء ذوو عطية ودين أم تفضل البرية

الخزيمية:

سميت بخزيمة بن خازم بما أحدث فيها البناء وهي المنارة والمسجد وهي لبني نهشل وأسد ويقال لبني مجاشع"بنو نهشل ومجاشع من تميم" وبها ست آبار غليظة من الماء قال فيها الزاجر.(٢٣٤/٣٠٠).

ثم الخزيمية من زرود ذات هبوط الوعث والصعود

وحبل رمل باسط ممدود يشير بالأميال والبريد

والعيش في جهد به جهيد وهن يزجرن بهيد هيد

وفي القباب طالع السعود من وجه بيت ملك صنديد

ربيب أم عرفت بجود وفضل دين حسن محمود

زرود:

قبل الخزيمية بميل ونصف وهي لبني أسد وبني نهشل ايضًا وفيها من الآبار العامرة والمندفنة نحو عشرين بئرًا ماؤها غليظ وبها قصر وحوانيت وبركة ماء وحوض على بئر كبيرة. (٢٣٤/٢٩٩).

الأجفر:

بها قصر ومسجد وهي تبعد عن فيد سبعة وعشرون ميلاً وبالأجفر بركة مدورة خمسين ذراعًا في ثمانية أذرع وبها عدة آبار منها العادي والحفرة والمصبح والسوت والكمعان والجهمي والعبيدي والسويدي والعقيلي والحري قال فيها الراجز .(٢٣٤/٣٠٣).

ثم نزلنا منزلاً بالأجفر بعد طريق خشن موعر

سهله الله بأم جعفر فصار موروداً حميد المصدر

رمى بعذب الطعم مثل السكر وراجل الشعث شعر أغبر

جادت به بفضة وجوهر ساقية الحجاج ذات المفخر

طوبى لها يوم الجزاء الأوفر

قال الراجز عن فيد:

ثم بإذن الله جئنا فيدا قبيل وجه الصبح أو بعيدا

ورجع الحادون هيداً هيدا فظلت العيس تميد ميدا

تخطو على هيبتها رويداً تحمل غراء تفيد فيدا

تفك من فقر الفقير القيدا تدفع من خطب الدهور الكيدا

ترى وجوه البر طراً صيدا طوبى وطوبى لك يا زبيدا

" هذا الرجز قد قيل في زمن السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد في نهاية القرن الثاني الهجري " التي سلكت مع هذا الطريق.

وعلى ثلاثة أميال من فيد العقيلي وهو جبل ليس بالشاخص وعلى ثلاثة أميال ونصف من فيد ثلاثة آبار يعرف بالمكان كبار.

قال الراجز عن توز:

ثم نزلنا منزلاً بتوز بين فياف فُيَّحٍ جروز

مروى قطار مفرد مفروز وناكبين الحصن بالغروز

مزارة الحج على الكنوز خطت طريقا في فلا وقوز

سهلة للشيخ والعجوز فصار بالماء كذي تروز

وكان غنما فيه ملء الكوز قرت به وحق أن تفوزي

فيد:

يقول الحربي والسمهودي عن فيد:"أن أول من أحدث عيونًا وزراعات في فيد هو عثمان بن عفان رضي الله عنه"، وقال البكري:"أول من حفر فيه (أي فيد) حفرًا في الإسلام أبو الديلم مولى يزيد بن عمر بن هبيرة فاحتفر العين التي هي قائمة وأساحها وغرس عليها فكانت بيده حتى قام بنو العباس فقبضوها من يده"، وقال ابن رسته ٢٩٠ هـ/ ٩٠٣م في الأعلاق النفسية عن فيد:"وهو منزل فيه قناة يزرع عليها وهي كثيرة الأهل وفيها ينزل عامل الطريق وفيها مسجد جامع وهي نصف الطريق والبلد لطيء، والمتعشي القرائن ٢٠ ميلاً"، أما اليعقوبي٢٨٤هـ/٨٩٧م فيقول عن فيد:"وهي المدينة التي ينزلها عمال طريق مكة وأهلها طيء وهي في سفح جبلهم المعروف بـ سلمى"، ويقول الحربي في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي:"وبفيد قصر للسلطان وبساتين

وحصون بعضها خربة ومسجد جامع ومنبر وبركة مربعة وثلاث عيون ثم يعدد آبارها فيقول: بئر عبد الصمد وبئر الفضل بن الربيع وبئر عمر بن فرج وبئر عمران بن عمر يعرف بالطرفية، وثلاث من العلافين وبئر تعرف بوهيب وعين النخل أو النخل وهي التي وراء النخل يقال أن عثمان بن عفان احتفرها وهي عذبة؛ الحارة التي وسط الحصن والسوق حفرها(؟) والباردة التي خارج المنزل على الطريق حفرها المهدي (١٩٧/١٠٦).

ويروي الطبري ٣١٠هـ/٩٢٣م أن مدينة فيد كان عليها خندق في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م حيث يقول: "وحدثني عبد الله بن راشد بن يزيد قال: سمعت أصحابنا إسماعيل بن موسى وعيسى بن النضر وغيرهما يذكرون أن أبا جعفر المنصور قدم كثير بن حصين العبدي فعسكر بفيد وخندق عليه خندقًا قائمًا دهرًا طويلاً حتى عفى ودرس"، أما المقدسي ٣٨٧هـ/٩٨٨م في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي فيقول: "فيد مدينة صغيرة ذات حصنين، وبها حمام وبركة بأبواب حديد، وآثارات لعضد الدولة، يوجد بها كل خير، وبها يودع الحجاج أزوداهم وثَمَّ ثقات، وبها عيون وآبار وبرك عذبية وبالبعد ماء حلو"، والأصطخري المتوفي عام ٣٤٠هـ/٩٥١م يقول: "ولا بين المدينة والعراق مكان يستقبل بالعمارة والأهل جميع السنة مثل فيد، وفيد من ديار طيء، وجبلا طيء منها على مسيرة يومين(لعل هذا ينطبق على أجأ ورمان أما جبل سلمي فهو قريب منها) وفيها نخيل وزرع قليل لطيء، وبها ماء قليل، يسكنها بادية من طيء ينتقلون عنها في بعض السنة للمراعي"، ويكرر ابن حوقل سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م نفس المعلومات أما ياقوت

٦٢٦هـ/١٢٣٩م في القرن السابع فيقول نقلاً عن الزجاجي : "وفيد بُلَيْدَةٌ في نصف الطريق من مكة إلى الكوفة عامرة إلى الآن يودع الحجاج فيها أزوادهم وما ثقل من أمتعتهم عند أهلها فإذا رجعوا أخذوا ووهبوا لمن أودعوها عندهم شيئًا من ذلك، وهم مغوثة للحجاج في مثل ذلك الموضع المنقطع، ومعيشة أهلها من ادخار العلوفة طول العام إلى أن يقدم الحاج فيبيعونه عليهم، ويكرر ياقوت ٦٢٦هـ/ ١٢٣٩م نقلاً عن السكوني بأن فيد نصف طريق الحاج من الكوفة إلى مكة وهي أثلاث: ثلث للعمريين، وثلث لآل أبي سلامة من همدان، وثلث لبني نبهان من طيء، ومن الشخصيات الذين ينتمون إلى فيد محمد بن يحيى بن ضريس الفيدي، ومحمد بن جعفر بن أبي مواتية الفيدي ، وأبو اسحاق عيسى بن ابراهيم الفيدي الكوفي وتوفي في هذه المدينة العالم المشهور وكيع بن الجراح الرؤاسي في شهر محرم عام ١٩٧هـ/٨١٢م وذلك بعد رجوعه من الحج.

أما ابن جبير فقد كان بها في صباح يوم ١٧ محرم سنة ٥٨٠هـ/٣٠ ابريل١١٨٤م وقال عنها: "هي حصن كبير مبرج مشرف في بسيطٌ من الأرض يمتد حوله بيض، يطيف به سور عتيق البنيان، وهو معمور بسكان من الأعراب، ينتعشون مع الحجاج في التجارات والمبايعات وغير ذلك من المرافق، وهناك يترك الحجاج بعض ازوادهم عندهم، والماء بهذا الموضع كثير في أبار تمدها عيون تحت الأرض، ووجدت الحجاج فيها مصنعًا قد اجتمع فيه الماء من المطر، فالترف للحين، وامتلأت أيدي الحجاج القرمين(مشتهين اللحم)من أغنام العرب بالمبايعة المذكورة فلم يبق مضرب ولا خيمة ولا ظلالة إلا والى جانبها كبش أو كبشان بحسب القدرة والوجد فعم جميع المحلة غنم العرب وكان ذلك اليوم عيد

من الأعياد وكذلك عمتهم أيضًا جمالهم لمن أراد الابتياع منهم من الجمالين وسواهم للاستظهار على الطريق، وأما السمن والعسل واللبن فلم يبق إلا من تحمل أو استعمل منه بقدر حاجته.

وفي سنة ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٤م توقف الرحالة ابن بطوطة في فيد وأعطى معلومات مشابهة لما ذكر ابن جبير مع بعض الاختصار (١٩٨ / ١٠٧).

ويضيف الحميري في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي: فيد بأنها مدينة في نصف الطريق بين مكة وبغداد وأهلها من طيء وهي من أصل جبلهم المعروف بسلمى: وفيها مات وكيع بن الجراح بعد منصرفة من الحج سنة سبع وتسعين ومئة.

ومن فيد إلى المحطة الثانية توز على واحد وثلاثين ميلاً والمتعشي بين المحطتين هو (القرنتين) أما المسافة بين توز وسميراء عشرين ميلاً وتوز هو (الفحيمة) عند أبن خرداذبة ٢٧٢ هـ ٨٨٥م (الحمية) عند أبن رستة ٢٩٠ هـ ٩٠٣م ولعل ابن خرداذبة هو الأصح إذ يقول : ثم إلى توز فيها برك وآبار، أما ابن رستة فيقول : وهو منزل خصب فيه إعراب من بني أسد والماء فيه من الآبار والبرك ، ويقول قدامة بن جعفر ٣٢٠ هـ ٩٣٢م أن المسافة بين فيد وتوز ٢٣ ميلاً وفيها برك وآبار وحصن بناه أبو دلف ، اما الحربي فإنه يضع المسافة بين فيد وتوز ٢٤ ميلاً ونصف ، ويصف مكانًا يسمى (بالأجول) يبتدي فيه فروج بن حوذان الأسدي ، وبتوز بركتان إحداهما مدورة يمنة زبيدية تعرف بالطارقية ، والأخرى مربعة تعرف ببركة القاع وها مصفاة ، وبتوز تسعة آبار إحداها تعرف بالمهدي . أما الأحساء المطوية الرؤوس فعددها مئة حسا ، وعلى

ثلاثة أميال من توز بركة (الحمة) وتنسب إلى جبل أسود على يسار الطريق (٢٠٥ /١٠٦) أما المخروقة (توز) فيقع شعيب المخروقة إلى الجنوب من شعيب الغربين وفي مدخل الوادي يظهر مرتفعان جبليان وهما جبل المخروقة يسرة (شرق) وجبل سمرة يمنه (غرب) وبين هذين المرتفعين يسلك الطريق المؤدي إلى سميراء ، وقد أثبتت التحريات الأثرية لموقع المخروقة أنه كبير المساحة وتنتشر على سطحه مبان مختلفة تغطي مساحة ٤ أميال من الشمال إلى الجنوب وبعرض ٢ كيل ويشتمل على أطلال تتكون من أربعين وحدة معمارية ذات أحجام ووظائف مختلفة وأن هذه الآثار المكتشفة بالقرب من جبل المخروقة هي الأخرى ينبغي أن تكون موقع توز الأصلي؛ وتوضح الخرائط الجغرافية اسم (التوزي) بين جبل المخروقة وسميراء (٢٠٩ / ١٠٦).

سميراء :

لبني نصر بن قعين من أسد " قيل سميت برجل من عا اسمه سميراء وقيل سميت بما حولها من جبال وآكام سود وفي حديث طليحة لما أدعى النبوة أنه عسكر بسميراء "(٣١٣/٣١٤/٢٣٤).

وبسميراء قصر ومسجد وكانت بها آبار معروفة وبها من الأحساء المطوية الرؤوس داخلة بالموضع المعروف بالعريس مئة حسا وبها بركتان إحداهما زبيدية ومن سميراء إلى الحاجر ثلاثة وعشرون ميلاً (٣١٦/٢٣٤)

قال الراجز:

ثم وردنا بعده سميرا نقدم الأثقال عيرًا عيرا

وقد الفنا الليل والمسيرا ونحن نقفوا قمرًا منيرًا

سيدة قد أغنت الفقير وانفقت من مالها كثيرا

على الحجيج سهلت عسيرا وانبطت عينًا لهم وبيرا

وكل حوض يشبه الغديرا فاصبح الماء لهم غزيرا

وهو يعني زبيدة زوجة هارون الرشيد التي كانت مع قافلة الحجيج يومذاك.

وفي اليوم الجمعة نزلنا ضحوة النهار سميراء وهو موضع معمور وفي بسيطها شبه حصن لطيف به خلق كثير مسكون الماء به في آبار كثيرة لكنها زعاق ومستنقعات وبرك تبيع العرب هناك على الحجاج اللحم والسمن واللبن لمشارات الأعراب لأنهم لا يبايعوهم إلا بها ؛ وبتنا بوادي الكروش على غير ماء ثم أسرينا منه وأصبحنا على فيد يوم الإثنين وهو حصن كبير ببرج مشرف على بسيط من الأرض ممتد طوله ربض يطوف به سور عتيق البنيان معمور بسكان من الإعراب يعيشون مع الحاج في التجارات والمبايعات وغير ذلك من المرافق وهناك من يترك الحاج بعض زادهم إستعدادًا للرجوع لأنه نصف الطريق من بغداد إلى مكة على المدينة. (١٠٧/١٢٢٩) .

وسميراء محطة رئيسة على طريق الحج من العراق إلى مكة في العصور الإسلامية المبكرة قال عنها ابن رسته ٢٩٠ هـ ـ ٩٠٣ م هو منزل خصيب فيه لتراب والماء فيه من الآبار والبرك ، أما المقدسي ٣٨٧ هـ ـ ٩٨٨ م فقال عن سميراء : فيها برك ماء واسع ومزارع والماء "عذبي" ويقول عنها الحربي : سميراء لبني نصر بن قعين من بني أسد ؛ وبسميراء قصر ومسجد وكانت بها آبار تعرف بأم العين وبئر تعرف بالشهباء ، وأخرى تعرف بالطارفية وأخرى تعرف بالحويضية وأخرى تعرف بالريانة وأخرى بالنجدية ، أخرى تعرف بالبهدي ، وأخرى تعرف بخويص إلى جانب السوق وبها من الاحساء المطوية الرؤوس داخلة بالموضع المعروف بالعريس مئة حسا ، وبها بركتان إحداهما زبيدية مدورة ولها مصفاة مربعة ، والبركة الأخرى مربعة ويقول ياقوت : سميراء منزل بطريق مكة بعد توز مصعدًا (يعني إلى مكة) وقبل الحاجر ، وتوقف بها الرحالة ابن جبير في يوم ١٥ محرم ٥٨٠ هـ ـ ٢٨ أبريل ١١٨٤م وقال عنها : في يوم الجمعة بعده نزلها ضحوة النهار سميرة (سميراء) وهي موضع معمور وفي بسيطها شبه حصن يطيف به خلق كبير مسكون والماء فيه في آبار كثيرة إلا انها زعاق ومستنقعات وبرك ، وتبايع العرب فيها مع الحجاج فيما أخرجوه من لحم وسمن ولبن ودفع الناس على قرم وعمبقة ، فبادروا الابتياع لذلك بشقف الخام التي يستصحبوها لمشارات الأعراب لأنهم لا يبايعوهم إلا بها ، ويذكر ابن بطوطة بعد حوالي قرن ونصف من الزمان عام ٧٢٧هـ/١٣٢٦م نفس المعلومات عن سميراء (١٠٦/٢١٥).

الحاجر:

كان اسمه المنيفة وكان لغني فغلب عليه الحاجر وإنما أسمته الحاجر غطفان وهو ماء قديم جاهلي على طريق الكوفة نزل النابغة الذبياني عليه مع عمه وهو غلام فأخذ عمه يسقي إبله ومضى النابغة بفخ فنصبه لقنابر زآهن وألقى عليه حبًا فأقبلن يتحين ويلقطن ما حول الفخ من الحب فلا يدنون منه قال النابغة:

فاتلكن الله من قنابر مهتديات في الغلا توافر

فلا سقيتن بغيث ماطر ولا رعيتن بصوب الحاجر

وبالحاجر بركة مربعة وبه اثنا عشر بئرًا وبها سوى ذلك من الأحساء المطوية مما أحدث في خلافة المتوكل ثلاثة أحساء ومن الأحساء غير المطوية مئة حساء وآباره قريبة الماء و من الحاجر إلى النقرة سبعة وعشرون ميلاً ونصف. (٢٣٤/٣١٩/٣١٨).

قال الراجز:

ثم قصدنا بالنزول الحاجر منزل ضاق على المتاجر

وعن قرى بادية وحاضر وقور حلتنا برك الاباعر

وهن يصغين لزجر الزاجر وبيننا بنت ذوي المآثر

ومنتهى الفخر لذي المفاخر في قبة تروق عين الناظر

ذات الأيادي والعطاء الوافر ومن بها يحسن قول الشاعر

(البعايث) بلدة كبيرة على وادي الرمة بين سميراء في الشمال والنقرة في الجنوب قال عنها ابن رستة: منزل خصيب كبير بناه أبو دلف القاسم بن عيسى (العجلي) والماء من البرك والآبار.

أما الحربي فيقول: إن الحاجر كان منهلاً للمياه في العصر الجاهلي وعلى ميل من المنزل توجد بركة مربعة يمنة الطريق (غربة) أما الآبار فهي كثيرة بعضها ينسب إلى الخليفة المهدي وهناك بعض الأحساء المطوية مما أحدث في خلافة المتوكل، أما الأحساء غير المطوية فعددها مئة حساء، ويقول عنها لغدة الأصفهاني: الحاجر قرية وسوق، وهو ماء لبني أبي سلمى وهو على طريق الكوفة إلى مكة (ويقصد بأبي سلمى زهير بن أبي سلمى المزني الشاعر المشهور) ويروى أن أبا محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب توفي في موضع الحاجر سنة ١٦٨ هـ ــ ٧٨٤م حينما خرج حاجًا بصحبة المهدي في نفس السنة، ونزل ابن جبير الحاجر مع قافلة الحج في طريقه للعراق وقال عنها: نزلنا الحاجر والماء منه في المصانع، وربما حفروا عليه حفرًا قريبة العمق يسمونها أحفارًا واحدها حفر، ويذكر ابن بطوطة معلومات مماثلة.

قروري:

هي المحطة الثانية بين الحاجر والنقرة وتقع على سفح جبل يسمى (أسناف اللحم) وهو يطل على الآثار من الناحية الجنوبية وبه آثار برك ومباني سكنية قال عنه الحربي: قروري هو الجبل المشرف على المتعشي مفرد، وعليه علم بيّن وبه بركتان في موضع واحد يمنه ويسرة عن القصر، والقصرة يمنة والجبل يسره وعليه علم، وإحدى البركتين زبيدية مدورة والأخرى مربعة،

ويقول ياقوت : بأن قروري موضع بين المعدن والحاجر على أثني عشر ميلاً من الحاجر فيها بركة لأم جعفر (يعني زبيدة) وقصر وبئر عذبة الماء رشاؤها نحو أربعين ذراعًا.

أما ابن جبير فيقول : ونزلنا ليلة الخميس الثالث عشر من محرم سنة ٥٨٠ هـ ـ ٢٦ أبريل ١١٨٤ وسادس يوم من رحيلنا على ماء يعرف بالقارورة وهي مصانع مملوءة بماء المطر وهذا الموضع هو وسط أرض نجد ، وما أرى أن في المعمورة أرضًا افسح بسيطًا ولا أوسع أنفًا ، ولا أطيب نسيمًا ، ولا أصح هواء ولا أمد استواء ، ولا أصفى جوًا ، ولا أبض تربة ولا أنعش للنفوس والأبدان ، ولا أحسن اعتدالاً في كل الأزمان من أرض نجد ووصف محاسنها يطول القول فيها ويتسع (٢٤٤/ ١٠٦).

على ثلاثة عشر ميلاً من الحاجر وهي المتعشى وهي أرض مستوية لا ترى فيها جادة تسمى الصلعاء وهي أرض معمورة لبني عمير وقروري هو الجبل المشرف على المتعشى مفرد عليه علم بين وبه بركتان إحداهما زبيدية وقصر وعند الجبل أربعة آبار واحدة منهم ماؤها كثير وطول رشاؤها نحو أربعين ذراعًا وبقروري يفترق الطريقان طريق النقرة وهو الأول عن يسار المصعد وطريق معدن النقرة وهو عن يمين المصعد وأغار دريد بن الصمة القشيري على أشجع بالصلعاء وهي بين الحاجر والنقرة فلم يصبهم فقال :

ومرة أدركناهم فرأيتهم يروغون بالصلعاء روغ الثعالب

وقال يعقوب : الصلعاء أرض لبني عبد الله بن غطفان ولبني فزارة بين النقرة والحاجر يطؤها طريق الحاج وأنشد لمزرد:

تأوه شيخ قاعدو عجوزه حر يبين بالصلعاء أو بالأرساد

وبالصلعاء قتل دريد بن الصمة ذؤاب بن أسماء بن قارب العبسي "وهو قاتل أخيه عبد الله" ونفاهم عنها وقال في ذلك :

قتلت بعبد الله خير لداته ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

ومرة قد أخرجتهم فتركتهم يروغون بالصلعاء روغ الثعالب

(١٩-٢٣٤/٣٢٠)

النقرة :

نقرت فيها بئر في الصفا فسميت النقرة وكانت آنذاك لبني فزاره ثم لبطن منهم يقال لهم ربيعة بن عدي بن فزارة فأما اليوم " في القرن الثالث الهجري" فبادتيها لهم وحاضرتها لقريش والتجار وقيل سمي ذو نقر بنقر بن جنادة احتفرها فنسبت إليه وأخوه السرقة بن جنادة نسب إليه بطن السُّرَّقَة " وادي الرمة حاليًا" وبالنقرة قصر ومسجد وبها بركتان وآبار وبها ثمانية أعلام للدخول وعلمان للخروج وعلمان لطريق البصرة وعلمان لطريق المدينة وعلى ثمانية أميال منها بئر طيبة الماء.(٢٣٤/٣٢٣).

قال الراجز :

ثم نزلنا بعده بالنقرة بمعزل بين صخور وعرة

ليس بها من نبت أرض خضرة ظلت إليه عيسنا منشرة

حتى انيخت ذللاً منبهرة وفي القباب حرة مفتخرة

على الملوك بالدرى مقتدة لكل خير لم تزل مدخرة

لها عيون في الفلا منفجرة أضحت على الناس بها مؤجرة

وقال عنها ابن خرداذبة : ثم إلى معدن القرشي (يقصد من الحاجر) والعامة تسمية معدن النقر ، فيها آبار أربعة وثلاثون ميلاً والمتعشي قروري ، على سبعة عشر ميلاً وصدقات بكر بن وائل إلى صاحب طريق مكة ثلاثة آلاف درهم.

ويقول ابن رستة ومن الحاجر إلى معدن النقرة ٣٤ ميلاً منزل فيه أعراب كثير ، وهو قليل الماء والآبار وفيه مفرق الطريقين المتعشي بقروري ، ويقول اليعقوبي : والنقرة ، ومعدن النقرة وأهلها أخلاط من قيس وغيرهم وفيها يعطف من أراد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم على بطن نخلة ومن قصد مكة فإلى معدن الماوان وهي ديار بني محارب ، أما قدامة بن جعفر فيقول : ومن الحاجر إلى معدن ومنها آبار وبرك سبعة وعشرون ميلاً ويقول الحربي : بالنقرة قصر ومسجد وبها بركتان وآبار وبها ثمانية أعلام ، علمان للدخول ، وعلمان للخروج وعلمان لطريق البصرة ، وعلمان لطريق المدينة ويروي عن معدن القرشي بأن محمد بن يوسف الجعفري ابتاع حوانيت من حوانيت النقرة ، وخشي المسيب بن سليمان المخزومي من غلبة الجعفري على الموضع ، وكان

المسيب ساكنًا بالنقرة وله فيها أملاك ، فأستأذن عمر بن فرج (المسئول عن الطريق) من أن يبني معدن القرشي فابتناه ، وظل المسيب مقيمًا به حتى قتله أحمد بن حسن بن جعفر العلوي وخرب الحصن سنة ٢٧٣ هـ (٨٨٦ م) وبالمعدن عدة آبار داخل الحصن وخارجه ، لها أسماء فمن خيارها بئر تعرف بالمسيب ، وبئر أجرى حيال القصر وبئر أبي قرية ، عليها نخل وبئر السري ، وثلاث آبار للزراع إحداهن للمسيب والأخرى لحليم بن حسان والثالثة لبكر بن يحي وبها حفر عظيم يصلح للدواب والأبل ، وفي الحصن بئر عذبة تعرف بأبي العطار ، وآبار كثيرة وخارج الحصن بئر لعبد الله بن عبيد الله الهاشمي ، والمعدن حصن حوله خندق له بابان (٢٣٣/ ١٠٦).

ويقول ياقوت : وفي النقرة المنزل بركة وثلاثة آبار ، وبئر تعرف بالمهدي ، وبئران تعرفان بالرشيد ، وآبار صغار ، للأعراب تنزح عند كثرة الناس وماؤهن عذب ، ورشاؤهن ثلاثون ذراعًا وعندما يفترق الطريق ، فمن أراد مكة نزل المغيثة ومن أرا د المدينة أخذ نحو العسيلة فنزلها ويقول ابن جبير : ثم نزلنا يوم الأربعاء خامس من رحيلنا ١٢ محرم ٥٨٠ هـ ٢٥ أبريل ١١٨٤ م موضع يعرف بالنقرة وفيها آبار ومصانع كالصهاريج العظام وجدنا أحدها مملوءًا بماء المطر ، فعم جميع المحلة ولم ينضب على كثرة المحلة.

مغيثة الماوان :

قال عنها ابن خرداذبة : مغيثة الماوان فيها برك وآبار وماء نزر ، وقال ابن رستة : من معدن النقرة إلى مغيثة الماوان ٣٤ ميلاً ، والمغيثة منزل فيه أعراب، والماء من البرك والآبار وهو قليل نزر والمتعشي السمط ١٦ ميلاً .

وقال اليعقوبي : مغيثة الماوان ديار بني محارب ، وقال الحربي : ومن مغيثة الماوان إلى الربذة عشرون ميلاً وبها قصر ومسجد وهي لبني محارب بن حصفة بن قيس بن عيلان وبها بركة ولها مصفاة يثبت في بركتها الملح ، وبركة مدورة فيها قطع يجري فيه الماء شبيهة بالحوض ، وبئر أخرى عليها حوض ؛ وإلى جانبه من الطرف الآخر بئر أخرى وثلاثة آبار صالحة غليظة الماء (١٠٦/٢٣٨).

وبها قصر ومسجد وبها بركة ولها مصفاة وبها آبار مالحة غليظة الماء.

قال أحد الأعراب :

يشر بن بالماوان ماء مرا وبالسليل مثله أوشرا

وموضع يقال له : معدن الماوان وعلى بعد عشرة أميال من الماوان بركة وقبلها بركة الخيران لحماد اليزيدي وعندها بئر ردية وقباب وخزانة لخالصة وموضع هذه البركة ثلثا الطريق من الكوفة إلى مكة.(٣٢٥/٢٣٤).

قال الراجز:

ثم إلى مغيثة الماوان قد ما قطرناهن بالأرسان

رقام بالأشعار حاديان عن وصف من تعرف بالاحسان

ومن كساها المجد والداني عاشا وما مثلهما اثنان

كان أبو الفضل حيا الجيران وأم إبراهيم في زمان

إ يك بالفضل لها من ثاني جزاهما الرحمن بالغفران

قال الراجز:

ثم توجهنا نريد الربذة ومنزلاً في قرية منتبذة

لدى طريق غانم من أخذه لا يندم الدهر به من نفذه

وبنتا بنت الملوك البذذة لمن مضي من الملوك الأخذة

للملك والنافين عنه الشذذة ممن يقيم الملك فيمن نبذه

ويعمل السيف إذا ما شحذه خدمتها لسنة متخذة

ومن الربذة إلى السليلة على ثلاثة وعشرين ميلاً.

قال الراجز:

ثم ترحلنا إلى السليلة مرحلة مياهها قليلة

تعجز عن رفقتها النزيلة فأنجدت ذات اليد الجميلة

ببذل أموال لها جزيلة فاستخرج الماء بكل حيلة

لنفله عن الحجاج والقبيلة لقد حبا ذو القدرة الجليلة

بنت أبي الفضل يد الفضيلة لها سماء أبدًا محيلة

الربذة :

أجمعت المصادر بأن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أول من حمى الربذة سنة ١٦ هـ ـ ٦٣٧م لإبل الصدقة وخيل المسلمين وظل الحمى قائمًا حتى عهد الخليفة المهدي العباسي ١٥٨ – ١٦٩ هـ ـ ٧٧٥ – ٧٨٥م وتشير المصادر أن حمى الربذة كان له ولاة يعينون من قبل خلفاء الدول الإسلامية ، وتتركز مهامهم في رعاية الحمى والحفاظ والإشراف على دواب الدولة الإسلامية من الإبل والخيول التي كانت تستعمل للجهاد ومن هؤلاء الولاة أبو سلامة أسيد بن مالك ؛ الذي استمرت ذريته بالربذة حتى مطلع القرن الرابع الهجري ، وتفيد المصادر أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يحمل للجهاد في سبيل الله على أربعين ألف بعير في العام من حمى الربذة ؛ كما اشتهرت الربذة بأنها مدينة إسلامية ، وارتبط اسم الربذة بالصحابي الجليل أبي ذر الغفاري الذي سكنها سنة ٣٠ هـ ـ ٦٥١م وتوفي بها رحمه الله سنة ٣٢ هـ ـ ٦٥٣م واقام بها أبو ذر مسجدًا قبل وفاته وأصبحت الربذة منطقة مطروقة على الطريق بين العراق ومكة والمدينة المنورة ، وممن سكن الربذة الصحابي سلمة بن الأكوع ، والصحابي محمد بن مسلمة وينسب إلى الربذة بعض رواة الحديث مثل أبي عبد العزيز موسى بن عبيد بن نشيط الربذي ، وأخوية محمد وعبد الله ؛ وقد توفي موسى بالربذة سنة ١٥٣ هـ ـ ويذكر بأن قاضي القضاة يحي بن أكثم توفي بالربذة سنة ٢٤٢ هـ ـ ٨٥٦م ومن رواة الحديث الذين أقاموا بالربذة

إبراهيم بن حمزة بن الزبير بن العوام ، وممن توفي بالربذة الصحابي والقائد عتبة بن غزوان الذي اقام مدينة البصرة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب عام ١٧ هـ ـ ٦٣٨م، وكانت الربذة من الأماكن المحببة لنفوس الخلفاء وأمراء بني العباس حيث كانوا يستحسنون البقاء فيها خاصة بعد فترة الحج ومن أهم هؤلاء الخلفاء هارون الرشيد الذي كان له طريق بين الربذة والمدينة المنورة ، والربذة هي المحطة التاسعة عشرة من مجموع محطات طريق الحج بين الكوفة ومكة ، وقد شهدت الربذة تحركات مكثفة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقد عسكر بها الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فترة من الوقت يجمع عدته تمهيدًا للمسير إلى البصرة سنة ٣٦ هـ ـ ٦٥٦م ونهج نفس الشيء الحسين بن علي حينما خرج من مكة في طريقه إلى الكوفة سنة ٦٠ هـ ـ ٦٧٩م وممن نزل الربذة بعد مقتل الحسين بن علي في ١٠ محرم عام ٦١ هـ ـ ١٠ أكتوبر ٦٨٠م أحد أعوانه هو المرقع بن ثمامة الأسدي الذي بقي بالربذة حتى توفي يزيد بن معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٤ هـ ـ ٦٨٣م ثم انصرف إلى الكوفة (٣١/ ١٣٤).

قال ابن رستة عن الربذة : وهو منزل فيه أعراب وماء كثير من برك وفيه منزل أبي ذر الغفاري وقبره وفيه مسجد جامع وهي من القرى القديمة في الجاهلية وقال الحربي : سميت بالربذة ، بربذ جبل أحمر صخرة حمراء على ميل من الربذة مما يلي المغرب فارع أحمر ومن الربذة إلى السليلة ثلاثة وعشرون ميلًا ونصف وبها قصر ومسجد لأبي ذر الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والربذة لقوم من ولد الزبير بن العوام وكانت لفزارة وبها بركتان يسرة

غرب إحداهما مدورة ولها مصفاة والأخرى من المنزل على أقل من ميل مربعة ، وبها أبار كثيرة عدد من خيارها ثلاث عشرة بئرًا من بينها بئر المسجد وهي بئر أبي ذر ، ويروى أن عامل الربذة في عهد عمر بن عبد العزيز هو حجاج بن صفوان بن أبي يزيد المدني ويبدو أن الربذة أصابها الخراب والدمار من القبائل العربية في القرن الثالث الهجري ، غير أن نهاية البلدة جاءت على أيدي القرامطة في سنة ٣١٩ هـ ـ ٩٣١ م حيث أجبروا أهلها على الرحيل عنها فخربت البلدة وكانت أحسن المنازل (٢٥٣ / ١٠٦) .

السليلة :

لا تزال معروفة اسمًا وموضعًا قال عنها ابن رستة : ومن الربذة إلى السليلة ٢٦ ميلاً فيه أعراب وربما ضاق على المارة الماء من البرك والآبار ، وقال الحربي : وبالسليلة قصر ومسجد للزبير بن العوام وبها بركة مربعة ولها مصفاة وللمصفاة مسيل وبها من الآبار الغليظة الماء المعمول بالحجارة المنقوشة ستة آبار(٢٥٧ /١٠٦) (وهي المحطة العشرون).

ومن زبالة إلى الشقوق سبعة عشر ميلاً وبها قصر ومسجد وبزبالة من القلب في بطن الوادي وغيره ثلاثمائة وخمسون قليبا . قال الشاعر الراجز.

ثم نزلنا بعده زبالة منزل صدق يرتق النزالة

وترتعي في خطوها مختالة لينة كأنها ذلالة

راكبها لا يشتكي الملالة وقية تحمل أو رحالة

شمالها في عزها جلالة تعطي الجياد البيض والمنالة

طريق لينة وعدلت على منزلة بالقرية بينه وبين زبالة ثم ارتحلت من القرية فنزلت لينة وبينهما أربعة عشر ميلاً ثم سلكت الطريق إلى الثعلبية سبعة عشر ميلاً. (٢٣٤/٢٨٦) .

والبطان بأسفل الهبير الذي سمي بطين ومن بطان إلى الثعلبية اثنان وعشرون ميلاً ونصف أما الهبير فهو واد يحدر فيها يقبل الغرب وهي لبني ناشرة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان ، والهبير هو رمل زرود وكانت عنده وقعة ابن أبي سعيد الجنابي القرمطي بالحاج يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٣١٢ هـ ـ ٩٢٤م قتلهم وسباهم وأخذ أموالهم ويفهم من كلام بعض المؤرخين أن القرمطي أوقع بالحجاج فيه مرتين. (٢٩٠/٢٩١/٢٣٤).

فضاخ :

قرية بها آبار لا تزال عامرة شرق جبل حزاز وإمرة تقع شرق طريق الحاج. (٢٣٤/٣٢١).

الطريق من فيد إلى المدينة :

على بعد أربعة عشر ميلا من فيد منازل للأعراب فيها نخل ماؤها غليظ يقال للموضع أبضة " وأبضة قرية لا تزال معروفة وبجانبها حرة تضاف إليها الجامر" (٢٣٤/٥١٥).

غمر مرزوق:

بها قصر وآبار ماؤها عذب وبها أبيات كثيرة "وغمر مرزوق ماء في بلاد بني أسد أرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن سرية، وفي حديث الردة خرج خالد بن الوليد من الأكناف أكناف سلمى حتى نزل الغمر وهو ماء من مياه بني أسد، ومن غمر مرزوق إلى العنابة عشرون ميلاً ونصف. (٥١٦/٥١٧/٢٣٤).

العنابة:

وبالعنابة بركة وأبيات وسوق وآبار ماؤها مالح عمقها إثنا عشر قامة وبين العنابة وحسى وهي ببطن الرمة ثلاثون ميلاً أو سبعة وعشرون ميلاً ونصف.(٥١٧/٥١٨/٢٣٤).

وبحسا بطن الرمة قصر ومنازل وسوق وآبار وماؤها غليظ وبطن الرمة أوله من حرة يقال لها حرة النارحرة خيبر أو حرة بني رشيد"وادي الرمة المعروف الذي ينحدر من حرارة الحجاز ويشق عالية نجد حتى تقفه الرمال شرق القصيم قديمًا، كان يمتد حتى الخليج العربي مع الباطن المعروف باسم فلج؛ وآخر بطن الرمة الرغام دون هجر وفيه الحاجر في طريق الكوفة والنباج في طريق البصرة وعيون جعفر بن سليمان وهو جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس من سراة بني هاشم ولي البصرة وطرق الحج ثم ولي المدينة سنة ١٤٦ - ١٤٩ هـ ٧٦٣ - ٧٦٦ م ومن ١٦٠ - ١٦٦ هـ ٧٧٦ - ٧٨٢ م ومعها مكة والطائف وله آثار في طريق الحج في القريتين وضرية ومن بطن الرمة إلى الرقم أربعة وثلاثون ميلاً. (٥١٨/٢٣٤).

الرقم:

وبالرقم قصر وسوق ومنازل ونخل كثير وآبار كثيرة عذبة ، ويليه السعد بينه أربعة وعشرون ميلاً وبالسعد قصر ومنازل وسوق وماء عذب وقد حدث بقرب السعد غزوة ذات الرقاع قال نصر : هو جبل على بعد ٣٠ ميلاً من الكديد عنده منازل وسوق وماء عذب بطريق فيد ومن السعد إلى النخيل خمسة وعشرون ميلاً (١٩-٢٠/٢٣٤).

النخيل:

وبالنخيل قصر ومنازل وسوق وقناة من عيون وماؤها عذب وهي لرجل من بني مخزوم وكانت قبل ذلك لحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم خرج في عهد الهادي سنة ١٦٩ فقتل في فخ المعروف الآن باسم الشهداء بقرب مكة . قال فيه الشاعر :

لله أحلك ذا النخيل وقد أرى وأبيك مالك ذو نخيل بدار

ومن النخيل إلى الشقرة ثمانية عشر ميلاً ونصف "والنخيل الآن قرية عامرة يقارب سكانها ألف نسمة" الجاسر. قال شاعر أخر في ترتيب طرق الحج :

وارتحلوا منه إلى زبالة قد أمنوا من حيرة الضلالة

فنزلوا بقرية وسوق .وارتحلوا منها إلى الشقوق

حتى أتوها لم يميلوا ميلاً ثم أتو "قبر" العبادي ليلا

فسارتحلوا مرحلة وحية حتى إذا صاروا بثعلبية

ثم الخزيمية أموا بعدها   وهي زرود والمزول عندها

حتى إذا أسفر وجه السحر   لاحت لهم فيه بيوت الأجفر

فافترقوا بين هناك فرقا   قد شعبوا للسير منه الطرقا

فأم بعض "توزا" ثم الجا   وبعضهم من فيد عنها عرجا

وسار فيمن عمد المدينة   مدرعًا ثوبًا من السكينة

حتى إذا لاحت بيوت الأخرجة   وهي الطريق وعليها المدرجة

قالوا نقيم ساعة فنزلوا   فروحوا ركابهم وارتحلوا

وسار حتى جاء غمر مرزوق   في خير طراق وخير مطروق

وسار لم يلبث هناك لبثا   تحثها الرحلة عنها حثا

حتى إذا سار إلى العنابة   كالسامع المسرع في الإجابة

قالوا : ببطن الرمة المزول   فمن أتاها قطن قليل

فنزلوا قبل طلوع الفجر   ورحلوا عند أوان العصر

كلهم يضمر يصبح الرقم   حتى إذا لاح من الصبح العلم

جاءوا وقد أنضى السرى الركائبا   وقد أمال الوسن الحقائبا

للنوا لبث القطا في الورد   ثم استقل الناس نحو السعد

(ب)- طريق البصرة :

الحفر حفر أبي موسى [حفر الباطن] وبالحفر آبار ومسجد وفيها منبر ذوماء عذب ومن حفر إلى ماوية اثنان وثلاثون ميلاً قال الشاعر . (٢٣٤/٥٧٩).

حتى إذا مرت على أهل الحفر   مرت بماء بالطريق مشتهر

ذي حاضر جم وشاء وعكر

فوضع القوم به الوضائعا   لدى امرىء قد يحفظ الودائعا

ابن ذكين كان قدمًا نافعًا

واطبخ القوم بها واختبزوا   وشمروا في شأنهم وأوجزوا

واسرعوا المطي ثم اغترزوا

لصادرت قبل طلوع الشمس   مصعدة بالسعد لا بالنحس

ماوية:

وسميت ماوية لصفاء والماوية المرآة قال طرفة :

وعينان كالماويتان استكنتا   بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد

وقيل سميت ماوية بماوية بنت النعمان بن المنذر وذلك أنها كانت تبدو إليها وزعمت العرب أنهم لم يشربوا أعذب من ماء ماوية غابا في سقاء وأنشد ابن الأعرابي:

تبيت الثلاث السود وهي مناخة على نفس من ماء ماوية الندى

وقال السكوني: ماوية من أعذب مياه العرب على طريق البصرة من النباج بعد العشيرة بينهما عند التواء الوادي الرقمتان، وكان الحجاج لما سار بطريق البصرة منصرفا من الحج وأمر بالمياه فوزنت فيما بين البصرة ومكة لم يجدوا أخف من ماء ماوية، وفي البطن من وراء ماوية عند التواء الوادي الرقمتان وهما قريتان على شفير الوادي من جانبيه وهي منزل مالك بن الريب التي يقول فيها :

فلله دري يوم أترك طائعًا بني بأعلى الرقمتين وماليا

ومن الماوية إلى العشر تسعة وعشرون ميلاً (٥٨٠ / ٢٣٤/٥٨١).

حتى إذا مرت على ماوية مرت فجازت أهلها عشية

كالهقل بالبلقة الدوية

فشمرت والقوم غير لغب من الذؤوب والمطي أداب

وهم مروح بالجديل تلعب

العشر:

سميت ذات العشر لأنها منابت العشر "ذات العشر من منازل أهل البصرة إلى النباج بعد مسقط الرمل وبالعشر آبار ومن العشر إلى الينسوعة ثلاثة وعشرين ميلا وبالينسوعة بئر كبيرة وآبار قريبة من الماء ماء السماء فيها قال ياقوت: "ينسوعة القف منهل من مناهل مكة على جادة البصرة بها ركايا عذبة عند منقطع رمال الدهناء وبين ماوية والنباج وقد شربت من مائها ، وقال السكوني الينسوعة موضع في طريق البصرة بينها وبين النباج مرحلتان نحو البصرة ومن الينسوعة إلى السمينة تسعة وعشرون ميلاً. (٢٣٤/٥٨٣).

قال الراجز :

حتى إذا مرت على ذات العشر معتمة والليل ساج معتكر

ما كان إلا ورد هائم الصدر

تجتاب أجواز الفلا بالأرقال وبالذميل عند نصف الأحمال

تمضي المهادي حلوة مربوعة

تأود المطي عذبًا باردا ثم ارتووا وقربوا المزاردا

لشارب سريعة وآكل ومستريح نائم وعامل

وراحل منطلق ونازل

السمينة:

وهي لبني الهجيم من تميم وبها آبار عذبة وآبار مالحة "والسمينة أول منزل من النباج للقاصد إلى البصرة وهي ماء لبني الهجيم فيها آبار عذبة وآبار مالحة بينهما رملة صعبة المسلك بها الرزق التي ذكرها ذو الرمة " قال فيها الراجز. (٢٣٤/٥٨٤).

حتى إذا مرت على السمينة   في أينق بالسحر قدر عينه

مرت بماء كن قد قلينه

فانبعن قد عارض مسرط   تصدفيه تارة وقهبط

تدعه أطوارًا وطورًا تخبط

ومن السمينة إلى النباج ثلاثة وعشرون ميلاً "وورد في الأغاني ١٩/ ١٦٣ أن مالك بن الريب يقطع الطريق هو وأصحاب له منهم شظاظ وهو مولى لبني تميم وكان أخبثهم وأبو حردبة أحد بني أثالة من مازن وغويث أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة وكلهم من تميم وفيهم يقول الراجز:

الله نجاك من القصيم وبطن فلج وبني تميم

ومن أبي حردبة الأثيم ومالك وسيفه المسموم

ومن شظاظ الأحمر الزنيم ومن أويس فاتح الكعوم

ثم أورد خبر مالك وأبي حردبة من عامل المدينة مروان بن الحكم إلى البحرين ثم إلى فارس وانضمامهما إلى الغزاة.(٢٣٤/٥٨٦).

النباج:

سميت النباج لكثرة أهلها وكثرة الأصوات يقال رجل نباج إذا كان كثير الكلام وبالنباج عين ونخل وتجارة كثيرة ومسجد ومنبر " قال الأزهري": في بلاد العرب نباجان أحدهما على طريق البصرة يقال له نباج بني عامر وهو بحذاء فيد بالقصيم والآخر نباج بني سعد بالقريتين ثم نقل السكوني: والنباج استنبطه عبد الله بن عامر بن كريز، شقق فيه عيونا وغرس نخلاً وولده به وساكنه من رهطه بنو كريز ومن انضم إليهم من العرب ونباج ابن عامر هذا هو"العيون" بالقصيم وفيه عين ابن فهيد وهو صاحب عين هي أشهرها الجاسر"وعلى عشرة أميال من النباج الصريف للعرب فيه أشعار قال ياقوت:الصريف من النباج على عشرة أميا وهو بلد لبني أُسَيْد بن عمرو من تميم معترض للطريق مرتفع به نخل ، وقال السكري : هو لا خلاط حنظلة قال جرير:

أجن الهوى ما أنس لا أنس موقفًا عشية جرعا والصريف ومنظرا

وقال ابن مقبل يصف سحابًا:

وألقى بشرج والصريف بعاعة ثقال رواياه من المزن دلح

ومن النباج إلى العوسجة تسعة عشر ميلاً. (٢٣٤/٥٨٧).

قال الراجز في النباج :

حتى إذا مرت على النباج واصلة اللهجة بالادلاج

مرت بماء سائح أجاج

يروى به النخل وغير النخل بمنزل باد كثير الأهل

به بهاليل كرام الأصل

من عبد شمس من ذوي صميمها تنميهم الأبطال من قرومها

حلوا محلاً حيث حلوا جامعا ماء ونخلاً وبناء رائعا

إلى أروم طاب[في] أرومها

حلوا محلاً حيث حلوا جامعا ماء ونخلاً وبناء رائع

وصيد بر ومندى واسعا

للتجر فيه متجر ربيح ومنزل مطرد فسيح

تسن في حافاته السيوح

فوضع القوم بها ما وضعوا من زادهم واحتملوا فاتسعوا

وصاح سواق بهم فاندفعوا

العوسجة:

بها آبار قريبة الماء وتعرف الآن العوسجة (بالعوشزية) قرية كبيرة ولكنها لا تقع باتجاه مكة بل تميل نحو الجنوب كثيرًا ولعل طريق الحاج كان يدع الرمال يمينًا ويسير متجها نحو الجنوب حتى يصل إلى العوسجة ومن العوسجة إلى القريتين اثنان وعشرون ميلاً. (٢٣٤/٥٨٨).

قال الراجز:

حتى إذا أوفت على القصيم وخلفت أرض بني تميم

قلت لها جدي ولا تقيمي

وخلفت تنحط في رماله مثل انحطاط الوعل في أجباله

تحدو إذا انحطت على أمثاله

حتى إذا مرت بقاع بولان مزهوة تجذي أمام الركبان

حرف أمون ذات لوذ مذعان

ثم مضت قدما تؤم النخلا تقدم أطلاحًا عتاقا بزلا

تكاد تذري جلسها والرحلا

القريتين: القريتان كانتا لطسم وجديس قال زهير:

عهدي بهم يوم باب القريتين وقد زال الهماليج بالفرسان واللجم

فاستبدلت بعدنا دارًا يمانية ترعى الخريف فأدنى دارها ظلم

قيل أصيب بالقريتين دراهم وزن الدرهم منها تسعة دراهم وثلثان من بقايا طسم وجديس، قال: فسألتهم أن يدفعوا إلي ويأخذوا وزنها فقالوا: نخاف السلطان وقيل أن القريتين منهما قرية ابن عامر والأخرى بناها جعفر بن سليمان وبها حصن والقرية يقال لها العسكرة وهي بلد نخل تطرد بين أضعافها عيون في مائها غلظ وأهلها يستعذبون ماء عنيزة وهي على ميلين من القريتين.

"وعنيزة هذه هي المدينة المعروفة في القصيم ويفهم من سياق الكلام أن القريتين في شرقها في الوادي وفيه قري ماؤها ملح ومتعارف عند أهل عنيزة أن العبارية إحدى القريتين "الجاسر"(٢٣٤/٥٨٨).

قال جبهاء الأشجعي:

فهممت ثم ذكرت ليل لقاحنا بلوى عنيزة أو بعنف قشام

إذهن عن حسبي مذاود كلما نزل الظلام بفتية أعتام

ومن خبر هذا ما أورده الأصفهاني: ان أنيسة زوجة جبهاء قالت:لو هاجرت بنا إلى المدينة وبعت إبلك وافترضت في العطاء كان خيرًا لك قال: أفعل فأقبل بها وبإبله حتى إذا كان بحرة واقم من شرق المدينة شرعها بحوض وقام يسقيها فحنت ناقة منها ثم نزعت وتبعتها الإبل وطلبها ففاتته فقال لزوجته هذه إبل لا تعقل تحن إلى أوطانها فنحن أحق بالحنين منها طالق إن لم ترجعي: فقالت : فعل الله بك وفعل وردها وقال:

قالت أنيسة دع بلادك والتمس دار بطيبة ربة الآطام

تكتب عيالك في العطاء وتفترض وكذاك يفعل حازم الأقوام

فهممت ثم ذكرت ليل لقاحنا بلوى عنيزة أو بعنف قشام

إذ هن عن حسبي مذاود كلما نزل الظلام بفتية أعتام

إن المدينة لا مدينة فالزمي حقف الستار وقنة الأرجام

تجلب لك اللبن الغريض وتنتزع بالعيش من يمن إليك وشام

وتجاوري النفر الذين بنبلهم أرمي العدو إذا نهضت أرامي

الباذلين إذا طلبت تلادهم والمانعي ظهري من الجرامي

ومن القريتين إلى رامة أربعة وعشرون ميلاً.

قال الراجز في القريتين :

عامدة للقريتين ما تنى لو عطفت لمرتع لم تنثن

متى تحركها للسير تمعن

بحرة في أنيق بهازر لما رأين قرية ابن عامر

رمينها بالأعين الفواتر

فوردت الشمس لما تطلع عطشى بها حرارة لم تنقع

متى تقر بها لماء تكرع

هذا ونحن من صميم البرد يطيبها الورد بعد الورد

عبهمة كالهقل حين تحدي

فاخبر القوم وقيل شمروا فارتحلوا وهن خوص ضمر

يستاقهن سائق عزور

الرمادة :

وهو بلد في منتصف الطريق بين البصرة ومكة وفيها قال الراجز:

إن الرماديات في الرمادة

تزن إحداهن بالوسادة

كما تزن بظرها الجرادة

وبين الرمادة وعجلز ثلاثة أميال :

عجلز :

به بركة وآبار ومسجد وهو الذي يقال : النصف من طريق مكة.

قال الراجز :

ثم مضت نحو طريق عجلز تنحط بالسير الوحى الموجز

فسرت في [بث] على الكثيب تعسل فيه عسلان الذيب

تشرف فيه تارة وتنحدر دائمة النشاط كالعير الأشر

رامة :

وبرامة آبار كثيرة "ورامة لا تزال معروفة وقد حفرت فيها آبار ارتوازية فتفجرت فيها عيونًا وكثر زراعتها غرب مدينة عنيزة تميل نحو الجنوب وبين رامة وبطن عاقل أحد عشر ميلاً (٢٣٤/٥٩٢)

قال الراجز:

زصلة بي ما تخاف ميلا فوردت في رامتين ليلا

سريعة السير تسيل سيلا

بطن عاقل:

وبه آبار كثيرة وفي رامة شعر كثير لا يحصى " ووادي عاقل يدعى الآن لعاقلي فيه قرية تدعى بهذا الاسم بقرب مدينة "الرس" وعاقل هي مقر مملكة كندة كما جاء في صدر الكتاب ومن عاقل إلى إمرة سبعة عشر ميلاً.(٢٣٤/٥٩٣).

ثم مضت تؤم بطن عاقل تعل بين أنيق عوامل

من العمانيات كالمجادل

وشجر جم وماء بارد والناس بين صادر ووارد

وسائق لغيره وقائد

فوردته علّلاً بعد نَهل تكرع في حافاته على مهل

والدلو في لف فمد ذي زجل

إمرة:

وسميت إمرة بآكام فيها شبهت بأولاد الضأن يقال للصغير منها إمر وللصغيرة إمرة ، وقيل سميت إمرة لنماء المال فيها وبإمرة آبار كثيرة" وإمرة تقع

في طرف حمى ضرية الشرقي ولا تزال معروفة تطلق على جبل يقع غرب دخنة جبل عزاز بين بلدتي الشبيكة والخشبي جنوب مدينة الرس.(٢٣٤/٥٩٢).

قال الراجز:

فوردت في جنح ليل دامس والقوم بين نائم وناعس

تنفى اللغام عنتريس دوسرة

فجلس القوم لكي يعرسوا فصاح منهم صائح لا تجلسوا

عليكم ليل طويل حندس

فسلكوا فجا حيث المسلك لو زلقت عيس به لم تحرك

سرباله عن ساقه والميزرا

فأخذ الدلو ممر المتنين عبل الذراعين عريض الجبين

مذلل افامة شثن الكفين

فرويت في ساعة جميعا لما أصابت ماتحا سريعا

فصدرت قد تملأ النسوعا

طخفة :

وطخفة لبني كلاب ولبني جعفر خاصة " وفي بلاد العرب " غول للضباب وطخفة وشعبا للضباب وبعضها لبني جعفر والقبيلتان متجاورتان ومنازل مختلطة ويظهر أنهما اختلفا على هذا كما يدل رجز قاله ضبابي :

قد علمت مطرف خضابها تزل عن مثل النقا ثيابها

أن الضباب كرمت أحسابها وعلمت طخفة من أربابها

ومن طخفة إلى ضرية ثمانية عشر ميلاً . (٢٣٤/٥٩٤).

قال الراجز :

حتى إذا مرت بماء طخفة عطفتها فلم تمل العطفة

مضت ولم تعرض لتلك النطفة

ضرية :

سميت ضرية ببترها وقيل حمى ضرية نسب إلى ضرية بنت نزار بن معد بن عدنان ، وضرية بلد قديم .

ضرية عامرة فيها جبلان يشرفان عليها أحدهما عن يمين المصعد يقال له وسط قال ذو الجوش :

سألت الله ذا النعماء أمرًا ليجعل لي وسط طعامًا

فأعطاني ضرية خير أرض تثج الماء والحب والتؤاما

وذو الجوش إسمه شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية بن كلاب ومعاوية هو الضباب ، والجبل الثاني بسار المصعد يقال له الأحسن وبه معدن الفضة.

قال التوفي: يكتنف ضرية جبلان يقال لأحدهما وسط وللآخر الأحسن وبه معدن فضة"وجبل وسط لا يزال معروفًا يشاهد من ضرية جنوبا أما الأحسن فيقع في الجنوب من ضرية وضرية لا تزال معروفة سكانها "٤٣٧ نسمة

"الجاسر" وكان جعفر بن سليمان وهو والي المدينة ولاها رجلاً فقحط الناس إلا الحمى وكان الأعراب يمنعون أن يرعوا فيه فصعد جعفر المنبر فاستقى فصاح به أعرابي قد سقانا الله ولكنكم تمنعوننا هذا الحمى.

وقال: إني لعند عمر إذ أتاه أعرابي من أهل نجد فقال : يا أمير المؤمنين بلادنا قاتلنا عليها في الجاهلية والإسلام فعلام تحميها ؟

قال: فأطرق ساعة وجعل ينفخ ويفتل شاربه فلما رأى ذلك الأعرابي، وكان إذا كربه أمر نفخ وفتل شاربه جعل يردد عليه فقال: المال مال الله، والعباد عباد الله، والله لولا ما أحمل عليه من الظهر في سبيل الله ما حميت من الأرض شبراً في شبر.

واستعمل عمر مولى له يدعى هنيا على الحمى فقال له: يا هني أضمم جناحك للناس، واتق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مجابة وادخل رب الصريمة ورب الغنيمة وإياك [وإبل] ابن عفان ونعم ابن عوف فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى زرع ونخل وأن رب الصريمة ورب الغنيمة إن تهلك ماشيته يأتيني فيقول: يا أمير المؤمنين، يا أمير المؤمنين أفأتركهم لا أبالك، فالماء والكلأ أيسر علي من الذهب والورق، وأيم الله أنهم ليرون أن قد ظلمهم، إنما بلادهم ومياههم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبراً.

وبضرية بركة وآبار ونخل ومن ضرية إلى جديلة اثنان وثلاثون ميلاً.

(٥٩٦/٥٩٧/٢٣٤).

قال الراجز:

حتى إذا صارت على ضرية مرت بأرض نزعة عذبة

نازحة عن الأذى بريه

نزلوا القوم هناك منزلا ثم ينزلوا في مثله فيما حلى

ماء رواء ومنذاً مقبلا

نضرب القوم هناك الأبنية منها فساطيط ومنها أخبية

وبسطوا البسط عليها الأوعية

ثم ثووا في راحة وخفض حتى إذا ما جنحت للدحض

شمس النهار أومعوا للنهض

فأوردها شبما رقيقا فأكلوا وشربوا السويقا

ثم رموا بالأنيق الطريقا

أبرق حجر جديلة وهما جبلان يكتنفان الطريق كان نزل عليهما حجر أبو امرئ القيس الكندي الشاعر وكان ملكاً فقتله بنو أسد بذلك الموضع.

قال الراجز :

حتى إذا مرت بأبرقي حجر وافت بنا بركبه قبل السحر

والليل مدهم وقد غاب القمر

فأسرع القوم المطى ومضوا قد أدبروا كوم المطي وانتضوا

وقد قضوا من شأنهم ما قد قضوا

ومن جديلة إلى فلجة خمسة وثلاثون ميلاً.

فلجة:

منزل على طريق مكة من البصرة بعد أبرق حجر وهو لبني البكاء، وماؤها ملح وفلجة لبني البكاء وهي منزل خرقاء صاحبة ذي الرمة ومر حجاج بفلجة منصرفين من الحج فوقفوا على خرقاء وهم لا يعرفونها.

قالت : من الركب؟ قالوا من بني عدي الرباب،قالت:رهط ذي الرمة؟

قالوا نعم : قالت قد تركتم منسكا بقي عليكم من مناسك الحج.

قالوا : وما هو ؟ قالت : أما سمعتم ذا الرمة يقول :

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

قالوا: وإنك لخرقاء ؟ قالت:نعم! فأناخوا عندها.

ومن فلجة إلى سواج والزجيج سبعة اميال.(٢٣٤/٥٩٨).

قال الراجز:

حتى إذا مرت بأرض فلجة مرت بقوم غير أهل لجة

ما كان للقوم بها من عرجة

الزجيج:

جبل رأسه محدد كأنه رأس زج وهو لبني هوذة من بني البكاء رهط العداء بن خالد، والزجيج منزل للحاج بين البصرة ومكة، وقيل زج لاوة ولقي

الضحاك بن سفيان الكلابي القرطاء من بن كلاب، ومن الزجيج إلى الدثينة "خارج منطقة البحث".

قال الراجز :

حتى مضوا ونزلوا بالزج من الوجوه عمدا للحج

كم قطعوا من سبب وفج

أغبر مرت ثائر القتام حدب المندا طامي الاعلام

قطعته والليل ذول ادلهمام

مراحل الطريق البصري تتلخص بما يلي:"في داخل منطقة البحث".

الخامس : الحفر على ثلاثين ميلاً.

السادس : ماوية على مسافة أربعة وعشرين ميلاً.

السابع : العشر على مسافة أربعة وعشرين ميلاً.

الثامن : الينسوعة.

التاسع : السمينة.

العاشر: النباج.

الحادي عشر : عويسجة.

الثاني عشر :القريتان.

الثالث عشر : رامة.

الرابع عشر : إمرة.

الخامس عشر : الرابقة.

السادس عشر : ضرية.

السابع عشر : الأبرقان.

الثامن عشر: الجديلة.

التاسع عشر : فلجة

وبالأبرقان يقول الشاعر:

أشاقتك بين الأبريقين المنازل محتها السواقي والهمي الهواطل

إذا أقلعت عنها الهمي تداولت بقايا مغانيها الرياح الجوافل

فهذى تسويها وتلك تثيرها كما قلب النسج الأكف العوامل

سقى الله بين الأبرقين منازلاً لنجدي ترعاها الظباء الخواذل

(٢٣٤/٦١٣/٦١٢)

حـ- طريق اليمامة إلى مكة وهي طريقان :

١- طريق القريتين لا يأخذ فيه على مرأة "مرات" وطريق على مرأة "مرات" فإذا خرجت من مرأة فأول منبر يلقاك منبر عقربا وهي من أعالي العرض وهي لقوم من بني عامر"من حنيفة" من ربيعة يقال لصاحبها محمد بن عطاء أحد فرسان ربيعة المذكورين"وخرج إليها مسيلمة لما بلغه سرى خالد إلى اليمامة فنزل بها لأنها في طريق اليمامة ودون الأموال وجعل ريف اليمامة وراء ظهره ، وقد درست عقرباء وقامت على أنقاضها الجبيلة". (٢٣٤/٦١٦).

فإذا خرجت من اليمامة فأول منبر بحجر وهي مدينة اليمامة وأم القرى وبها منزل صاحب المملكة وحجر شركة إلا أن الأصل لبني حنيفة وهي بمنزلة

البصرة والكوفة لكل قوم بها خطة إلا أن العدد لبني عبيد " وعلى أنقاض حجر قامت مدينة الرياض ".

ثم المنبر بجو بموضع يقال له الخضرمة وأهلها قوم من ربيعة يقال لهم السعول"والخضرمة تسمى جو الخضارم قال عنه الهمداني:يصف طريق المتجه غربا:ثم تسير في الهباء ثم تقطع جبيلا قريبا يقال له أنقد ثم الروضة ثم ترد الخضرمة جو الخضارم مدينة وقرى وسوق فيها بنو الأخيضر بن يوسف، "وأقول والقول للشيخ حمد الجاسر"تعرف الروضة الآن باسم البجادية:وأنقد يدعى أبرق سارة والخضرمة هي اليمامة والسلمية والسيح".

ثم المنبر الخرج وأهله قيس بن ثعلبة.

والمنبر بالمجازة وأهلها بنو هزان من ربيعة.

والمجازة مجتمع أودية الخوطة والحريق وهي الآن روضة ليست مدينة وبنو هزان يسكنون في اعلى واديها في الحريق ونعام" . (٢٣٤/٦١٧).

والطريق الآخر يتياسر عن طريق مرأة "مرات" فأول منبر يلقاك بالفقى وأهله بنو حنيفة ثم السحيمية لبني سحيم و ". مراة بلدة الوشم لا تزال معروفة ولكنها تنطق بتسهيل الهمزة "مراة" قال السكوني : من خرج من القريتين متياسرا فأول منزل يلقاه الفقي وأهله بنو ضبة ثم السحيمية والفقي يعرف الآن بسدير " (٢٣٤/٦١٧).

ثم القرية قرية بني سدوس وفيها منبر وقصر بناه سليمان بن دواد من حجر واحد " والقرية بني سدوس قال السكوني من السحيمية إلى قرية بني سدوس بن شيبان بن ذهل وفيها منبر وقصر يقال أن سليمان بن داود عليه

السلام بناه من حجر واحد من اوله إلى آخره وهي أخصب قرى اليمامة بها رمان موصوف ولا تزال القرية معروفة " تشرف عليها وتقول لو أطبق عليها ترس غطاها ثم لو وردتها ألف راحلة ما تبين ما يخرج منها. (١٧-٦١٨/٢٣٤).

ثم ملهم بها منبر وهي وقران منبرهما واحد " وملهم وقران لبني نمير على ليلة من مرأة "مراة" وملهم لا تزال معروفة باسمها أما قران فتعرف الآن باسم القرينة. ثم إلى أضاخ وبه منبر وهو لبني نمير " أضاخ من قرى اليمامة لبني نمير لا يزال معروفا".

ثم حظيان حسن وسوق ومنبر لبني نمير فيه مزارع كثيرة ومنبر بالمعدن معدن الأحسن لبني كلاب " أحسن اسم قرية بين اليمامة وحمى ضرية يقال لها معدن الأحسن لبني أبي بكر بين كلاب بها حصن ومعدن ذهب وهي طريق أهل اليمامة "

ومنبر بالحصن حصن بني عصام صاحب النعمان بن المنذر ، وقال عن سواد باهلة أوله من مشرقه بلد يقال له القويع ثم أعلى منها حصن آل عصام". (٦١٨/٢٣٤).

ومنبر بالريب لبني قشير "الريب يطلق على أودية تنحدر من جبال العرض ويعرف الآن باسم الرين فيه قرى وسكان. (٦١٨/٢٣٤).
وبحائل منبر لبني قشير "وهي غير حائل الشمال"

حائل هذه لبني قشير تقع بين الوشم شمالاً ورمل الدحي[الدهناء سابقًا]جنوبًا وعرض شمام غربًا ونفود قنيفذة [الوركة قديمًا] شرقًا.

ومنبر بخزبة لبني عقيل "خزبة تسمى خزبات من معادن بني عقيل من معادن اليمامة وهي منها على ثمان ليال"

بالصدارة منبر لبني جعدة " الصدارة من بلاد الأفلاج لا تزال معروفة بها نخل وسكان وهي أعلى وادي الغيل الذي ذكره الهمداني : واد رغاب كثير النخل كثير الحصون وفرعه الصدارة "(٦١٩/٢٣٤)

وبحراضة منبر لبني جعدة "وحراضة واد لا يزال معروفا من أودية الأفلاج " ومنبر الغيل لبني جعدة " ووادي الغيل من أشهر أودية الأفلاج في عهدنا" ذات نخيل كثير .

ومنبر بالأكمة لبني جعدة" وادي الأكمة الآن يعرف باسم الأحمر "
ومنبر بالعقيق لبني عقيل " ويعرف العقيق الآن بوادي الدواسر " ومنبر بصداء لبني قشير" وصداء من بلاد الأفلاج ذكر الهمداني فيها حصنا لقشير " .

ومنبر بحرم لبني قشير " واد في اليمامة فيه نخل وزرع "

ومنبر بالفلج لبني قشير وجعدة ، الفلج مدينة هذه المنابر منابر لكعب بن ربيعة بن عامر كما حجر مدينة ربيعة .

"والفلج هذا بفتح اللام ويعرف الآن باسم الأفلاج فيه قرى كثيرة وسكانه كثيرون" (٦٢٠/٢٣٤).

وإن أردت مكة في جادة الكوفة فخذ من زبالة وهي عامرة واسعة الماء الى الشقوق ٢١ ميلاً ثم إلى البطان ٢٩ ميلاً ثم إلى الثعلبية ٢٩ ميلاً وهي ثلث الطريق عامرة كثيرة البرك بها آبار عذبية ثم إلى الخزيمية ٣٢ ميلاً ثم إلى الأجفر ٢٤ ميلاً ثم إلى فيد ٣٦ ميلاً بحصنين عامرة واسعة الماء إلى توز وهي نصف

الطريق ٣١ ميلاً ثم إلى سميراء ٢٠ ميلاً برك وماء واسع ومزارع والماء عذبي ثم إلى حاجر ٣٣ ميلاً ثم إلى معدن النقرة ٣٤ ميلاً بها حصن وماء ضعيف وموضع وحش ثم إلى المغيثة ٣٣ ميلاً إلى الربذة ٢٤ ميلاً ماء زعاق وموضع خراب ثم إلى معدن بني سليم ٢٤ ميلاً.

وإن أردتها من البصرة فخذ من البصرة إلى الحفير ١٨ ميلاً ثم إلى الرحيل ٢٨ ميلاً ثم إلى الشمس ٢٧ ميلاً ثم إلى حفر أبي موسى ٢٦ ميلاً ثم إلى ماوية ٣٢ ميلاً ثم إلى ذات العشيرة ٢٩ ميلاً ثم إلى الينسوعة ٢٣ ميلاً ثم إلى السمينة ٢٥ ميلاً ثم إلى القريتين ٢٢ ميلاً ثم إلى النباج ٢٣ ميلاً ثم إلى العوسجة ٢٩ ميلاً ثم ألى رامة ثم إلى إمرة ٢٧ ميلاً ثم إلى طخفة ٢٦ ميلاً ثم إلى ضرية ١٨ ميلاً ثم إلى جديلة ٣٢ ميلاً ثم إلى فلجة ٣٥ ميلاً ثم إلى الدثينة ٢٦ ميلاً . (٩/١٠٠).

الطريق من البصرة إلى مكة :

ثم إلى الحفر ثم ماوية ثم إلى ذات العشيرة ثم إلى الينسوعة ثم إلى السمينة ثم النباج ثم إلى العوسجة ثم إلى القريتين ثم إلى رامة . قال يزيد بن مفرغ الحميري:

أصرمت حبلك من أمامه من بعد أيام برامه

ثم الى إمرة ثم إلى طخفة قال جرير :

وقد جعلت يومًا بطخفة خيلنا لآل أبي قابوس يومًا منكرًا

ثم الى ضرية ثم إلى جديلة ثم إلى فلجة . (١٢٥/١٢٦/٢٠٦)

طريق اليمامة إلى مكة :

من اليمامة إلى العرض قال ابن مفرغ:

أوهامة تدعو الصدى بين المشقر واليمامة

ثم إلى الحديقة ثم إلى السيح ثم إلى الثنية ثم إلى شقيراء ثم إلى السد ثم صداة ثم إلى شريفة ثم إلى القريتين من طريق البصرة . (٢٠٦/١٢٦)

وأعراض اليمامة :

حجر وجو وهي الخضرمة وهي من حجر على يوم وليلة والعرض وهو واد يشق اليمامة من أعلاها إلى أسفلها وفيه قرى ، والمنفوحة وويرة والقرية وغبراء ومهشمة والعامرية وبيسان وبرقة ضاحك وتوضح والمقراة .

قال إمرؤ القيس :

وتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال

والمجازة قال الشاعر :

مقيم بالمجازة من قنونا وأهلك بالأجيفر فالثماد

ووادي قرن.(٢٠٦/١٢٩)

ومن اليمامة إلى اليمن :

من اليمامة إلى الخرج ثم نبعة ثم المجازة ثم المعدن ثم الشقق ثم إلى النور ثم الفلج. (٢٠٦/١٣٠)

اليمامة :

لما قتل الوليد بن يزيد كان على اليمامة علي بن المهاجر ، استعمله عليها يوسف بن عمر فقال له المهير بن سلمى بن هلال أحد بني الدؤل بن حنيفة : اترك لنا بلادنا ، فأبى ، فجمع له المهير وسار إليه وهو في قصره بقاع هجر ، فالتقوا بالقاع فانهزم علي حتى دخل قصره ثم هرب إلى المدينة وقتل المهير ناسًا

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

من أصحابه ، وكان يحيى بن أبي حفصة نهى ابن المهاجر عن القتال فعصاه فقال:

إذا أنت سالمت المهير ورهطه أمنت من الأعداء والخوف والذعر

فتى راح يوم القاع روحة ماجد أراد بها حسن السماع مع الأجر

وهذا يوم القاع وتأمر المهير على اليمامة ثم أنه مات واستخلف على اليمامة عبد الله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة بن الدؤل فاستعمل عبد الله بن النعمان المندلث بن إدريس الحنفي على الفلج وهي قرية من قرى عامر بن صعصعة : فجمع له بنو كعب بن ربيعة بن عامر ومعهم بنو عقيل ، وأبو الفلج على المندلث ، وقاتلهم فقتل المندلث وأكثر أصحابه ولم يقتل من أصحاب بني عامر كثير ، وقتل يومئذ يزيد بن الطثرية الشاعر فرثاه أخوه ثور بن الطثرية بقوله:

أرى الأثل من نحو العقيق مجاوري مقيمًا وقد غالت يزيد غوائله

وقد كان يحمي المحجرين بسيفه ويبلغ أقصى حجرة الحي نائله

وهذا يوم الفلج الأول، فلما بلغ عبد الله بن النعمان قتل المندلث جمع ألفا من بني حنيفة وغيرها وغزا الفلج، فلما تصاف الناس انهزم أبو لطيفة بن مسلم العقيلي فقال الراجز:

فر أبو لطيفة المنافق والجفونيان وفر طارق

لما أحاطت بهم البوارق

طارق بن عبد الله القشيري، والجفونيان من بني قشير وتخلفت بنو جعدة البوادع ووَلوا فقتل أكثرهم وقطعت يد زياد بن حيان الجعدي فقال.

أنشد كفا ذهبت وساعدا أنشدها ولا أراني واجدا

ثم قتل ، وقال بعض الربعيين:

سمونا لكعب بالصفائح والقنا وبالخيل شعثا تنحني بالشكائم

فما غاب قرن الشمس حتى رأيتنا نسوق بني كعب كسوق البهائم

بضرب يزل اهام من سكناته وطعن كأفواه المزاد الثواجم

وهذا اليوم هو يوم الفلج الثاني ثم إن بني عقيل وقشيرًا وجعدة ونميرًا تجمعوا وعليهم أبو سهلة النميري فقتلوا من لقوا من بني حنيفة بمعدن الصحراء وسلبوا نساءهم، وكفت بنو نمير عن النساء ثم إن عمر بن الوازع الحنفي لما رأى ما فعل عبد الله بن النعمان يوم الفلج، الثاني قال: لست بدون عبد الله وغيره ممن يغير وهذه فترة يؤمن فيها عقوبة السلطان فجمع خيله وأتى الشريف وبث خيله فأغارت وأغار هو فملئت يداه من الغنائم وأقبل ومن معه حتى أتى النشناش وأقبلت بنو عامر وقد حشدت فلم يشعر عمر بن الوازع إلا برعاء الإبل ، فجمع النساء في قسطاط وجعل عليهن حرسًا ولقي القوم فقاتلهم فانهزم هو ومن معه وهرب عمر بن الوازع فلحقت باليمامة وتساقط من بني حنيفة خلق كثير في القلب من شدة العطش وشدة الحر ورجعت بنو عامر بالأسرى والنساء وقال القحيف العقيلي:

فداء خالتي لبني عقيل وكعب حين تزدحم الحدود

هم تركوا على النشناش صرعى بضرب ثم أهونه شديد

وكفت قيس يوم النشناش عن السلب فجاءت عكل فسلبتهم وهذا يوم النشناش ولم يكن لحنيفة بعده جمع غير أن عبيد الله بن مسلم الحنفي جمع جمعًا وأغار على ماء لقشير يقال له حلبان فقال الشاعر:

لقد لاقت قشير يوم لاقت عبيد الله إحدى المنكرات

لقد لاقت على حلبان ليثا هزبرًا لا ينام على الترات

وأغار على عكل فقتل منهم عشرين ألفًا ثم قدم المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة الفرازي واليًا على اليمامة من قبل أبيه يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق لمروان الحمار فوردها وهو سلم فلم يكن حرب.

وشهدت بنو عامر على بني حنيفة فتعصب لهم المثنى لأنه قيسي أيضًا فضرب عدة رجال من بني حنيفة وحلقهم فقال بعضهم[1]

فإن تضربونا بالسياط فإننا ضربناكم بالمرهفات الصوارم

وإن تحلقوا منا الرؤوس فإننا قطعنا رؤوساً منكم بالغلاصم

(1) البيتان في ديوان جرير من أبيات له.

ثم سكنت البلاد ولم يزل عبيد الله بن مسلم الحنفي متخفيًا حتى قدم السري بن عبد الله الهاشمي واليًا على اليمامة لبني العباس فدل عليه فقتله فقال نوح بن جرير الخطفي:

فلولا السري الهاشمي وسيفه أعاد عبيد الله شرًا على عكل

(١٩٥/٧٢/٤).

ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن الدول بن حنيفة الحنفي كان مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد ثمامة بن أثال الحنفي قتله فمنعه عمه عن ذلك ، فأهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دم ثمامة ، ثم خرج ثمامة بعد ذلك معتمرًا فلما قارب المدينة أخذته رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عهد ولا عقد فأتوا به الرسول صلى الله عليه وسلم قال: إن تعاقب تعاقب ذا ذنب وإن تعف تعف عن شاكر ؛ فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذنبه فاسلم وأذن له في الخروج إلى مكة للعمرة فخرج فاعتمر ثم انصرف فضيق على قريش فلم يدع حبة تأتيهم من اليمامة فلما ظهر مسيلمة ادعي النبوة قام ثمامة بن أثال في قومه فوعظهم وذكرهم وقال: إنه لا يجتمع نبيان في أمر واحد وأن محمدًا رسول الله لا نبي بعده ولا نبي يشرك معه وقرأ عليهم : " حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ".

هذا كلام الله أين هذا من "يا ضفدع نقي لا الشراب تمنعين ولا الماء تكدرين" والله إنكم لترون إن هذا الكلام ما خرج من إلٍّ فلما قدم خالد بن الوليد شكر ذلك منه وعرف به صحة إسلامه. (١٦٧/٥٥١/٥٥٠/٥).

سميت اليمامة باسم إمرأة : هي اليمامة بنت سهم بن طسم كانت تنزلها إلى أن قتلها عبد كلال بن متوب بن ذي رعين بعثه تبع على مقدمته إلى طسم وجديس، وصلبها على بابها فسميت بها سماها بذلك تبع وكان اسمها جوٌّ. (١٦٢/٥٥٥/٥).

وكان باليمامة عدة قرى وبها الحنطة والشعير ومن بلادها هاجر هي في الغرب عن مدينة اليمامة على مرحلتين منها وبعضهم يجعلها قاعدة اليمامة. (١٦٢/٥٥٦/٥).

قال صاحب العبر "ابن خلدون" كانت هي "أي اليمامة" والطائف بيد بني هزان بن يعفر بن السكسك إلى أن غلبهم عليها طسم ثم غلبهم عليها جديس ومنهم زرقاء اليمامة ثم استولى عليها بنو حنيفة وكان منهم هوذة بن علي الحنفي ثم ملكها من بني حنيفة ثمامة بن أثال ثم كان بها منهم مسيلمة الكذاب.

وكان لبني الأخيضر من الطالبين بها دولة ، وأول من ملكها منهم محمد بن الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان استلاؤه عليها أيام المستعين الخليفة العباسي ثم ملكها بعده يوسف ثم ابنه الحسن ثم ابنه أحمد ولم يزل ملكها فيهم إلى أن غلب عليهم القرامطة.

قال ابن سعيد المغربي: وسألت عرب البحرين "الإحساء" في سنة لمن اليمامة اليوم ؟ فقال : لعرب من قيس عيلان وليس لبني حنيفة بها ذكر ، قلت : ولم أقف لعربها على ذكر في المكاتبات السلطانية بالديار المصرية " هذا الكلام في عصر المماليك في القرن الثامن الهجري. (٥/٧٥-٥٥٨/١٦٦٢).

فلما ارتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه عمرو بن الطفيل فرأى ما رأى وهو متجه إلى اليمامة فقال لأصحابه إني قد رأيت رؤيا فاعبرو هالي، رأيت أن رأسي حلق وأنه خرج من فمي طائر وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها وأرى ابني يطلبني حثيثًا حتى رأيته حبس عني قالوا: خيرًا، قال: أما أنا والله فقد أولتها قالوا وماذا؟ أما حلق رأسي فوضعه وأما الطائر الذي خرج منه فروحي ، وأما المرأة أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي فأغيب فيها وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فإني أراه سيجتهد أن يصيبه ما أصابني: فقتل رحمه الله شهيدًا باليمامة وجرح ابنه جراحة شديدة ثم استبل منها ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيدًا رحمه الله. (٣/٩٨/٤٤).

وكان في القوم مفروق بن عمرو وهاني بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم "وبين لهم في آيات القرآن ما يدعو إليه" فقال مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانيء بن قبيصة فقال: وهذا هانيء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال له هانيء: قد سمعنا مقالتك يا اخا قريش وصدقت قولك:

وإني أرى إن تركنا ديننا واتبعنا إياك على دينك لمجلس إلينا له أول ولا آخر في الرأي وطيشة في العقل، وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، وإن من ورائنا قومًا نكره أن نعقد عليهم عقدًا، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال: هذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثنى: قد سمعت مقالتك، واستحسنت قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلمت به ؛ والجواب هو جواب هانيء بن قبيصة وإنما نزلنا صريين أحدهما اليمامة والآخر السماوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذان الصريان؟ فقال أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ألا نحدث حدثًا ولا نؤوي محدثًا ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك.(٣/١٤٢/٤٤).

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا قبل اليمامة فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له : ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما عندك يا ثمامة؟ قال : عندي خير يا محمد ، إن تقتلني تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل ما شئت ، فتركه حتى كان من الغد ثم قال له : ما عندك يا ثمامة ؟ فقال : عندي ما قلت لك فتركه حتى بعد الغد وقال له ما عندك يا ثمامة ؟ فقال عندي ما قلت لك فقال : أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب

الوجوه إليَّ والله ما بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : أصبوت ؟ فقال لا ، ولكن أسلمت مع محمد ، والله لا تأتينكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم.

ومضات تاريخية :

١١هـ:خلف خالد بن الوليد رضي الله عنه على اليمامة سمرة بن عمرو العنبري التميمي،٦٣٢م ثم ولى أبو بكر الصديق سليط بن قيس حين زاره وفد من بني حنيفة وأعلنوا خضوعهم واعتزازهم بالإسلام، ورغبتهم في الاشتراك في الغزو والجهاد.

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولي حذيفة بن محصن واليًا على عمان، ومن ولاة البحرين واليمامة العلاء بن الحضرمي ثم قدامة بن مظعون الجمحي، وجاء بعده عثمان بن أبي العاص الثقفي الذي كان واليًا على عمان والبحرين عام ١٤ هـ ٦٢٥م بعد وفاة العلاء بن الحضرمي ، ثم جاء عثمان بن أبي العاص أبو بكر الذي كان واليًا على البحرين واليمامة سنة ٢٠ هـ ٦٤٠م ثم نفيع بن الحارث بن كلدة ، ثم جاء بعده أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي سنة ٢١ هـ ٦٤١م ولاه عمر بن الخطاب ثم رآه لين العريكة مشغولاً بالعبادة فعزله..

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه تولى عليها عياش بن أبي ثور وبعد أن انتقلت عاصمة الخلافة إلى الكوفة في خلافة علي بن أبي طالب رضي

الله عنه عادت إلى تبعيتها للبحرين فوليها عمرو بن أبي سلمة ثم قدامة بن العجلان الزرقي الانصاري ثم النعمام بن العجلان الزرقي الأنصاري.

أما في عهد الخلافة الأموية فكان القسم الشمالي من نجد الذي يشمل القصيم وعالية نجد يضاف إلى والي المدينة لوقوعه في طريق الحجاج من البصرة والكوفة وبغداد .

وأشهر من ولي نجد في عهد بني أمية : يزيد الملقب بأبي حفصة أرسله إليها مروان بن الحكم عندما كان أميرًا على المدينة بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان عام ٦٠ هـ/٦٧٩م تولى يزيد ابنه وقتل الحسين بن علي قامت ثورة الخوارج في البحرين والبصرة ونجد بزعامة أبي طالوت من بني بكر من بني وائل الذي انطلق إلى اليمامة ومعه أبو فديك.

٦٤ هـ/٦٨٣م، وعطية بن الأسود اليشكري واستولوا عليها ثم آلت الزعامة فيها إلى نجدة بن عامر بن عبد الله الحنفي عام ٦٥هـ ٦٨٤م وقد اعترف به عبد الله بن الزبير بعد أن حج سنة ٦٦ هـ.

وامتد نفوذه إلى الطائف والبحرين وعمان واليمن وحضرموت وقد دام حكمه حتى سنة ٧٢ هـ/٦٩١م حين ثار عليه أبو فديك عبد الله بن ثور من بني قيس بن ثعلبة واستولى على اليمامة لكنه لم يلبث طويلاً حتى أرسل إليه عبد الملك بن مروان عام ٧٣ هـ ٦٩٣ م جيشًا بقيادة عمر بن عبد الله بن معمر فقتله وأدخل البلاد في طاعته.

وصار الحجاج بن يوسف الثقفي قبل أن يلي العراق أميرًا على مكة واليمن واليمامة ثم عين بدلاً عنه إبراهيم بن عربي الكناني الذي ظل واليًا على

اليمامة في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبد الملك وجزء من عهد سليمان بن عبد الملك عام ٩٥ هـ ـ ٧١٤ م.

٩٦هـ ثم استولى على اليمامة مسعود بن أبي زينب العبدي من بني عارب.الذي خرج على الأشعث بن عبد الله بن الجارود حيث قاتله سفيان بن عمر العقيلي بالخضرمة (الخرج) وقتله ، وقد تولى سفيان بعده بأمر من عمر بن هبيرة.

١٠٠هـ - ٧١٨م: كانت فدك (الحائط حائيًا) صفيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لابن السبيل وعندما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ومما يقوم به وبعيا له إلا هي كانت تغل عشرة آلاف دينار في كل سنة وأكثر قليلاً فلما ولي الخلافة فحص أوراقها وتحقق من أمرها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ثم كتب إلى ابن محمد بن حزم كتابًا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي بكر محمد سلام عليكم، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإني نظرت في أمر فدك وفحصت عنه فإذا هو لا يصلح لي ورأيت أن أردها إلى ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وأترك ما حدث بعدهم فإذا جاءك كتابي هذا فاقبضها وول عليها رجلاً يقوم فيها بالحق والسلام عليكم.

١٠١هـ حتى خلفه نوح بن هبيرة حتى ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فولى عليها زرارة بن عبد الرحمن وفي عهد يزيد بن عبد الملك ١٠٥هـ ٧٢٣م عاد إليها إبراهيم بن عربي الكناني وبقي واليًا عليها وضم إليها البحرين حتى عام

١٢٥هـ ـ ٧٤٢م في عهد هشام بن عبد الملك الذي ولى المهاجر بن عبد الله بن بني بكر بن كلاب ، وهو الذي سجن يزيد بن الطثرية في حجر ، وعندما توفي المهاجر استمر ابنه على بن المهاجر واليًا عليها وكانت نجد في هذا الوقت تابعة للعراق.

١٢٦هـ بعد مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك طمع الحنفيون في حكم اليمامة فقام٧٤٣م المهير بن سلمى الحنفي وطلب من علي بن المهاجر تسليم السلطة له وخيره في اعتزال العمل وترك البلاد أو لزوم قصره فرفض علي بن المهاجر ولجأ إلى الحرب والقتال، وانتهت الحرب بفرار على بن المهاجر إلى المدينة وإمارة المهيرة بن سلمى الحنفي على اليمامة.

وبعد وفاة المهير تولى الإمارة أحد بني قيس بن ثعلبة وهو عبد الله بن النعمان فاستعمل المندلث بن إدريس الحنفي أميرًا على الفلج "الأفلاج" فجمع له بنو عامر جيشًا فقتل المندلث كما قتل يزيد بن الطثرية يوم فلج الأول.

١٢٨هـ استطاع يزيد بن عمر بن هبيرة أن يخضع نجدًا له ويرسل ابنه المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري حتى آخر عهد بني أمية ١٣٢ هـ ٧٤٩ م.

٢٣١هـ ٨٤٥م : وكان سبب غيبة بغا عن المساجين أن فزارة ومرة تغلبوا على فدك "الحائط حائيًا" فلما قاربهم أرسل إليهم رجلاً من قواده " من بني فزارة" يعرض عليهم الأمان ويأتيه بأخبارهم فلما أتاهم الفزاري حذرهم من سطوته وزين لهم الهرب" فهربوا وخلوا فدك وقصدوا الشام وأقام بغا بجنفا (الفسلي حائيًا - منطقة حائل) وهي قرية من حد عمل الشام مما يلي الحجاز

نحوًا من أربعين ليلة .... ؟؟!! (ليست المسافة بهذا القدر إذ أن المسافة نحو ... كيل). ثم رجع إلى المدينة بمن ظفر به من بني مرة وفزارة وفيها سار إلى بطون غطفان وفزارة وأشجع وثعلبة جماعة وكان أرسل إليهم فلما أتوه استحلفهم الإيمان المؤكدة ألا يتخلفوا عنه متى دعاهم فحلفوا ثم سار إلى ضرية لطلب بني كلاب فأتاه منهم نحوًا من ثلاثة آلاف ٣٠٠٠ رجل فحبس من أهل الفساد نحوًا من ألف رجل وخلي سائرهم ثم قدم بهم المدينة في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين ومئتين فحبسهم.(٥/٢٧٣/١٩٥) (١/٣٨٧/٢٤٩).

في هذه السنة سار بغا الكبير إلى بني نمير فأوقع بهم وكان سبب ذلك أن عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الخطفي إمتدح الواثق بقصيدة فدخل عليه وأنشده فأمر له بثلاثين ألف درهم فأخبره بإفساد بني نمير في الأرض وإغارتهم على الناس وعلى اليمامة وما قرب منها، وكتب الواثق إلى بغا يأمره بحربهم وهو بالمدينة فسار نحو اليمامة ودليله محمد بن يوسف الجعفري فلقي من بني نمير جماعة بالريف فحاربهم فقتل منهم نيفًا وخمسين رجلاً وأسر أربعين رجلاً ثم سار حتى نزل مرأة (مرات حاليًا) وأرسل إليهم يدعوهم إلى السمع والطاعة فامتنعوا وسار بعضهم إلى نحو جبال السود وهي خلف اليمامة وبث بغا سراياه فيهم فأصابت منهم ثم سار بجماعة من معه وهم نحوًا من ألف رجل سوى من تخلف في المعسكر من الضعفاء والاتباع فلقيهم وقد جمعوا له وهم نحوًا من ثلاثة آلاف بموضع يقال له روضة الأبان " روضة الأمان" على مرحلة من أضاخ فهزموا مقدمته وكشفوا ميسرته وقتلوا من أصحابه نحوًا من مئة رجل وعشرون رجلاً وعقروا من إبل عسكره نحو سبعمائة بعير ومئة دابة وانتهبوا الأثقال

وبعض الأموال ثم أدركهم الليل وجعل بغا يدعوهم إلى الطاعة، وفي زيادة عند مؤلف نفوذ الأتراك: قوله(ثم كلمهم محمد بن يوسف الجعفري فجعلوا يقولون: يا محمد بن يوسف قد والله ولدناك فما رعيت حرمة الرحم ثم جئتنا بهؤلاء العبيد والعلوج تقاتلنا بهم والله لنرينك العبر فلما دنا الصبح قال محمد لـ (بغا) أوقع بهم قبل أن يضيء الصبح فيروا قلة عددنا فيجترئوا علينا فأبى بغا فلما أضاء الصبح ونظروا عدد من مع بغا وكانوا جعلوا رجالتهم أمامهم وفرسانهم وراءهم ونعمهم ومواشيهم من ورائهم فهزموه حتى بلغت الهزيمة معسكره وأيقن من معه بالهلكة، وكان بغا قد أرسل مع أصحابه مئتي فارس إلى طائفة منهم فبينما هو قد أشرف على العطب إذ وصل أصحابه إليه منصرفين من وجوههم فلما نظر بنو نمير وراءهم قد أقبلوا من خلفهم ولوا هاربين وأسلموا رجالتهم وأموالهم فلم يفلت من الرجالة إلا اليسير وأما الفرسان فنجوا على خيلهم.

وقيل إن الهزيمة كانت على بغا غدوة إلى انتصاف النهار ثم تشاغلوا بالنهب فرجع إلى بغا من كان انهزم من أصحابه فرجع بهم فهزم بني نمير وقتل من زوال الشمس إلى آخر وقت العصر زهاء ألف وخمسمائة رجل وأقام بموضع الوقعة فأرسل أمراء العرب يطلبون الأمان فأمنهم فأتوه فقيدهم وأخذهم معه إلى البصرة وكانت الواقعة في جمادي الآخرة، ثم قدم (واجن الأشروسي) على بغا في سبعمائة مقاتل مددًا له فسيره بغا في آثارهم حتى بلغ تبالة من أعمال اليمن ورجع وكان بغا قد كتب إلى صالح أمير المدينة ليوافيه ببغداد بمن عنده من فزارة ومرة وثعلبة وكلاب فلقيه ببغداد فسارا جميعًا وقدم بغا سامراء بمن بقي معه

منهم سوى من هرب ومات وقتل في الحروب فكانوا يزيدون على ألفي رجل ومئتي رجل من نمير وكلاب ومرة وفزارة وثعلبة وطيء. (٥/٢٧٦/٥٩٥)، (١٠/٣٢١/٤٤)، (١/٣٨٧/٣٩٠/٢٤٩).

١٣٢هـ أما في عهد الخلفاء العباسيين فما كاد الأمر يستقر لأبي العباس عبد الله السفاح حتى ولي على نجد داود بن علي بن عبد الله بن العباس إلا أن ولايته كانت اسمية والكلمة فيها للمثنى بن يزيد بن هبيرة ثم عين السفاح زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي وهو خال السفاح.

١٣٢هـ لما ولي السفاح كانت تحته أم سلمة المخزومية وأمها من بني جعفر وكان خالها " معروف بن عبد الله بن أبي حيان بن سلمى بن مالك بن بني جعفر " فوفد إلى أبي العباس فأكرمه وقضى حوائجه فسأله معروف أن يقطعه ضرية وما سقت، ففعل فنزلها معروف وكان من وجوه بني جعفر، وكان ذا نعم كثيرة فغشيه الضيفان وكثروا، وجعل يجني لهم الرطب ويحلب اللبن؛ فأقام ذلك شهرين ثم أتاه ضيفان بعدما ولى الرطب، فأرسل رسوله فلم يأته إلا بشيء يسير قليل، فأنكر ذلك عليه فقال: ما في نخلك رطب فإنه قد ذهب، فقال ثكلتك أمك !! ما هو إلا ما رأى ؟ والله لشولي أعود على ضيفاني وعيالي من نخلكم هذا، قبحه الله من مال ، فكره معروف ضرية وأراد أن يبيعها فذكرها للسري بن عبد الله الهاشمي وهو عامل اليمامة يومئذ ، وقد دخل إليه معروف فاشتراها منه بألفي دينار ، وغلتها تنتهي بثمانية آلاف دينار وأزيد ؛ ثم أن جعفر بن سليمان بن عبد الله بن عباس كتب إلى السري بن عبد الله الهاشمي أن يوليه إياها بالثمن ففعل وورثها عنه بنوه.

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

١٣٢ هـ تولى أمر اليمامة السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي وقد دام فيها حتى آخر سنة ١٤٣ هـ ٧٦٠ م ثم ولي عليها قثم بن عباس بن علي بن عبد الله بن عباس عام ١٤٤ هـ ٧٦١ م ثم عزل عنها ١٥٩ هـ وخلفه عليها بشر بن المنذر البجلي ثم خلفه عليها جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ثم جاء بعده عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ثم جاء بعده سويد بن أبي سويد القائد الخرساني حتى عام ١٧٠ هـ ٧٨٦ م ثم جاء بعده محمد بن سليمان بن علي بن العباس الذي كان واليًا على البصرة بدلاً من تبعيتها للمدينة ، ثم وليها طاهر بن الحسين أثناء الخلاف الذي حدث بين الأمين والمأمون ابتداء من ١٩٦ هـ ٨١١ م .

١٩٠ هـ كان محمد بن عبد الملك بن حبيب بن تمام بن معيد من بني نفعس الأسدي الأديب والشاعر يتعاقب الولاية على قبيلة طيء وأسد الحليفتين مع عبد الله بن وزر النبهاني الطائي ؛ فولى بني أسد وترك قومه ، وولي بعده محمد بن عبد الملك الصفقعسي فولي طيئًا وترك قومه فحمدا جميعًا.

٢٠٦ هـ ولي طاهر بن الحسين داود بن ماسجور وعهد إليه محاربة الزط وأعمال البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين.

٢٣١ هـ عين الواثق اسحق بن إبراهيم بن أبي حميضة من قرية أضاخ واليًا على اليمامة والبحرين فتمردت في عهده قبيلة بني نمير وقطعت الطريق ، فأرسل الواثق القائد المعروف "بغا الكبير" فأدب هذه القبيلة سنة ٢٣٢ هـ ٨٤٦ م وكانت وقعة "بغا" القائد العباسي بعبس وبني سليم وبني قشير ، وحين تشتتوا وضعفوا ثم توجه إلى "فدك" "الحائط" حاليًا بما فيه من بني فزارة وكان

معه جيوش كبيرة فهربت أعداد كبيرة من فدك وخلوا البلد ، وتوجهوا إلى الوجهة خيبر وجنفًا "الشملي" ونواحيها وهرب جزء منهم مع رأس لهم يقال له " الركاض" إلى موضع بالبلقاء من أعمال الشام ، حيث تابعهم "بغا" وأقام بجفناء "الشملي بمنطقة حائل " ثم انصرف إلى المدينة ممن صار في يده من فزارة.

٢٣٦ هـ ــ ولي المنتصر على اليمامة والبحرين وطريق مكة محمد بن اسحق إبراهيم بن مصعب ثم خلفه على البحرين واليمامة مروان بن أبي الجنوب حتى عام ٢٤٧ هـ ــ ثم ابنه يحيى بن مروان حتى عام ٢٥٢ هـ ــ.

٢٥٢ هـ ــ عقد المعتز لواء البصرة واليمامة والبحرين لمحمد بن أبي عوف وهو أحد قواد محمد بن عبد الله بن طاهر وفي عهده سار محمد بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن موسى "الجون" بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالأخيضر الذي قام بتأسيس الدولة الأخيضرية بالخضرمة.

٢٥٦ هـ ــ ولي المهتدي بن الواثق على البصرة وكور دجلة واليمامة سعيد بن صالح الحاجب وكان قائدًا حارب الزنج حربًا شديدة جاء بعده "بارجوخ" الذي عقد له المعتمد على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين ، فولى من قبله عبد الرحمن بن مفلح إقليم اليمامة ونجد.

٢٦١ هـ ــ ضم المعتمد فارس والاهواز والبصرة والبحرين واليمامة إلى موسى بن بغا وجاء بعده مسرور البلخي.

"ويبدو أن هذه الولاية اسمية لأن السيطرة الفعلية للأخضيريين".

٢٥٣ هـ ــ في عهد بني العباس انبسط نفوذهم على اليمامة وتابعوا عليها الولاة ثم شملها الضعف الذي شمل الخلافة العباسية وهان أمرها وكثرت فيها الفتن وفي سنة ٢٥٣ هـ ــ استولى بنو الأخضير واتخلوا "جو الخضارم في الخرج " قاعدة لملكهم وبسطوا نفوذهم على كافة اليمامة وظلموا وتعسفوا ونشروا المذهب الشيعي، وحاربوا القبلية حربًا شعواء وشددوا الضغط على القبائل العربية بحكم أنها دائمًا مصدر قلق للحاكم في هذه البلاد ، وتحت هذه الضغوط اختفى بعض القبائل قبليتهم واندمجوا في سواد الناس، ظل الأخيضريون يحكمون اليمامة من ٢٥٣ – ٤٦٨ هـ ــ أي ما يزيد على القرنين يسود فيها المذهب الشيعي ، وتحكم حكمًا مجحفًا ، والمرجح أنها زالت دولتهم على يد القرامطة في الإحساء.

٢٨٧ هـ ــ ولي المعتضد على اليمامة والبحرين عباس بن عمرو الغنوي بعد أن عزله عن بلاد فارس كما عهد إليه محاربة " أبي سعيد الجنابي " ومن معه من القرامطة وضم إليه زهاء ألفي رجل فسار إلى البصرة واجتمع إليه خلق كثير ثم سار والتقى بأبي سعيد الجنابي زعيم القرامطة وانهزم على إثر معركة كبيرة وقعت بينهما.

٤٥٠هـ ــ قال ناصر خسرو : كانت الأفلاج حين زرناها ناحية كبيرة والعمران يقتصر على فرسخ في ميل "الفرسخ ٦ أميال" عرضًا ، في هذه المسافة أربع عشرة قلعة ضد للصوص والمفسدين والجهلة ، وتقوم الزراعة على الجمال بدلاً من الثيران ، وأجر الرجل في اليوم عشر"سيرات" من غلة الزرع ويعتمدون على أكل التمر أثناء النهار ، ويكون الطعام من الأرغفة للعشاء فقط

من المغرب إلى المغرب ، ويوجد بها تمرًا طيبًا أحسن في البصرة وهناك تمر يسمونه "ميدون" تزن الواحدة منه عشرة دراهم ، ويتعاملون بالذهب اليسابوري ، يلتزم السكان بحمل الترس والسيف إذا ذهبوا للصلاة ، دفعوا لي مائة من تمر لكتابة ونقش بمحراب المسجد ، وكان هذا المقدار من التمر كبير عندهم : كانت قيمة الحمل المعظم عندهم بدينارين أو ثلاثة ؛ حملني أعرابي من الأفلاج إلى البصرة بثلاثين دينارًا نسيئة حتى أصل البصرة ، ومن العجيب انهم يبلغون الماء فجأة بدون علامات تدل عليه.

٤٦٧ هــ قضى العيونيون على القرامطة.

٥٠١هــ/١١٠٧م في آخر القرن الخامس٤٨٦هــ/١٠٩٣م ليس مؤكدًا، "ربما بعد ذلك" وقعت حادثة تاريخية في لينة بين محمد بن أحمد بن عبد الله العيوني حاكم الإحساء وبين سعيد بن فضل ومانع بن حديثه، ومسعود بن بريك وهم رؤساء من ربيعة بن حارثة من طيء، وانضم إليهم دهمش بن أجود، وهم بأخذ حاج بغداد ، فبلغ ذلك خليفة بغداد فأرسل إلى محمد بن أبي الحسن العيوني حاكم الإحساء ، وأخبره بذلك وأنهم يريدون خفر ذمته ، فجمع محمد عرب البحرين ، وانضم إليهم عرب العراق من المنتفق وخفاجة والتقوا في لينة "بمنطقة حائل " ودارت المعركة فانهزمت قبائل طيء وهرب دهمش بن أجود إلى العراق وفي ذلك يقول ابن المقرب من قصيدة مطلعها :

وجاءت زبيد كالجراد وطيء وكل يمني نفسه ما يحاول

إلى أن قال:

وفي لينة أردى شغاميم طيء جهارًا ولون الجو بالنقع حائل

٥٤٤ هــ ١١٤٩م : خرج على الحاج العرب من بني زعب(من بني سليم) بين مكة والمدينة بعد عصر يوم السبت رابع عشر المحرم فقاتلوهم فكثرت العرب وظهر عجز (قيماز) قائد الحاج فطلب لنفسه أمانًا واستولوا على الحاج وأخذوا من الأموال والجمال والثياب ما لا يحصي واخذوا من الدنانير ألوفًا كثيرة وتحدث مجموعة من التجار أنه أخذ من هذا عشرة آلاف ومن هذا عشرون ألفًا ومن هذا ثلاثون ألفًا وأخذوا من خاتون أخت مسعود ما قيمته مئة ألف دينار وتقطع الناس وهربوا على أقدامهم يمشون في البرية فماتوا من الجوع والعطش والعري وقيل أن النساء طيّنّ أجسادهن لستر العورة. (١٩٥/٥٦١).

٧٣٢ هــ قال ابن بطوطة في رحلته : ثم سافرنا إلى مدينة اليمامة وتسمى حجر "هي الرياض الحالية " وهي مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار ويسكنها طوائف من العرب أكثرهم من بني حنيفة وأميرهم "طفيل بن غانم".

٨٤٨ هــ قام الشريف بركات بن حسن بن عجلان بالإغارة على بعض العرب من قبيلة مطير في شهر ربيع الأول واستولى على إبلهم وقسمها بين اتباعه " وكانت ديار مطير إلى القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي سفوح حرة الحجاز الشرقية جنوب شرق المدينة المنورة "البلادي"

٨٥٠ هـ بعد أن تضعضعت قوة بني حنيفة في هذا الوادي وضعف نفوذهم كان يسكن العيينة وقتها آل يزيد من بني حنيفة ، فأخذوا يبيعونها بأبخس الأثمان ، فاشتراها حسين بن طوق السعدي التميمي بأبخس الأثمان وأسكن فيها أبناءه.

٨٥٣ هـ في ١٢/ ٦/ ٨٥٣ هـ توجه السيد بركات الشريف نحو الشرق لغزو عرب نهبوا حاج عقيل في السنة التي قبل هذه ، ثم وصل العلم من المشرق عصر اليوم السبت ١٦/ ٦/ ٨٥٣ هـ بأنه ظفر وغنم أموالهم.

٨٥٣ هـ قال ابن بسام : تناوخت عنزة والظفير على نفي " المناوخة تقابل الفريقان المتقاتلان واستعدادهما للقتال " وأقاموا في مناخهم نحو عشرين يومًا يغادون القتال ويراوحونه طردًا على الخيل ، وكان رئيس عنزة جاسر الطيار، ورئيس الظفير مانع بن صويط، وكان ابن صويط قد أرسل إلى سالم بن مضيان من شيوخ حرب يطلب منه النجدة فأقبل سالم ومن معه من بوادي حرب ، ونزلوا على الظفير، ثم مشى بعضهم على بعض وحصل قتال شديد قتل فيه عدة رجال من الفريقين وصارت الهزيمة على عنزة ، وانهزموا بإبلهم ولم يتركوا منها إلا القليل، وتركوا محلهم وأغنامهم، ومن مشاهير القتلى في هذه الواقعة من عنزة جاسر الطيار ولاحم بن حصن، ومن الظفير حمود بن سالم وجمعان بن دوحي ، ومن حرب خلف بن سالم المضيان.

٨٥٤ هـ في ١٢/ ٣/ ٨٥٤ هـ توجه السيد الشريف إلى المشرق ثم عاد إلى مكة في ١٣/ ٥/ ٨٥٤ هـ.

٨٦٣ هـ في شوال غزا الشريف محمد بن بركات عرب قبيلة البقوم شرق الطائف على مشارف نجد وغنم منهم أموالاً كثيرة كما قام بحملات أخرى ضد جماعات من الأعراب في عام ٨٦٤ هـ ١٤٦٠م ، وعام ٨٦٦ هـ ١٤٦٢م .

٨٧٦ هـ قال ابن بسام : في سنة ٨٧٦ هـ تناوخوا هم " أي عنزة العدانيين" والظفير الطائيين" في المستوى أقاموا في مناخهم سبعة أيام يغادون القتال ويراوحونه طرادًا على الخيل ثم أنهم تلاقوا مع بعضهم واقتتلوا قتالاً شديدًا وصارت الدائرة على الظفير وقتل من الفريقين عدة رجال.

٨٧٧ هـ حصل موقعة آل مغيرة والدواسر في الخرج واستمر قتالهم نحوًا من ١٥ عشر يومًا وأخيرًا انهزم آل مغيرة واستاق الدواسر أغنامهم وبعض إبلهم.

٨٧٩ هـ أخذ آل كثير ، والعوازم ، وزغب قافلة لأهل نجد على ماء الصاقة وكان فيها أموال.

٨٨٠ هـ جرت وقعة بين الفضول بآل مغيرة واستنجد الدواسر بسبيع وأخيرًا هزم الفضول واتباعهم ، وتركوا محلهم وأغنامهم وكثيرًا من إبلهم.

٨٨١ هـ حصلت وقعة بين قبيلة عنزة وقبيلة الفضول على بلدة ثرمداء وأخذت منهم عنزة قسمًا من أموالهم.

٨٨٥ هـ أخذ آل كثير قافلة لعنزة من الوشم كما أخذ آل مغيرة قافلة للدواسر خارجة من الإحساء.

٨٨٨ هـ صادفت عنزة غزوا لآل مغيرة (الطائيين) في المستوى فظفروا بهم وقتلوهم عن آخرهم وهم نحو عشرين رجلاً.

٨٩٢هـ غزا الشريف محمد بركات بني لام بن عمرو بن طريف الذين يسكنون بنواحي المدينة المنورة، وفي شهر ذي القعدة ٨٩٤ هـ ١٤٨٩م غزاهم مرة أخرى وأخضعهم غير أنهم خرجوا من طاعته، فسير حملة عسكرية لمحاربتهم في شهر رجب سنة ٩٠٠ هـ ١٤٩٦ م والحق بهم الهزيمة، ثم ما لبث أن نفذ عسكرًا آخر لقتالهم في شهر رجب ٩٠١هـ ١٤٩٦م .

٩١١ هـ أغارت عنزة على الفضول "الطائيين" في المستوى وأخذوا لهم إبلاً كثيرة فلحقهم واستنقذوا من إبلهم شيئًا قليلاً وحصل بينهم قتال شديد قتل فيه عدة رجال من الفريقين ، وقتل من مشاهير الفضول رجاء بن صلال ، ومن عنزة ذياب بن مخيريم.

٩٢٦هـ قال حميدان اليزيدي من بني حنيفة يرثي مقرن بن أجود بن زامل من قصيدة له:

ونجد رعى ربعي زاهي فلاتها على الرغم من سادات لام وخالد

وسادات حجر من يزيد ومزيد قد اقتادهم قود الفلا بالقلايد

٩٦٦ هـ تناوخوا عنزة والظفير في المستوى، ومع عنزة فدغم آل مسعود، وراجح بن ناشي من شمر، ومع الظفير بادي القرم، وهذال بن مضيان من حرب أقاموا في مناخهم عشرة أيام يحادون القتال ويرواحونه طردًا على الخيل، وبينما هم في مناخهم ذلك جاءت سبيع والسهول نجدة للظفير ونزلوا

معهم، ثم مشى بعضهم إلى بعض واقتتلوا قتالاً شديدًا، وصارت الهزيمة على عنزة واتباعهم ، وغنم منهم الظفير ومن معهم غنائم كثيرة، وقتل عدة رجال من الفريقين ومن مشاهير عنزة فهد بن مجلاد، وناصر الطيار، ومن الظفير جمعان بن صويط، وشخبوط بن حلاف، ومن سبيع شارع بن جاسر الصيفي، وفهد بن سرور المليحي، ومن السهول كريوين بن عمهوج شيخ الزقاعين.

٩٨٦ هـ غزا شريف مكة حسن بن أبي نمي بلدة معكال. " وهي الآن حي من أحياء مدينة الرياض" وحاصرها بخمسين ألف جندي وتغلب عليها وتعهدوا بدفع إتاوة سنوية.

٩-١٠ هـ القرن التاسع الهجري وجميع القرن العاشر وهم بني لام وهم ثلاثة بطون كثير، مغير، فضل ومنازل آل مغيرة أواسط نجد الأعلى وادي الشعراء وما حوله ومن رؤسائهم عجل بن حنيتم، ولا يزال قصره باقيًا هناك إلى اليوم وكان له صولة ونفوذ بحيث لا يسكن تلك الجهات أحد إلا في جواره تقول ابنته من قصيدة لها باللهجة العامية:

ألا يا بلاد جنب تيما مقيمة مارامت الشعر هيام قليبها

أخذنا على ولد الشريف بن هاشم على الحوض حقه من ورود يجيبها

والمراد بتيماء هضبة هناك وليست تيماء المدينة المعروفة، ومساكن آل فضل وآل كثير اليمامة وأسافل نجد، ومن رؤسائهم ابن عروج، تقول امرأته مشيرة إلى نفوذ زوجها من قصيدة لها باللهجة العامية:

مشى من العاض بجيش يهيفي يتلون ابن عروج مقدم بني لام

ياما انقطع في ساقته من عسيفي   ومن فاطر تقلط على الجيش قدام

وهكذا كان لهذه القبيلة من لام صولة وجولة ، ثم أخذ نجمهم في الأفول وتقلص ظلهم.

٩٨١ هـ أغارت قبيلة سبيع على أهل العيينة ونزلوا العمارية فاستنجد أهل العيينة بآل كثير وصبحوهم على العمارية وحصل بينهم قتال شديد وصارت الهزيمة على سبيع فتركوا محلهم وأغنامهم فغنمها أهل العيينة وآل كثير، وقتل من سبيع عدة رجال منهم جاسر المليحي.

٨٩٢ هـ قتل زبن الخياري شيخ المغيرة قتلته عنزة.

٨٩٤ هـ أخذت قبيلة عنزة قافلة للفضول في سدير.

٩٠١ هـ أغار آل كثير على أهل حرمة وأخذوا أغنامهم وأخذوا رعاة الغنم خوفًا من سرعة الطلب ، ففزع عليهم أهل حرمة واستخلصوا الغنم.

حوادث متفرقة

قال ابن الكلبي: أغارت طيء على إبل الحارث بن عمرو الغساني (وقيل هو النعمان بن الحارث في الفترة من عام ٥٨٣ — ٦٠٠ م) فأخذوا الإبل وقتلوا ابنًا فحلف ليقتلن ويسبين الذراري من الغوث أهل بيت على دم واحد ، فخرج يريد طيئًا فأصاب في بني عدي بن أخزم تسعين رجلاً رأسهم وهم بن عمرو من رهط حاتم وحاتم يومئذ بالحيرة عند النعمان بن المنذر، فلما قدم حاتم الجبلين ، جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولدها فتقول يا حاتم : أسر أبو هذا ، فلم يلبث إلا ليلة واحدة، حتى سار إلى الحارث ومعه ملحان بن حارثة ، وكان لا يسافر إلا معه فلما دخل على الحارث أنشده:

ألا أنني قد هاضني الليلة الذكر   وما ذاك من حب النساء ولا الأثر

ولكنني مما أصاب عشيرتي   وقومي بأقران حواليهم الصبر

ليالي نمشي بين جو ومسطح   نشاوي لنا من كل سائمة جزر

إلى أن قال:

تذكرت من وهم بن عمرو جلادة   وجرأة معداه إذا صارخ بكر

فأبشر وقر العين منك فإنني   أجيء كريمًا لا ضعيفًا ولا حصر

فوهبه الحارث بني أمرؤ القيس بن عدي ثم أنزله وأكرمه وأتي بالطعام والخمر فقال له ملحان بن حارثة : أتشرب الخمر وقومك في الأغلال ؟ (كان هذا قبل أن يحرم الخمر) قم إليه فأسأله إياهم فدخل عليه وأنشده :

إن إمريء القيس من صنيعكم وعبد شمس أبيت اللعن فاصطنع

إن عديًا إذا ملكت جانبها من أمر غوث على مرأي ومستمع

فقال الحات : أبقى من أصحابك أحد ؟ وقال حاتم :

فككت عديًا كلها من إسارها فأفضل وشفعني بقيس بن جحدر

أبوه أبي والأمهات أمهاتنا فأنعم فدتك اليوم قومي ومعشري

فقال هولك ، وقيس بن جحدر ابن خالة حاتم.ثم قال حاتم في قصيدة يمدح فيها الحارث مطلعها :

ليت شعري متى أرى فيه ذات قلاع للحارث الوهاب

يقاع وذاك منها محل نوق ملك يدين بالأحساب

في عام ١٦٤ هـــ ٧٨٠ م حج الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب بحور الشعر وتوفي في طريق العودة على الطريق الكوفي بأرض الجبلين قرب فرتاج إلى الشرق عن جبل رمان وقيل أنه متوفي بالبصرة بعد عودته من الحج.

وجاء في مصدر أخر:أن عمرو بن المنذر أمريء القيس المعروف بـ (عمرو بن هند) (الذي مات مقتولاً بسيف عمرو بن كلثوم عام ٥٧٨ م) قد

عاقد طيئًا ألا يتنازعوا ، ولا يغزوا ولا يفاخروا ، ثم غزا عمرو اليمامة ، فرجع منفضًا ، فمر بطيء فقال زرارة بن عدس (التميمي) : أبيت اللعن أصب من هذا الحي شيئًا ، فقال ويلك !! إن لهم عقدًا ، قال وإن كان ، فإنك لم تكتب العقد لهم كلهم ، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذوا ذا فقال في ذلك قيس بن جرة الطائي من قصيدة له:

إلى الملك الخير ابن هند تزوره وليس من الغوث الذي هو سابقه

وإن نساء غير ما قال قائل غنيمة سوء بينهن مهارقه

ولو نيل في عهد لنا لحم أرنب رددنا وهذا العهد أنت معالقه

فهبك ابن هند لم تعقك ملامة وما المرء إلا عهده ومواثقه

وكنا أناسًا خافضين بنعمة يسيل بنا تلع الملا وأبارقه

فأقسمت لا أحتل إلا بصهوة حرام علينا رمله وشقائقه

أكل خميس أخطأ الغنم مرة وصادف حياداتنا فهو سائقه

فأقسمت جهدًا بالمنازل من منى وماخب في بطائحهن درادقه

لئن لم تغير بعض ما قد فعلتم لأنتحين العظم ذو أنا عارقه

فلما بلغ عمرو هذا الشعر قال له زرارة بن عدس: أبيت اللعن إنه يتوعدك، فقال عمرو: لعمرو بن شعاث الطائي أيهجوني ابن عمك ويتوعدني؟ قال: لا، والله ما هجاك ولكنه قال:

والله لو كان ابن جفنة حاكم ... ما إن كساكم غصة وهوانا
ولكان عادته على جيرانه ... ذهبا وريطا دارعًا وجفانا
وسلاسلاً يبرقن في أعناقكم ... وإذا لقطع تكلم الأقرانا

وإنما أراد أن تذهب سخيمته، فقال عمرو: والله لاقتلنه فقال قيس:

من مبلغ عمرو بن هند رسالة ... إذا استحقبتها العيس تنضى من البعد
أيوعدني والرمل بيني وبينه ... تأمل رويدًا ما أمامة من هند
ومن أجا حولي رعان كأنها ... قناديل خيل من كميت ومن جرد
غدرت بأمر كنت أنت دعوتنا ... إليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد

فبلغ عمرو شعره فغزا طيئًا. (١٠٠/١٠٢/٣٧).

في سنة ٢٣٠ هـ ـ ٨٤٤ م جرد بغا الكبير جيشًا لقمع انتفاضة القبائل في نجد ومنهم بنو سليم الذين أحاطوا بالمدينة المنورة الذين حبس منهم نحو ألف نفس، فنقبوا الحبس فأخبرت بهم امرأة فأحاط بهم أهل المدينة وحاصروهم يومين ثم برزوا للقتال بكرة الثالث وكان مقدمهم عزيزة السلمي فكان يحمل فيهم وهو يرتجز:

لابد من زحم وإن ضاق الباب ... إني أنا عزيزة بن قطاب
للموت خير للفتى من العاب

وقد كان فك قيده وصار يقاتل يومه إلى أن قتل وصلب وقتلت عامة سليم وكثير من الأعراب (٢/ ٥٧٠ / ٢٤٠).

في يوم الأربعاء ١٨/ ١/ ٢٨٥ هـ ـ ٩٨٩ م قطع صالح بن مدرك الطائي الطريق في جماعة من طيء على الحجاج بالأجفر فأخذوا من الاموال والمماليك والنساء وما قيمته ألف ألف دينار (١٠٠٠٠٠٠) مليون (٣/ ١١٦/ ٢٤٠) وبنو الحراج بطن من ربيعة وفيهم الإمارة في بني ربيعة ومن ذلك أن أمراء ربيعة طيء اجتمعوا عام ٥٣٠ هـ ـ ١١٣٥ م منهم سعيد بن فضل المشهور من طيء ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك من السميط من آل مغيرة ودهش وهؤلاء رؤساء طيء واجتمعوا ليغزوا بني عقيل بن عامر بن صعصعة وهم عامر وخفاجة وعائذ ومن خالطهم من قيس وربيعة، فعلموا أن طيئًا أرادت غزوهم فأرسلوا إلى الخليفة الناصر لدين الله العباسي وبعث الخليفة محمد بن أبي الحسين العيوني وهو أمير الإحساء والقطيف فسار بجميع عرب الإحساء والقطيف والبحرين حتى لحق بالعراق وانضمت إليه عربها من المنتفق وعبادة وخفاجة وعائذ ووقع بينهم قتال شديد وكان سعيد بن فضل له وقائع مشهورة (٣٠٠/ ٢٣٥).

وفي رواية أخرى في أول القرن السادس الهجري (الثامن عشر الميلادي) حدثت في لينة وقعة بين محمد بن أحمد العيوني حاكم الإحساء وبين سعيد بن

فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك من السميط آل مغيرة وهم رؤساء ربيعة بن حارثة من طيء وانضم إليهم دهمش بن سند بن اجود وهموا بأخذ حاج بغداد فبلغ ذلك خليفة بغداد فأرسل محمد بن حسين حاكم الإحساء وأخبره بذلك وأنهم يريدون خفر ذمته، فجمع محمد عرب البحرين وانضم إليهم عرب العراق من المنتفق وخفاجة ثم التقوا في لينه ، ودارت معركة، فانهزمت قبائل طيء وهرب دهمش بن سند بن أجود إلى العراق وفي ذلك يقول ابن المقرب العيوني :

وفي لينة أردى شغا ميم طيء جهارًا ولون الجوبا لنقع حائل

وفي سنة ٧١٥ هـ ١٣١٦ م فر حميضة بن أبي نمي شريف مكة إلى السطان التتري (خدا بندا الجايتوند بن أرغون بن أبغا بن هولاكو) من سلاطين التتار في العراق فطلب منه العون على اخذ مكة ووعده أن يخطب له بها فعين له عشرة آلاف من العسكر من المغول وعرب خفاجة وعقيل عرب البصرة وأمر عليهم طالب الأفطس وأرسل حميضة إلى أمراء العرب (في نجد) فأجابوه وأهم ذلك أهل الشام فلجأوا إلى أمراء طيء (٢٣/ ١٠٤).

قال المقريزي في حوادث ٧١٥ هـ ١٣١٦م بأن الأمير محمد بن عيسى بن مهنا علم بأن الشريف حميضة عزم على الاستعانة بعسكر المغول للاستيلاء على الحجاز فتوجه محمد بعربانه وكبس حميضة ليلاً فوضع فيهم السيف وهو يصيح باسم الملك الناصر وقتل أكثرهم وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة ج ٢/ ٧٨ ، ومن أبرز الأعمال التي قام بها الأمير محمد بن عيسى خدمة

لدولة المماليك قضاؤه على فتنة الشريف حميضة بن أبي نمى أمير مكة سنة ٧١٦ هـ ١٣١٦ م فقد إلتجأ هذا الشريف بعد خروج مكة منه إلى التتار وطلب منهم إرسال جيش لغزو مكة وامتلاكها وتدمير قبري أبي بكر وعمر فاغتم أهل السنة لهذا الأمر كثيرًا لكن محمد بن عيسى جمع جمعًا من العربان وقصد جيش التتار الذي قدم مع الشريف حميضة بقيادة طالب الأفطس فكسره ونهبه وأخذ جميع ما كان من التتار الفؤوس والمعاول التي هيأوها لنبش الشيخين وكافأ السلطان المملوكي الناصر بن قلاوون أمير آل فضل على هذا العمل وثبته على إقطاعه معرة النعمان (١٢٧ / ٣٢).

وعندما اتفق المماليك والتتار ضد العرب، بدأ هؤلاء الاعتداء على طرق المواصلات، فاعترض سليمان بن مهنا رسل المماليك العائدين من بلاد التتار واستولى على ما كان معهم من التقادم ما يقدم مع الهدايا والهدايا التي أرسلها إيلخان العراق وفارس إلى سلطان مصر وبرر سليمان عمله هذا بقوله : البلاد التي للملك الناصر طردنا عنها وخرجنا عن طاعته وأعطى أخبازنا لغيرنا من العرب وما بقي لنا معاش ومكسب إلا بقطع الطريق وإخافة السبل والذي معكم نأخذه (١٢٨ / ٣٢) (والمقصود بالأخباز ما يكفل لهم لقمة العيش من ضياع وغيرها) وفي سنة ٧٢٤ هـ ١٢٢٣م قام الأمير محمد بن عيسى بن مهنا بمهاجمة عسكر السلطان المغولي المتوجه إلى مكة وقتل منهم كثير وأرسل إلى الناصر ٤٠٠ أسير (١٠٢/ ١٨).

في سنة ٧٤٢ هـ ١٣٤٢م قام سليمان بن مهنا وأهله وعربه بالاعتداء على قوافل التجار والقوافل وقطعوا الطرقات كما قام فياض بن مهنا بنهب

قوافل التجار فاشتكوه إلى السلطان مما أدى إلى القبض عليه وسجنه بالإسكندرية ثم خلص فياض من السجن وركب من القاهرة ولحق بأهله (١٠٠/٣١) ويقول المقريزي في حوادث ٧٥٤ هـ ١٣٥٣م كان من خبر آل مهنا أنهم قووا وفخم أمرهم حتى صار من أولاد مهنا بن عيسى وأولادهم نحو مئة وعشرة ما منهم إلا وله إمرة وإقطاع فبطروا وشنوا الغارات على البلاد وقطعوا الطرقات حتى امتنعت السابلة وذلك بعد موت السلطان الملك الناصر محمد (بن قلاوون) فقبض على فياض وسجنه واستقرت الإمرة لأخيه فسكن الشر و سافرت القبائل (١٣٣/ ٣١).

وجاء أن إدريس بن الحسن قد حكم وكان أخوه فهيد بن الحسن شريكًا له في الحكم ثم حصل بينهما خلاف وقتال انتهى بخروج إدريس طريدًا شريدًا وفي عام ١٠٣٤ هـ ١٦٢٤م توفي الشريف إدريس بن حسن عند جبل شمر ودفن بمحل يسمى ياطب ، في شهر محرم عام ١٠٣٤هـ.

ظل الشريف محمد بن بركات يشن الغارات على قبائل الحجاز (مما يلي نجد) فقد قاد حملة ضد جماعة من العرب من قبيلة مطير في شهر ربيع الأول عام ٨٨٧ هـ ١٤٨٢م ونقض بذلك الصلح الذي كان قد عقد بينه وبينهم بسبب طمعه في أموالهم لكنه لم يظفر بهم إذ لاذوا بالفرار لما بلغهم قدومه ثم ندب أمير مكة أبنيه بركات وهيزع في حملة أخرى وجهت ضد عرب الخيش بوادي نخلة (على مشارف نجد) وذلك في شهر صفر عام ٨٨٨ هـ ١٤٨٣م (١٥٨/ ١٠٤) ثم ما لبث أن واصل الشريف محمد بن بركات تعقب عرب القبائل التي

تنقل شرق الحجاز (على مشارف نجد الغربية) فقاد ابنه بركات حملة انتصرت عليهم في شهر ربيع الآخر ٨٩٢ هـ ١٤٨٧م.

لقد وقعت في هذا القرن حادثة أثارت مشاعر الشعراء ونظموا القصائد المطولة وتعرف تلك الحادثة في كتب التاريخ بقصة شمر وموجزها أنه كان من عادة أمراء المدينة المنورة الحسينين أن يدفعوا لبني عمهم في المدينة من الحسينين ولقبائل عنزة وغيرهم مرتبات من الأموال والحبوب والأقمشة وفي عام ٩٦٣ هـ ١٥٥٥م منع الأمير مانع الحسيني أمير المدينة دفع ذلك استخفافًا بهم وعدم مبالاة فجمعت كل طائفة منهم جموعًا فلما خرج ركب الحاج المدني وأصبحوا بوادي الفريش(على بعد ٥٠ كيلا على طريق مكة)أحاطوا به ووقع قتل وسب وطعن وضرب وسلم أعيان الركب والتزموا بدفع المطالب التي طلبها المعتدون ، ووصل إلى الشريف حسن بن أبي نمي الحسني (٩٣٢- ١٠١٠ هـ) (١٥٢٥ - ١٦٠١م) ، فمكث حتى " انقضت أيام المناسك ثم نادى بالمسير إلى تلك الطوائف وأرسل سرية من الفرسان الشجعان أمر عليهم عجل بن عرار ولما بلغ الطوائف الخبر هربوا نحو جبل شمر ولجئوا إلى رؤوس الجبال فلحق بهم وقصدهم في منازلهم ومساكنهم وقبض على أعبائهم ودخل بهم المدينة المنورة مكبلين وكان هذا الغزو في عهد والده أبي نمي (٤/ ٣٦٥ / ١٤٤).

وفي انتصار الحسن بن أبي نمي بن بركات على شمر عام ٩٦٣ هـ ١٥٥٥م وابنه أبو طالب قال الشاعر عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد الحنفي من قصيدة طويلة مطلعها:

نقع العجاج لدى هياج العثير أذكى لدينا من دخان العنبر

إلى أن قال:

وخلت ديارهم وأقوى ربعهم وسرى السري مشمرًا عن شمر

أنفت من استقصاء قتل شريدهم كيما يخبر قائلاً عن مخبر

فثنت أعنة خيلنا أجيادنا عن قتل كل مزند وحزور

وقال عبد القادر الطبري من قصيدة طويلة:

ليث أشار عليه والده ضحى لغزاة قوم شمروا من شمر

وقال الشاعر على مهنئًا الشريف بالظفر في غزوة جبل شمر وإيقاعه ببني لام سنة ٩٦٤ هـ، ١٥٥٦م:

وأسالت في الشرق سيل نجيع سار في الغرب بالرواسي الثقال

ما بنو لام من قبائل نجد ما لقاء الفرسان والأبطال

(٤٩١، ٤٩٦/ ١٥٦).

وكانت سلطة الشريف المكي تمتد وتقصر حسب قوته فتارة يحكم مكة وما حولها وتارة تتعدى سلطته الحجاز إلى نجد والإحساء فقد قال العصامي: إن الشريف حسن بن أبي نمي سار إلى الشرق غازيًا مرتين أولهما سنة ٩٨٧ هـ (١٥٧٩م) حيث غزا معكال بأقصى البلاد الشرقية لأمور فعلوها منها طعن على الدولة الإسلامية والتعرض من حجاج بيت الله الحرام وكان هذا الجمع

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

يزيد على خمسين ألفًا حيث انتصر على معكال وملكه وأحضر مشائخه مكبلين بالأغلال ثم أقاموا في ظله مدة عام فطلبوا منه أن يكونوا خدامه في محل سلطانهم وأمر عليهم محمد بن عثمان بن فضل (٤/ ٣٦٨ / ١٤٤).

والمرة الثانية التي سار بها إلى الشرق كانت سنة ٩٨٩ هـ (١٥٨١م) فتح مدنًا وحصونًا تعرف بالبديع (إحدى مدن الأفلاج الأثرية تلي ليلى من حيث الاتساع وكثرة السكان) والخرج أخصبها وأوسعها رقعة وأكثرها ماء وأنهرها إنتاجًا قال عنه جرير:

يضربن بالأحقاف بطن الخرج وهن في أمنية وهرج

والسليمة (إحدى بلدان الخرج الشرقية على مقربة من الخضرمة قاعدة الخرج قديمًا) والأمامية ومواضع في شامخ الجبال وعاد منتصرًا بعد أن عين ولاة من قبله وحاجته الأخبار أن جماعة من شوكة بني خالد تجمعوا وتحزبوا في جمع من الشجعان والأبطال فوافاه الجيش الخالدي ووجده في غاية الحذر فتقابلا وتقاتلا وانتصر على بني خالد (٤/ ٣٦٩ /١٤٤).

في سنة ٦٨٢ هـ ١٢٨٣م توفي الأمير شهاب الدين أحمد بن حجي بن يزيد أمير آل مرا (من طيء) وكان من فرسان العرب المشهورين كانت سراياه تغير إلى أقصى نجد وبلاد الحجاز يؤدون له الخفر وكذلك صاحب المدينة الشريفة وكانت له المنزلة العالية عند الظاهر والمنصور قلاوون وغيرهما من الملوك وكانوا يداورونه ويتقون شره وكان بين شهاب الدين هذا وبين عيسى بن مهنا أمير آل فضل من طيء منافسة (٧/ ٣٥٧ /٢٤٠).

المواقع التي جرت فيها الأحداث

الغرض من إيراد المواقع التي جرت فيها الأحداث هو تنسيقها مع ما سبقها واستخلاص ما وقع حولها من المادة التاريخية .

قال المبرد : إن اليمامة والبحرين والقريتين ومواضع كانت لطسم وجديس فالقريتان اللتان ذكرهما مركزان عمرانيان تمر بهما طريق الحج البصري يقعان على الضفة الجنوبية لوادي الرمة أحدهما تسمى أبوى التي يقول فيها المثقب العبدي المتوفى في سنة ٣٥ هـ ٦٥٥م :

فإنك لو رأيت رجال أبوى غداة تسر بلوا حلق الحديد

إذًا لظننت جِنَّةَ ذي عرين وآساد الغريفة في صعيد

والثانية يقال لها ذات أبواب قال زهير بن أبي سلمى :

عهدي بهم يوم باب القريتين وقد زال الهماليج بالفرسان والنجم

(١٧٨ / ١٨٢)

وقد قال الأعشى عن طسم وجديس حيث جعلهم قبل عاد وثمود.

ألم تروا إرمًا وعادًا أودى بها الليل والنهار

بادوا فلما أن تأدروا قضى على إثرهم قدار

وقبلهم غالت المنايا طسمًا ولم ينجها الحذار

وحل بالحي من جديس يوم من الشر مستطار

وقال ياقوت : قرية كانت لطسم وجديس ، وقال المبرد : حدثني التوزي عن أبي عبيدة عن الأصمعي عن أبي عمرو قال: قال لي رجل من أهل القريتين : أصبت دراهم ، وزن الدرهم ستة دراهم وأربعة دوانق (يقصد من دراهم عهدهم في القرن الثاني الهجري) من بقايا طسم وجديس فخفت السلطان فأخفيتها ، قلت حدوا مني وزنها وأعطونيها.

وقريتا أبوى وذات أبواب (اللتين قام على أنقاضهما قرية ابن عامر وقرية العسكرة) كانتا قائمتين في القرن العاشر قبل الميلاد لمعاصرتهما للنبي سليمان بن داود (عليه السلام) وأنهما أبيدتا في أوائل القرن الخامس الميلادي أبادهما حسان تبع (الملك اليمني) ولما جاء العصر الإسلامي أسندت عملية الإشراف على الطريق للحج البصري إلى عبد الله بن عامر بن كريز في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه من عام ٢٩ – ٥٩ هـ ٦٤٩ – ٦٧٨م الذي حفر الآبار وأنشأ محطات الاستراحة التي تحولت فيما بعد إلى قرى تمد الحجاج بما يساعدهم على أعباء الرحلة ، والقرية التي أسسها ابن عامر هي المنسوبة إليه (وتقع الآن في سهل فسيح يسمى الزغيبية) (١٨٨/ ١٨٢).

أما الثانية فقد أسسها جعفر بن سليمان من أهل القرن الثاني عندما تولى البصرة فأسس قرية العسكرة، ذلك لأن فيها حصن يسمى العسكر (وتسمى الآن العيارية) وقد عمرت في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، أما الذي استخرج ماء عنيزة فهو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس أمير البصرة ، وقيل أن الذي حفرها للمرة الثانية هو عبد الله بن عامر بن كريز سنة ٣٢ هـ ٦٥٢ م وكانت قد حفرت قبل الإسلام ثم إندثرت (وتسمى هذه الماء

الآن أم القبور) أي ذات القبور وبين هذا الماء وبين القريتين ميلين.(١٨٤/ ١٨٢).

وقال الأصفهاني: وبالقصيم عجلزا هي ماء لبني مازن من تميم وهي المنصف بين مكة والبصرة وكانت عجلز ورحب في أول الدهر لضبه قال البكري (ت ٤٨٧ هـ) شارحًا قول الغنوي:

تأبدت العجالز من رياح وأقفرت المدافع من خزاق

واراد عجلز هو ماء في الطريق (طريق الحج البصري) بينه وبين القريتين تسعة أميال ، وإلى جانبه ماء يقال له رحبه ، (وعجلز ورحبة فيما يسمى الآن غميس عنيزة من شماله) (١٨٥/١٨٢).

وقال أبو إسحاق الحربي (ت ٢٨٥) ثم وراءهما الرمادة بثلاثة أميال موضع يقال له عجلز به بركة وآبار ومسجد وهو الذي يقال له نصف الطريق إلى البصرة من مكة ، ومن القريتين إلى رامة أربعة وعشرون ميلاً وبرامة آبار كثيرة ، والقريتان الدنيا منها (من جهة البصرة) قرية ابن عامر والأخرى بناها جعفر بن سليمان ، وفيها حصن يقال له العسكرة وهي بلدة نخل تطرد بين أضعافها عيون في مائها غلظ ، وأهلها يستعذبون ماء عنيزة وهي على ميلين من القريتين. (والقريتان معروفتان في الوقت الراهن بالقُرَيَّة بالتصغير والعُبَارِيَّة).(١٨٧ / ١٨٢).

وقال أبو عبيدة عند شرحه لبيت الفرزدق الذي يقول فيه:

فاسأل فإنك من كليب والتمس بالعسكرين بقية الأطلال

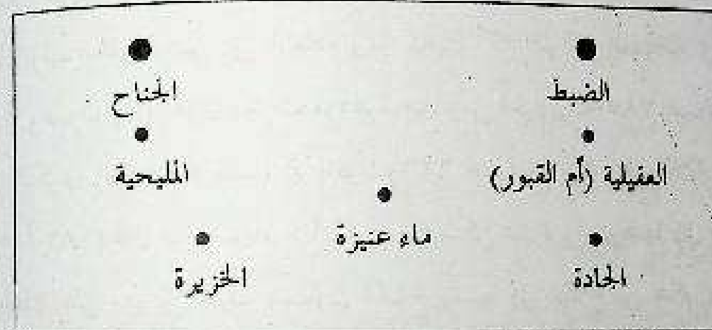
قوله التمس بالعسكرين يعنى القريتين ، قريتي ابن عامر وفيها سوق وتمر ونباذون (يعني من يصنعون النبيذ).

الرمادة :

قال أبو اسحاق الحربي : ومن ورائها (القريتين) بلد يقال له الرمادة وهو منصف طريق مكة – البصرة ، من تواتر النصوص السابقة ووصف الرمادة بالبلدة وليس القرية على أن الرمادة ربما كانت أكثر المراكز العمرانية في نجد سكانًا وعمرانًا يدل أنها استمرت مزدهرة منذ زمن الحربي(ت ٢٨٥ هـ)وحتى زمن البكري (ت ٤٨٧ هـ) ثم ياقوت(٦٢٦ هـ) ما يزيد على ثلاثة قرون (١٩٢/ ١٨٢) قال ابن ضويان : أن أول من سكن عنيزة واستوطنها (في العصر الوسيط) بطن من بني خالد يسمون الجناح (نسبة إلى جناح بن غانم) نزلوا على بئر أم القطا (الآن في العبارية) أو (العسكرة) قديمًا وسميت المحلة باسم القبيلة وكان ذلك في حدود المئة السادسة للهجرة ، وهناك إشارة إلى نشأة قرية الجناح في بداية الفترة الوسطى وهناك تقدير يعود بنشأة الجناح إلى عام ٤٩٤ هـ ١١٠٠م.

ولعل هذا التقدير أقرب للحقيقة لأن جميع الأحداث تشير إلى تفوق قرية الجناح وحكمها للقرى التي نشأت بعد قدوم فريق من قبيلة سبيع التي استفاض لدى سكان القصيم قدومهم عام ٦٣٠ هـ ١٢٣٢م ولا يكون هذا التفوق إلا لقدم يجعل قرية الجناح تكون قوية بما استصلحت من أراضي وما توسعت من عمران تتمكن من السيطرة على قادمين جدد في فترة قصيرة جعلها ابن ضويان ٣٠ سنة، وأول من قدم من سبيع هورهري بن جراح السبيعي

حيث سكنت قبيلته في الأرض الواقعة جنوب حي الجناح وحي الضبط التابع لبني خالد بالقرب من بجر أم القبور وبدأوا بإنشاء حي العقيلية إلى الجنوب من حي الضبط وأقرب إلى ماء عنيزة (أم القبور) ثم تلت ذلك أحياء المليحة والخزيزة على هذه الصورة:



رسم توضيحي

والجناح ثلاثة أقسام ، بالإضافة إلى الجناح والضبط إلى الشرق والخزيزة جنوب المليحية يوازيها من الشرق حي الجادة جنوبًا عن العقيلية ، وعندما يراد [illegible] تحديد نشأة مدينة عنيزة فأننا نورد سنة ٤٩٤ هـ ــ ١١٠٠م حيث نشأت قرية الجناح في تلك السنة والتي أصبحت أحد أحياء المدينة وعلى هذا فإن الجناح من بني خالد هم من أنشئوا عنيزة بحكم إنشائهم أقدم أجزائها (١٩٩/ ١٨٢).

ومن الجدير بالذكر أن من انتقل من بني خالد إلى قفار في منطقة حائل في القرن العاشر أو الحادي عشر الهجري وهم الخشيمات وقد أسسوا حيهم بأعلى قفار في فرعة الوادي وأطلقوا عليه اسم الضَّبْطْ ويبدوا أن هذا الاسم

دلالة بالبلد الذي انتقل منه بعضهم أو كلهم في عنيزة وإن كان يروى أن الخشيمات من بني حميد حكام الإحساء آنذاك وهم زعماء بني خالد لكن الضبط بقفار لها علاقة وطيدة بالضبط في عنيزة وسكان هذه الأخيرة من بني خالد بالإضافة إلى حي الجناح وربما نقلوا اسم حيهم في عنيزة إلى قفار مثلما نقل اسم الدرعية بالإحساء إلى الدرعية في نجد عندما انتقل إليها أهلها من المنطقة الشرقية.

وقد كتب ابن مانع : نشأت عنيزة سنة ٦٣٠ هـ ــ ١٢٣٢م لأنه معلوم لما استفاض عند أهل القصيم بأن أول من سكن عنيزة هو زهري بن جراح الثوري، ثم قال في مكان آخر وأول من أوجدها هو عقيل بن إبراهيم بن موسى بن محمد بن بكر بن عتيق بن حبر بن نبهان بن مسرور بن زهري بن جراح، فإذا كان عقيل هذا الذي تنتسب إليه العقيلية هو من أنشأها وبينه وبين زهري تسعة آباء فحساب سلسلة النسب كما حسبها ابن مانع تكون نشأت العقيلية سنة ٩٠٠ هـ ــ (١٤٩٤م) وعلى هذا فإما ألا يصح أن تكون نشأت عنيزة سنة ٦٣٠ هـ ــ أو لا تكون العقيلية هي أول قراها ، وهذا الاحتمال الأخير أقرب إلى الحقيقة (٢٠٠/ ١٨٢).

وكان يتردد على عنيزة من سبيع بقيادة زهري بن جراح الثوري ابتداء من سنة ٦٣٠ هـ ــ ١٢٣٢م كانوا يقيمون صيفًا ويظعنون شتاء ثم أنشئوا قرية المليحة واشتغلوا بالزراعة ونشأت بعد ذلك قرية الخزيزة والجادة والعقيلية ، (٢٠٧/ ١٨٢).

وجاء في كتاب (غاية النهاية في طبقات القراء) أن شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الجزري عند مروره بعنيزة عام ٨٢٢هـ ١٤١٩م في طريق للحج ومعه المولى معين الدين بن عبد الله قاضي كازرون فوصلا إلى قرية عنيزة من نجد وتوجها منها فأخذهم الأعراب من بني لام بعد مرحلتين فرجعا إلى عنيزة وتأخر فيها لتحصيل كتبه وترقيع حاله (٢٠٢ / ١٦٠).

ومن أبرز من مر في نجد في طريقة للحج وتأخر فيها العلامة محمد بن علي الجزري المولود في دمشق سنة ٧٥١ هـ ١٣٥٠م وكان مروره منها حين اضطر لهذا التأخر عن الحج عام ٨٢٢ هـ ١٤١٩م بعد أن عارض القافلة التي هو فيها قطاع الطرق بعد مغادرتها عنيزة فعاد إلى عنيزة وبقي فيها قرابة الشهر وكان معه بعض الكتب التي ردها له بنو لام من الأشياء المنهوبة وقد قال أثناء وجوده بعنيزة قصيدة يصف فيها أحوال نجد الأمنية منها :

غريبة في أوطان نجد نظمتها — وعظم اشتغال البال واف وكيف لا

وطبقني الأعراب بالليل غفلة — فما تركوا شيئاً وكدت لاقتلا

فأدركني اللطف الخفي وردني — عنيزة حتى جاءني من تكفلا

بحملي وأيصالي لطيبة آمنا — فيارب بلغني مرادي وسهلا

بسيطة :

بسيطة أو البسيطة أرض واسعة تقع بقرب غرب وادي السرحان وتخترقها طرق الشام من بلاد طيء ومن جهات خيبر ومن شمال الحجاز ويكثر من نبتها الفث وهو (السمح) قال حاتم الطائي:

رحلوا إلى فث يجتني بسيطة — كما حن للأكلاء نيب صوادر

وقال المتنبي:

بسيطة مهلاً سقيت الغمام — تركت عيون عبيدي حياري

فظنوا النعام عليك النخيل — وظنوا الصوار عليك المنارا

فأمسك صحبي بأكوارهم — وقد قصدوا الضحك منهم وجارا

وقال صلاح الدين الصفدي:

سرنا بركب كبير لم — يقطع السير خيطه

كنا بقاعات بسط — نلهو بقاع بسيطة

وضاخ :

بعد استعادة القدس من أيدي الصليبين عام ٥٨٢ هـ ١١٧٨م بعث صلاح الدين الأيوبي مالك بن سنان المرادي أميرًا على وضاخ التي كانت ملتقى الحجاج العراقيين القادمين من العراق والبحرين (الإحساء) وكان مالك رجلاً ذا قوة وهيبة وعرف بالفطنة والدهاء ، وكانت نجد مسرحًا لغارات القبائل بعضها على بعض وعلى القرى والمدن وتحتاج إلى رجل مثل مالك بن سنان الذي سار إلى مقره الجديد ومعه قسم من قبيلة آل كوكب (الكواكبة) وكان فيهم خؤولته ، وهم بطن من وائل كما انضم إليه بطون من بني الحارث كعب بن عنزة ومن عشائر بني جعفر (الجعافرة) وممن كان معه بنو الحديد بن ربيعة وهم

القوة التي يعتمد عليها لتأمين سبل الحج من هجوم قبائل قيس عيلان وعنزة بن أسد وغيرها من قبائل نجد ، وبعد وصول سنان بن مالك إلى وضاخ نشطت هذه المدينة وصارت تنافس حجر اليمامة ومنبر الخزم ببلدة (الأكمة) التي حل مكانها بلدة (نيلي) المدينة في أسفل وادي السحاب بالأفلاج ، وذلك أن مالكاً وضع وضاخ منبرًا أطلق عليه المربد وغدا الشعراء يحضرون إليه ويلقون قصائدهم بين القبائل التي صارت ترتاد المربد حتى غدا سوقًا عامًا للتجارة تأتي إليه من كل مكان(٤٧ / ٦٢).

أوضاخ بلدة بعالية نجد وكانت قصبتها ومركز لوقوعها على طريق الحاج من العراق إلى مكة ثم دمرت بعد ذلك ولم يبق منها إلا الأطلال وذلك عام ٩٨٠ هـ ١٥٧٢م ثم تمركز فيها بنو خالد المخزوميون (خالد الخجاز عام ٦٤٢ هـ ١٢٤٤م) (٤٦/٦٢).

وبقي فيها بنو خالد حتى تغلب عليهم بنو لام وتفرق بنو خالد من قرى سدير والوشم والعارض والقصيم والأحساء.

أوضاخ أو أضاخ بلدة قديمة العمران قبل الدعوة المحمدية وكانت مركزًا للحكم بين المتخاصمين وفيها مشايخ يتولون الحكومة في المنازعات (كما ورد في مكان آخر نقلاً عن السمهودي مما يدل على أن أوضاخًا كانت مركزًا من مراكز الحكم وكانت الحد بين قيس وتميم وهي قيسية (وتقع أوضاخ إلى الشمال من مدينة نفء نفي وهي إلى الجنوب الشرقي عن بلدة الأثلة وإلى الشرق عن مدينة دخنة في منطقة القصيم).

أشيقر:

كما مر بنجد العلامة معين الدين بن صفي الدين الأيجي الحسيني المولود في ايج من بلدان فارس قرب شيراز عام ٨٣٢ هـ ١٤٢٩م مر ببلدة أشيقر سنة ٩٠٣ هـ ١٤٩٨م في طريقه إلى المدينة المنورة فأقام بعض الوقت في أشيقر ولازمه خلال ذلك بعض طلبة العلم واستفادوا بما لديه من علم وربما قاموا بنسخ بعض ما معه من كتب وكان من أبرز من تلقى العلم منه الشيخ حسن بن علي البسام وقد نسخ الشيخ حسن كثيرًا من الكتب بخطه الفائق الحسن فضلاً عن الكثير من الوثائق والمسائل الفقهية، ومن أبرز خطاطي ونساخ نجد في القرن العاشر الهجري عبد الرحمن بن محمد بن عتيق الوهبي الأشيقري الذي يُعد من فقهاء نجد في ذلك القرن وخطه في غاية الحسن والإتقان.

متفرقات:

فقد أورد المؤرخ الروماني بليني في القرن الثاني للميلاد لوائح بأسماء القبائل والمدن والقرى في القسم الأوسط من شبه جزيرة العرب وبرهن على معرفة أدق بالسكان الحضر منهم والبدو. (٣٤/٣٠).

وقال لويس دارفيو (وهي أن أولئك القوم) (ويعني الأعراب) الذين يغرمون بالغزو هم رغم ذلك على جانب من الأخلاق السامية، يحفظون الذمام ويكرمون الضيف إلى أقصى حدود الكرم، يغارون على العرض ويتحلون بالإباء والشمم. (١٢٠/٣٠).

عندما يقوم المرء بزيارتهم بدافع سلامة النية يرى لديهم أمورًا تستطيع إخجال أمم أوربة التي لا يقدر الإنسان أن يعيش بينها إلا بقوة المال، فالأمر عند هؤلاء البدو يختلف كل الاختلاف عما هو عليه في أوربة إذ لا يكد الإنسان يصل إلى مخيمهم حتى يستقبل في خيمة، ولا يستطيع البدوي أن يقدم له إلا الحصيرة يجلس وينام عليها لأنه لا يملك أثاثًا أكثر إراحة وأثمن منها ولكن لا ينقصه شيء لحسن الاستقبال وتقديم جيد الطعام. (٣٠/١٢٥).

وقد شرح (بورك هارت) رأيًا مناقضًا للرأي العام الغربي فيما يختص هؤلاء الغزاة الذين لا مثيل لهم في كرم الضيافة وحماية من يأتمنوهم على أنفسهم وقد اكتشف لنا فيهم من خلال أسلوبه المعتدل الدقيق، رجالاً استطاعوا في فقرهم وبوساطته أن يحرزوا عظمة إنسانية حقيقية من خلال الكرم والحرية التي يهيمون بحبهما.(٣٠/٢٢٦).

وسنقفوا الآن خطى (كارلو غوار ماني) الذي لم يجتذبه بلاد نجد لما في تطورها السياسي من جدة الحوادث أو لأنه من المحتمل أن يكون في بلاد العرب حسب الرأي الذي عبر عنه أحد أعضاء الجمعية الوطنية للطب في باريس مهد لأقدم جنس بشري: الجنس العربي الذي بداله بتركيبه الفسيولوجي وقواه الخاصة بمركز الحواس في الدماغ قريبًا من كمال الصورة الأصلية: بل اجتذبته نجد، لأنها في عداد البلدان الجديرة بالاهتمام ولأنها كانت منذ أقدم الأزمنة مهدًا لأكمل جنس من أجناس الخيل وهو ما يذكرنا بهذه المناسبة بمزية لبلاد العرب كانت منسية حتى ذلك الحين وهي أنها مشهورة بخيلها مثل ما اشتهرت به قبل أن يبدأ عصر النفط. (٣٠/٢٢٨).

نيبور:

إذا كان هناك شعب في العالم له أمجاد تاريخية قديمة وعلى قدر كبير من البساطة فالعرب هم الذين يتصفون بذلك. (١٣٥/٤٣).

دواتي:

وباستثناء الجزيرة العربية أين هو المكان الذي يستطيع فيه المرء ان يعيش ثمانية عشر شهرًا وهو لا يملك شيئًا من المال دون أن يجوع حقيقة. (١٣٥/٨٦).

ب) الأماكن التي وقعت فيها الأحداث:

١- بزاخة:

أن أبا بكر رضي الله عنه أمر خالد بن الوليد أن يذهب أولاً إلى طليحة الأسدي ثم يذهب بعده إلى بني تميم: وكان طليحة بن خويلد في قومه بني أسد وفي غطفان وانضم إليهم بنو عبس وذبيان وبعث إلى بني جديلة والغوث من طيء يستدعيهم إليه: فبعثوا أقوامًا منهم بين أيديهم ليلحقوهم على أثرهم سريعًا، وكان الصديق قد بعث عدى بن حاتم قبل خالد بن الوليد وقال له: أدرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم، فذهب عدي إلى قومه من طيء فأمرهم أن يبايعوا الصديق وأن يراجعوا أمر الله، فقالوا: لا نبايع أبا الفصيل أبدًا يعنون أبابكر رضي الله عنه، فقال: والله لتأتينكم جيش فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنه أبو الفحل الأكبر، ولم يزل عدي يفتل لهم في الذروة والغارب حتى لانوا وجاء خالد في الجنود وعلى مقدمة الأنصار الذين كانوا معه ثابت بن

قيس بن شماس، وبعث بين يديه ثابت بن أقرم وعكاشة فقتل عكاشة حبال بن طليحة وقيل قد كان قتل حبال قبل ذلك وأخذ ما معه وحمل عليه طليحة فقتله وقتل هو وأخوه سلمة بن أقرم، وجاء خالد بمن معه فوجدوهما صريعين فشق ذلك على المسلمين وقد قال طليحة في ذلك:

عشية غادرت ابن أقرم ثاويا وعكاشة الغنمي تحت مجال

أقمت له صدر الحمالة إنها معودة قبل الكماة نزال

فيوم تراها في الجلال مصونة ويوم تراها في ظلال عوالي

وإن يك أولاد أصبن ونسوة فلم يذهبوا فرغا بقتل حبال

ومال خالد إلى بني طيء فخرج إليه عدي بن حاتم فقال: أنظرني ثلاثة أيام فإنهم قد استنظروني حتى يبعثوا إلى من تعجل منهم إلى طليحة حتى رجعوا إليهم فإنهم يخشون إن بايعوك أن يقتل طليحة من سار إليه منهم وهذا أحب إليك من أن يعجلهم إلى النار، فلما كان بعد ثلاث جاءه عدي في خمسمائة مقاتل ممن راجع الحق فانضافوا إلى جيش خالد، وقصد بني جديلة فقال له يا خالد: أجلني أياماً حتى آتيهم فلعل الله أن ينقذهم كما أنقذ طيئاً، فأتاهم عدي فلم يزل بهم حتى تابعوه فجاء خالداً بإسلامهم ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان عدي خير مولود وأعظمه بركة على قومه رضي الله عنهم، قالوا ثم سار خالد حتى نزل بأجأ وسلمى وعبا جيشه هنالك، والتقى مع طليحة الأسدي بمكان يقال له بزاخة ووقفت أحياء كثيرة من الأعراب ينظرون على من تكون الدائرة، وجاء طليحة فيمن معه من قومه عيينة بن حصن في سبعمائة من قومه فزارة، واصطف

الناس وجلس طليحة ملتفاً في كساء له يتنبأهم ينظر ما يوحى إليه فيما يزعم وجعل عيينه يقاتل ما يقاتل حتى إذا ضجر من القتال جاء إلى طليحة وهو ملتف بكسائه فيقول أجاءك جبريل؟ فيقول لا، فيرجع فيقاتل ثم يرجع فيقول له مثل ذلك وفي المرة الثالثة "قال كلاماً لم يقتنع به" فقال عيينة: يا بني فزارة انصرفوا وانهزم الناس عن طليحة فلما جاء المسلمون ركب طليحة فرس كان أعد له وأركب إمرأته النوار على بعير له ثم انهزم إلى الشام وتفرق جمعه. (٤٤/٣٢٢/٦).

كان قد اجتمع طائفة كثيرة من الفلال يوم بزاخة من أصحاب طليحة من بني غطفان على إمرأة يقال لها أم زمل سلمى بنت مالك بن حذيفة وكانت من سيدات العرب كأمها أم قرفة وكان يضرب بأمها المثل في الشرف لكثرة أولادها وعزة قبيلتها وبيتها فلما اجتمعوا إليها ذمرتهم لقتال خالد فهاجوا لذلك وناشب إليهم آخرون من بني سليم وهوازن وأسد فصاروا جيشاً كثيفاً وتفحل أمر هذه المرأة فلما سمع بهم خالد بن الوليد سار إليهم واقتتلوا قتالاً شديداً وهي راكبة على جمل أمها الذي كان يقال له من يمس جملها فله مئة من الأبل، وذلك لعزها، فهزمهم خالد وعقر جملها وقتلها وبعث بالفتح إلى الصديق. (٤٤/٣٢٤/٢٣٦).

٢- الحاجر:

ولما بلغ ابن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن نمير التميمي صاحب شرطته فنزل القادسية إلى القطقطانة وإلى جبل لعلع فلما بلغ الحسين الحاجر كتب إلى أهل الكوفة مع قيس بن مسهر العيداوي يعرفهم بقدومه

ويأمرهم بالجد في أمرهم فلما انتهى قيس إلى القادسية أخذه الحصين فبعث به إلى ابن زياد فقال له ابن زياد إصعد القصر فسب الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا رسوله إليكم وقد فارقته بالحاجر فأجيبوه ثم لعن زياد وأباه واستغفر له فأمر به ابن زياد فرمى به من اعلى القصر فتقطع ومات. (٣/٢٧٧/١٩٥).

٢- دومة الجندل :

ولما فرغ خالد بن الوليد من عين التمر أتاه كتاب عياض بن غنم يستمد على من بإزائه من المشركين فسار خالد إليه فكان بإزائه بهراء وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم، وكانت دومة على رئيسين أكيدر بن عبد الملك، والجودى بن ربيعة فأما أكيدر فلم ير قتال خالد وأشار بصلحه خوفاً فلم يقبلوا منه فقال لن أمالئكم على حرب خالد فشأنكم" فخرج عنهم وسمع خالد بمسيره فأرسل إلى طريقه "عاصم بن عمرو معارضاً له" فأخذه أسيراً فقتله وأخذ ما كان معه وسار حتى نزل على أهل دومة الجندل فجعلها بينه وبين عياض وكان النصارى الذين أمدوا أهل دومة من الغرب محيطين بحصن دومة لم يحملهم الحصن " فلما إطمأن خالد خرج إليه الجودى في جمع ممن عنده من العرب لقتاله وأخرج طائفة أخرى إلى عياض فقاتلهم عياض فهزمهم خالد من يليه وأخذ الجودى أسيراً وانهزموا إلى الحصن" فلم يحملهم" فلما امتلأ اغلقوا الباب دون أصحابهم فبقوا حوله " حرداء" فأخذهم خالد فقتلهم حتى سد باب

الحصن وقتل الجودى وقتل الإسرى إلا أسرى كلب فإن بني تميم قالوا لخالد قد أمناهم وكانوا حلفاؤهم فتركهم" وقال مالي ولكم أتحفظون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام ؟ فقال له عاصم: لا تحسدهم العافية ولا يحوزهم الشيطان" ثم أخذ الحصن قهراً. (٢/٢٧٠/١٩٥).

وكتب الكتاب"بين أصحاب علي وأصحاب معاوية"يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا على أن يوافى أمير المؤمنين على موضع الحكمين بدومة الجندل أو بأذرح في شهر رمضان. (٣/١٦٣/١٩٥).

ولما جاء موعد الاجتماع أرسل على أربعمائة رجل عليهم شريح بن هاني الحارثي وأرسل علي أيضاً عبد الله بن عباس ليصلي بهم ويلي أمورهم ومعهم أبو موسى الأشعري، وأرسل معاوية بن أبي سفيان في أربعمائة من أهل الشام حتى توافوا بدومة الجندل، وكان عمرو إذا أتاه كتاب معاويه لا يدري بما جاء فيه ولا يسأله أهل الشام عن شيء وكان أهل العراق يسألون ابن عباس عن أي كتاب يصله من علي فإن كتمهم ظنوا به الظنون وقالوا: نراه كتب بكذا وكذا فقال لهم ابن عباس: أما تعقلون؟ أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم أحد بما جاء به ولا يسمع لهم صياح وأنتم عندي كل يوم تظنون في الظنون.(٣/١٦٧/١٩٥).

وبعث معاوية مسلم بن عقبة المري إلى دومة الجندل وكان أهلها قد امتنعوا من بيعة علي ومعاوية جميعًا فدعاهم إلى طاعة معاوية وبيعته فامتنعوا وبلغ ذلك عليا فسير مالك بن كعب الهمداني في جمع إلى دومة الجندل فلم يشعر مسلم إلا وقد وافاه مالك فاقتتلوا يومًا ثم انصرف مسلم منهزمًا وأقام

مالك أيامًا يدعو أهل دومة الجندل إلى البيعة لعلي فلم يفعلوا فقالوا: لا نبايع حتى يجتمع الناس على إمام فانصرف وتركهم.(٣/١٩١/١٩٥).

٤- الربذة :

وأرسل عبد الله بن الزبير العباس بن سهل بن سعد الساعدي إلى المدينة أميرًا وامره أن يسير في طلب حبيش حتى يوافي الجند من أهل البصرة الذين عليهم الحنيف فأقبل عباس في آثارهم حتى لحقهم بالربذة فقاتلهم حبيش فرماه يزيد بن سناد بسهم فقتله وكان معه يومئذ يوسف بن الحكم وابنه الحجاج وهما على جمل واحد.(٣/٣٤٧/١٩٥).

ولما نزل علي رضي الله عنه الربذة أتاه جماعة من طيء، فقيل له: هذه جماعة أتتك منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك، فقال: جزى الله كليهما خيرًا وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا، فلما دخلوا عليه قال لهم: ما شهدتمونا به؟ قالوا: شهدناك بكل ما تحب، فقال: جزاكم الله خيرًا فقد أسلمتم طائعين وقاتلتم المرتدين وأوفيتم بصدقات المسلمين، فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال: يا أمير المؤمنين: إن من الناس من يعبر لسانه عما في قلبه؛ وإني والله ما أجد لساني "يعبر" عما في قلبي وسأجهد بالله التوفيق، أما أنا فسأنصح لك في السر والعلانية وأقاتل عدوك في كل موطن وأرى من الحق لك ما لا أراه لأحد غيرك من أهل زمانك لفضلك وقرابتك فقال: رحمك الله عما يجن ضميرك، فقتل معه بصفين، وسار علي من الربذة وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح والراية مع محمد بن الحنفية وعلي على ناقة حمراء يقود فرسًا كميتًا. (٣/١١٥/١٩٥).

و- الشرف:

حمى الشرف حماه عمر رضي الله عنه وليس هو شرف الروحاء بل موضع في كبد نجد وقيل واد عظيم تكتنفه جبال حمى ضرية والظاهر أن مراد من غاير بينه وبين حمى ضرية والربذة قال الأصمعي: الشرف كبد نجد وكانت منازل بني آكل المرار وفيها اليوم حمى ضرية وفي أول الشرف الربذة وهي الحمى الأيمن والشريف إلى جنبه يفصل بينهما السرير فما كان مشرقًا فهو الشريف وما كان مغربًا فهو الشرف. (ج٣/ ١٠٩٠/٢٦٠).

ويحتمل أن المراد بقولهم " حمى الشرف" والربذة حمى ضرية والربذة لما سيأتي في حمى ضرية أنه كان يقال لعامله: عامل الشرف ولم يفرد الهجري في إحماء نجد الشرف ولم يبين له محلاً وإنما ذكر الربذة وضرية مع ما سيأتي فيهما.

قال الأصمعي: كان يقال من تصيف الشرف وتربع الحزم وشتى الصمان فقد أصاب المرعى، ومنها حمى الربذة قرية بنجد من عمل المدينة على ثلاثة أيام منها قاله المجد، وفي كلام الأسدي ما يقتضي أنها على أربعة أيام، قال المجد، وكان أبوذر الغفاري خرج إليها مغاضبا لعثمان بن عفان رضي الله عنهما فأقام بها إلى أن مات نصر: هي من منازل الحاج بين السليلة والعقيق.

وفي تاريخ عبد الله الأهوازي أنها خربت في سنة تسع عشرة وثلاثمائة لاتصال الحروب بين اهلها وأهل ضرية؛ ثم أستأمن أهل ضرية إلى القرامطة فاستنجدوهم عليهم فارتحل أهل الربذة عنها فخربت وكانت أحسن منزل بطريق مكة.

وقال الأسدي: الربذة لقوم من ولد الزبير وكانت لسعد بن بكر من فزارة ووصف ما بها من البرك والآثار وقال: إن بها بئرًا تعرف ببئر المسجد، بئر أبي ذر الغفاري، وروى ابن أبي شيبة باسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر حمى الربذة لنعم الصدقة ولهذا نقل الهجري عن جماعة أن أول من أحمى حمى الربذة عمر بن الخطاب لقصاص الصدقة (١٠٩٢/٢٦٠).

٦- ضرية :

وضرية قرية سميت باسم بئر يقال ضرية وقال ابن **الكلبي**: سميت ضرية بضرية بنت نزار وهي أم حلوان بن الحاف بن قضاعة وقال الأصمعي: ويقال ضرية بنت ربيعة بن نزار، وقال نصر: ضرية صقع واسع بنجد يليه أمير المدينة وينزل به حاج البصرة قال أبو عبيدة البكري: ضرية إلى عامل المدينة، وقال غيره : هي قرية عامرة قديمة في طريق مكة من البصرة وهي إلى مكة أقرب غير أنها من أعمال المدينة يحكم عليها واليها.

وذكر الأسدي في وصف طريق البصرة وما يقتضي، أن ضرية على نحو عشرة أيام من مكة وأخبرني أهل المعرفة بها أنها من المدينة على نحو سبع مراحل وأنها إلى المدينة أقرب.

وقال ابن سعد "في الطبقات" سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء بطن من أبي بكر كانوا ينزلون البكرات بناحية ضرية وبين ضرية والمدينة سبع ليال، وتقدم قول الأصمعي في الشرف أن به حمى ضرية، قال: وضربة بئر ماؤها عذب طيب قال الشاعر:

ألا يا حبذا لبن الخلايا بماء ضرية العذب الزلالا

ونقل المجد أن أشهر الأحماء وأسيرها ذكرًا حمى ضرية، وكان حمى كليب بن وائل فيما يزعم بعض بادية طيء قال: وذلك مشهور عندنا بالبادية يرويه كابر عن كابر وفي ناحية منه قبر كليب معروف إلى الآن " زمن المؤلف القرن التاسع الهجري ت ٩١١ " وأخبرني بذلك رئيس أهل نجد ورأسها سلطان البحرين والقطيف فريد الوصف والنعت في جنسه صلاحًا وافضالاً وحسن عقيدة أبو الجود أجود بن جبر أيده الله تعالى وسدده وقال: إن قبر كليب هناك معروف عند العرب يقصدونه قال ودلني عليه بعضهم فقلت: هو واحد من الجاهلية.ونقل السمهودي "كلام الهجري" وقد جاء في مدح سلمةبن عمرو العتريفي، الذي حل النزاع بين غني وبني كلاب في مشكلة ماء قنيع قال عقيل بن علس لكلابي يمدح أهل بيته بني عمرو بقصيدة منها:

يا أيها الرجل المعنى شبيبته تبكي على ذات خلخال وأسوار

خيرتنا وبني عمرو فإنهم ذرو فضول وأحلام وأنظار

هينون لينون أيسار بني يسر سواس مكرمة أبناء أيسار

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم يسري في ضوئها الساري

وقال فيه وفي أخيه جامع أحد بني كلاب:

إذا ما غني فاخرتها قبيلة فإن غنيا في ذري المجد أفخر

وكم فيهم من سيد وابن سيد ومن فارس يوم الكريهة مسعر

هم رتقوا الفتق الذي كان باديا وقاموا بأفق الحق والحق أنور
فرحنا جميعًا طائعين لحكمه وهل يرفع الحكم الجليل المنور

واحتفر بعض بني الحسن بن علي بالحمى واتخذ إلى جنب حفرته عينا ساحت ثم خرجت في غربي طخفة بشاطي الريان على ثلاثة عشر ميلاً من ضرية وهي بيد ناس من بني جعفر ثم من بني ملاعب الأسنة من جهة بني أختهم الحسينيين.(٢٦٠/١٠٩٦/٣).

ولما ولي إبراهيم بن هشام المدينة احتفر بالحمى حفيرة بالهضب اليمنى على ستة أميال من ضرية على طريق البكرة إلى ضرية سماها النامية وأخرى بناحية شعبى بين ضرية وحفر بني الأدرم على سبعة أميال من ضرية على سبعة أميال من ضرية بواد يقال له فاضحة لأنه انفضاح أي انفراج واتساع بين الجبال ولما هلك ابن هشام، احتفر جعفر بن مصعب بن الزبير حفيرة إلى جنب حفيرة ابن هشام ونزلها بولده حتى مات فأقام ابنه محمد بمنزلة أبيه حتى خرج محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن فخرج مع محمد فلما قتل هب إلى البصرة ثم رجع إلى فاضحة وتزوج من بني جعفر ثم بني الطفيل فأولد عبد الله فزوجه ابنة القاسم بن جندب الفزاري وكان عالمًا من علماء العرب يترل بالنواء ، وكان القاسم لا يسير أبدًا ولم يكن حج قط ولا يكاد يقدم ضرية وأولاد عبد الله من ابنته في بقية من أموالهم بفاضحة، واحتفر عبد الله حفيرة إلى جنب حفيرة جده ودفن حفيرة ابن هشام وأخفى مكانها"الحفيرة البئر"واحتفر جرش مولى ابن هشام حفيرة على ميلين أو ثلاثة من حفر بني الأدرم وحفرة المساحقي سماها الجرشية ثم اشتراها

ناس من ولد رافع بن خديج الأنصاري وأحدثوا بقربها حفيرة بقطيعة السلطان فنازعهم محمد بن جعفر بن مصعب بحق بني الأدرم وكان من أشد الرجال فقاتلهم لوحده فأصابه رجلان منهم بفرعين خفيفين في رأسه فأخذهما أسرى حتى أقدمهما ضرية واستعدى عليهما الحسن بن زيد في المدينة فضربهما بالسياط ثم عفا عنهما واختصموا في الجرشية والحفيرة حتى قضى لبني الأدرم والمساحقي فكلمهم فلما كانت الفتنة أكتنهم لصوص قيس من كلاب وفزارة فلحقوا بطيء وناسبوهم فأمنا مدة ثم غارت عليهم لصوص طيء فتفرقوا وتركوا البادية وكانت بنو الأدرم وبنو بجير القرشيون قد كثروا بالحفر ثم وقع بينهم شر وكان جيرانهم من قيس يكرمونهم فلما تفاسدوا جعل بعضهم يهيج اللصوص على بعض فنهبهم بنو كلاب وفزارة وقتلوا بعض رجالهم فلحقوا بالمدينة وتفرقوا وقال عبد الجبار المساحقي لبني فزارة فيما فعلوا بالقرشيين:

مهلاً فزارة مهلاً لا أبالكم مهلاً فقد طال إعذاري والنذاري

في أبيات وكانت ضرية من مياه الضباب في الجاهلية لذي الجوشن الضبابي والد شمر " الذي قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما" وكانت سلمة الضباب يرون أن ذا الجوشن قال في الجاهلية:

دعوت الله إن سغبت عيالي ليجعل لي لدى وسط طعامًا
فأعطاني ضرية خير بئر تمج الماء والحب التؤاما

ووسط جبل على ستة أميال من ضرية يطأ الحاج المصعد خيشومة وبناحيته اليسرى دارة سعتها ثلاثة أميال أو أربعة وقنيع في أعلاها وهي بين

وسط وعسعس ويقال لها أيضًا دارة عسعس جبل أحمر مجتمع في السماء كهيئة رجل جالس له رأس ومنكبان وأما عين ضرية وسيحها فيقال: إنه كان لعثمان بن عنبسة بن أبي سفيان وهو الذي حفرها واغترس النخل وحفر بها حفيرة بالصخر ليتبجس الماء وهو سد يعترض الوادي فيقطع ماءه ويبجس زمانًا ليكون أغزر للعين فلما قام أبو العباس كان ذلك فيما قبضوا ففي آخر ولاية أبي العباس وكانت تحته أم سلمة المخزومية من بني جعفر بن كلاب وفد خالها معروف بن عبد الله عليه فأكرمه فسأله أن يقطعه عين ضرية فأقطعه وكان بدويًا ذا زرع فلما أرطب نخلها نزلها بأهله وكانت نعمه ترد عليه وسأله ناس من ضرية أن يعريهم من نخله فأعراهم وصار يجبي لتضيفان من الرطب ويحلب لهم من إبله فمكث نحو شهرين فأتاه ضيفان بعدما ولى الرطب فأرسل فلم يوت إلا بقليل وقال له الرسول:ذهب الرطب إلا ما ترى فقال: يسوءني أن أعود على ضيفنا من نخلكم وكان قيمة على العين زرع قثاء وبطيخًا فأتاه بشيء منه، فقال: قبح الله ما جئت به إحذر أن يراه عيالي؛ وكره النخل وأراد بيعه فاشتراه منه عبد الله الهاشمي عامل اليمامة بألفي دينار ثم ولاه جعفر بن سليمان إذ سأله إياه، فأحدث بسوق ضرية حوانيت جعلها سماطين داخلين في سماطي ضرية الأولين فيهما نيف وثمانون حانوتًا، فربما جمعت غلة الحوانيت والنخل والزرع ثمانية آلاف درهم في السنة وكان شأن الحمى عند ولاة المدينة عظيمًا كانوا يتعملون عاملاً وحده، وكانت إصابته فيه عظيمة وكان لحواطه سلطان عظيم وحواط كل ناحية سادة القوم وأشرافهم وكان يقال لعامل الحمى: عامل الشرف وأقرب أجبل الحمى للمصعد أي أقرب ما ترى من جباله جبل النشاء

على طريق البصرة أحمر مستطيل فيه ثنايا تسلك ومنه طريق البصرة بينه وبين إمرة خمسة أميال وهو في دار غني في ناحية هضب الأشق وبالأشق مياه منها لزبان في أصل جبل أحمر طويل ومن هضب الأشق هضبة في ناحية عرفج يقال لها الشيماء وفي غربي الأشق سواج، الطريق تطأ خيشومه.

ومتالع جبل أحمر عظيم عن يمين إمرة على ثلاثة أميال منها التناءة بينها من أكرم أعلام العرب موضعًا.

ولما ولي أبو خليد العبسي خال الوليد عمل ضرية نزلها وحفر جوف التناءة في حق غني حفيرة، فلما ولي بنو العباس هدمت غني تلك الحفيرة وسووها بالأرض، ولبني عبس ماء في شعب يقال له الأسودة ولهم بالحمى ماء يقال لها ضمم في أبسط رملة الحسى حسى بني حصبة ولهم الحساها نخل كثير ولهم مياه أخرى ثم الأقعس، ثم تليه هضبات تدعى قطيبات في إقبال البئر ثم يليها هضاب يقال لها العرائس في بلد كريم من الوضح في إقبال البئر أيضًا وبين العرائس جبل يقال له عمود الكور. (٣/ ١٠٩٩ / ١١٠٠/ ٢٦٠).

وحكى ابن جني في النوادر الممتعة عن المفضل بن اسحاق قال هو أو قال بعض المشيخة: لقيت أعرابيًا فقلت: ممن الرجل؟ قال: من بني أسد، قلت: فمن أين أقبلت؟ قال: من هذه البادية، قلت: فأين مكسنك منها؟ قال: مساقط الحمى حمى ضرية، بأرض ها، لعمر الله ما نريد بها بدلاً ولا عنها حولاً، قد نصحتها الغدوات وحفتها الفلوات، فلا يملولح ترابها، ولا يمعر جنابها، ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ولا حمى، فنحن فيها بأرفه عيش وأرغد معيشة، قلت وما طعامكم؟ قال: بخ ... بخ، عيشنا والله عيش يعلل جادي

وطعامنا أطيب طعام وأمرؤه وأهنأه، الفث والهبيد، والفطس، والصليب، العنكث، العلهز والذآنين والطراثيث والحسلة والضباب، وربما والله أكلنا القد واشتوينا الجلد فما نرى أن أحدًا أحسن منا حالاً ولا أخصب جنابا ولا أرخى بالاً فالحمد لله على ما بسط علينا من النعمة ورزق من حسن الدعة أو ما سمعت قائلنا يقول:

إذاما أصبنا كل يوم مذيقة وخمس تميرات صغار كوانز

فنحن ملوك الناس شرقا ومغربا ونحن أسود الناس عند الهزاهز

وكم متمن عيشنا لا يناله وعونا له أضحى به جد فائز

قلت ما أقدمك هذه البلدة؟ قال: بغية لية، قلت: وما بغيتك؟ قال بكرات أضللتهن، قلت : وما بكراتك؟ قال: أبقات عرصات هبصات أرنات أواب، عيط عوائط، كوم قواسج، أعزبتهن فقفي الرحبة رحبة الحرجا: ضجعن مني فحمة العشاء الأولى فما شعرت بهن إلى أن ترجل الضحى فقفوتهن شهر ما أحس لهن أثرًا، فهل عندك حالبة عين أو حابية خبر؟ لقيت المراشد وكفيت الحاسد. (٣/١١٠١/٢٦٠).

الموم بالضم البرسان، والفث بالفاء ثم المثلثة حب يعالج ويطحن ويؤكل في الجدب وهو السُّمْنح، والهبيد حب الحنظل ينقع في الماء ويعالج حتى يحلو والفطس بالسكون حب الآسي، والصليب آخره موحده الودك والعنكث بالمثلثة نبت خشن شائك يعالجه الضب بذنبه حتى يتحات ويلين ثم يأكله، والعلهز دم ووبر يلبك ويؤكل في الجدب والذآنين بالمعجمة جمع ذؤنون نبت معروف

والطراثيث بالطاء المهملة ومثلثين بينهما مثناة تحتية جمع طرثوث نبت أحمر والحسلة كقردة جمع حسل وهو ولد الضب، والعرص والهبص والأرن النشاط، أواب جمع آبية وهي التي ضربت فلم تلقح عيط عوائط بمعناه، وكوم قواسج سمان، وأعزبتهن بت عازبًا عن الحمى قفا الرحبة خلفها الحرجا موضع به حجارة فيها سواد وبياض ضجعن عدلن وملن حابية خبر أي طريق طارقة.

علاقة نجد بمن حولها

كانت نجد ترتبط بمن حولها من الممالك والأقوام والقبائل بعلاقات متعددة سياسية واقتصادية وتجارية واجتماعية على مر العصور وسنلقي الضوء عليها كما وردت في المصادر التاريخية ومن هذه العلاقات:

١- **عمان:** تبدو علاقة عمان بنجد علاقة اقتصادية بدرجة رئيسة وسياسية بصفة إسمية فقد بلغ ملك عبد عزبن معولة (ملك عمان قبل انبثاق الرسالة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام في بداية القرن السابع الميلادي) إلى اليمامة والبحرين وما والاهما: وكان له على أهل البحرين واليمامة إتاوة وهي الخراج المقدر عليهم وكان رسوله في قبضها من أهل اليمامة/ باقل بن شادي بن البحمد، وكان منزله إذا قدم اليمامة على عمرو بن عمرو الحنفي من أهل اليمامة، فقدم باقل في بعض مراته فأعجل أهلها بالإتاوة فأغلظ عليهم فيها وحبس منهم بشرًا كثيرًا في محبس له كان باليمامة يسمى محبس الهون وفيه قال مصعب بن عمر الحنفي:

ثمامة قادنا للحين جهرًا وعرضنا البلاء لعبد عز

(٨١/٣٥/١)

(وقد يكون ثمامة هذا هو جد هوذة بن علي بن ثمامة الحنفي وهوذة هو الذي كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم).

٢- **الرِّدَافَةُ:** لم يكن في العرب أكثر غارة على ملوك الحيرة من بني يربوع من تميم فصالحوهم أن يجعلوا لهم الردافة ويكفوا عن أهل العراق الغارات والردافة

أن يجلس الردف عن يمين الملك، فإذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس، وإذا غزا الملك جلس الردف موضعه وكان خليفته في الناس حتى ينصرف، وإذا أغارت كتيبة الملك أخذ الردف المرباع! وقد افتخر جرير وهو من بني يربوع بالردافة فقال:

ربعنا وأردفنا الملوك فظللوا وطاب الأحاليب الثمام المزعا

وكان أول من ردف منهم عتاب بن هرمي بن رياح اليربوعي ثم ابنه عوف بن عتاب ثم ابنه يزيد بن عوف على عهد المنذر بن ماء السماء فبعث الملك جيشًا إلى بني يربوع عليه قابوس وحسان إبناه لانتزاع الردافة منهم، والتقوا بطخفة فهزمت بنو يربوع جيش المنذر وأسروا إبنيه فبعث إليهم بألفي بعير فداء إبنيه وأقر الردفاة فيهم، وقال جرير في ذلك:

ويوم أبي قابوس لم نعطه المنى ولكن صدعنا البيض حتى تهزما

(٢١٣/٦٥١)

(فضلًا: أنظر وقعة طخفة في صدر هذا الكتاب).

٣-كان **هوذة بن علي** بن ثمامة بن عبد العزى بن سحيم بن مرة بن الدول الحنفي حاكم اليمامة من أهل مران يقال له ذو التاج الذي ألبسه إياه كسرى حيث يقوم بحماية القوافل التجارية الفارسية لكسرى حين اجتيازها بلاده في طريقها إلى اليمن، وقد قابل كسرى هوذة وتوجه وأقطعه أموالاً بهجر، وقد أسهم هوذة هذا في فك إسار مئة من بني تميم ممن حبسهم والي كسرى المكعبر

في البحرين (في حادثة المشقر) وبقى هوذة حتى البعثة النبوية حين وجه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة باسم ملك اليمامة.

٤- **بنو تميم**: وكان إسهام بعض بطون تميم في حماية القوافل الفارسية في طريقها إلى اليمن عبر اليمامة، وقد تضمن الوفد الذي سيره النعمان بن المنذر ملك الحيرة للقاء كسرى بعض أعيان اليمامة فكان منهم من بني تميم عضوان ومن بني عامر عضوان وكانت الردافة لبني يربوع، أما علاقة بني حنيفة بالمناذرة ملوك الحيرة فكانت غير جيدة فقد قتل......[1] الحنفي المنذر بن ماء السماء فغزاهم عمرو بن المنذر منتقمًا لأبيه، وتدخل علاقة اليمامة مع اليمن والبحرين ضمن صلاة اليمامة بفارس آنذاك، لأن اليمن والبحرين كانتا خاضعتين لفارس قبل البعثة النبوية، فالتميميون المنتفعون من مكافأة حراسة قوافل فارس من اليمامة إلى اليمن يسطون عليها عندما يحسون أن هناك تفكير في جعلها (أي المكافأة) خالصة لهوذة، وبنو يربوع من تميم يهزمون جيشًا للمنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ويأسرون أبنيه عندما أراد انتزاع الردافة منهم فيضطر إلى افتداء أبنيه بألفي بعير وإقرارهم على ردافتهم؛ (٢٦١/٥٨).

٥- إعطاء كسرى ملك الفرس أناسًا من بني شيبان قطائع في ريف العراق وعد ذلك (من الإشراف الذين تقطعهم الملوك).

٦- أما علاقة أهل مكة بأهل اليمامة فتبدو ذات طابع تجاري واقتصادي واجتماعي، فقد سكنها رجال من قريش لارتباط بهم تجاريًا لأنها ريف مكة.

(١) بياض في الأصل.

٢- ومن الأحلاف التي تربط قبائل نجد فيما بينها وبين قبائل قريش، ومن صور نجد: العلاقات الأحلاف التي تبقى تحت مظلتها بعض البطون الضعيفة بجانب القوية مثل:

١) اللهازم: وهم عنزة بن أسد ،عجل بن لجيم بن صعب بن وائل، تيم اللات، قيس أبناء ثعلبة بن بكر بن وائل كانوا جميعًا حلفاء.

٢) ضبة، عدي، عكل، تيم: حلفاء متجاورون في اليمامة.

٣) الرباب: وهم تيم، عدي، عوف، الأشيب، ثور، أطحل، وقيل،عدي، عكل، وضبة، وبنو عبد مناة بن أد بن طابخة سموا بالرباب لأنهم غمسوا أيديهم في الرب فتحالفوا على بني تميم. (٢٦١/٥١).

ومن الأحلاف التي تربط هذه القبائل بما حولها:

١- حلف بين بني عائذ بن لؤي بن غالب (من قريش) وبني ربيعة من ذهل بن شيبان.

٢- حلف ربط بين الفرافصة بن عمير بن ثعلبة باليمامة مع قريش.

٣- حلف بين بني عبد الدار (من قريش) والنباش بن زرارة التميمي.

٤- حلف بين بني مخزوم (من قريش) والحصين بن عبد الله التميمي.

٥- حلف بين بني نوفل بن عبد مناف (من قريش) وعلي بن منبه التميمي.

٦- حلف من بني نوفل بن عبد مناف (من قريش) وسويد بن ربيعة التميمي.

ولم يتوقف الأمر على الأحلاف وإنما تعداه إلى المصاهرة بين قريش وسكان اليمامة، فهؤلاء حنفيون تزوجوا قرشيات:

١- جبلة بن ثور الحنفي تزوج بكبشة بنت الحارث بن كريز بن عبد شمس ثم تزوجها بعده مسيلمة الحنفي.

٢- أبو هالة هند بن العياش التميمي تزوج خديجة بنت خويلد رضي الله عنها قبل زواجها برسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- عزيز بن قيس التميمي تزوج بفاختة بنت عامر بن نوفل بن عبد مناف.

٤- صفوان بن أسيد التميمي تزوج بدرة بنت عمرو بن هشام (أبي لهب).

٥- حنظلة بن مالك بن زيد التميمي تزوج جندلة بنت فهر بن مالك بن النضر.

٦- حنظلة بن الربيع التميمي تزوج بنت نوفل بن عبد المطلب.

أما القرشيون الذين تزوجوا بعاميات فمنهم:

١- المطلب بن عبد مناف تزوج بنت الحارث بن سليط اليربوعي التميمي.

٢- عبد شمس بن عبد مناف تزوج بعجة بنت عبيد بن رواس من بني عامر بن صعصعة ثم تزوج عُلَيّة بنت جندل التميمية.

٣- نوفل بن عبد مناف تزوج فكيهة بنت جندل التميمية.

٤- هشام بن مغيرة المخزومي تزوج أسماء بنت مخرمة التميمية وهي أم عمرو بن هشام (أبي جهل) وتزوج ضباعة بنت عامر القشيرية.

٥- عبد الله بن جدعان تزوج ضباعة بنت عامر قبل هشام وبعد هوذة الحنفي.

٦- علي بن أبي طالب رضي الله عنه تزوج بخولة بنت جعفر بن قيس من بني حنيفة.

٧- عمرو بن هشام(أبو جهل) تزوج أم مجالد بإحدى نساء بني هلال بن عامر وهي أم عكرمة بن أبي جهل.

٨- أمية بن خلف تزوج بنت خلف التميمية.

٩- الحارث بن الحكم بن العاص تزوج بنت الزبرقان بن بدر (٢٦١/٥٥).

وعندما اعترض القرشيون ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدول ملك اليمامة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم طالبين منه من دخول مكة عند إسلامه منع منهم حبوب اليمامة، فقال ثمامة قولته المعروفة: ولا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً فجهدت قريش وكتبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا يتضح أن هذه العلاقات كانت قائمة على علاقات تجارية وأحلاف قبلية وسياسية ومصاهرات أسرية لها خلفية منفعية(٥٧-٥٨/٢٦١).

أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد (الثائر) بن موسى (الثاني) بن عبد الله بن موسى (الجون) بن عبد الله (المحض) بن الحسن (المثنى) بن الحسن (السبط) بن علي بن أبي طالب ﷺ خرج أبو الفتوح ثائراً على العبيديين (الفاطميين) بعد أن إرسلوا إليه سجلاً ينتقص فيه الصحابة رضي الله عنهم وبعض أزواج النبي ﷺ وأمروه أن يأمر الخطيب أن يقرأه على المنبر في موسم الحج فلما شرع الخطيب يقرأه زحف الناس عليه بالعصي والحجارة وكسروا المنبر، خرج أبو الفتوح لهذا السبب وخلع طاعة الحاكم العبيدي وبايع الناس لنفسه وخطب بالناس وذلك سنة ٣٩٥ هـ ١٠٠٤م ثم خرج من مكة

يريد الشام فدانت له العرب وسلموا عليه بالخلافة وظهر العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،فانزعج منه الحاكم في شأنه، ففرح الحاكم بذلك ورضي عن أبي الفتوح وأبقى له ملك مكة والياً عليها وفي مدة غيبة أبي الفتوح عن مكة تغلب عليها أبو الطيب (السليمانيون) فلما عاد أبو الفتوح تنحى أبو الطيب ، وأبو الفتوح شاعر ومن شعره الذي جاء بكتاب دمية القصر:

وصلتني الهموم وصل هواك وجفاني الرقاد مثل جفاك

وحكى لي الرسول أنك غضبي يا كفى الله شر ما هو حاكي

ولم يزل أبو الفتوح واليًا على مكة حتى توفي عام ٤٣٠هـ ١٣٠٨م فمدة ملكه ٤٣ سنة ثم ولي مكة بعد أبي الفتوح ابنه شكر الملقب تاج المعالي، وكان جوادًا عظيم القدر، وفد عليه بعض العرب وكانت تحت العربي فرس مشهورة عجيبة الخلق فأعجب الشريف شكر بها لكن لم يسعه طلبها من العربي لكونه نزل ضيفًا عنده، فلما رجع العربي إلى أهله أرسل إليه الشريف بعض قواده بمئة دينار وقال له إنزل عليه في بعض الطريق واشتر منه الفرس لك لا لي ولا تذكرني له، فأدرك القائد العربي في بعض المنازل فنزل عليه، فلما عرفه أكرمه وفرح به فأتاه بعد ساعة بلحم فأكل ونام فلما أصبح ذكر له ما جاء له من جهة الفرس، وأنه يريد شراءها منه، فأتاه العربي بجلدها وأكرعها، وقال: لما نزلت علينا البارحة، كرهنا ألا نذبح لك فما وجدنا غير الفرس فذبحناها وكانت ضيافتك من لحمها، فشكر له القائد ذلك وأسلمه المئة دينار ورجع إلى الشريف شكر وأخبره بالخبر، فقال: أحسنت ولو رجعت بالدراهم لألحقتك

الفرس واستمر الشريف شكر إلى أن توفي سنة ٤٥٣ أو ٤٦٤ هـ ١٠٦١ أو ١٠٧١ وشكر له شعر حسن منه:

قوض خيامك من أرض تهان بها وجانب الذل إن الذل يجتنب

وارحل وإن كان في الأوطان منقصة فالمندل الرطب في أوطانه حطب

وقيل أن ملكه كان ٢٣ سنة جمع بين ملك مكة والمدينة بين محاربة بينه وبين بني حسين ولم يخلف بعده إلا بنتًا فولى الأمر بعده (غلاماً له) فغضب لذلك بنو الطيب فانتزعوا الملك منه، وجاء في كتاب عمدة الطالب أنه لما توفي شكر بقيت مكة شاغرة فملكها حمزة بن وهاس بن أبي الطيب من السليمانيين. (١٧-١٩-١٠٤).

وفي رواية أخرى تقول في حدود عام ٤٠١- ٤٠٣ هـ ١٠١٠ - ١٠١١م هرب أبو القاسم الحسين بن علي المغربي من مصر والتجأ إلى حسان بن مفرج بن دغفل أمير طيء من مدينة الرملة التي استولى عليها وأصبح أبو القاسم هذا مستشارًا لآل الجراح، وأخذ يحرضهم على الفاطميين وتعيين أمير مكة خليفة فإنه لا يطعن بنسبه فكان له ما أراد، ومن ثم ذهب أبو القاسم الحسين بن علي المغربي إلى مكة وبايع أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلوي خليفة وبايعه بنو حسن ثم قدم في صفر سنة ٤٠٣ هـ ١٠١٢م إلى الرملة ونزل بدار الإمارة وركب يوم الجمعة والمفرج وأولاده وسائر أمراء طيء مشاة بين يديه حتى دخل المسجد، وهناك تمت له البيعة وسمي أمير المؤمنين ولقب الراشد لدين الله وضربت السكة باسمه، وقد أقلق هذا الأمر الخليفة الحاكم بأمر الله

(الفاطمي) فبذل الأموال والإقطاعات لحسان بن المفرج ليقنع والده بالتخلي عن أمير مكة بعد أن استنفد العرب جميع الأموال التي قد أحضرها معه، عند ذلك أعيد الراشد لدين الله إلى بلاده حيث عاد إلى طاعة الفاطميين بعد أن اعتذر عما كان منه في الوقت ذاته أرسل حسان إلى الخليفة (الفاطمي) في مصر يسأله بتنفيذ ما وعد به فأجابه بالموافقة عليها جميعًا من إقطاع وتقرير وإمضاء وكتب له أمانًا بخط يده لكن الحاكم نكث بالوعود التي قطعها على نفسه ونتج عن ذلك ثورة طيء من جديد وتغلبها على البلاد ومصادرتها للناس، وقد استمرت سيطرة طيء هذه المرة مدة سنتين وخمسة أشهر حتى أرسل الفاطميون جيشًا كبيرًا لمحاربتهم، وعندما سمع أمراء طيء بمقدم ذلك الجيش هربوا إلى البرية (إلى بلاد الجبلين) (٤٩/٣٢).

وفي رواية ثالثة: اتفق بنو الجراح سنة ٤٠١ هـ ــ ١٠١٠م على استدعاء أبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسيني أمير مكة ليبايعوه بالخلافة وأوفد إليه الوزير أبا القاسم المغربي ليغريه بالخروج على الحاكم بأمر الله (الفاطمي) كما حثه على الخروج إلى الرملة إجابة لدعوة حسان بن المفرج بن الجراح الطائي؛ فرحب الأمير أبو الفتوح بهذه الدعوة وأقام الخطبة لنفسه وتلقب بالراشد بالله ثم سار من مكة قاصدًا الرملة وبصحبته أبي القاسم المغربي وبعض أنصاره من القبائل العربية؛ فلما اقترب من الرملة تلقاه حسان بن المفرج بن الجراح وأولاده وسائر وجوه العرب بالترحاب وبايعوه بالخلافة، ونزل أبو الفتوح في دار حسان ونادى في الناس بالأمان وأقيمت له الخطبة في كثير من بلاد الشام (٤٥/٢٥٢) ولما بلغ الحاكم بأمر الله الفاطمي نبأ خروج أبي الفتوح أمير مكة عليه ومبايعة

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

بني الجراح له بالخلافة، بعث بحملة إلى فلسطين للقضاء على هذه الحركة، غير أن هذه الحملة حلت بها الهزيمة واستفحل نفوذ بني الجراح وبسطوا على جنوب بلاد الشام فعمد الخليفة الحاكم بأمر الله (الفاطمي) إلى استمالة حسان وأبيه مفرج وغيرهما من وجوه طيء بالأموال التي بذلها لهم فانحرف بنو الجراح عن الأمير أبو الفتوح بخذلانهم إياه وعدولهم عن رأيهم في العمل على تقوية نفوذه؛ ذهب إلى مفرج وأخبره بانصراف أولاده عن تأييده، وقال له: أريد أن تبعث معي من يوصلني إلى مكة ولا تحرجني، فبعث معه جماعة من طيء ولم يزالوا معه حتى بلغ مكة سنة ٤٠٣ هـ ــ ١٠١٢م فتلقاه أتباعه وكاتب الحاكم بأمر الله الفاطمي واعتذر إليه فقبل عذره وعفا عنه وأعاده إلى إمارته بمكة، وعمل الأمير أبو الفتوح منذ عودته إلى مكة على إقامة الدعوة للحاكم بأمر الله ثم نقش اسمه على السكة،وظل بنو الجراح متغلبين على بعض نواحي بلاد الشام حتى سنة ٤٠٤ هـ ــ ١٠١٣م (٤٦/٢٥٢) عندما خرج أبو الفتوح الحسن وأراد الاستقلال بنفسه وغادر مكة إلى الرملة بفلسطين طلبًا للخلافة التي يرى أنه أحق بها من الفاطميين فاتخذ الخليفة الحاكم الفاطمي عددًا من التدابير لمواجهة أبي الفتوح كان من بينها إسناد إمارة مكة إلى أبي الطيب داود بن عبد الرحمن (السليماني ممن يقيمون بجازان) وقد ترك أبو الفتوح أحد أقاربه لينوب عنه في إمارة مكة، فأنفذ الحاكم إلى أبي الطيب مالاً وثيابًا، فسار أبو الطيب ومن انضوى إليه من بني عمه في جازان فنازل نائب أبي الفتوح بمكة واستولى عليها ونجح في صرف العرب عن طاعة أبي الفتوح والدخول بدلاً من ذلك في طاعة الحاكم بأمر الله الفاطمي؛ غير أن أبا الفتوح لم يلبث أن سوى أمره مع الحاكم

الفاطمي منهيًا بذلك أطماع أبي الطيب السليماني الذي تلاشى أمره في مكة (٣٦/٣٧).

وبعد وفاة حاكم مكة الموسوي تاج المعالي شكر بن أبي الفتوح عام ٤٥٣ هـ ـ ١٠٦١م دون أن يخلف ولدًا ذكرًا يتولى مقاليد الإمارة في مكة فالت الأمور حينذاك إلى أحد (غلمانه) فانتهز بنو الطيب (السليمانيون) الفرصة وتوجهوا إليها بقيادة محمد بن أبي الطيب حيث انتزع مكة ونصب نفسه أميرًا عليها وملكها وهو حمزة بن وهاس بن أبي الطيب ثم قامت الحرب بين الموسويين والسليمانيين قريبًا من سبع سنوات ثم خلصت للأمير محمد بن جعفر بن عبد الله بن أبي هاشم ولم يملكها من السليمانيين سوى حمزة بن وهاس، وفي تواريخ أخرى أنه ملكها منهم أربعة منهم أبو الطيب ومحمد بن أبي الفاتك (٣٦/٣٨) وبعد وفاة الأمير عيسى بن فليته عام ٥٧٠ هـ ـ ١١٧٥م تولى أمرة مكة ولده داود بعهد منه ولكن الخليفة المستضيء (العباسي) لم يرض عنه رغم صلاحه وعدله وحرض بعض الخارجين عليه للإطاحة به ونجحوا في طرده من مكة سنة ٥٧١ هـ ـ ١١٧٦م فلجأ إلى وادي نخلة ونودي بأخيه مكثر بن عيسى أميرًا على كل مكة وتمكن مكثر من تكوين جيش وحصن نفسه مما أغضب عليه الخليفة العباسي المستضيء فأرسل إليه الأمير طاشتكين وأمده بقوة عسكرية كبيرة وبما يحتاجه من السلاح وعندما علم الأمير مكثر بقدومهم لعزله جمع ما استطاع جمعه من الأشراف والأعراب واستعد للقتال ولم يحج من أهل مكة في ذلك العام إلا القليل وخالف مناسك الحج إذ بات الحجاج في عرفة بدلاً من مزدلفة (٩١/٧٦٠) تولى مكثر الإمارة عام ٥٧٢ هـ / ١١٧٧م وقد

نزعه أخوه داود وأصبحا يتبادلان الأمرة واستمر هذا الوضع حتى عام ٥٨٧ هـ / ١١٩١م وكان داود سيء السمعة والأخلاق حيث قام بالاستيلاء على أموال الكعبة ولم يكتف بذلك بل انتزع طوق الفضة الذي كان يلم شعث الحجر الأسود، ولما علم السلطان صلاح الدين الأيوبي غضب غضبًا شديدًا وأرسل مع أمير الركب يأمره بعزله وتوليه أخيه مكثر بدله، وانفرد مكثر بحكم مكة وكان آخر الحكام الهاشميين الذين جاء من بعدهم بنو قتادة عام ٥٩٧ هـ ـ ١٢٠١م (٩١/٧٧).

حركة القبائل العربية

لقد حدثت زعزعة عنيفة للقبائل العربية في الجزيرة العربية وبصفة خاصة في منطقة البحث نجد في فترة امتداد سلطة القرامطة في القرن الرابع الهجري إلى حوالي منتصف القرن الخامس الهجري، العاشر والحادي عشر الميلاديين وحصل تحت هذه الظروف تكتل بعض القبائل وتشرذم بعضها وذوبان البعض الآخر أو جلاء غالبية بطونها إلى خارج الجزيرة العربية كما سبقت الإشارة إلى ذلك في مكان آخر، هذا التخلخل في بنية الكيانات القبلية كان له أثرًا كبيرًا سلبًا على بعض القبائل وإيجابًا على بعضها الآخر، فالذين عارضوا القرامطة في مذهبهم وسياستهم إما أن تكون قد خرجت شوكتهم من الجزيرة العربية ومن نجد بالذات وبقي منهم من انضم إلى الكيانات الأخرى التي تكونت تحت ظل القرامطة فقد أرهقته الأتاوات التي فرضوها عليه، أما من كان أثر القرامطة عليه إيجابيًا فهي تلك القبائل التي انضوت تحت لواء القرامطة، إما إتقاء لشرهم أو طمعًا في المكاسب التي يجنيها أفرادها أثناء حروبهم مع القرامطة، وقد لامني أحد الأخوة بعد صدور الجزء الثاني عندما تحدثت عن انضمام بعض القبائل العربية إلى الحركة القرمطية لاختلاف المذاهب بينهم قائلاً: إنه من غير المعقول أن تنضم القبائل العربية إلى الحركة القرمطية لاختلاف المذاهب بينهم، ولأن العرب تأبى شهامتهم ومروءتهم أن يكونوا أداة حربية بيد القرامطة (يعني مرتزقة بلغة الزمن الراهن) فأجبته أنه قد ثبت تاريخيًا من عدة مصادر أن بعض القبائل العربية قد انضمت إلى الحركة القرمطية ليس حبًا في مذهبهم او اعتناقه، ولكن

الدافع وراء ذلك إما اتقاء لما يفرضونه على مناوئيهم من الإتاوات والضرائب وما يلحقهم من الأذى أثناء جبايتها وحبًا للكسب المادي تحت راية هذه الحركة المموجة التي شملت الجزيرة العربية من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها مرورًا في منطقة البحث حيث اتجهت هذه الحملات غربًا إلى الحرمين الشريفين ووصلت إلى مصر وجنوبًا حتى طرقت أبواب صنعاء وفي الجنوب الشرقي حتى بلغت عمان وشمالاً حتى وصلت البصرة والكوفة ودمشق وفلسطين هذه الصولات والجولات استمرت أكثر من قرن ونصف أي حوالي ١٧٠ سنة مما سنراه في مواضع أخرى من هذا الكتاب من معلومات مستقاة من مصادر متواترة هذه الفترة من الزعزعة والاضطراب قد أثرت أثرًا بالغًا في القبائل العربية، سيما وأن قيادة هذه الحركة لم يكن قوامها قبليًا بحيث يعزز من تماسك القبيلة ويشد قوتها، بل كانت قيادة الحركة مذهبية بحتة وقوام القبيلة هامشيًا تابعًا للقوام المذهبي ولذلك حصل فيه الوهن والتفكك ونتيجة للتذبذب في مواقف بعض القبائل العربية تحت تأثير الطمع حينًا وتقلب الأهواء أحيانًا أخرى فقد تفاوتت نظرة المؤرخين للقبائل العربية بعد هذه الفترة فالمؤرخ عبد الرحمن بن خلدون يقول: إن العرب إذا تغلبوا على الأوطان أسرع إليها الخراب والسبب في ذلك أنهم أمة وحشية، وتعتبر القبيلة الوحدة الاجتماعية التي يقوم عليها النظام البدوي، وهي عادة تتكون من العرب الصليبة "الأقحاح وهو العنصر الغالب في أفرادها ومن الحلفاء الذين ينضمون إليها (٣٦/٦٧).

ويقول الهمداني وهو المصدر الرئيس لأخبار العمري (نسبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه) عن البدو في وصف طبيعة دور الأعراب بين الصليبيين

والأيوبيين والمغول والمماليك: أما في الوقائع فكنت أراهم دائمًا مع الغالب إلا في وقعة حمص سنة ٦٨٠ هـ ـ ١٢٨١م بين المماليك والمغول أيام قلاوون فقد وقف الأعراب مع المماليك وكانوا سبب النصر. (١١٧/ ٣١).

ويعتبر العمري من أحسن المؤرخين نظرة للقبائل العربية وأكثر إنصافًا لهم من سواه ذلك لإدراكه لنفسياتهم وما يعانونه من الآلام في ظل حكم المماليك.

وقد تحركت القبائل العربية حركة نشطة مع الفتوح الإسلامية إلى الأمصار العربية وفي العهد الأموي دخل موضوع التحيز إلى أحد الجذمين الرئيسين القحطاني والعدناني مما جعل الولاة الأمويين يحاولون إيجاد التوازن بين هذين الجذمين فمن ذلك أنه : في زمن خلافة هشام بن عبد الملك ١٠٥- ١٢٥ هـ ٧٢٣- ٧٤٢م طلب عبد الله بن الحبحاب عامل الخراج في مصر إلى الخليفة هشام أن يأذن له في تسيير جماعات من قيس عيلان إلى مصر وذلك لحفظ التوازن بين القبائل القحطانية والعدنانية فإذن له في إلحاق ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم إلى مصر على أن ينزلوا بالفسطاط فبعث ابن الحبحاب إلى بوادي نجد يستحث أفواجًا منهم للهجرة وقد حدث ذلك بين سنتي ١٠٩- ١١٤ هـ ٧٢٧-٧٣٢م وأنزلهم في بلبيس واستمرت أفواجهم تترى إلى ما بعد زمن ابن الحبحاب (٥٥/١٠٠) وفي ولاية الحوثرة بن سهل الباهلي عام ١٢٨ هـ ٧٤٥م وفي سنة ١٥٣ هـ ٧٧٠م أحصى عددهم فوجدوا ٥٢٠٠ أهل بيت صغيرًا وكبيرًا وقد حدث في آخر عهد المتوكل ٢٣٢-٢٤٧هـ ٨٤٦-٨٦١م أن هاجرت إلى مصر جموع كثيرة من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان

وكانوا ينزلون اليمامة فلما هاجروا إلى مصر استقر فريق منهم حول بلبيس في الحوف الشرقي أما الغالبية منهم فقد وصلوا رحلتهم جنوبًا إلى الصعيد الأعلى ومعهم أسرهم، ويقول اليعقوبي: وأكثر من بالعلاقي قوم من ربيعة ومن بني حنيفة من أهل اليمامة انتقلوا إليها بالصالات والذرية، ويروى المسعودي ٣٣٢ هـ ٩٤٣م وسكن تلك الديار (يعني أعالي الصعيد) خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وأشتدت شوكتهم وتزوجوا من البجة فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعة وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مصر ممن سكن تلك الديار(٥٥/١٠٦).

تبدأ مواطن البدو حيث تنتهي المدينة وقراها وغالبًا ما يكون هؤلاء الفلاحون في محيط المدينة في الأصل بدوا مثل آل فضل من عشائر القبيلة اليمنية طيء، ولعل حركة القرامطة كانت من أهم القوى التي لها علاقة مباشرة بحركة القبائل العربية أثناء القرن الرابع الهجري- العاشر الميلادي، فقد شاركت قبائل شرق الجزيرة العربية ونجد وبادية الشام في حروب القرامطة منذ نهاية القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي كما مر بنا في موضع آخر نتيجة اعتناق بعضها مذهب القرامطة مثل بطون من كلب ولكن معظم تلك القبائل قد وجدت في هذه المشاركة مجالاً لتحقيق مكاسب مادية، ومن هذا النوع قبيلة طيء التي أسهمت إسهامًا فعالاً في حروب القرامطة خاصة ومن معهم من طيء يشكلون جزءًا هامًا من جيش القرامطة والذي كان عليه اعتمادهم (كما جاء في تاريخ دمشق)هذه المشاركة من جانب طيء هي التي أدت إلى قيام الإمارة الطائية، ومع أن المصادر تشير إلى وجود قبيلة طيء في بلاد الشام

الجنوبية قبل هذا الزمن، إلا أنه لا علاقة بين هؤلاء وبين آل الجراح الذين قدموا من نجد (بلاد الجبلين) وكانوا عند انهزامهم في حروبهم يعودون إلى برية نجد (الجبلين في منطقة حائل) فعندما استولى القرامطة سنة ٣٦٠ هـ ـ ٩٧١م على الرملة (بفلسطين) عينوا فيها قائداً منهم ومعه دغفل بن الجراح الطائي وجماعة من الأخشيدية والكافورية ومنذ ذلك التاريخ ارتبطت أحداث الأقسام الجنوبية من بلاد الشام ولمدة تزيد عن قرن من الزمن بآل الجراح أمراء طيء وأدى إلى قيام الإمارة الطائية وتغلبها على معظم بلاد الشام إلى قيام علاقات بينها وبين القوى التي كان لها أثر في أحداث بلاد الشام (٣٢/٤٥).

وفي مطلع القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي قدم بنو خفاجة من الجزيرة العربية وتوغلوا في العراق حيث تمكنوا في أواخر القرن المذكور من السيطرة على منطقة الكوفة وتهديد قوافل الحج وسائر مناطق العراق، وقال المؤيد صاحب حماة: وهم (يعني بني خفاجة) أمراء العراق وكان لهم بادية العراق دولة، وقال الحمداني: في القرن السابع الهجري وفد على الظاهر بيبرس بعد كسر الخليفة المنتصر بمصر وكان كبير جماعتهم (يعني خفاجة) خضر بن بدران بن مقلد بن سليمان بن مهارش الصادي وشهري بن احمد الخفاجي في أشياخ منهم مقبل بن سالم وعياش بن حديثه ووشاح وغيرهم فأنعم الملك الظاهر عليهم فكانوا عوناً على التتر (١٤٩/٢٤٠).

أما بنو أسد فقد وصلوا إلى العراق في القرن الثالث الهجري- التاسع الميلادي فأسسوا في الحلة الإمارة المزيدية التي اضطر البويهيون للاعتراف بها عام

٤٠٣ هـ ـ ١٠١٣م والتي استطاعت السيطرة حتى أواخر القرن الخامس الهجري على مناطق الكوفة وواسط والبصرة وهيت وتكريت.(١٥/ ٢٤٠).

وقال الحمداني: عن تعاون ثعلبة من طيء مع الأفرنج: وكانوا يعني بني شمجي وبني قمران وبني حبان وبني جابر ويعرفون بالحريث جماعة من جماعة بني بدران من طيء متفقين مع ثعلبة بالشام يداً مع الإفرنج على المسلمين فلما استولى السلطان صلاح الدين علي البلاد جاءت ثعلبة وطائفة من جرم إلى مصر وهم ثعلبة بن عمرو بن الغوث، وثعالب طيء ثلاث ثعلبة بن عمرو - ثعلبة بن ذهل - ثعلبة بن جدعاء غير أن المقريزي يرى غير ذلك بقوله: اما عصر الأيوبيين فقد كان عصر بطولات مثل فيها العرب دوراً هاماً في الدفاع عن البلاد العربية ضد الصليبيين وكانت في جيش صلاح الدين من عشائر من العرب تحالف لقتال الأفرنج وكان لقبائل طيء والتي لمع إسمها أيام الفاطميين فضل كبير في محاربة الصليبيين فأراد صلاح الدين أن يكافئهم فنقل منهم جرماً وثعلبة إلى الحوف الشرقي وأسكنهم مساحات واسعة في أرض جذام في الجانب الشرقي من الحوف (جانب النيل الشرقي)،(١١٧/٥٥).

وقد أخذت القبائل العربية في السيطرة على المناطق القريبة من مراكز تجمعها وجعلتها جزءاً من مناطق نفوذها حيث:

١- بسط بنو عامر وخفاجة من عقيل على بادية البصرة وأصبحوا مصدر قلق للخلافة العباسية والمناطق المجاورة ولهم خاصة طريق الحج العراقي التي كانت تمر في مناطقهم.

٢-أنشأ بنو أسد إمارة لهم في المناطق الواقعة بين البصرة والكوفة إلى الشرق والغرب عن الفرات وأصبح لهذه الإمارة دوراً بارزاً في الحياة السياسية للخلافة العباسية(زمن البويهيين والسلاجقة).

٣-استولى بنو عقيل بن عامر على أغلب الجزيرة الفراتية وامتد نفوذهم جنوباً حتى الكوفة وشمالاً بغرب حتى حدود حلب التي كانت لا تزال بيد الحمدانين.

٤-قامت إمارة بني كلاب على أنقاض الإمارة الحمدانية في حلب وأصبحت هذه القبيلة من أشهر قبائل شمال الشام زمن الزنكيين والأيوبيين.

٥-سيطرت قبيلة طيء على القسم الجنوبي من بلاد الشام (ومشارف الجزيرة العربية) وصار لها شأن كبير في أحداث المنطقة بعد ذلك (٤٣-٣٢/٤٤).

دخلت قبائل عقيل العقيق (وادي الدواسر) ٧٨٠هـ ١٣٧٨م بقيادة سعد بن مبارك العصفوري العامري وذلك من أجل السيطرة على جنوب نجد وإلحاقها بدولة بني جروان وانضم إلى سعد قبائل متعددة أهمها بنو خالد المخزومية الذين منهم بنو جبر أمراء نجد والأحساء فيما بعد وتمركز سعد بقواته في (البدع) في الوادي، (٦٢/٣٨).

يقع جبلا أجأ وسلمى المعروفان بجبلي طيء (وإلى الجنوب عنهما جبل رمّان) على الطرف الشمالي لهضبة نجد والحد لصحراء النفوذ الكبير ومن أهم المراكز التي كانت على طريق الحج العراقي وقريباً من جبل طيء (مدينة فيد) فقد كانت المكان الوحيد الذي يستقل بالعمارة، والأهل بالسكان طول السنة وتكثر فيها الأسواق خاصة في موسم الحج كما كانت مركز العامل (الوالي) في

زمن قدامة بن جعفر مؤلف كتاب الخراج في القرن الثاني الهجري أما أهلها فقد كانوا بادية من طيء (٣٢/٢٤).

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي بدأت حركة من نجد باتجاه الشمال الشرقي فخرجت قبيلة أسد نحو العراق واستولت طيء على المواطن التي تركتها، وحوالي نهاية القرن الثالث الهجري بدأت حركة القرامطة بالاتجاه نحو العراق والشام وبسبب هذه الحركة خرجت معظم قبيلة عقيل من نجد إلى الجزيرة الجنوبية من بلاد الشام وتمكنت هذه القبائل من تأسيس إمارات خاصة بها فقامت إمارة بني أسد في الحلة غربي الفرات وإمارة عقيل في الجزيرة الفراتية الموصل وما إليه وإمارة طيء في فلسطين والأردن وإمارة كلب في دمشق وما حولها وإمارة كلاب في حلب وما حولها. (٣٢-٣٢/٣٣).

وكان يسكن بادية السماوة من دومة الجندل (الجوف) إلى عين التمر قبيلة كلب، أما القبائل التي كانت على طريق الحج العراقي وبعضها من حدود نجد حتى جبال السراة فقد كانت كثيرة فأشهرها من الكوفة باتجاه نجد وشمال الحجاز ما يلي:

بنو أسد حتى البطان من محطات الطريق، وطيء التي كانت مواطنها من وادي القرى في شمال الحجاز حتى أطراف اليمامة والبحرين ثم عبس من قيس عيلان ثم بني سليم بن منصور وإلى الشمال الغربي من سليم كانت تقطن بعض بطون طيء (٣٢/٣٤) وجاء في كتاب الأمكنة لمؤلفه نصر بن عبد الرحمن الإسكندري مخطوطة بالمتحف البريطاني (جزء عن الربع الخالي) تحت رقم

٢٣٦٠٣ ورقة ٤١ (وقد طبع الكتاب)عن رمل (الجزء) بين الشحرويين طوله مسيرة شهر نحلة أفناء القبائل من اليمن ومعد وعامتهم من أبناء خويلد بن عقيل، وفي عام ٧٨٥ هـ ١٣٨٣م تحركت قبائل من نجد إلى أطراف عسير بقيادة ربيعة بن الفضل أمير قبائل بني لام واحتلت بيشة وتوغلت في بلاد شمران وكان ربيعة بن الفضل بن الحجي أكبر زعماء نجد يومذاك قد اتخذ من بيشة قاعدة له وتمركز فيها وكانت تلك القبائل التي يقودها لفيف من قبائل عنزة ومطير وتميم وعقيل وغيرها وعلى رأسها من قبائل لام، وكانت سيادة بني لام على نجد كلها (٦٢/٣٣).

سارت محارب (بن خصفة بن قيس عيلان من العدنانية) حتى نزلوا أعجاز أجأ وكانت منازل بني بولان وجرم (من طيء) بأموالهم فخافت طيء أن يغلبوهم عليها فقال حاتم الطائي يحضهم:

أرى أجأ من وراء الشقيق والصهو ... زوجها عامر

وقد زوجوها وقد عنست وقد ... أيقنوا . أنها عاقر

فإن يك أمر بأعجازها فإني ... على صدرها حاجر

وكان عامر بن جوين بن عبد رضا بن قمران بن ثعلبة بن حيان وهو جرم بن عمرو بن الغوث من طيء وكان سيدًا شريفًا فارسًا نزل به أمرؤ القيس في هرب وأراد عامر الغدر به فتحول عنه قد جاء عامر هذا بمحارب فأنزلهم بأجأ فكانت زوجها.

قال ابن الكلبي : ذكروا أن عامر بن جوين حالف محاربًا فأدخلهم الجبل فقاتلوا بني بولان، وبولان هو غصين بن عمرو وأخوه ثعلب بن عمرو فأصابت محارب منهم أناسًا فقالت عاصية البولانية:

أعاصي جودي بالدموع السواكب ... وبكي لك الويلات قتلى محارب

فلو أن حيا قتلونا عمارة ... من السروات والرؤوس الذوائب

صبرت لما يأتي به الدهر عامدًا ... ولكنما آثارنا في محارب

قبيل لئام إن ظفرنا عليهم ... وإن يغلبونا نلقهم شر غالب

(٢٠٦-٢٠٧/١٢٠)

وقال حاتم من قصيدة يستحث بها طيء على محاربة محارب مطلعها:

أهاجك نصب أم بعينيك عائر ... إلى الصبح لم ترقد فيومك ساهر

أحاذر يومًا أن تسير قبائل ... تورث شنؤ بينهم وتظاهـــــر

إلى أن قال:

ألا هل أتى قومي بأن محاربًا ... تدبر منها الصهو باد وحاضر

رحلت بلا جار مباءة نبتل ... وحلت جديات وحلت مضاجر

فأرسلت الأشوال غربي بواعة ... عزين وترعى بالرداه العشائر

وهم سلبوا زيدًا غداة قراقر ... رواحله والموت بالناس حاضر

فلم يغن زيداً يوم ذلك نفره ... وأفلتهم يعدوبه ثم ضامر

فأين بنو العلات إني عهدتهم إذا ما انتدوا فيهم ندى وبوادر

وأين بنو هند ألاحي منهم فيسعوا على ماكان قدم عامر

وأفي بني العلات عنا وحارثًا عشائر تحوي خلفهن الأباعر

وحنوا إلى فَثُّ بجني بسيطة كما حن للأكلاء نيب صوادر

الجدير بالذكر أن الصهو جبل يسمى الآن العصام وبه أودية تقع إلى الغرب من أجأ منفصلة عنه وتبتل يطلق على جبلين أحدهما إلى الغرب عن أجأ والثاني إلى الشرق عن أجأ وهو إلى جبل رمان أقرب إذ هو في جزئه الغربي وكلاهما صغير (جبيل) يعني جدية ماء بقرب جبل لا يزال معروفًا في غرب أجأ، ومصاحر كما جاء عند نصر بن عبد الرحمن الاسكندري هضاب فيها مصانع (للمياه) لبني جوين وبني صخر من طيء (٢٦٢-٢٦٣/١٢٠).

إستطاعت طيء أن تطرد قبيلة محارب وتفرقوا بعد نزوحهم من أجأ فيما حوله ويغلب على الظن أن من بقايا قبيلة محارب من لا أسميهم إلا بما يرضونه إسمًا لهم ولفروعهم هذه الفئة سبقني إلى احتمال إرجاعهم في الأصل إلى قبيلة محارب الشيخ محمد بن ناصر العبودي في كتاب معجم بلاد القصيم وذلك لعدة أسباب منها تشابه طبائع قبيلة محارب مع هذه الفئة فعندما كان الناس يقتنون الإبل والخيل كانت قبيلة محارب لا تقتني إلا الحمير يرحلون عليها ويتنقلون وينطبق هذا الأمر على هذه الفئة تمام الانطباق ومنها ضعف جانبهم بالنسبة للقبائل الأخرى منذ العهد الجاهلي ونزوحهم تحت كنف قبائل قوية ويماثل هذا الجانب هذه الفئة تمام التماثل ومنها مواطن قبيلة محارب في عالية نجد مغيثة

الماوان ثم انحدر منهم إناس إلى وسطها ومن وصل إلى الجبلين وهذه المواطن الرئيسة لهذه الفئة في عالية نجد وانحدرت منهم مجموعات إلى وسط نجد وإلى منطقة القصيم ومن بالجبلين بقى منهم من بقي في نفس المنطقة وإلى الشمال عنها في شمال المملكة الآن في عرعر وما شرقه في منطقة حفر الباطن حتى شمال الخليج وغيرها .ومنها تشابه الخبرات والطباع فى معرفة موارد المياه لكثرة ما يترددون عليها لولعهم بالصيد ومطاردته وكذا معرفتهم بالصحاري والقفار لكثرة ما يترددون عليها وغير ذلك مما يحتاج الى بحث مستقل يتعرض لهذه الفئه بالتفصيل وحري من يقوم بهذا العمل واحد منهم من مثقفيهم ليصل الي ترجيح هذا الاحتمال الذي ارجحه الى درجة كبيرة وهو اعادة هذه الفئة الى قبيلة محارب بن خصفة ابن بهثة بن سليم بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ،ولكن النظرة الاجتماعيه لهذه الفئة قد اثرت فيهم وجعلتهم يصدقون ما يزعم الناس عنهم ومن ثم فالانسان اذاكثرت عليه الأصوات والآراء التي تصفه بشيء معين وقد يكون بريئ منه،أو قد يمارسه مثل الأخرين لكن إذا كثرت عليه الأصوات ربما يصدق ما يقال عنه ومن ثم يستسلم وبتعاقب الأجيال يتوارث الخلف عن السلف هذا الجانب السلبي إلى أن يأتي من يرفض هذا الإدعاء ولا يكتفي بذلك بل يحاول تصحيح هذا المفهوم الخاطيء وسبق أن قال الشاعر راشد الخلاوي الذي يظن البعض أنه من هذه الفئة:

"... أجواد كما الجود جدهم نزار الذي صلب العرب من صلابه"

"ومن به جبلات من الله حظها تزول الرواسي والجبلات ناصبة"

هذه الفئة تحتوي على عدد من الفروع منهم على سبيل المثال لا الحصر: العرمان، الوعلان، السعيدان، المبارك، التويم، الحازم، آل عيسى، آل موسى، الحلوية، السعادات، السَّعْد، السيالات، الحماد، الويشي، الطرفة، العراكية، الحسن، الهدلان، السليمان، الخصيلان، الفرج، الخميس، الحبور، الشيخان، الصبح، الصبيخات، آل جمعة آل مسهم، السبوت الهليل، الصليلات، آل ماجد، آل رويع، العذاذلة، العناترة، آل جُمَيِّلْ، البناق، آل سيالان، آل كبوان، آل عراقات، آل طرفة، آل مسيلم، آل حازم، الظيان، البذاذة، المالق، الديرات، الصريرات، الهزيم، الصبح، العويويد، الغافل، الغنمي، الفوازي، الفرحان، القطن، القنيصات، المزايدة، الكرموش، الكواميخ، الفوزي، الحريج، الكبان، الرويعي، المحارثة، القنيصات، البريكان، السميان، السننة، الظهران، المعيي، الوعلان، الهذيب، الهرشان، الحنادسة، الهويمل، وغيرهم كثير.

هذه الفئة وتفرعاتها كثيرة الحركة والتنقل في زمن مضى مثلهم مثل القبائل الأخرى سعيًا وراء الرزق غير أنهم في الآونة الأخيرة استقروا في المدن والبلدات والقرى، بل هناك قرى خاصة بهم في منطقة حفر الباطن، ودخلوا في الحياة العامة ودخلوا الوظائف الحكومية وغيرها من النواحي التجارية والمهنية.

أسواق العرب وكيفية البيع فيها

الأسواق التي أنشأها العرب كثيرة ولكن ما يخص منطقة البحث بعضها وهذا لا يمنع من استعراضها لعلاقتها بعرب المنطقة حتى ولو كانت خارجها، وما يتعلق بنجد فهي سوق دومة الجندل، وسوق عكاظ وسوق ذي المجاز، وسوق حجر، ولاتمام الفائدة نسوقها كاملة لارتباطها بالحياة التجارية على مدار السنة وهي:

١- سوق دومة الجندل وقيامها في أول يوم من شهر ربيع الأول إلى النصف منه، ثم لا تزال قائمة إلى رأس الشهر ثم يفترقون إلى مثلها من قابل. وكانت قبيلة كلب وجديلة من طيء جيرانها وكان ملكها بين أكيدر العبادي ثم السكوني وبين قنافة الكلبي فكان العباديون إذا غلبوا ولوا عليها الأكيدر، وإذا غلب الغسانيون ولوها قنافة الكلبي، ولم يبع بها أحد شيئًا إلا بإذن الملك وحتى يبيع الملك كلما أراد بيعة، مع ما يصل إليه من عشورها، وكانت مبايعة العرب فيها إلقاء الحجارة (هذا طبعًا قبل الإسلام) وكان كل تاجر يخرج من اليمن والحجاز يَتَخَفَّرُ بقريش ماداموا في بلاد مضر (والتخفر الحماية وقد يصاحبهم خفير من هذه القبيلة أو إذا سئلوا يقولون نحن في خفارة الفلان أي حمايتهم)، فلا يُهَيِّجُهُم حليف لمضري، فكانت كلب لا تهيجهم لحلفهم مع تميم، وطيء لا تهيجهم لحلفهم مع بني أسد، فإذا أخذوا طريق العراق تَخَفَّرُوا بني عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة فتجيز لهم ذلك ربيعة كلها.

٢- ثم يرتحلون من دومة الجندل إلى المشقر بهجر (الأحساء الحالية) فتقوم من أول يوم من جمادي الآخرة إلى آخر الشهر فتوافي بها فارس يقطعون البحر إليها ببياعاتهم، وكانت عبد القيس وتميم جيرانها، وكان ملوكها من بني تميم من عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوي، الذين كانت ملوك فارس تستعملهم عليها (أي بني ساوى) وبني نصر على الحيرة (بنو نصر من لخم) وبني المستكبر في عمان (وكلهم عملاء للفرس) ويسيرون (أي بني ساوي) بسيرة الملوك في دومة الجندل وكانوا يعشرونهم وكان بيعهم بالملامسة والهمهمة، أما الملامسة الإيماء، يومىء بعضهم إلى بعض فيتبايعون ولا يتكلمون حتى يتراضوا إيماء، وأما الهمهمة فكيلا يحلف أحدهم على كذب إن زعم المشترى أنه قد بدا له.

٣- ثم ينتقلون إلى سوق (صحار) بعمان وكانت تقام في أول يوم من رجب فتقوم خمس ليال وكان يعشرهم فيها الجلندى بن المستكبر.

٤- ثم سوق (دبا) بعمان وهي أحدى فرضتي العرب، يأتيها تجار السند والهند والصين وأهل المشرق والمغرب فيقوم سوقها آخر يوم من رجب، وكان بيعهم فيها المساومة وكان الجلندى بن المستكبر يعشرهم فيها فعل الملوك بغيرها.

٥- ثم بعدها سوق (الشحر) شحر مهرة بحضرموت فتقوم السوق تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود عليه السلام ولم تكن بها عشور لأنها ليست أرض مملوكة وكانت التجار تَتَخَفَّرُ فيها ببني محارب بن حرب بن

(فيلة) مهرة وكان قيامها للنصف من شعبان وكان بيعهم فيها إلقاء الحجارة.

٦- ثم سوق عدن وكانت تقوم في أول يوم من شهر رمضان إلى عشرين يمضين منه، وكانوا لا يَتَخَفَّرُونَ هناك بأحد لأنها أرض مملكة وأمر محكم وكانت الأبناء تعشرهم ولا تشترى في أسواقهم ولا تبيع، والأبناء هم أبناء الفرس الذين فتحوا اليمن مع وهرز وقتلوا الحبشة(وأمهاتهم يمنيات كما أسلفنا).

٧- ثم سوق صنعاء وكانت تقام في النصف من شهر رمضان إلى آخره وكانت الأبناء تعشرهم أيضًا وكان البيع فيها الجَسُّ، جَسُّ الأيدي.

٨- ثم سوق الرابية بحضرموت، ولم يكن يصل إليها أحد إلا بخفارة، لأنها لم تكن أرض مملوكة وكل من عز فيها بز صاحبه فكانت قريش تَتَخَفَّرُ فيها ببني آكل المرار (من كندة) وسائر الناس يتخفرون بآل مسروق بن من كندة وكانت مكرمة لآل البيتين جميعًا، وساد بنو آكل المرار بفضل قريش على سائر الناس وكانت تقام في النصف من ذي القعدة إلى آخر الشهر (وتوافق نفس المدة التي تفتح سوق عكاظ).

٩- عكاظ: ثم سوق عكاظ وهي من أعظم أسواق العرب وكانت قريش تنزلها وهوازن، وطوائف من أفناء العرب، غطفان وأسلم، والأحابيش (وهم بنو الحارث بن عبد مناة من كنانة وعضل، والديش، والحيا، والمصطلق) وكانت تقام للنصف من ذي القعدة إلى آخر الشهر ولم

تكن فيها عشور ولا خفارة وكان يبعهم السرار (وهو الإشراك في الربح).

١٠- ثم سوق ذي المجاز وهي قريبة من عكاظ فتقوم في اول يوم من ذي الحجة إلى يوم التروية ثم يصيرون إلى منى.

١١- ثم سوق النطاة بخيبر.

١٢- ثم سوق حجر باليمامة يوم عاشوراء العاشر من المحرم إلى آخر الشهر، ثم تبدأ من جديد (٢٦٣-٢٢٨/٤٠٠).

هكذا نرى هذه الأسواق على مدار السنة في الجزيرة العربية من دومة الجندل إلى المشقر إلى صحار إلى دبا إلى الشحر إلى عدن إلى صنعاء إلى الرابية إلى عكاظ إلى ذي المجاز إلى خيبر إلى حجر اليمامة، وهي بمكانة المعارض المتنقلة في الجزيرة وتبادل الآراء والاستماع إلى الأشعار والمفاخرة وعرض أشعارهم وبطولاتهم ومفاخرهم وغير ذلك مما يحصل من أواصر القربى بين أبناء الجزيرة العربية في هذا الإطار التجاري.

الكيانات العربية وعلاقتها بمنطقة البحث

قد يتساءل متسائل عن علاقة الكيانات العربية المجاورة أو البعيدة نوعًا ما من منطقة البحث حين يقول : ما علاقة هذه الكيانات بنجد؟ وتبرز الإجابة على هذا التساؤل عندما ندرك أن هذه الكيانات لابد أن يكون لها علاقة ما، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كأن يكون هناك غزو أو احتكاك أو مناوشة، أو تكون هناك علاقات سكانية حيث أن بعض هذه الكيانات خرجت من الجزيرة العربية في موجات متعاقبة وكونت لنفسها كيانات في الهلال الخصيب وبقي بمواطنها الأصيلة لها بقية تكون علاقاتهم متواصلة أو يعودمن خرج منها إلى موطنه مرة ثانية، وقد يكون غير مباشر كتأثير هذا الكيان عن بعد بعوامل مؤثرة في نفس المنطقة سيما إذا علمنا أنه في ذلك الوقت لا توجد حدود فاصلة بين كيان وآخر، فضلاً عن طرق الحج التي تخترق المنطقة لمسافات طويلة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي في خطين شبه متوازيين وهما الطريق الكوفي والطريق البصري وما حدث على هذين الطريقين من التعرض للحجاج من غارات ونهب وسلب وقتل وما يدفعه الحجاج لتأمين سلامة عبورهم، سواء أكان ما يحدث لهم من القبائل العربية التي يخترق الطريقان أراضيهم أو من السلطات الحاكمة كما فعل القرامطة، وما تقوم به السلطات الحاكمة في بغداد وغيرها من ضرورة حماية طرق الحج وعدم التعرض للحجاج أو للقوافل التجارية التي تمر بالمنطقة، هذه الجوانب وغيرها أوجبت التحدث بإيجاز عن كل كيان وإيراد أسماء من حلوا في سدة الإمارة فيه، إذ ربما يكون حدث تاريخي

حدث في عهد واحد من هؤلاء يمكن الاستدلال به على زمن هذا الحدث ومكانه مما قد يساعد على اكتشاف بعض الغوامض التاريخية ولنبدأ بأهم هذه الكيانات القبلية التي كان لها أثر على جزء كبير من المنطقة طيلة عدة قرون هذا الكيان هو:

١- طيء : فقد قدم آل الجراح من طيء إلى بلاد الشام على الأرجح في بداية النصف الثاني من القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي واستقروا في المناطق الجنوبية من فلسطين وشرق الأردن وأقاموا إمارة قبلية في هذه المناطق لكنهم لم يفقدوا ارتباطهم بالبادية والجبلين أجأ وسلمى (ورمان) موطن قبيلة طيء الأصلي وملجأ آل الجراح الأمين في وقت الشدة (عندما يحزبهم أمر) (٣٢/١٣٩).

وقد استطاع الفاطميون في النهاية كسب طيء إلى جانبهم عن طريق الإقطاعات والهدايا عام ٣٦٣ هـ ٩٧٢م حيث عبروا تحالفاتهم فتركوا القرامطة إلى الفاطميين؛ لكن الفاطميين لم يطمئنوا إليهم فقد شنوا عليهم عدة حملات بين عام ٣٦٩ – ٤٢٠ هـ ٩٧٩- ١٠٢٩م ورد عليها الطائيون بعنف وحاولوا تحدي السلطة الفاطمية في عقر دارها (كما مر بنا) وكانت هذه الحقبة الأولى لصعود طيء إلى سدة التفوق والسيطرة قد انتهت بوفاة زعيمها حسان بن مفرج بن دغفل ٤٣٣ هـ ١٠٤٣م (٣١/٥٣).

وأتت حقبتهم الكبرى الثانية مع صعود عشيرة آل ربيعة من بينهم في القرن السادس الهجري –الثاني عشر الميلادي وينسب الربيعيون إلى ربيعة بن حازم بن علي بن مفرج بن دغفل الجراحي ففي أيام الملك العادل الأيوبي

٥٤٠- ٦١٦ هـ ١١٤٥ – ١٢١٨م منح حديثة الربعي رسميًا لقب أمير العرب حيث كان يتزعم القبائل العربية بالشام والحجاز والحدود العراقية ولها اليوم دولة العرب بالحجاز والشام (١٧٧/٢٩/٣).

وقد بدأ صعود آل مهنا مع عيسى بن مهنات ٦٨٣ هـ ١٢٨٤م حين أظهر كرمًا ونبلاً للظاهر بيبرس الذي حكم من ٦٥٨- ٦٧٦ هـ ١٢٦٠- ١٢٧٧م عندما هرب من مصر، فلما صار بيبرس سلطانًا عين عيسى بن مهنا أميرًا للعرب فظل زعيمًا لعرب الشام والحجاز عشرين عامًا، وكان شيخ آل فضل حُدَيْثَة من آل فضل بتقليد من الملك العادل ٥٤٠هـ ١١٤٥م وأثناء فرار الظاهر بيبرس ٦٥٨- ٦٧٦هـ ١٢٦٠- ١٢٧٧م من وجه خصومه في مصر اتجه إلى أبي بكر علي بن حديثة طالبًا منه جوادًا يواصل عليه طريقه لكن الشيخ رفض، وكان عيسى بن فضل حاضرًا عند الطلب والرفض فسارع إلى عرض جواد عليه واحتفىٰ به وأكرمه وترك له جياده يختار منها ما يشاء، فلما اعتلى بيبرس السلطنة انتزع إمرة العرب من أبي بكر علي بن حديثة وأعطاها لعيسى بن مهنا الذي ظل نجمه مرتفعًا عند المماليك حتى وفاته عام ٦٨٣هـ ١٢٨٤م حيث خلفه ابنه حسام الدين بن مهنا بن عيسى إذ عينه السلطان المنصور قلاوون عام ٦٧٨- ٦٨٩ هـ ١٢٨٩- ١٢٩٠م وتوفي حسام الدين بن مهنا بالسَّلَمِيَّة، وكانت السلمية إقطاعًا لعيسى بن مهنا بن عيسى منذ شارك وأبلى بلاء حسنًا في موقعة عين جالوت عام ٦٥٨هـ ١٢٦٠م، وجد مهنا الأمير مانع بن حديثة بن فضل بن ربيعة الطائي وكان أمير الشام في دولة (طغتكين) صاحب دمشق ولم يصرح لأحد من هذا البيت بإمرة على العرب بتقليد من

السلطان إلا من أيام العادل أبي بكر أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي أمّر منهم حديثة ثم إن إبنه الكامل قسم الإمرة نصفين، نصف لمانع بن حديثة ونصف لغنام بن أبي طاهر بن غنام، ثم إن الإمرة انتقلت إلى أبي بكر علي بن حديثة وعلا فيها قدره وبعد صيته، فلما كان من المماليك البحرية ما كان ساقت تصاريف الدهر الظاهر بيبرس إلى بيوتهم وهو طريد مشرد ولم يكن معه سوى فرس واحد يعول عليه فسأل علي بن حديثة فرسًا يركبه فلم يعطه شيئًا وكان ذلك بمحضر من عيسى بن مهنا؛ فأخذه عيسى وضمه إليه وأكرمه وقراه، وخيره في رباط خيله فاختار منها فرسًا، فأعطاه ذلك الفرس وزوده، وبالغ في الإحسان إليه فعرفها له الظاهر، فلما تَملّكَ انتزع الأمرة من أبي بكر علي بن حديثة وجعلها لعيسى بن مهنان وأتاه أحمد بن أبي طاهر بن غنام وسأله أن يشركه معه في الأمرة، فأرضاه أن يعطيه إمرة بيوق وَعَلَمْ وبقي أبو بكر شريدًا طريدًا تارة بنجد وتارة بأطراف الشام إلى أن مات، (٣١/١٤)، خرجت الإمارة في عهد الظاهر بيبرس من أبي بكر علي بن حديثة إلى عيسى بن مهنا ثم تفرقت الإمرة في بيوت بنية الثلاثة إمرة بيت مهنا بن عيسى لأحمد بن مهنا وأمرة بيت فضل بن عيسى لسيف بن فضل، وإمرة بيت حارث بن عيسى لقتادة بن حارث، وجعل الحكم لأحمد بن مهنا على الكل ولم تزل الإمرة فيهم واحدا بعد واحد حتى صارت في أيام الظاهر برقوق لمحمد بن جبار وهو (نُعَيْر) وبقيت في ذريته (١٩٣/٨٠).

ولقد تمكن الفاطميون من استمالة العرب إلى جانبهم بالأموال والإقطاعات ولجأ الأيوبيون بالإضافة إلى الأعطيات إلى منح الإمارة (بيوق

وعلم) لمن قدموا خدمات جلى لهم أثناء الصراع مع الصليبين، لكن المماليك كانوا أول من تمكن من اتخاذ الحل الموفق عن طريق جعل إمرة العرب تحت رتبة عسكرية عالية ضمن الجهاز الإداري حيث انتظم العرب تحت كنف الدولة، وكانت إمرة العرب تعطى لشيخ قبيلة ضخمة وذات نفوذ كبير فتبيح السيطرة على الأعراب في منطقة واسعة، مع ما يصاحب ذلك من إقطاعات وهدايا تدفعها الدولة لأمير العرب لتوزيعها على القبائل الواقعة في نطاق إمرته، ويرى ابن خلدون أن ترتيب رئاسة العرب بالشام والعراق بدأت منذ دولة العادل بن أيوب (٢٠٤/١٦) ولم يصرح لأحد من هذا البيت (آل فضل) بإمرة على العرب بتقليد من السلطان إلا أيام العادل الأيوبي أمر منهم حَدِيْثَةُ بن فضل وفي رواية ابن الفرات أنه في عهد الملك الكامل الأيوبي سنة ٦١٥هـ ـ ١٢١٨م تأمر مانع بن حديثة إلى نصفين مانع وغنام بن أبي طاهر بن غنام (٦٤/ ٣٢).

وانحصرت إمرة العرب من بداية حكم الظاهر بيبرس من آل فضل بن ربيعة، أما آل مرا فقد كانت لهم إمرة خاصة بهم وكانوا في زمن الأمير أحمد بن حجي بن بُرَيْد ملوك العرب في البلاد والقبيلة ويدل في إمرتهم عدد من القبائل وبيوت العرب وينقسم آل فضل إلى قسمين آل عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، وآل علي بن حديثة، وكانت الإمرة خلال القرن الثامن الهجري في بيت الأمير عيسى، فبعد وفاة عيسى بن مهنا ٦٨٣ هـ ـ ١٢٨٤م أعطيت الإمرة لابنه مهنا لكن اشتراك مهنا في حركة (قراسنقر) ضد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الإلفي ٧٠٩- ٧٤١ هـ ـ ١٣٠٩ ـ ١٣٤٠م أدى إلى توليه

أخيه الأمير فضل بن عيسى، وبعد خروج مهنا كان يتناوب آل فضل بن عيسى وآل علي في تولي الإمارة (٣٢/٦٥).

فما هي حركة (قراسنقر) ؟ كان مهنا قد ساعد على هروب (قراسنقر) المنصوري وزميليه من وجه السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى (الإيلخانيين) من المغول وهم حكام إيران وأرسل معهم ولده سليمان بن مهنا إلى (أولجاتو) محملاً بالهدايا والوعود فيما يتصل بتأمين طرق الحج العراقي فرد (أولجاتو) بإعطاء مهنا البصرة له ولأهله ومعها الحلة وسائر البلاد الفراتية وكان خروج الإمرة عن آل مهنا لفترة قصيرة حيث تعاد إليهم من جديد، والسبب في ذلك هو أنه كان لآل مهنا هيبة عند آل فضل وغيرهم من القبائل كما كان بإمكانهم المحافظة على الأمن وطرق القوافل التجارية والحجاج الأمر الذي يدفع السلاطين في القاهرة والأمراء المماليك في الشام وحلب إلى التقرب من آل مهنا والعمل على إرجاعهم بشتى الوسائل. (٣٢/٦٦).

وقد انتشر نفوذ آل فضل في بلاد نجد من القرن السابع حتى القرن العاشر الهجري وكان لهم تاريخ حافل وأخبار وأشعار متداولة حينما كانت القبيلة ذات قوة وسيطرة (٢١/١٣٤).

في سنة ٦٨٠هـ ١٢٨١م اشترك الأمير عيسى بن مهنا مع الملك المنصور قلاوون سلطان مصر في معركة ضد التتار، فكان النصر حليف السلطان ومن معه، فأكرم عيسى بمبلغ عظيم من المال ووضع ريشة من ذهب في مقدمة عمامته فأصبح يكنى بأبي ريشة، اما قبيلة الموالي وهم مجموعات من قبائل يمنية من جهينة وطيء وغيرهما سموا بالموالي لموالاتهم لآل ربيعة الطائيين

وحالفهم معهم،ومن مصدر أخر نقل العمري قول شهاب الدين أبو الثناء محمود في موقعة حمص في ١٤ رجب سنة ٦٨٠ هـ ١٢٨١م بين المماليك والإيلخانيين (التتار) فيقول :فقد كانت شجاعة العرب وثباتهم السبب الرئيس في تحول المعركة لصالح المسلمين فانقذوا بذلك الإسلام وفتحوا الباب من جديد لانطلاق الجهاد الإسلامي بعد أن اختفت تلك الإمكانية منذ أن وطأت خيول المغول أرض الإسلام قبل ما يزيد عن نصف قرن ويرسم لنا صورة عن رجالات العرب المتقدمين لخوض معركة حمص مليئة بالحياة والحماس والنخوة، فتحت قيادة آل فضل وآل مرا أمراء العرب من طيء وكانت تتهادى الألف الجياد والجمال، تعج الفرسان والحديد وأمام الحملة كلها جمل عليه هودج مكشوفة الوجه به المغنية البدوية المشهورة الحضرمية تتغني بصوت عال من جزل الشعر للشاعر المخضرم النابغة الجعدي:

وكنا حسبنا كلَّ بيضاء شحمة ليالي لاقينا جذامًا وحميرا

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانها أن تكسرا

سقيناهم كأسًا سقونا بمثلها ولكننا كنا على الموت أصبرا

(٢٠٤/٥٩)

وفي رواية ثالثة: ومن مآثر آل مرا المشهورة ما قاموا به في معركة عين جالوت عام ٦٥٨ هـ ١٢٦٠م ضد التتار وكان أمير العرب آنذاك هو الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع الذي اشترك مع الملك المظفر قطز صاحب مصر وكان النصر حليفهم، وما قاموا به في معركة حمص ٦٨٠هـ ١٢٨١م

ضد التتار وقد وقفوا مع بقية عرب البلاد بقيادة الأمير عيسى بن مهنا إلى جانب جيش المماليك وقد كان لهم دور حاسم في المعركة التي انتهت بهزيمة التتار وقد روي العمري في مسالك الأبصار نقلاً عن الشيخ شهاب الدين أبو الثناء محمود قوله عن آل مرا الطائيين كنت جالسًا على سطح باب الاصطبل السلطاني بدمشق وقد اقبلوا زهاء أربعة آلاف فارس شاكين في السلاح على الخيل المسومة والجياد المطهمة وعليهم الكر غدات الحمر من الأطلس المعدني والديباج الرومي وعلى رؤوسهم البيض مقلدين بالسيوف بأيديهم الرماح، كأنهم صقور على صقور وأمامهم الغلمان تميل على الركائب ويرقصون بتراقص المهاري وبأيديهم الجنائب وورائهم الظعائن والحمول وكانت معهم مغنية تعرف بـ (الحضرمية) لها سمعة طائرة في زمانها ورأيتها سافرة وهي تغني من شعر النابغة الجعدي (الأبيات السابقة (١٠١/ ٣١).

وكان الملك الناصر قلاوون مغرمًا بالخيل فقد كان يشتري الخيول من عرب آل فضل وآل مهنا وبسببها كان يبالغ في إكرام العرب ويرغبهم في أثمان خيولهم فكثرت رغبة آل مهنا في طلب الخيول ممن عداهم من العربان وتتبعوا عتاق الخيل من مظانها حتى أتتهم العرب بكرائم خيولهم فتمكن آل مهنا من السلطان وبلغوا في زمنه الرتب العالية (١٠٣/ ٣١).

وقال ابن فضل العمري وأما عرب البحرين (الإحساء) فهم يصلون إلى باب السلطان وصول التجارة يجلبون جياد وكرام المهاري واللؤلؤ وأمتعة العراق والهند ويرجعون بأنواع الحباء والإنعام والقماش والسكر وغير ذلك، ويكتب لهم بالمسامحة فيردون ويصدرون وبلادهم بلاد فرع وضرع (يقصد النخيل

والماشية) وبر وبحر ولهم متاجر مربحة وواصلهم إلى الهند لا ينقطع وبلادهم ما بين العراق والحجاز (غير نجد) ولهم قصور مبنية وآطام عليه وريف غير متسع إلى ما لهم من النعم والماشية والحاشية والغاشية وإنما الكلمة بينهم شتى والجماعة متفرقة (١٨٦/٢١).

كما وفد في عهد الناصر محمد بن قلاوون وفد عرب البحرين وبرز الأمر السلطاني إلى آل فضل لتسهيل الطريق لوفودهم وقصادهم وتأمينهم في الورود والصدور (كان نفوذ آل فضل يمتد إلى وسط نجد) فانثالت عليه جماعتهم وأخلصت له طاعتهم، وأتته أجلاب الخيل والمهاري في أعنتها وأزمتها، والإمرة فيهم لأولاد مانع (يعني العصفوريين) ودارهم الأحساء والقطيف وملح ونطاع والقرعاء واللهابة وجودة ومتالع (١٥٢/٢٠٤).

ويذكر المؤرخون أنه في العصر الأيوبي والمملوكي أن فخذين كبيرين من آل ربيعة الطائيين وهم آل فضل وآل مرا، وديار آل فضل الفخذ الثاني الكبير من طيء، وتمتد من حمص إلى أطراف البادية وتهبط يسارًا إلى أطراف البصرة (الكاتب في مصر) وتستدير نحو منازل بني تميم ويشمل مناطق غطفان مما يلي وادي القرى كما تشمل منازل بني أسد وينظم إليهم لفيف من قبائل العرب من مذحج وزبيد وغيرهم، وشيوخ هذا الفخذ يولون على إمرة العرب بتقليد من السلطان، وأول من استن هذا التقليد السلطان العادل بن أيوب، وقد اقام على العرب أميرًا منهم حديثة بن عقبة بن فضل وخلفه عيسى بن محمد ثم مانع المتوفى سنة ٦٣٠هـ ١٢٣٢م وخلفه مهنا الذي حضر مع المظفر قطز انتصار

العرب على التتار في عين جالوت وولى بعده الظاهر بيبرس ابنه عيسى، وكانوا يوفرون لهم الإقطاعات لحفظ السابلة وقوافل الحجاج.

وظل عيسى أميرًا على العرب وآل فضل حتى سنة ٦٨٣هـ ١٢٨٤م، وفي عام ٧٢٠هـ ١٣٢٠م عزل السلطان عيسى بن مهنا عن إمرة العرب وولى مكانه ابن عمه محمد بن أبي بكر بن حديثة ثم تم تعيين فضل بن عيسى عام ٧٢٢هـ ١٣٢٢م بدلاً من محمد بن أبي بكر بن حديثة واستمرت إمارة العرب تنتقل فيما بينهم، وفي عهد الملك الصالح إسماعيل سنة ٧٤٣هـ ١٣٤٢م عين سيف بن فضل بن عيسى على إمرة العرب واستمرت الإمارة في أيديهم حتى عام ٧٤٩ هـ ١٣٤٨م وبلادهم كما عرفها المؤرخون تمثل الشمال الشرقي والغربي من جزيرة العرب (١٨/ ٢٠/ ١٨٤).

يقول المقريزي: وعزت العرب من آل مهنا وآل مرا في أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣- ٦٩٨هـ ١٢٩٣-١٢٩٨م) و ٧٠٩هـ ١٣٠٩م وكثرت أموالهم وضياعهم وشمل الغنى عامتهم، فكانوا إذا رحلوا إلى مشاتيهم أو مصائفهم تكون أموالهم من الذهب والفضة ملء رقاب الجمال (يعني جلود الرقاب المدبوغة وتسمى الواحدة منها جراب) إلى غير ذلك من الإبل والغنم والخيل التي لا تدخل تحت حصر؛ ولبسوا في أيامه الحرير الأطلسي المعدني بالمطرز والمزركش، والشاشات المرموقة بالطرز؛ ولبسوا القرضيات بالطراز المزركش والدابر والأسكندري المطرز بالذهب، وصاغ السلطان لنسائهم اطواق الذهب المرصع وعمل لهن الشنابر (والشنبر شريط من الحرير الأسود أو الأحمر القاتم فوق العصابة بحيث يتدلى أحد طرفيه من مقدم الرأس

والثاني من مؤخرها) المشهرة بِأكَرِ الذهب، والأسَاِر المرصعة بالجوهر واللؤلؤ، وبعث لهن القماش السكندري والشرب والشمع، وعمل لهن البراقع المزركشة بالمسك وأنواع الطيب وذلك بعدما كان لبس أمرائهم إلى أخر أيام المنصور لطراطير الخمر من تحت العمائم الشامية من القطن؛ مما جعل أحد آل مهنا وهو صقرة بن سليمان بن مهنا يرسل للسلطان رسالة مع قاصده يقول فيها : خَفْ الله في المسلمين وبيت المال، فإنك تفرقه على العرب ونسائهم وصغارهم فكيف يحل لك هذا؟ ومتى سمعت عن بدوية أنها تلبس غير ثوب من القطن والبرقع المصبوغ وفي يدها سوار من حديد؟ وإن شَمَّتْ طيبًا فمن زاد بمداها؟ فوالله لقد أفسدت حال العرب وحال نسائهم وأطمعتهم في شيء لم يكونوا فيه من قبلك.

وقال المعز: قد وفد فرج بن حية على المعز أبيك فأنزله بدار الضيافة وأقام بها أياما فكان مقدار ما وصل إليه من عين وقماش وإقامة له ولمن معه ستة وثلاثون ألف دينار، وقال الحمداني: واجتمع الظاهر بيبرس جماعة من آل ربيعة وغيرهم فحصل لهم من الضيافة في المدة اليسيرة أكثر من هذا المقدار، كل ذلك على يدي، قال هذا واستكثره وأطال فيه واستعظمه؛ فكيف لو عُمِّرَ إلى زماننا ورأى ما يأتي إليهم من إحسان سلطاننا والعطايا كيف كانت تضيق عليهم (يعني أمراء طيء)فبضان من الذهب والعين والدراهم بمئات الألوف والخلع والأطلس بالأطرزة المزركشة وأنواع القماش المفصل لملوكهم بالسمور والوشق والسنجاب والبرطاس والأطرزة المزركشة والملمع الباهي والسارج والعنابي من السكندري وفاخر المقترح والمصوغات المجوهرة (كل ما سبق أنواع من الملابس التي لا يلبسها إلا السلاطين وعِلْيَةُ القوم) والذهب وأنواع المزركش لنسائهم

والسكر المكرور والأشربة المختلفة بالقناطير المقنطرة، إلى ما ينعم به على أعيانهم من الجواري الترك، والخيل للنتاج والفحول للمهارى مع ما يطلق عليهم من الأموال الجمة بالشام ويقطع باسمهم من المدن والبلاد ويملك لهم من القرى والضياع ويعطي غلمانهم ويجرى عليهم من الإقطاعات لهم واللائذين بهم والنجاة بجاههم مع المكافأة المالية والشفاعة المقبولة في استخدام الوظائف وترتيب الرواتب وإقطاع الجند والإطلاق من السجون والمراعاة في الغيبة والحضور إلى غير ذلك من تجاوز أمثال الكفاية في الإنزال والمضيف لهم ولاتباعهم منذ خروجهم من بيوتهم إلى حين عودتهم إليها، مع مؤاكلة السلطان مدة إقامتهم والدخول عليه في المحافل والخلوات وملازمته أكثر الأوقات (١٩٣/٧٦).

ولقد لعب الأعراب دورًا في أحياء الخلافة (العباسية) إذ كان امير العرب عيسى بن مهنا قد لقى العباسي الهارب من بغداد فأجاره وأكرمه وأمن خوفه ثم رافقه إلى مصر إلى بلاط السلطان حيث بويع بالخلافة للمسلمين (٢٠٤/٨٣).

تنظيم أمراء العرب

كان أمير العرب وأمراء القبائل كأصحاب مناصب رسمية في الدولة يعتبرون من أرباب السيوف، ويعدون ضمن هذه الفئة عند ذكر موظفي الدولة، فقد كان أمراء العربان في مصر يشكلون الطبقة الرابعة والأخيرة من ولاة الأمور من جماعة أرباب السيوف ومثل ذلك كان بالنسبة لعربان الشام، فالسلطان هو الذي يعين "أمير العرب" والأمراء على مختلف القبائل، وحتى أمراء فروع القبيلة الواحدة على مختلف درجاتهم ومراتبهم وهي : ١- أمير العرب ٢- أمير ٣- مقدم ٤- أمير بيوت وعلم.

كان يتم تعيين الأمير بوثيقة رسمية "مرسوم" بالتقليد أو منشور بالإمرة، فقد كان السلطان يعين أمير العرب من آل فضل، وكان هذا الأمير، أميرًا لفرع قبيلته آل فضل ثم آل مهنا وإذا خرجت الإمرة من أمير من الأمراء كان يبقى بقية الأمراء في مناصبهم، وقد أحدثت وظيفة "المهمندار" والاسم يتكون من مقطعين "مهمن" وتعني بالفارسية الضيف و"دار" تعني المتصدي أو المستقبل للضيوف وهي تعني بصفة إجمالية "الضيافة" في مصر ثم فروع لها في دمشق وحلب وحماة، ومهمتها استقبال الضيوف الذين يفدون إلى السلطان في مصر من القبائل وقام بهذه المهمة: بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن أبي المعالي بن زماخ المعروف بابن سيف الدولة الحمداني؛ ولد عام ٦٠٢ هـ ١٢٠٥م وكانت هذه السجلات يدون فيها أسماء الأفراد وعشائرهم وقبائلهم ومواطنهم وغير ذلك من المعلومات (ومن هذه السجلات نقل من كتبوا في أنساب القبائل.

كالقلقشندي في كتابه: نهاية الأدب في معرفة أنساب العرب" وقلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان" والمقريزي في كتابه" البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب " والعمري في كتابه "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" عن قبائل العرب هذه الكتب التي حوت أسماء القبائل التي وفد منها أناس على سلطة المماليك في كل من مصر والشام غير أن قبائل كثيرة من الجزيرة العربية وغيرها لم يفد منها أحد إلى أبواب سلاطين المماليك، إما أنفة وترفعا في الانحناء أمام المماليك من أجل نيل أعطياتهم، وإما زهدًا فيما يحصل الوافدون إلى تلك الأبواب من الهبات والعطايا؛ أو عجزًا عن الوصول إلى تلك الأبواب إما لبعد المسافة أو لضعف الحال وربما كان ذلك تكاسلاً إلى غير ذلك من الأسباب، من هذه النقطة أي عدم الوصول إلى أبواب السلطان وعدم تسجيل أسمائهم وبالتالي لم تظهر أسماؤهم ولا أسماء قبائلهم في تلك السجلات والكتب وهذا لا يعني عدم وجودهم على أرض الواقع واستمر تواجدهم إلى الوقت الحاضر.

وكانت مراتب أمراء العرب أقل من مراتب الجند الكبار وأصحاب المناصب المملوكية الأخرى (٨٤/ ٣٢) مما تقدم نرى أن منصب أمير العرب وخاصة أمراء العربان في بلاد الشام لأنهم حل القوم وعين الناس، ولا عناية للملوك إلا بهم ولا مبالاة بغيرهم بخلاف عرب مصر على سعة أحوالهم واتساع نطاق جماعتهم ليسو عند السلطان في الذروة ولا السنام، إذ كانوا أهل حاضرة وزرع وليس منهم من يُنجِدُ أويُتْهِمُ أو يُعْرِقُ ويُشْئِمُ، ولا يخرجون عن جدار الجدران، وتعني ينجد يذهب إلى نجد أو تهامة أو الشام أو العراق، وكانت القبائل العربية تسيطر على القسم الأكبر من أراضي الدولة المملوكة في بلاد

الشام سيما وأن ما كان يهم العرب البدو في هذه الفترة بالدرجة الأولى المحافظة على مصالحهم دون النظر إلى اعتبارات ولاء لأرض أو دولة أو عقيدة (٣٢/٨٥).

المهام التي يقومون بها :

كان أمراء طيء يقدمون عددًا من الخدمات للسلطات المملوكية ومن أهم هذه الخدمات التي يمكن للقبائل القيام بها المحافظة على طرق المواصلات، لقد كانت هذه القبائل بحكم توزيعها الجغرافي في بلاد الشام والعراق وأطراف الجزيرة العربية الشمالية وسيناء تسيطر على قلب حركة المواصلات بين هذه البلاد بعضها مع البعض الآخر ومع المناطق المجاورة لها، وأدى ذلك إلى تحكم هذه القبائل معظم الوقت بأوجه النشاط من مواصلات وطرق البريد وطرق الحج وطرق التجارة البرية وكانت جميع هذه الطرق واقعة تحت رحمة القبائل طول الوقت وتتكون هذه المهام من الآتي:

١- البريد: فقد اهتم السلاطين بأمر البريد وتتبع أخبار الممالك الشامية وما يجري فيها، ولذلك نظموا البريد منذ عهد الظاهر بيبرس بحيث كان البريد بين مصر والشام يصل في ثمانية أيام روحة وجيئة، وقد كلفوا القبائل العربية كل قبيلة بمنطقتها بالمسئولية الكاملة عن محطات البريد التي تقع ضمن حدودها ويجري عليهم تفتيش مستمر للتأكد من قيام كل قبيلة فيما يهمها؛ فقد كان بنو مهدي وبنو عقبة مسئولين عن خفارة المناطق الجنوبية من بلاد الشام إلى الحجاز أما آل فضل فقد كانوا مسئولين عن

المناطق الشمالية والشرقية من بادية الشام حتى حدود العراق وجنوبًا حتى نجد (٣٢/٨٦).

٢- **الحجاج:** اهتم السلاطين بأمن الحجاج وسلامتهم فوكلوا إلى هذه القبائل المحافظة على أمن الحجاج وأرواحهم وأموالهم، وفق ترتيبات معينة أورد أنموذجًا لها ابن فضل الله العمري حين قال: فإن ملوكنا أنالهم الله رتبوا لقبائل العربان في الطرق رسومًا على خزائن مصر والشام في خزائن المحمَلَيْن الشريفين المصري والشامي والخلع لشيوخهم وأكابرهم على جارية كل سنة، فإذا نزلوا أرض قوم خرجت مشائخهم لتلقي المحمل السلطاني، وقبّلت الأرض وعقب الصنجق المنصور، ومشت في الخدمة السلطانية وأودع من أهلهم وذوي قرابتهم وأهل المراتب فيهم أناس في السلاسل ووكل فيهم من يحفظهم (كرهائن) ويستمرون على هذا إلى أن يخرجوا من أرضهم فيطلق سراحهم ويخلع عليهم وتوصل إليهم رسومهم وإنما يعمل فيهم هذا لاحتمال أن يؤخذ شيء للحجاج فيطلبون ويكونون رهائن عليه ولا يستطيع أحد أن يتجاسر ولا يعترض الحاج بأية أذية وربما تبع الحاج قوم من غير أرض أولئك القوم وسرقوا فيحتاج هؤلاء أن يتبعوهم وتستعيدوا منهم الأخيذة بعينها أو الثمن عنها، وجرى هذا غير مرة، وصار للحاج بهذا أمن عظيم على أنفسهم وأموالهم أما طريق الحج العراقي فقد كان تحت إشراف أمراء العرب من آل فضل وذلك أنه يقع ضمن مناطق نفوذهم وحدود دَرَكِهِم، فقد ذكر الرحالة ابن بطوطة (٧٢٧هـ ١٣٢٦م) الذي كان مع الركب العراقي أنموذجًا من ذلك

حيث قال: رأينا في فيد (إلى الشرق عن مدينة حائل ١١٠ كيلًا) من أرض نجد بأميرين من أمراء العرب هما فياض وحيار من أبناء الأمير مهنا بن عيسى ومعهما من خيل العرب ورجالهم من لا يحصون كثرة، فظهر منها المحافظة على الحجاج والرحال والمحوطة لهم (٣٢/٨٨).

٣- **التجارة:** وكان لآل فضل خاصة والعرب عامة دور كبير في المحافظة على طرق القوافل التجارية خلال هذه الفترة وكان لهم دور إيجابي في حماية طرق التجارة في الأوقات التي يكونون فيها في طاعة السلاطين المماليك، أما إذا خرجوا من الطاعة فقد كانوا يعبثون ويفسدون ويقطعون الطرقات ومن الأمثلة على ذلك ما حدث سنة ٧٤٢ هـ ١٣٤٢م إذ اعتدى سليمان بن مهنا وأهله وعربه على التجارة والقوافل وقطعوا الطرقات، وفي مرة أخرى اشتكى التجار على فياض بن مهنا لأنه نهب قافلتهم وأدى ذلك إلى القبض عليه وسجنه في الأسكندرية وفي عام ٧٤٥هـ ١٣٤٤م وبعد إمساك أحمد بن مهنا وسجنه رجع التجار الذين كانوا قد توجهوا إلى بلاد الشمال بسبب فساد الطريق نتيجة لثورة فياض بن مهنا (٣٢/٨٩).

٤- **مشاركة جيوش المماليك في الدفاع عن البلاد:** لم يقتصر دور العرب على المحافظة على الطرق، فقد شاركوا المماليك من عرب آل فضل وآل مرا في عملياتهم العسكرية ضد التتار ومع أن هذه المشاركة كانت محدودة إلا أنها كانت فعالة وذات أثر كبير وتركز هذه المشاركات بالمحافظة على الحدود ومنع الأعداء من الدخول وتزويد الأمراء والسلاطين بأخبار وتحركات الأعداء والدفاع عن المراكز الدفاعية الأمامية وقد حدث أغلب هذا في إمارة

عيسى بن مهنا الذي كان أكثر أمراء العرب تعاونًا مع سلاطين المماليك (٣٢/٩٠)، ويبدو أن مشاركة آل فضل في معركة عين جالوت عام ٦٥٨هـ ١٢٦٠م كانت فعالة إذا أنعم المظفر قطز على أميرهم بمدينة سَلَمِيَّةْ وفي سنة ٦٥٩هـ ١٢٦١م أوقع أمير العرب زامل بن علي بالتتار على الرستن بين حماة وحمص وفي عام ٦٨٠هـ ١٢٨١م قام العرب من آل فضل وآل مرا وغيرهم بأهم دور لهم في تأييد المماليك، فقد اشتركوا في معركة حمص وكانوا يشكلون جزءًا من ميمنة جيش السلطان وانتصر المماليك في هذه المعركة على التتار وأشاد المؤرخون بدور العرب في الحرب ونسب بعضهم النصر لدور العرب (٣٢/١٢٤)، ومن مآثر عرب آل فضل وآل مرا المشهورة التي ترويها المصادر المملوكية ما قاموا به في معركة حمص سنة ٦٨٠هـ ١٢٨١م بين المماليك والتتار فقد وقفوا مع بقية عرب البلاد بقيادة الأمير عيسى بن مهنا إلى جانب جيش المماليك، هذا الموقف الذي أثار استغراب المؤرخين، وقد كان لهم دور حاسم في المعركة التي انتهت بهزيمة التتار، وينسب معظم المؤرخين سبب الهزيمة إلى الأسلوب الذي تبعه العرب في الحرب وهو المهاجمة من الخلف ونهب الأحمال والأثقال فتوهم المغول أن عساكرهم كثيرة أحاطت بهم من قدامهم ومن خلفهم ورجعت عساكر التتار إليهم؛ فلحق المسلمون بهم وكانت بذلك النصرة ولولا مساعدة عرب خفاجة العراقية للعساكر التترية بإرشادهم إلى الطرق البرية والمخائض على نهر الفرات (المخائض الأماكن التي يقل فيها عمق الماء

ويمكن العبور منها للخيل والإبل بأحمالها واحدها مخاض) لتمكن المماليك في رأي (اليونيني) المعاصر من أخذهم عن آخرهم. (٣٦/٩١).

٥-**تزويد الجيوش السلطانية** بالخيل والإبل التي كان امراء العرب يجلبونها من البحرين ووسط الجزيرة العربية (نجد) وقد كانت الخيل والإبل المجلوبة من أمراء العرب من آل فضل على نوعين: النوع الأول وهو للسباق أو الجلب للبيع، والنوع الثاني وهو التقادم وهي الهدايا، وكان ما هو معد للبيع تمثل في الديوان الخاص بذلك أما الهدايا التي يرسلها أمراء العرب إلى السلاطين فقد كانت تشتمل على الخيول والإبل وغيرها؛ وكانت تدفع أثمان هذه الخيول والإبل إلى أمراء العرب من الخزينة، وكثيرًا ما كان يدفع في الواحدة منها أضعاف ثمنها، خاصة خيل السباق التي شغف بها السلطان محمد بن قلاوون وقد تسبب ذلك في منح آل مهنا الإقطاعات الكثيرة لما يهدونه من جياد الخيل (٣٢/٩٢).

٦-**أعمال أخرى:** لم تقتصر واجبات أمراء العرب من آل فضل وغيرهم من الأمراء على المهام الرئيسة السابق ذكرها وإنما اشتملت على مهام أخرى، فقد كان يستعان بهم للدلالة على الطرق في البادية، ومساعدة عمال الدولة في جباية زكاة المواشي من الاعراب التي تسمى (العداد) بالإضافة إلى قرى الضيوف في البرية؛ وإصلاح ذات البين بين أمراء العرب المتخاصمين في حال خصومتهم؛ ويمنع أمير كل قبيلة، قبيلته التي تخضع لإمرته المباشرة أو الحليفة من النزاع فيما بينها، وجمع العرب على طاعة السلطان، وأن يعامل

الأمراء الأخرين معاملة تناسب مقاديرهم وأن يدفع لكل منهم ما يستحق من إقطاع (٣٢/٩٤).

الإقطاعات:

مقابل هذه الخدمات الكثيرة التي يقوم بها أو يفترض أن يقوم بها أمراء العرب للدولة المملوكية أعطيت لهم بعض الامتيازات مثل الخلع، والهدايا والإنعامات الأخرى كالجواري والخيل للنتاج والفحول للمهاري والأموال الجمة التي كانت تشمل الأمراء ونسائهم (فقد كان من عادة السلاطين أن يرسلوا لنساء أمراء العرب في مواسم معينة خلعًا وهدايا خاصة في عهد السلطان محمد بن قلاوون بالذات) ولكن أهم الامتيازات التي كانت تشكل مورد دخل ثابت لهم ولقبائلهم يغني عن اللجوء إلى الأساليب التي كانوا يتبعونها للحصول على أرزاقهم كالنهب والسلب بالاعتداء على القوافل التجارية وغيرها (٣٢/٩٤).

وقد كان الإقطاع أو الخبز (كما كان متعارفًا عليه آنذاك) في زمن المماليك نظامًا يهدف إلى إيجاد مورد ثابت ودخل لأمراء الجيش والجند كل حسب مرتبته، مقابل الخدمات التي يقدمونها للدولة، ولم يكن نظام الإقطاع وراثيًا كما كان في عهد الأيوبيين، إذ كان بإمكان السلطان المملوكي أن يستعيد ما أعطى من إقطاعات، ويعيد توزيعها بالشكل الذي يراه مناسبًا حيث توجد جهة تتولى هذا الأمر تسمى (ديوان المرتجع من أخباز العرب) ومن أهم البلاد التي أقطعت لأمراء العرب من آل فضل (سَلَمِيَّة) (بالقرب من حمص) التي

أقطعت لعيسى بن مهنا سنة ٦٥٨هـ ١٢٦٠م والمعرة التي أقطعت لمحمد بن عيسى سنة ٧١٦ هـ ١٣١٦م وتدمر التي أقطعت لعيسى بن مهنا، وقد أقطعت له إقطاع ملك أو بيع وشراء إذ اشتراها السلطان ودفع ثمنها ثم أعطاها لعيسى و (سِرْمِيْن) وهي من إقطاع آل مهنا، و(دُوْمَة) وهي لمهنا بن عيسى أقطعه إياها السلطان عندما قدم عليه سنة ٧٣٤هـ ١٣٣٤م وأعطيت لأولاده من بعده و (زَرَع) وقد أعطيت لسيف بن فضل آل مهنا (٣٢/٩٦).

أثر أمراء العرب في شئون الدولة المملوكية الداخلية:

كان لأمراء العرب من آل فضل مكانة كبيرة بين القبائل في بلاد الشام وغيرها،وكان لهذه المكانة أكبر الأثر في أعطائهم إمرة العرب رغم قلة عددهم، وكان لأمراء العرب نفوذ قوي في الدولة إذ كان السلطان يستجيب لمعظم مطالبهم، واستعملوا هذا النفوذ لتحقيق بعض الأعمال التي كانت تزيد من مكانتهم عند الناس وقد أجمل ابن فضل الله العمري هذه الأعمال بقوله: بالشفاعة المقبولة في استخدام الوظائف، وترتيب الرواتب، وإقطاع الجند، والإطلاق من السجون، وكان الناس إذا سمعوا بحضور أمير العرب إلى مصر يخرج إليه المحتاج وصاحب الفاقة وأهل الحوائج يسألونه في قضاء حوائجهم فيقضيها لهم وينعم ويتصدق على من يقصده، ولم يقتصر الأمر على تدخل أمراء العرب بقضاء حاجات الناس، بل كانوا يتدخلون في السلاطين بالشفاعات لديهم في الأمراء الأتراك المسجونين وغيرهم ومن أمثلة ذلك شفاعة الأمير مهنا بن عيسى سنة ٧١٠هـ ١٣١٠م بأميرين من كبار أمراء المماليك

هما "أيدمر الشيخي" "وبولغي التتري الأشرفي" لإخراجهما من السجن، وفي سنة ٧٣٨هـ ١٣٣٨م شفع الأمير موسى بن مهنا في ٣٥ من الرجال المصادرين المسجونين وذلك لإخراجهم من السجن؛ كما شفع الأمير نعير بن حيار سنة ٧٩٣هـ ١٣٩١م بعدد من الأمراء من أصحاب السلطان الظاهر برقوق المعزول (٣٢/١٠٢).

وكانت مكانة أمراء آل فضل المرموقة غير مقتصرة على قضاء حوائج الناس، بل كانت لهم علاقات بارزة مع كبار الشخصيات، فقد كانوا على علاقة طيبة مع الشيخ أحمد بن تيمية الذي كان له عندهم منزلة وحرمة وإكرام، يسمعون قوله ويمتثلونه، وقد قام الأمير سيف بن فضل ملك العرب سنة ٧٥٠هـ ١٣٤٩م في مصالحة اثنين من كبار علماء الشام في ذلك الوقت هما قاضي القضاة تقي الدين السبكي والشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية وذلك بعد فشل محاولات سابقة لإصلاح الحال بينهما؛ كما شفع الأمير مهنا بالشيخ أحمد بن تيمية عندما كان مسجونًا في القاهرة فأخرجه السلطان من السجن (٣٢/١٠٥).

أما حركة سنقر الأشقر ٦٧٨هـ ١٢٧٩م حيث تلقب بالملك الكامل وكتب إلى أميري العرب عيسى بن مهنا وأحمد بن حجي يعلمها بما تم من أمره ويطلب منهما القدوم إليه، ولاقت دعوة السلطان الجديد استجابة سريعة عند العرب ففي عام ٦٧٩هـ ١٢٨٠م قدم الأمير عيسى بن مهنا إلى دمشق فاستقبله السلطان الملك الكامل أحسن استقبال وأجلسه عن يمينه (فوق الحاضرين) من جماعته وبعد ذلك بخمسة أيام قدم الأمير أحمد بن حجي من بلاد

العراق وقد وصل الأميران وعربهما في الوقت الذي بدأ فيه السلطان قلاوون الإلفي يستعد لحرب المالك الكامل ولم يشترك العرب في الوقائع الأولى بين قوات مصر وقوات دمشق لكنهم اشتركوا في المعركة الحاسمة التي تقرر فيها مصير سنقر الأشقر والتي وقعت في ١٩ صفر ٦٧٩هـ حزيران ١٢٨٠م وأسند إلى العرب الدور الذي يتقنونه تمام الاتقان إذ قرر " مع العربان الذين جمعهم أن يقاطعوا ساعة الملتقى على العسكر المصرية ويجيئوهم من ورائهم ويحطوا أيديهم في نهب الأثقال والغلمان والإبل ليثنوا إليهم عنا لكن هذه الخطة لم تنطل على قيادة الجيش المصري حيث كانوا مستعدين لها مما سبب الهزيمة لسنقر الأشقر فهرب ومن معه من الأمراء على الطريق البرية مع الأمير عيسى بن مهنا وساروا معًا إلى بيوت الأمير، واستجار فأجاره، واتخذ السلطان قلاوون الإلفي بعد نجاحه في القضاء على هذه الحركة موقفًا حازمًا من أمراء العرب الذين شاركوا فيها فعزل عيسى بن مهنا عن إمرة العرب وأخذ اقطاعه وأعطاها، والإقطاع الخاص بالأمير للأمراء عثمان بن مانع بن هبة، ومحمد بن أبي دَرّاج بن طاهر (وكلهم من طيء) أما أحمد بن حجي فقد كان أكثر دهاء من عيسى إذ تخلى عن سنقر بعد المعركة مباشرة وعاد إلى طاعة السلطان بأمان، ولم يعد عيسى إلى طاعة السلطان إلا بعد مدة تقارب العام (٣٢/١٠٩).

حركة (قراسنقر) ٧١١هـ ١٣١١م كانت هذه الحركة أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون الإلفي وكان أمير العرب مهنا بن عيسى أشهر أمراء القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، وكانت علاقة هذا الأمير مع السلطان الناصر قد بدأت تسوء بسبب عدم قبول السلطان الاستجابة لشفاعته

هذه العلاقة هي التي دفعت قراسنقر إلى اللجوء إلى مهنا طالبًا إجارته حين قال للأمير مهنا: أنا الآن في جيرتك ومهما لحقني من الضيم كان عيبة عليك، وعار لازم لك وتلبس ثوب العارين العربان إلى آخر الدهر إذا أشرت بشيء أخالفك، ثم قال: قدموا الخيل أركب إليه (أي السلطان) فأثار ذلك الموقف نخوة مهنا الذي كان يعرف نية الناصر فصمم على تأييد قراسنقر حتى لا يلبس ثوب العارين البدو والحضر ثم قرر مهنا وقراسنقر التوجه إلى الفرات فأدى ذلك إلى ذهابهم إلى التتار، حيث استقبلوا أحسن استقبال فأوصل مهنا من معه ممن التجأ إليه وتعهد لـــ (خدابندا) سلطان العراق التتري بخفارة طريق الحج العراقي (٣٢/١١٢)، وقبل هذا قام الأمير مهنا بمحاولة للإصلاح بين السلطان وقراسنقر فأرسل ابنه موسى بن مهنا مع هدية للسلطان وبعد سفر موسى بن مهنا وردت رسالة من السلطان جاء فيها الأمان لقراسنقر وتقليده حلب على عادته ومستقر قاعدته، ويعتب عليه على ما قد خامره من الوهم والهذيان لكن قراسنقر لم يطمئن إلى ما جاء في الرسالة (٣٢/١١٢).

أشهر أمراء طيء:

مما تقدم يتضح شأن قبيلة طيء ممثلة في أمرائها كان لها أثر فعال في شمالي منطقة البحث وطرق الحج وطرق التجارة ولكل أمير من هؤلاء الأمراء أثر مباشر أو غير مباشر كما يتضح من ترجمة كل منهم على النحو التالي:

١-أشهر أمراء طيء هم ربيعة، وهو ربيعة بن حازم بن علي بن مفرج بن دغفل بن جراح بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن السكن بن الربيع بن علقي بن حوط بن عمرو بن خالد بن معد بن عدي بن أفلت بن سلسلة بن

غنم بن ثوب بن معن بن عتود بن عنيز بن سلامان بن ثعل بن الغوث بن طيء، وربيعة هذا هو مؤسس الإمارة وقد توفي سنة ٥٣٠ هـ ١١٣٥م وسبق هؤلاء آل جراح الذين بدأت إمارتهم عام ٣٦٠هـ ٩٧١م وانتهت بوفاة حسان بن المفرج عام ٤٣٣ هـ ١٠٤١م وقد ذكر صاحب كتاب آل ربيعة ٤٩ أميرًا من آل ربيعة.

٢-مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة ٥٣٠ - ٦٣٠ هـ ١١٣٥-١٢٣٣م وفي زمنه وقعت الواقعة المعروفة بين آل ربيعة وحلفائهم وبين العيونيين وحلفائهم في (لينة) إلى الشمال الشرقي عن حائل وكان سعيد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك أمراء طيء جمعوا قبائل طيء وزبيد والخلط من ذرية المنتفق واجتمعت إليهم قوم دهمش بن سند بن أجود من غزية طيء وساروا يريدون أرض بني عقيل (في شمال الأحساء) وهم عائذ وعامر وخفاجة ومن خالطهم من قبائل قيس وربيعة وغيرهما وكان الأمير محمد بن الحسين العيوني قد رأس على قبائل البحرين وهو إذ ذاك في الأحساء فسمعت بنو خفاجة وعبادة ومن معهم بتجهيز تلك السرايا واستنهض الأمير عرب البحرين وانضمت إليه خفاجة والمنتفق وعبادة من العراق والتقت الجموع في لينة واقتتلوا وكان النصر للعيونيين فقال علي بن مقرب العيوني من قصيدة:

وفي لينة أردى شغاميم طيء جهارًا ولون الجو بالنقع حائل

وهناك نص آخر في فصل الحوادث أوفى من هذا وأكثر واقعية، غير أن مانع بن حديثة لم يعترف به أميرًا من قبل السلطان إلا في عام ٦١٥ هـ ١٢١٨م كما جاء في كتاب الإمارة الطائية فقد جعله أول أمير يعترف به السلطان وقد جاء النص كالآتي:

مانع بن حديثة أمير العربان من ٦١٥- ٦٣٠ هـ ١٢١٨- ١٢٣٣م والأمير مانع هو أول من تولى إمرة العرب الرسمية حيث استعان الملك الأشرف الأيوبي به وبجماعته من طيء وغيرهم من العرب في حربهم مع سلاجقة الروم ٦٢٣هـ ١٢٢٦م، ويرد ذكر هذا الأمير في مؤتمر عقده الملك المجاهد من قبيلة بني خالد التي تسكن حول حمص وحضر هذا الاجتماع معظم أمراء طيء منهم آل فضل وغنام وثابت وأمراء آخرون (٣٢/٦٨) وأمر الملك الأشرف الأيوبي ابنه مهنا بن مانع لمدة قصيرة ثم انتقلت الإمرة إلى علي بن حديثة وطاهر بن غنام من آل فضل من ربيعة ثم استقرت لعلي بن حديثة الذي أخرجه الظاهر بيبرس وولى عيسى بن مهنا بن مانع مكانه.

٣- الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع ٦٥٩- ٦٨٣هـ ١٢٦٠- ١٢٨٤م ولاه الظاهر بيبرس، وقد جاء عنه في كتاب آل ربيعة ما يلي:

واستمرت فترة إمارة عيسى بن مهنا بالهدوء والاستقرار وقلة فساد الأعراب فقد امتنع عن سفك الدماء إلا بحكم الله فأصلح له من أمرة العرب ما فسد في أيام غيره، وقل فسادهم بل كاد يعدم في أيامه وانحسمت مادة أذاهم، والأمير عيسى هو الذي نقل أحمد بن الخليفة الظاهر العباسي الذي فر بعد وقعة بغداد في يد التتار عام ٦٥٦هـ

١٢٥٨م ويقى في عرب ربيعة حتى أوصله عيسى إلى الظاهر بيبرس وشهد له هو وقومه أنه من نسل العباسيين فبويع له بالخلافة واستمرت هذه الخلافة الصورية في عقبة نحو ٢٦٥سنة من عام ٦٥٨-٩٢٣هـ ١٢٥٩-١٥١٧م حينما قضى عليها سليم العثماني، وهو معاصر للأمير الثاني من آل ربيعة آل مرا هو الأمير أحمد بن حجي، ملك العرب بالبلاد الحجازية، أي المناطق الجنوبية من بلاد الشام، وكانت إمارة آل مرا مستقلة عن إمارة آل فضل، أما صاحب كتاب الإمارة الطائية فقد قال عن الأمير عيسى، وهو عيسى بن مهنا الذي اشترك في معركة عين جالوت عام ٦٥٨هـ ١٢٦٠م إلى جانب المماليك فأنعم عليه الملك المظفر قطز(بخبزه الذي كان له أيام الناصر والمقصود بالخبز الإقطاع الذي كان له زمن الناصر) وامتازت فترة الأمير عيسى بن مهنا بالهدوء والاستقرار وقلة فساد الأعراب فقد امتنع من سفك الدماء إلا بحكم الله: فأصلح له إمرة العرب ما فسد في أيام غيره وقل فسادهم بل كاد يعدم في أيامه وانحسمت مادة أذاهم للقفول وغيرها، وتولى الأمير عيسى بن مهنا الإمرة دون انقطاع لمدة عشرين عامًا لم تخرج عنه إلا مرة واحدة عندما اشترك مع أمير آل مرا بتأييد حركة سنقر الأشقر ولم ينافسه خلال هذه الفترة سوى الأمير زامل بن علي بن حديثة وما كان بينه وبين الأمير أحمد بن حجي أمير آل مرا من المنافسة ما يكون بين النظراء وقد وصفه (اليونيني) بأنه كريم الأخلاق، حسن الجوار، مكفوف الشر، مبذول الخير، لم يكن في العرب

من يضاهيه وعنده ديانه وصدق ولهجة لا يسلك مسلك العرب في النهب وغيره.

٤- الأمير أحمد بن حجي بن بريد آل مرا المتوفى عام ٦٨٢ هـ - ١٢٨٣م أورد عنه صاحب كتاب الإمارةالطائية: ملك العرب بالبلاد الحجازية وكانت إمرة آل مرا مستقلة عن إمرة آل فضل وكان نفوذ الأمير أحمد يمتد من حوران إلى الحجاز ونجد وبرية والعراق حتى أن أمير المدينة المنورة كان يؤدي له الخفارة، وكان له علاقة طيبة مع السلطانين الملك الظاهر بيبرس والملك المنصور قلاوون الإلفي فاخضع البادية لسلطتهما وشارك بأربعة آلاف مقاتل في حرب التتار سنة ٦٨٠هـ ١٢٨١م وتولى الإمارة من بعده إثنين من أبنائه واستمرت في بيتهم حتى نهاية القرن الثامن الهجري ومن أشهر أمرائهم المتأخرين الأمير عنقاء بن شطي (٣٢/٧١)، واورد عنه صاحب كتاب آل ربيعة: الأمير شهاب الدين أحمد بن حجي آل مرات ٦٨٢هـ ١٢٨٣م الفرع الثاني من آل ربيعة، وكان أحد الأبطال، وكانت غاراته تصل إلى نجد والحجاز، ويؤدون له الخفر، وكانت له منزلة رفيعة عند الظاهر بيبرس والملك المنصور قلاوون وفي سنة ٦٥٣هـ ١٢٥٥م كان موكب الحاج بحراسة الأمير أحمد بن حجي وقد انضم إلى القافلة الملك الناصر، وكان الأمير أحمد يلقب بشهاب الدين ملك العرب بالبلاد الحجازية، وكانت له إمرة آل مرا كما كان نفوذه يمتد من حوران إلى الحجاز ونجد وبرية العراق وقد شارك بأربعة آلاف

مقاتل في حرب التتار سنة ٦٨٠هـ ١٢٨١م (يعني معركة حمص)،(٣١/١٢٦).

٥- الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى بن مهنا ٦٨٣-٧٣٥هـ ١٢٨٤-١٣٣٥م ورد عنه في كتاب آل ربيعة: تولى إمرة العرب بعد وفاة والده الذي مات بعد أن ناهز الثمانين وكان كبير القدر محترمًا عند الملوك كلهم بالشام ومصر والعراق وكان دينًا خيرًا للحق، وجاء عنه في الدرر الكامنة أنه كان يحب الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية حبًا زائدًا هو وذريته وعربه وله عندهم منزلة وحرمة وإكرام، يسمعون قوله ويمتثلونه وهو الذي نهاهم أن يغير بعضهم على بعض وكان مهنا وقورًا متواضعًا لا يحفل بملبس، دينًا حليمًا، ذا مروءة وسؤدد عفيفًا مشكور السيرة، وجاء عنه في كتاب الإمارة الطائية: تولى الإمارة بعد أبيه لمدة إثنين وخمسين سنة، لكن الإمارة خرجت من الفضل خلال هذه الفترات أربع مرات، وقد حصل خلاف بين أمراء العرب وبين السلطان الأشرف خليل بن قلاوون سنة ٦٨٩-٦٩٣هـ ١٢٩٠-١٢٩٤م فأمر بسجن مهنا بن عيسى أمير العرب وعددًا آخر من أمراء بنيه في قلعة بالقاهرة حتى عام ٦٩٤هـ ١٢٩٥م ويذكر ابن كثير أنه عندما وصل التتار إلى بلاد الشام سنة ٧٠٢ هـ ١٣٠٢م كان مهنا أمير العرب خارجًا عن طاعة المماليك فقام عدد من كبار الشخصيات في بلاد الشام وهم الشيخ أحمد بن تيمية والشيخ إبراهيم الفارقي والشيخ زين الدين الفارقي بالاتصال بأمير العرب لتنبيه عن عزمه الامتناع عن الحضور لقتال العدو فأجابهم بالسمع والطاعة وشترك

وعربه في معركة مرج الصفر التي كان النصر فيها حليف المماليك (٣٢/١٢٥)، وجاء في مصدر أخر وفي سنة ٦٩٢هـ ١٢٩٣م أمسك السلطان الأشرف خليل الأمير مهنا وإخوته وسجنهم بقلعة في القاهرة وأعطى الإمرة لابن عمهم محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة أمير آل علي وبعد مقتل الملك الأشرف أفرج العادل (كتبغا) عنهم عام ٦٩٤هـ ١٢٩٥م وفي هذه الفترة حاول أمراء العرب الاستفادة من المماليك والتتار في وقت واحد واستمر مهنا على ذلك يأخذ الإقطاع بالشام والعراق وتصل إليه الرسل من الفريقين وخلعهما وانعامهما وهو مقيم بالبرية فينتقل من شط الفرات إلى منازله لا يروح إلى أحد من الفئتين وهذا أم لم يعهد مثله ولا جرى نظيره فإن كلا من الطائفتين لو أطلعوا على أحد منهم أنه يكتب إلى الطائفة الأخرى قتلوه لساعته ولا يمهلونه؛ (٣٢/١٢٦)، وفي موضع آخر استمر مهنا يأخذ الإقطاعات من التتار لكنه لم يؤيدهم ضد المماليك، وقد عبر عن وجهة نظره في جوابه للملك التتار بقوله: "نحن ناس عرب وعلينا طاعة مفروضة للملوك ورأينا من سلطاننا (سلطان المماليك) أمر فخشينا عاقبته فخرجنا عن طاعته فصار يقول: أخرج عن بلادي؛ وخرجت من بلاده إلى بلادك ونزحت من طاعته فإن قبلتنا أقمنا، وإن كنت تكره جوارنا رحلنا عنك فالبر للبدوي متسع (٣٢/١٢٧).

وعاد مهنا إلى إمرة العرب وعندما خرج الأمير (قراسنقر) على السلطان والتجأ إلى مهنا واستجار به فأجاره (كما مرينا) وحاول التوسط بين السلطان

و(قراسنقر" لكنه فشل مما أضطره على الخروج على الطاعة فعزله السلطان وعين أخاه الأمير فضل بني عيسى مكانه في هذا الوقت عاد مهنا إلى البرية أرض الجبلين مع عربه، وقرر مهنا اعتراض ركب كبير للحجاج قد سار من العراق بعد عقد الاتفاق مباشرة فأرسل إلى الحجاج مع رسوله طالبًا منهم لنا خفر عليكم خمسة آلاف دينار وبذلك جرت العادة من العرب" وعندما علم الملك الناصر أرسل إلى سيف بن فضل طالباً منه التدخل وقال له السلطان: "ما علمت إياك أمير على العرب إلا أن تمنع مهنا وأولاده مع التعرض لبلادي" فتوجه سيف إلى مهنا وطلب منه عدم التعرض للركب العراقي لكن مهنا أمتنع عن قبول الوساطة قائلاً: "ما لأبيك فإنه يأكل خبز مهنا وأنت تأكل خبز أولاده ولم تحفظون البلاد وتراعون حق السلطان في كل ما يقصده؟ فأنتم تأكلون الأخباز ومهنا يأكل من كسب سيفه وكيف أرجع عن هذا الركب العراقي وفيه مكسب يقوت منها سنة كاملة، وإذا أخذت بحقي فإني رجل ما أنا تحت طاعة سلطان مصر ولا سلطان العراق وإنما آكل بسيفي (٣٢/١٢٩) وعندما عرف أمراء العرب أهميتهم لكل من المماليك والتتار التي كانت تشمل أحيانًا مناطق كثيرة من الشام والعراق، وعندما اتفق المماليك والتتار ضد العرب لجأوا إلى البادية في (شمال نجد) حصنهم الأمين وبدأوا بالاعتداء على طرق المواصلات والاستيلاء على ما كانوا يجدونه مع القوافل التجارية ومواكب الحجاج من أموال ومتاع (٣٢/١٣٠) وفي سنة ٧٢٠هـ ١٣٢٠م عين الأمير محمد بن أبي بكر أميرًا على العرب مكان مهنا ثم عزل محمد وعين فضل مرة أخرى واستمرت النفرة بين مهنا والملك الناصر بن قلاوون مدة تزيد عن عشرين سنة

ثم في عام ٧٣٤هـ ١٣٣٤ أعيدت الإمارة والإقطاعات إلى مهنا لكنه لم يتمتع بها حيث توفي عام ٧٣٥هـ ١٣٣٥م وكان مهنا كبير القدر عند العرب محترمًا عند الملوك في الشام ومصر والعراق فقد وصفه العمري، بأنه كان مشهورًا بالدين والعفة لا يأخذ أموال الرعية كثير العدل في أحكامه وقال عنه أحد معاصريه المؤرخ الذهبي: أنه كان وقورًا متواضعًا لا يحفل بملبس، دينًا حليمًا ذا مروءة وسؤدد ومع ذلك فإنه " لم يعرف له مكارم ويلومه كثيرًا على إفساد العرب بكثرة ما كان ينعمه عليهم من الأموال والمتاع وتولى بعده ابنه موسى بن مهنا وبقيت الإمارة في يده حتى وفاته سنة ٧٤٣هـ ١٣٤١م ثم تولاها فياض بن مهنا بن سليمان ثم عيسى بن فضل ثم سيف بن فضل ثم أحمد بن مهنا حتى أستقرت لجبار بن مهنا بن عيسى عام ٧٤٩هـ ١٣٤٩م (٣٢/٧٥).

٦- الأمير علي بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة.

٧- الأمير محمد بن عيسى بن مهنا ٧٢٤هـ ١٣٢٣م قال عنه المقريزي: في حوادث ٧١٥هـ ١٣١٥م أن الأمير محمد بن عيسى بن مهنا علم بأن الشريف حميضة عزم على الاستعانة بعسكر المغول للاستيلاء على الحجاز فتوجه محمد بعربانه وكبس على عسكر حميضة ليلاً ووضع فيهم السيف وقتل أكثرهم "كما مر بنا في موضع أخر " في سنة ٧٢٤هـ ١٣٢٣م قام الأمير محمد بن عيسى بن مهنا بمهاجمة عسكر سلطان المغول المتوجه إلى مكة وقتل منهم كثيرًا وأرسل منهم إلى الناصر أربعمائة أسير.

٨- الأمير علم الدين سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا ملك العرب وأمير آل فضل ٧٢٤هـ ١٣٢٣م.

٩- الأمير حيار بن مهنا ٧٤٩-٧٧٦هـ ١٣٤٩-١٣٧٥م تولى الإمارة ولم يبق طويلاً في فترته الأولى إذ عزل عام ٧٥٢هـ ١٣١٥م وعين أخاه فياضًا مكانه وذلك بسبب مشاركته مع "يبغا أروس" الأمير المملوكي و "قراجا بن دلغادر" التركماني ثم عزل فياض وأعطيت لسيف بن فضل، وتَبْرِيْد بن تتر الكلابي وقسموها ورفعوا مغلاتها فلم يستطع سيف معارضتهم لقوتهم وكثرتهم وفي عام ٧٥٥ هـ ١٣٤٥ م أعيدت إلى حيار الإمرة ثم خرجت لأخيه فياض وفي سنة ٧٦١هـ ١٣٥٩م عزل الأمير حيار وتولى الإمرة شراكة أحد أمراء آل مهنا ورملة بن جماز من آل علي ومنذ ذلك التاريخ وحتى ولايته الأخيرة للأسرة عام ٧٧٥هـ ١٣٧٣م تولى وعزل عدة مرات بسبب قتله قشتمر المنصوري نائب السلطة بحلب سنة ٧٦٢هـ ١٣٦٠م ولخروجه المستمر عن الطاعة واستمر في ولايته الأخيرة حتى وفاته عام ٧٧٦هـ ١٣٧٥م.

١٠-الأمير فياض بن مهنات ٧٦١ هـ ١٣٥٩م وقد ولي الإمارة بعد أخيه أحمد عام ٧٤٩هـ ١٣٤٨م ثم خرج عن طاعة السلطان عام ٧٥٤هـ ١٣٥٢ م وهو الذي صادفه الرحالة بن بطوطة مع أخيه حيار في فيد على طريق الحج الكوفي وذلك عام ٧٢٧هـ.

١١-سيف الدين بن فضل بن عيسى آل فضل ٧٦٠هـ ١٣٥٨م كان شجاعًا جوادًا ولي إمرة قومه عدة مرات.

١٢-الأمير شمس الدين نعير بن حيار بن مهنا آل فضل ٧٨١-٨٠٨هـ من١٣٧٩-١٤٠٦م عين السلطان بعد حيار أخاه قارا بن مهنا إلى أن

آل إلى نعير بن حيار وكان قصيرًا جذابًا كريمًا في عطاياه كما كان شجاعًا ينتصر دائمًا ومما حدث في عهده ثورة منطاش ٧٩١-٧٩٥هـ ١٣٨٩-١٣٩٣م في عهد السلطان الظاهر برقوق أول سلاطين دولة المماليك الثانية، وقد أيدها أمير العرب نعير بن حيار من بدايتها لأن السلطان برقوق أخرج إمرة العرب عنه وأعطاها لآل عمه آل فضل بن عيسى وعندما تمكن الناصري منطاش من الاستيلاء على السلطة في القاهرة كان الأمير نعير، من أوائل الذين قدموا إلى مصر لتقديم الولاء للسلطان وعاد الأمير نعير إلى بلاده عام ٧٩٢هـ ١٣٨٩م أما برقوق فقد إستأنف نشاطه من منفاه في الكرك وأيده أمراء بني عقبة وأمير آل فضل المعارض لنعير وأنضم إليه في الطريق عرب بني مهدي وجماعة من آل علي الذين كانوا على طاعته من سلطنته الأولى وهزم منطاش لكن هزيمته لم تؤد إلى نهاية ثورته بل على العكس استمرت وقويت بانضمام آل مهنا بقيادة نعير وآل مرا بقيادة عنقاء بن شطي ووقعت المعركة الثانية في شعبان سنة ٧٩٢هـ ١٣٩٠م وتمكن الناصري من كسر نعير وهزمته حتى منازله وتمكن منطاش ومن معه من عرب نعير وعنقاء من هزيمة الأمراء المماليك وتتابعت الأحداث التي أدت في النهاية إلى القضاء على ثورة منطاش رغم انضمام عنقاء بن شطي أمير آل مراء إليه وبالقضاء على منطاش خمدت الفتنة التي استمرت خمس سنوات سنة ٧٩٥هـ ١٣٩٣م وعادت الأمرة إلى نعير ثم خرجت عنه حين تولى السلطنة فرج برقوق سنة ٨٠١ هـ ١٣٩٩م ثم أعيد إلى الإمرة كعادته (٣٢/١١٧-١١٨) قال السخاوي عن نعير:

كان شجاعًا جوادًا مهيبًا إلا أنه كثير الغدر والفساد ومات مقتولاً وبموته ضعفت شوكة آل فضل وكاد أمرهم أن يتلاشى وهذه قائمة بقية أمرائهم حتى نهاية فترة البحث رأس الألف:

١٣- الأمير فياض الخياري (أبوريشة)
١٤- الأمير حسين بن فياض
١٥- الأمير مدلج بن طاهر
١٦- الأمير مطلق (أبو ريشة)
١٧- الأمير خالد العجاج (أبوريشة)
١٨- الأمير عساف أبوريشة
١٩- الأمير ملحم الظاهر
٢٠- الأمير زامل بن علي
٢١- الأمير عيسى بن فضل
٢٢- الأمير فواز بن مهنا
٢٣- الأمير أحمد بن مهنا
٢٤- الأمير موسى بن مهنا
٢٥- الأمير عمر بن موسى
٢٦- الأمير العجل بن نعير
٢٧- الأمير غدا بن هبة الله بن عيسى
٢٨- الأمير حسين بن نعير
٢٩- الأمير زامل بن موسى
٣٠- الأمير حديثة بن سيف
٣١- الأمير سيف بن علي
٣٢- الأمير حمد بن فضل
٣٣- الأمير معيقل بن فضل
٣٤- الأمير قارا بن مهنا
٣٥- الأمير عثمان بن قارا
٣٦- الأمير قريش
٣٧- الأمير ندا أمير آل مرا
٣٨- الأمير عنقاء بن شطي
٣٩- الأمير نعير بن شطي
٤٠- الأمير عامر بن طاهر بن حيار
٤١- الأمير مدلج بن علي بن نعير
٤٢- الأمير عاذر بن علي بن نعير
٤٣- الأمير عاذر بن علي بن نعير
٤٤- الأمير فضل بن عيسى بن جبار
٤٥- الأمير احمد بن سليمان آل بقر
٤٦- الأمير العباس بن أحمد

وهناك أمراء آخرون:

١- الأمير فضل بن عيسى بن مهنا ٧٣٩ هـ ـ ١٣٣٨م أمر سنة ٧١٦هـ ـ ١٣١٦م عوضًا عن أخيه مهنا لكن قبائل عقيل وعرب الإحساء والقطيف تحالفت ضد الأمير فضل وطردوه من البصرة.

٢- الأمير قريش ابن أخ زامل بن موسى بن مهنا، وفي عام ٧٨٥ هـ ـ ١٣٨٣م قام بارتكاب مجزرة ضد حجاج شيراز والبصرة والحسا ونهب ما كانت تحمله قوافلهم من أموال عظيمة ثم قام باعتراض طريق الحجاج العراقيين وإرغامهم على دفع مبالغ كبيرة ويفصل ذلك صاحب كتاب نزهة النفوس بقوله: أخبرني الحاج العراقي أن حاج شيراز والبصرة قد طلع عليهم قريش بن أخ زامل في ثمانية آلاف رجل فأخذوا ما معهم من الجوهر واللؤلؤ وغيره وقيمة ذلك مما لا يدخل تحت دائرة الإحصاء لكثرته وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ومن فر منهم عاد ماشيًا جائعًا عاريًا وقدموا صحبة حاج بغداد، وأما الحاج العراقي فدفع عشرين ألف دينار عراقية حسابًا على كل جمل خمسة دنانير حتى مكنوا من التوجه إلى مكة (٣١/١٦٣).

٣- الأمير ظاهر بن عساف بن نعير ٩٤٥هـ ـ ١٥٣٨م وكانت له قوة خارقة بحيث يمسك الدرهم من الفضة بفركه فيذهب نقشه ويفتت الحنطة بين أصبعيه وأشتهر بالبطش والقسوة.

٤- الأمير شديد بن أحمد آل حيار وكان ظالمًا عنيدًا متكبرًا سنة ١٠٠٠ هـ ـ ١٥٩١م كان متغلبًا على أكثر البر في أوائل القرن وهو معاصر للأمير ناصر بن مهنا أمير قبيلة القشعم (٣١/١٩٠/١٦٨).

امتداد نفوذ الطائيين إلى نجد:

جاء في مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (٧٠٠-٧٤٩هـ ـ ١٣٠٠-١٣٤٨م) أن الإمارات الطائية الثلاث كان يمتد نفوذها إلى نجد في القرن السابع والثامن الهجريين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين كما مر بنا في الحوادث التي جرت على هذه الرقعة وربما امتد هذا إلى ما قبل القرنين المذكورين حيث أن الطائيين كانوا على صلة بمنطقة البحث قبل هذا الزمن مستمرة منذ ما قبل هذا الزمن منذ ما قبل البعثة المحمدية على صاحبها أزكى الصلاة والتسليم والإمارات الطائية المقصودة تنقسم إلى ثلاث إمارات:

١- **آل فضل بن ربيعة** ونفوذهم يمتد من حمص إلى قلعة جعبر إلى رحبة (على الفرات) آخذين على شقي الفرات وأطراف العراق حتى ينتهي حدهم قبلة بشرق إلى الوشم (بنجد) آخذين يسارًا (الكاتب في مصر ويسارًا بالنسبة له إلى الشمال الشرقي) إلى البصرة ولهم مياه كثير ومناهل موروثة كما قال الشاعر:

ولهم مناهل على كل ماء وعلى كل دمنة آثار

٢- **آل علي بن حديثة** آل ربيعة ونفوذهم من مرج دابق ودمشق وغوطتها بين إخوالهم آل فضل وأعمامهم آل مرا ومنتهاهم حرة إلى الجوف

والحيانية(في شمال نجد) إلى الشبكة (وهي إلى الشمال الشرقي عن مدينة سميراء بمنطقة حائل) إلى تيماء إلى البرادغ (٢٨/١٣٧).

٣- **آل مرا بن ربيعة** ويمتد نفوذهم من بلاد الجيدور والجولان إلى الزرقاء والضليل إلى بصرى ومشرقًا(بجنوب) إلى الحرة المعروفة بحرة كشب قرية من مكة المعظمة (إلى الشمال الشرقي عنها) إلى شعبى(جبل معروف بعالية نجد) إلى نيرا بن مزيد (جبل النير المعروف) إلى الهضب المعروف هضب الراقي(الهضب معروف بعالية نجد) وربما طاب لهم البر وامتد بهم المرعى وإن خصب الشتاء فتوسعوا في الأرض وأطالوا عدد الأيام والليالي حتى تعود مكة المعظمة، وراء ظهورهم ويكاد سهيل أن يكون شامهم ويصلون مستقبلين وجوههم الشام ويدخل في إمارتهم آل مغيرة وآل غزي من الفضول وآل ظفير وآل برجس والخرسان ومن غزية البطنان (١٣٨/ ٢٨) (فضلاً أنظر الخريطة الموضحة لذلك).

وقد ذكر الاستاذ صالح بن ناصر الطعيس في كتابه (مدينة حريملاء) أن هذه المدينة قد تأسست في القرن التاسع الهجري على يد يوسف بن أحمد أبوريشة الذي أرسله أبوه من بلاد الشام ليبحث له عن موطن حصين في نجد لينتقل إليه هو وعشيرته من الشام وأعطاه مواصفات المكان المرغوب فيه (١٤- ٢٠٢/٢١)، وأمضى يوسف بن أحمد أبو ريشة سبع سنوات في حفر الآبار وتنظيم القنوات وإنشاء المساكن وبناء السور المعروف بـــ (حامي أبوريشة) ويعتبر هذا السور أقدم أسوار حريملاء وأكثرها ضخامة إذ يتكون من ثلاثة أسوار متلاصقة ويستوحي من أجزائه المتبقية أن عرضه عند القاعدة يبلغ ثلاثة

أمتار يتضائل بالارتفاع حتى لا يزيد عن نصف متر في قمته ويمتد بطول ٣٣٠٠ مترًا محيطًا بمعظم أجزاء المدينة الحالية ويقدر ارتفاعه بستة أمتار يتخلله عدد من الأبراج على هيئة دائرية الشكل التي يتضاءل اتساعها بالارتفاع بحيث يقارب عند القاعدة خمسة أمتار لا يزيد على مترين عند قمتها التي يبلغ ارتفاعها سبعة أمتار وتنحصر بوابات هذا السور عند مجاري فروع الأودية والمواد الداخلة في بناء السور الطين (العروق) والحجر وتفصيل ذلك في الصفحات من ١٤- ٢١ ومن ١٨٥- ١٩٢ من الكتاب المذكور.

والمعروف أن آل أبي ريشة من آل فضل الطائيين وأول من لقب بهذا هو الأمير عيسى بن مهنا آل فضل بعد اشتراكه مع الملك المنصور قلاوون الألفي ضد التتار عام ٦٨٠هـــ ١٢١٨م وأبلى في هذه المعركة مع قبيلته بلاء حسنًا كان النصر حليف المسلمين فأنعم عليه السلطان بريشة من ذهب أثبتها في مقدمة عمامته وكني بعدها بـــ " أبو ريشة " ولا تزال ذريته حتى الآن منهم الشاعر المشهور عمر أبو ريشة رحمه الله وغيره كثيرًا.

ما قيل في الطائيين من الشعر

قال ابن المغربي يمدح حسان بن مفرج الطائي من قصيدة:

علاك نجم الدين فاشتد ناصره ورفرف بالتوفيق واليمن طائره
تسايرك العلياء والمجد مثلما يصاحب شمس ظله ويسايره
طلعت لدين الله شمس يحفها غمائم جود ما تغب مواطره
فلا ضوء شمس الدين يقشع غيمها ولا الغيم منها مانع الضوء ساتره
فقد نسيت طيء بجودك حاتمًا وأغناهم من غائب الفخر حاضره
ولم أر جودًا غير جودا بن دغفل معينًا إذا استرفدته فاز زائره
مفرقة في كل وفد هباته مقسمة في كل نجد خواطره
فللجود والهيجاء والحكم شطره وللنقض والإبرام والحزم سائره
ونيطت به الآمال والحرب والعلى وليدًا وما نيطت عليه مآزره
يخبرنا عن جوده بشر وجهه وقبل أنصداع الفجر تبدو بشائره
وروع أملاك البرية يافعًا فكيف به لما استمرت مرائره
كمي تحاماه الكماة كأنما تناط على ليث هزبر مغافره

وقال ابن المغربي يمدح الأمير مفرج بن دغفل الطائي والد حسان من قصيدة:

يتثائرون على الصريخ كأنهم يدعون نحو غنائم ونهاب

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

من كل أهرت يرتمي حملاقة بالجمر يوم تسايف وضراب
يهديهم حسان يحمل بزه جرداء تقبله جناح عقاب
يجري الحياء على أسرة وجهه جرى الفرند بصارم قضاب
كرم يشق على التلاد وعزمه يغتال بادرها الهزبر الضابي
يا طيء الخيرات بين خلالكم أمن الشريد وهمة الطلاب
سمكت خيامكم باسنمة الربا مرفوعة للطارق المنتاب
وتدل ضيفتكم عليكم أنور شبت بأجذال قهرن صعاب
ولكم إذا أختصم الوشيج لباقة بالطعن فوق لباقة الكتاب
فالرمح مالم ترسلوه أخطل والسيف مالم تعلموه ناب
جاورتكم فملأتم عين الكرى وجوانحي بغرائب الأطراب
لا جاد غيرهم الربيع ولا مرت غزر اللقاح لغيركم بحلاب

وقال الشاعر علي التهامي يمدح حسان بن مفرج الطائي:

فلما استملنا راحة بن مفرج تدفق بالجود الصريح غمامها
هو الملك يبلي بسطة قبل وقتها سجود ملوك موقها وقيامها
وإن قبلت منه ركابا وراحة فقد فاز بالحظ الجزيل سهامها
إذا عاينته من بعيد ترجلت فإن هي لم تفعل ترجل هامها

تصادم تيجان الملوك ببابه ويكثر في يوم السلام ازدحامها

تحنه إلى أعلى المراتب عصبة يسود من قبل البلوغ غلامها

فما السعد كل السعد إلا عطاؤه وما النحس كل النحس إلا انتقامها

ألا أن طيًا للمكارم كعبة وحسان منها ركنها ومقامها



مخطط تقريبي يبين نفوذ الطائيين في شمال نجد

٢- الدولة العقيلية (٣٨٠- ٤٨٩هـ ٩٩٠- ١٠٩٥م):

الدولة العقيلية نسبة لعقيل بن عامر وقد خرج هذا البطن من نجد إلى جنوب العراق ثم نزحت إلى الموصل حيث كونت الإمارة العقيلية التي استمرت أكثر من مئة سنة وكان تأثيرها غير مباشر في منطقة البحث بحكم علاقتها القبلية بمن بقي من هذا البطن في موطنها الأصلي.

وقد رحب الحسن بن أحمد القرمطي عام ٣٥٩هـ ٩٦٩م بزعماء الشام وعلى رأسهم ظالم بن موهوب العقيلي الذين لجأوا إليه هربًا من سوء معاملة جعفر بن فلاح قائد الجيش الفاطمي (٢٣/٢٥٠).

وكان لا نضواء فريق من العقيليين (أصحاب الموصل) بزعامة ظالم بن موهوب العقيلي تحت لواء الحسن بن أحمد (القرمطي) أثر كبير في ازدياد قواته وإحرازه النصر على خصمه، وقد عمل الحمدانيون على مساعدة القرامطة حكام البحرين (الإحساء) ليقضوا على الفاطميين في بلاد الشام، ولم يدخر الفاطميون جهدًا في سبيل نشر الدعوة الفاطمية في العراق حيث أقيمت الدعوة للخليفة العزيز عام ٣٨٢هـ ٩٩٢م في الموصل على يد أبي الدرداء محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد العقيلي كما نجح الحاكم بأمر الله الفاطمي في استمالة قرواش بن المقلد الملقب بمعتمد الدولة أمير بني عقيل الذي آلت إليه السيادة في الموصل، وكان بنو عقيل وغيرهم من القبائل العربية (بنو كلاب وبنو نمير وبنو خفاجة) يقيمون بين الجزيرة والشام ولما أسس الحمدانيون دولتهم في الموصل صاروا من رعاياهم يؤدون إليهم الإتاوة ويخرجون معهم في الحروب على أن بني عقيل سرعان ما تطلعوا إلى امتلاك البلاد بعد أن تطرق الضعف إلى دولة بني

حمدان فاستولى أميرهم أبو الدرداء محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد العقيلي على نصيبين سنة ٣٧٩هـ ـ ٩٨٩م ثم سار إلى الموصل وضمها إلى حوزته في السنة الثانية وأقره بهاء الدولة بن بوية عليها ثم عزله البويهيون ثم استعادها أخوه المقلد العقيلي سنة ٣٨٠ هـ ـ ٩٩٠م وأسس بها دولة العقيليين التي ظلت حتى سنة ٤٨٩هـ ـ ١٠٩٥م (٢٠٥/١٠٩)؛ استولى القائد البويهي أبو الحارث أرسلان البساسيري على البصرة عام ٤٤٤ هـ ـ ١٠٥٢م ثم عينه الخليفة القائم بأمر الله العباسي رئيسًا للأتراك في بغداد؛ حتى أصبح الخليفة العباسي لا يقطع أمرًا دونه، ولا يحل ويعقد إلا عن رأيه؛ لكن ما لبث أن واجه الكثير من الصعاب جراء ما قام به أبو المعالي قريش بن بدران العقيلي أمير الموصل من محاصرته مدينة الأنبار والاستيلاء عليها ونهبها ثم إقامة الخطبة في منابرها للسلطان طغرك بك السلجوقي، وقد انتهز وزير المنتصر بالله الفاطمي أبو محمد الحسن بن علي البازوري فرصة خروج البساسيري على الخليفة العباسي، حيث أرسل إليه المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي الداعية الفاطمي، ومعه الأموال والسلاح والخلع وتشمل ٥٠٠,٠٠٠ دينار ذهب ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك و ٥٠٠ فرس و ١٠,٠٠٠ قوس وعدد كبير من السيوف وكثير من الرماح والنشاب. (٢٥٠/١٠٥) و(٢٤٠/١٢/٥)، وقد طلب الوزير البازوري من المؤيد الشيرازي أن يجند ٣٠٠٠رجل من العرب الكلبيين بالشام ويسير بهم إلى الرحبة (قرب الفرات) لمساندة البساسيري وجنده من الاتصال بثمال بن صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب، وقد استطاع المؤيد بدهائه وحسن سياسته أن يكسب ثقة ثمال بن صالح بن مرداس وأن يستميله إليه ويجعله يبدي

استعداده إلى تجديد البيعة للخليفة الفاطمي فأجاب ذلك، وقد واصل المؤيد مسيرة إلى الرحبة وبصحبته ثمال بن صالح بن مرداس على رأس جنده من بني كلاب. (٢٥٠/١٠٦).

وقد استقر رأي المؤيد بعد وصوله إلى الرحبة على استمالة أمراء العرب لضمان نجاح حركة البساسيري فأرسل إلى نور الدين دبيس بن مزيد الأسدي صاحب الحلة (الإمارة المزيدية لبني أسد أسسوا إمارتهم في الحلة وما حولها مما اضطر البويهيين للاعتراف بها عام ٤٠٣ هـ ـ ١٠١٢م) أن يلحق به في الرحبة واستطاع بعد قدومه أن يقنعه بمعاونة البساسيري ومنحه عهدًا لقبه فيه (بالأمير سلطان ملوك العرب سيف الخلافة أمير المؤمنين) كما قلده زعامة عرب العراق وسار البساسيري ومعه دبيس بن مزيد، كما قدمت إليه نجدة من دمشق قوامها الكلبيون الذين رفضوا في باديء الأمر المسير مع الجيش إلا إذا انفصل العرب عن غيرهم من جند الأكراد والأتراك، لكن المؤيد ما لبث أن حملهم على العدول عن رأيهم بالأموال التي أغدقها عليهم (١٠٩-٢٥٠/١١٠)، وظل المؤيد حريصًا على التودد لأمراء العرب بالعراق رغم ما لاحظه من ترددهم في نصرة البساسيري فأرسل كتبه إلى نور الدولة دبيس بن مزيد الأسدي أمير الحلة وقريش بن بدران العقيلي (أمير الموصل) رغبة للإبقاء على مودتهم ثم أزمع الرحيل إلى الرحبة ومنها إلى حلب حيث التقى بأميرها ثمال بن صالح بن مرداس (الكلابي) ولحق به البساسيري فنزل بمكان يسمى (بالس) على مقربة من حلب وبصحبته قريش بن بدران ونخبة من وجوه عقيل (٢٥٠/١١٢)، وانتهز البساسيري فرصة انشغال طغرل بك بإخماد حركة أخيه إبراهيم ينال وزحف

إلى بغداد على رأس ٤٠٠ فارس حاملاً معه الرايات المستنصرية، كما سار معه قريش بن بدران في ٢٠٠ فارس وتمكن من الاستيلاء عليها في ٨ ذي القعدة سنة ٤٥٠ هـ ـ ١٠٥٨م دون مقاومة، وأقام الخطبة بجامع الخليفة العباسي القائم بأمر الله يطلب الأمان من قريش بن بدران (العقيلي) فأمنه كما أعطى الأمان لرئيس الرؤساء فاستاء البساسيري من قريش بن بدران، بعث قريش بن بدران الخليفة العباسي مع ابن عمه الأمير محي الدين مهارش بن المجلي العقيلي إلى حديثة عانة بالقرب من الأنبار فأنزله مع أهله وحريمه وحاشيته وكان البساسيري قد ألزم الخليفة العباسي قبل مغادرته بغداد كتابة عهد اعترف فيه بأنه لا حق لبني العباس ولا له بالخلافة مع وجود بني فاطمة الزهراء (٢٥٠/١١٨).

ولما أتم طغرل بك القضاء على حركة أخيه إبراهيم ينال، أرسل إلى البساسيري وقريش بن بدران يطلب منهما إعادة الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى بغداد، ولم يجب البساسيري هذا الطلب، كما طلب قريش بن بدران من الأمير محي الدين مهارش صاحب الحديثة ليحول دون عودة الخليفة العباسي إلى بغداد، ولكن الأمير مهارش رأى ألا يذعن لرغبة قريش بن بدران ثم أزمع على المسير إلى بغداد بصحبة الخليفة في ١١ ذي القعدة سنة ٤٥١هـ ـ ١٠٥٩م (٢٥٠/١٢٢).

لم يكد يستقر الأمر للخليفة العباسي ببغداد حتى عهد إلى السلطان خمارتكين الطغرائي بالمسير على رأس ألفي فارس إلى الكوفة حيث يقيم

البساسيري كما ضم إليه طائفة من الجند بقيادة ابن منيع الخفاجي (١٠٢/١١٧).

وعندما ضاق الأمر كثيرًا بأهل حلب تحت حكم سابق بن محمود المرداسي: راسلوا مسلم بن قريش العقيلي (حاكم الموصل) ليخلصهم مما هم فيه فسار إليهم سنة ٤٧٢هـ ـ ١٠٧٩م، فأغلق سابق حلب في وجهه ومعه بداخل حلب أبو علي الحسين بن هبة الله الهاشمي العباسي المعروف بالحتيتي فخرج ابن له من داخل حلب إلى الصيد فقبض مسلم بن قريش عليه، وجعله رهينة بيده كي تستسلم له المدينة فاستسلمت فعلاً ودخلها بسلام. وفي مصدر آخر يقول ابن الجوزي إن سابق بن محمود هو الذي أوحى لمسلم بن قريش بالقدوم إليه لتسليمه المدينة ومما قاله: " أنت أولى من الغز والعربية تجمعنا" وسار مسلم بن قريش إلى حلب فوصلها في ١٢ ذي القعدة سنة ٤٧٢هـ ـ ١٠٧٩م ومعه بنو كلاب وكلب ونمير وجميع القبائل وقد أطاعوه خوفًا من (الغز) وأنفق عليهم الأموال يوم الجمعة ٢٠ من ذي القعدة ٤٧٢هـ ويبدو أن أوضاع حلب قد تردت كثيرًا بسبب تعرضها لحصار ومنازعات السلاجقة، وغيرهم، مما جعل سابق بن محمود يوحي إلى مسلم بن قريش العقيلي كي يأتي إليه ليسلمه المدينة (١٤٢/٨٠).

وهكذا صار للسلطة العقيلية مركز بحلب لمسلم بن قريش العقيلي، وقام مسلم بن قريش بمهاجمة حمص عام ٤٧٥هـ ـ ١٠٨٢م، وقد أرسل مسلم بن قريش العقيلي عام ٤٧٨هـ ـ ١٠٨٥م إلى ابن قتمش السلجوقي ولم تجد المراسلات التي تمت بين الطرفين، فبدأ كل منها يتحرش بالآخر وخرج مسلم بن

قريش في جيش يضم العرب والأتراك فالتقى مسلم بن قريش مع ابن قتلمش في مكان يقال له قرزاحل قرب حلب على نهر عفرين سنة ٤٧٨ هـ ١٠٨٥م فانهزمت العساكر وقُتِلَ مسلم بن قريش في ٢٤ صفر ٤٧٨هـ ١٠٨٥م (١٤٢/٨٢)، أقام بنو عقيل زعيمًا عليهم بعد مسلم أخاه إبراهيم بن قريش وتزوج زوجة أخيه (صفية خاتون) عمة السلطان ملكشاه غير أن ملكشاه لم يرض بذلك فقبض على إبراهيم وعين بدلاً عنه محمد بن مسلم بن قريش وأقطعه الرحبة وحران والرقة وسروج في الجزيرة ثم زوجه بأخته (زليخة خاتون) سنة ٤٧٩هـ - ١٠٨٦م، والحق أن مسلم بن قريش لم يدخر جهدًا في توحيد الصفوف في الشام والجزيرة واستعمال كافة الأساليب والحيل للتخلص من الوجود السلجوقي في هذه البلاد إلا أن الزعامات العربية الأخرى لم تتعاون معه بشكل جدي؛ وبقيت قلعة حلب بيد سالم بن مالك العقيلي ابن عم مسلم فامتنع بها ورفض التسليم (١٤٢/٨٣)، وإذا عدنا إلى الوراء فإننا نجد دولة العقيليين قد دام وجودها أكثر من مئة سنة حيث بدأت عام ٣٨٠ - ٤٨٩هـ ٩٩٠ – ١٠٩٥م ومؤسسها:

١- أبو محمد بن المسيب العقيلي ٣٨٠-٣٨٦هـ ٩٩٠- ٩٩٦م

٢- المقلد بن المسيب العقيلي ٣٨٦- ٣٩١هـ ٩٩٦- ١٠٠٠م

٣- قرواش بن المقلد العقيلي ٣٩١-٤٤١هـ ١٠٠٠-١٠٤٩م

وكان قرواش من رجال العرب وذي العقل وله شعر حسن وقد كان تحت حكمه كثير من البلاد كالموصل والكوفة وسواهما وعظم شأنه وطمع في ملك بغداد.

٤-أبو الكامل بن المقلد العقيلي ٤٤١-٤٤٣هـ ١٠٤٩-١٠٥١م

٥- قريش بن بدران بن المقلد العقيلي ٤٤٣- ٤٤٥هـ ١٠٥١- ١٠٥٣م

٦-مسلم بن قريش العقيلي ٤٤٥- ٤٧٨هـ ١٠٥٣-١٠٨٥م

وقد اتسع ملكه وكانت بلاده غاية في الخصب والأمن وكان حسن السياسة كثير العدل.

٧- إبراهيم بن قريش العقيلي ٤٨٢هـ ١٠٨٩م

٨-محمد بن مسلم بن قريش العقيلي ٤٨٢هـ ١٠٨٩م

٩- علي بن محمد بن مسلم بن قريش العقيلي ٤٨٩هـ ١٠٩٥م، وعلى يديه انتهت دولة العقيليين.

٢- دولة خفاجة ٣٧٤- ٥٦٨هـ ٩٨٤-١١٧٢م:

قامت دولة خفاجة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي وقد استمرت نحو ١٩٤ سنة قرب الكوفة وقد قال فيهم المرار الفقعسي الأسدي:

رأيت بني خفاجة من عقيل كراع الناس مشتبهي النعال

كمثل بني أمية من قريش لكل قبيلة منهم عوالي

ومؤسس هذه الدولة هو :

١- أبو طريف عليان بن ثمال الخفاجي ٣٧٤-٣٩٠هـ ٩٨٤-٩٩٩ م وكانت له مكانة واسعة بين أمراء العرب قلده الخليفة العباسي حماية الكوفة عام ٣٧٤هـ وهي أول إمارة بني ثمال.

٢- أبو علي بن ثمال الخفاجي ٣٩٠-٣٩٩هـ ٩٩٩-١٠٠٨م.

٣- سلطان بن ثمال الخفاجي ٣٩٩-٤١٥هـ ١٠٠٨-١٠٢٤م.

ومن الأحداث التي جرت في زمنه عام ٤٠٢ هـ ١٠١١م أن توجهت قافلة الحجاج القادمة من بغداد وكان فيها كثير من جنود الخلافة وكثير من الأموال الخاصة بدولة الخلافة العباسية فسارت بنو خفاجة إلى واقصة (على طريق الحج الكوفي في شمال نجد) وتعرضت لهذه القافلة ومنعوا عنهم الماء ثم قاتلوهم ولم يسلم منهم إلا اليسير، فأرسلت بغداد جيشًا كبيرًا لقتال بني خفاجة وأمرت الحسن بن مزيد الأسدي (صاحب الحلة) بمحاربتهم بأمر فخر الدولة فأوقع بهم قرب البصرة وقتل وأسر من بني خفاجة جمعًا كثيرًا وفي سنة ٤٠٤هـ ١٠١٣م استشفع الأمير سلطان بن ثمال الخفاجي بالحسن بن مزيد الأسدي إلى فخر الدولة ليرضى عنه فأخذ عليه العهود بلزوم الهدوء وإطاعة أوامر الخليفة فلما خرج وصلت الإخبار (مدسوسة) إلى بغداد بأن بني خفاجة لا يقبلون صلحًا مع فخر الدولة وأنهم يريدون أن ينقموا لكرامتهم وأنهم نهبوا سواد الكوفة وقتلوا طائفة من الجند (وأنطلقت هذه الدسيسة) فسير فخر الدولة (ابن بويه) جيشًا كبيرًا وكتب إلى ابن مزيد بمحاربتهم فأوقع بهم بنهر الرمان وأسر محمد بن ثمال الخفاجي وجماعة معه من أعيان بني خفاجة، نجا الأمير سلطان بن ثمال الخفاجي ودخل الأسرى بغداد مقيدين بالأغلال وحبسوا ثم هب على المنهزمين من بني خفاجة ريح شديدة حارة قتلت منهم نحو ٥٠٠ رجل وأفلت منهم جماعة ممن كانوا قد أسروا من الحجاج عام ٤٠٢ هـ وفي عام ٤١١ هـ ١٠٢٠م قامت الحرب بين قرواش العقيلي أمير الموصل وبين

غريب بن مقن ودبيس بن علي الأسدي صاحب الحلة وكان معهما عسكر من بغداد فهُزِمَ قرواش ومن معه وأسر في المعركة ثم نجا من الأسر، وقصد الأمير سلطان بن ثمال الخفاجي فسير إليهم جيشًا من الأتراك فانهزم الخفاجي وقرواش.

٤- أبو الفتيان منيع بن حسان الخفاجي ٤١٥- ٤٤٣هـ ١٠٢٤-١٠٣١م، وفي زمنه وقعت حرب طاحنة بين قرواش بن المقلد العقيلي أمير الموصل وبين بني أسد وبني خفاجة، فقد اجتمع دبيس بن علي بن مزيد الأسدي أمير الحلة وأبو الفتيان منيع بن حسان الخفاجي أمير بني خفاجة وجمع عشائرهما وانضم إليها جيش بغداد لقتال مرداس بن مقلد عام ٤١٧هـ ١٠٢٥م.

٥- الأمير علي بن ثمال الخفاجي ٤٢٣-٤٢٦هـ ١٠٣٠-١٠٣٤م.

٦- الأمير الحسن الخفاجي ٤٢٦-٤٤٠هـ ١٠٣٤-١٠٤٨م.

٧- الأمير منيع بن منيع بن حسان الخفاجي ٤٤٠- ٤٤٦هـ ١٠٤٨-١٠٥٤م، وفي عهده سنة ٤٤٦ هـ قصد بنو خفاجة تهديد دولة بني أسد فأغاروا على (الجامعين) وهي من ولايات نور الدين دبيس بن علي الأسدي ملك الحلة فاستنجد دبيس بالبساسيري قائد جيوش الخلافة، فجاء بنفسه وعبر دبيس الفرات معه وقاتلوا بني خفاجة وأجلوهم عن (الجامعين) فدخلوا بادية نجد فاتبعوهم إلى خُفّان وهو حصن فيها وأوقعوا بهم فيه وحاصروا الحصن ثم اقتحموا وقتلوا من بني خفاجة ونهبوا أموالهم وأبلهم وشردوهم.

٨- الأمير محمود بن الأخرم الخفاجي ٤٤٦-٤٦٥هـ ١٠٤٨-١٠٧٣م تولى لخفاجة وخطب للخليفة الفاطمي المستنصر بالله وخرج عن الولاء لبني

العباس وحرض نور الدولة دبيس بن علي الأسدي ففعل مثله لكن السلطان طغرل بك استرضاه فعاد عما هو عليه عام ٤٤٩هـ ١٠٧٥م وفي عام ٤٥٢هـ ١٠٦٠م خلع السلطان طغرل بك على الأمير محمود الخفاجي ورد إليه إمارة بني خفاجة وصرف عنها رجب بن منيع الخفاجي، واعتمادًا على تغريبة بني هلال(قصة أبوزيد الهلالي) التي جاء فيها "رحل الهلاليون من نجد في نحو ٤٠٠,٠٠٠ أربعمائة ألف نفس وساروا إلى بلاد مزيد الدبيسي ثم وصلوا إلى بلاد الأمير عامر الخفاجي في العراق"، وفي معارك ٤٨٥ هـ ١٠٩٢م قدم حجاج الكوفة ثم رحلوا عنها وكان فيهم أموال وجنود كثيرة للخلافة فخرجت عليهم بنو خفاجة فأوقعوا بهم ثم قصدوا الكوفة فدخلوها وأغاروا عليها فسيرت بغداد جيشًا لمحاربتهم فلما سمع بنو خفاجة بهم انهزموا وأدركهم العساكر فقتل منهم خلقاً كثير ونهبت أموالهم وضعف بنو خفاجة بعد هذه الموقعة. وفي عام ٤٩٩ هـ ١١٠٥ م قامت حرب بين خفاجة وبين عبادة بالقرب من الكوفة حيث التقوا واقتتلوا فكمنت لهم بنو خفاجة وانتصرت عليهم وغنمت أموالهم وكان صدقة بن دبيس الأسدي قد أعان بني خفاجة سرًا وفي عام ٥٠٠ هـ ١١٠٦م وقعت حرب بين خفاجة ومعهم صدقة بن دبيس الأسدي وانتصرت فيها عبادة على خفاجة.

٨- الأمير الغضبان الخفاجي: ٥٦٠- ٥٦٨هـ ١١٦٤- ١١٧٢م وفي عهده زادت غارات بني خفاجة على ما حولها وخربت الكوفة وكان سبب فسادها من عرب خفاجة المجاورين لهم فإنهم يقطعون طريقها. وجاء في

رحلة ابن بطوطة في بداية القرن الثامن الهجري ٧٢٧هـ ١٣٢٦م عند مروره بهذه المنطقة ما نصه: وسافرت إلى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة وهم أهل تلك البلاد ولهم شوكة عظيمة وبأس شديد ولا سبيل للسفر في تلك الأقطار إلا في صحبتهم وكان أمير تلك القافلة شامر بن دراج الخفاجي. وهناك قصر لا يزال باقياً حتى الآن قرب الكوفة والنجف يسمى الأخيضر يقال أنه قصر الخفاجي وفي الروايات الشعبية أنه لعامر الخفاجي وتدور حوله قصص تشبه الأساطير فيما يتعلق ببني هلال ومرورهم على عامر الخفاجي.

٤- الدولة المزيدية (لبني مزيد من بني أسد) ٤٠٣-٥٤٧هـ ١٠١٢-١١٥٢م:

وقد استمرت هذه الدولة في الحلة بجنوب العراق نحو ١٤٠ سنة حيث وصلت مجموعة من بني أسد إلى العراق في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي فأسسوا في الحلة الإمارة المزيدية التي أضطر البويهيون للاعتراف بها عام ٤٠٣ هـ ١٠١٢م والتي استطاعت السيطرة حتى أواخر القرن الخامس الهجري على مناطق الكوفة وواسط والبصرة وهيت وتكريت ثم بدأ يضعف أمرها ولكنها استمرت حتى نهاية النصف الأول من القرن السادس الهجري، ومؤسسي هذه الدولة هو:

١- الحسن بن مزيد الأسدي ٤٠٣-٤٠٥هـ ١٠١٢- ١٠١٤م.

٢- علي بن مزيد الأسدي ٤٠٥- ٤٠٨هـ ١٠١٤- ١٠١٧م.

٣- دبيس بن علي بن مزيد الأسدي ٤٠٨- ٤٧٤هـ ١٠١٧-١٠٨١م.

٤- منصور بن دبيس الأسدي ٤٧٤-٤٧٩هـ ١٠٨١-١٠٨٦م

٥- صدقة بن منصور الأسدي ٤٧٩-٥٠١ هـ ١٠٨٦- ١١٠٧م

٦- دبيس بن صدقة الأسدي ٥٠١-٥٢٩هـ ١١٠٧- ١١٣٤م

٧- صدقة بن دبيس الأسدي ٥٢٩- ٥٣٠هـ ١١٣٤- ١١٣٥م

٨- محمد بن دبيس الأسدي ٥٣٠- ٥٣٦هـ ١١٣٥- ١١٤١م

٩- علي بن دبيس الأسدي ٥٣٦- ٥٤٢هـ ١١٤١-١١٤٧م

١٠-محمد بن دبيس الأسدي ثانية ٥٤٢-٥٤٧ هـ ١١٤٧- ١١٥٢م

وبه انقضى حكم الدولة المزيدية بعد حكم دام نحو قرن ونصف.

٥-الإمارة المرداسية الكلابية ٤١٥- ٤٧٢هـ ١٠٢٥ - ١٠٨٠م:

المرداسيون هم بنو مرداس الكلابيون وقد قامت إمارتهم في بداية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي واستمرت هذه الدولة نحو نصف قرن ومؤسسها هو صالح بن مرداس الكلابي كما جاء في كتاب بنو مرداس، وهو صالح بن مرداس بن إدريس بن نصير بن حميد بن مدرك بن شداد بن عبيد بن قيس بن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب وامراؤها كما يلي:

١-صالح بن مرداس الكلابي ٤١٥- ٤٢٠هـ ١٠٢٥- ١٠٣٠م.

٢-نصر بن صالح بن مرداس الكلابي ٤٢٠- ٤٢٩ هـ ١٠٣٠- ١٠٣٨م.

٣-ثمال بن صالح بن مرداس (الأولى) ٤٣٣- ٤٤٩هـ ١٠٤٣- ١٠٥٨م.

٤-ثمال بن صالح بن مرداس (الثانية) ٤٥٣-٤٥٤هـ ١٠٦١- ١٠٦٢م.

٥-عطية بن صالح بن ثمال الكلابي ٤٥٧- ٤٦٧ هـ ١٠٦٥- ١٠٧٥م.

٦-محمود بن نصر بن صالح الكلابي ٤٥٧-٤٦٧ هـ ١٠٦٥- ١٠٧٥م.

٧-نصر بن محمود بن نصر الكلابي ٤٦٧- ٤٧٢ هـ ١٠٧٥- ١٠٨٠م.

وثمال بن صالح المرداسي قد عاصر دبيس بن علي الأسدي الأول صاحب (الجامعين حالة بني أسد) في دولة بني مزيد صاحب الحلة كما عاصر محمود بن الأخرم الخفاجي صاحب الكوفة وكذلك عاصر قريش بن بدران بن مقلد بن مسيب العقيلي صاحب الموصل ومنيع بن شبيب بن وثاب النميري صاحب حران وكلهم عاصروا حملة المؤيد الفاطمي والبساسيري ضد الخلافة العباسية في عهد المنتصر كما مر بنا.

٦- عُمَانُ:كان لعمان أثر مباشر وغير مباشر على هذه المنطقة كما تفيد النصوص التي ستتعرض لها ومن هذه النصوص: أن نجدة الحنفي بعد أن هزم الجيش الذي أرسله مصعب بن الزبير عام ٦٩هـ ٦٨٨م بدأ حملة هدفها نشر سيطرته على جزيرة العرب كلها ولم يلق في عمان مقاومة تذكر بسبب اضطرابات الحال فيها وكان الشيخ الجلندى عباد بن عبد الله قد قتل خلال معركة سابقة حوالي سنة ٧٠ هـ ٦٨٩م وحين وقعت الغارة كان إبناه سعيد وسليمان في البحر يجمعان الجباية من مناطق الساحل ثم عادا وقتلا عامل نجدة وبذلك انتهى على ما يبدو احتلال بني حنيفة لعمان (١٦/٥٥) أما ياقوت فقد ذكر أن سليمان بن سعيد بن الصقر بن الجلندى (هكذا) كان الرئيس للبلاد عام ٧٢هـ ٦٩١م وفي مدة حكم سعيد وسليمان معًا صارت عمان ملاذًا مهما تزايد مكانته عند سائر الأقوام المناهضة لحكم الخلفاء ولذلك فر الحجاج

بن يوسف أن يعيد البلاد إلى طاعة الدولة المركزية، ولعل هذه الغزوات كانت عام ٨٦هـ ٧٠٥م وعين فيها الخيار بن سبرة بن ذؤيب المجاشعي التميمي حتى وفاة الوليد ٩٦هـ ٧١٥م وفي مصدر أخر: الجلندى المعولي من أزدعمان "والجلندى" في بدايته لقب أطلقه الفرس على من يحكم هذه البلاد نيابة عنهم ويعني دعم حكمه ومنحه حق جباية الضرائب من هذه البلاد وعليه مقابل ذلك أن يوطد النظام بين رجال القبائل ويرجع في أموره إلى العامل الفارسي في الرستاق، وقد دام حكم الجلندى حوالي ٣٠٠ سنة ابتدأ قبل الإسلام وانتهى عام ٢٠٧هـ ٨٢٢م وكان الجلندى الذي كاتبه الرسول صلى الله عليه وسلم هو المستكبر بن مسعود بن الحرار بن عبد العزى الذي بدأ حكمه في بداية القرن السادس الميلادي وفي رواية أنه: المستكبر بن عبد عز (٨١/٣٩) وخلف المستكبر ابنه الجندى عبد بن المستكبر وأخوه الذي فاوضه عمرو بن العاص على الدخول في الإسلام فدخل فيه بعد أن وافقه على ذلك أخوه، الأمير الجندى جيفر بن المستكبر وفي عهد الجلندى بن مسعود بن عيد نجحت قوة عمانية من احتلال اليمن والحرمين في موسم عام ١٢٩هـ ٤٧٦م وأقامت عبد الله بن يحي الكندي المسمى بـــ (طالب الحق) إمامًا هناك (٥٤/٢٠) وفي أواخر القرن الثالث الهجري ٢٨٠- ٣٠٥هـ ٨٩٣- ٩١٧م ضعف نفوذ العباسيين في عمان وقد تزعم بنو سامة بن لؤي بن غالب (القرشيين) الحكم في عمان في عهد الخليفة المعتضد، ونجح في جعل الحكم وراثيا في أبنائه من بعده، وما لبث أن أصاب إمارتهم الضعف والانحلال بسبب الخلاف الذي قام بينهم سنة ٣٠٥ هـ ٩١٧م فلحق بعضهم بالقرامطة وبقي الاضطراب سائدًا ولا

بينهم حتى تغلب عليها أبو طاهر القرمطي سنة ٣١٧ هـ ٩٢٧م ولم يكن حكم القرامطة بها موطدًا فقد استقل بالحكم فيها يوسف بن وجية حتى عام ٣٣٢هـ ٩٤٣م ثم غلبه مولاه نافع ودخل في طاعة بني بويه، ثم عاد القرامطة وتغلبوا عليها عام ٣٥٤هـ ٩٦٥م ثم استقر رأي أهلها على تولية عبد الوهاب بن أحمد بن مروان، واتخذ علي بن أحمد كاتبًا له، فاستولى هذا على البلاد، ثم عاود آل بويه الاستيلاء عليها عام ٣٥٥هـ ٩٦٦م وأقيمت الخطبة فيها لبني بويه وتولى حكمها أبو الفرج العباسي ثم تولى أمرها عمر بن نبهان الطائي، وأقام الدعوة لعضد الدولة ابن بويه، ثم ثار الزنج فيها وقتلوا الطائي ثم ولوا رجلاً يعرف بابن الحلاج، ثم أعادها أبوحرب طغان إلى حضيرة بني بويه بعد معركة صحار ثم ولوا أهلها ورد بن زياد أميرًا عليهم ثم عادت لبني بويه واستقرت الأمور بعضد الدولة البويهي وكان بنو المكرم من وجوه عمان، ولما ضعف حال بني بويه استبد بنو المكرم بالسلطة وتوارثوا الحكم فيها، وكان منهم أبو القاسم علي بن ناصر الدولة الحسين بن المكرم الذي ولي الإمارة سنة ٤١٨هـ ١٠٢٧م وبعد وفاته خلفه إبنه أبو الجيش وكان ضعيفًا فاستغل قائد جنده علي بن هطال واستأثر بكثير من النفوذ ثم عاد آل بويه إلى عمان وولوا عليها أبا محمد المكرم سنة ٤٣١هـ ١٠٣٩م ثم تولى أبو المظفر بن أبي كاليجار البويهي إمارة البلاد ووقف أهل عمان الذين يكرهون حكم الديلم البويهيين مع رجل منهم هو ابن راشد الذي انتصر علي ابي المظفر سنة ٤٤٢هـ ١٠٥٠م وتلقب بالراشد بالله ومن ذلك يتضح مدى انحلال النفوذ العباسي وعجز بنو بويه عن حكم البلاد، ولما رأى المستنصر بالله الفاطمي ما وصلت إليه البلاد من الفوضى

وعدم الاستقرار بعث إلى المكرم أحمد بن علي الصليحي الذي ولي الملك في بلاد اليمن بعد وفاة أبيه خطابًا في ربيع الثاني ٤٦٩ هـ ١٠٧٦م طلب إليه القيام بإدارة ولاية عمان (٥١-٥٦ /٥٤) من القرن التاسع الهجري وفي النصف الثاني حكم البحرين آل جبرين زامل ويعود أصلهم إلى قبيلة من قبائل نجد نزحت إلى الإحساء عام ٨٢١هـ ١٤١٨م واستأثر بالإحساء سيف بن زامل بن حسين العقيلي الجبري، وذلك بعد أن انتصر على آخر ولاة الجراونة (آل جروان) بقايا القرامطة في الإحساء، ولما مات سيف بن زامل تولى الحكم في الإحساء بعد أخوه أجود بن زامل حسين الجبري، وبعد وفاة أجود تولى ابنه سيف بن أجود الذي وسع أطراف إمارته على حساب جيرانه فاستولى على عمان من أميرها سليمان بن سليمان بن نبهان سنة ٨٩٣هـ ١٤٨٧م وولى عليها أميرًا من قبله هو عمر بن الخطاب الخروصي الأباضي، أما الابن الآخر لأجود بن زامل واسمه مقرن فقد حكم البحرين (الإحساء) وعمان في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، وفي عهده استولى البرتغاليون على البحرين سنة ٩٢٨هـ ١٥١٢م وقتلوه بعد عودته من الحج من نفس السنة، أما عمان فمنذ القرن الثامن الهجري كان يحكمها بنو نبهان وهم من قبيلة الأزد بن الغوث وقد هاجمها الأمير سيف بن أجود بن زامل الجبري وقضى على الأسرة النبهانية وولى عمر بن الخطاب الخروصي الأباضي، وحكم الأباضية عمان حتى بداية القرن العاشر الهجري حينما غزا البرتغاليون عمان عام ٩١٣هـ ١٥٠٧م وكان حاكمها حينذاك محمد بن اسماعيل الخروصي ٩٠٦- ٩٤٢هـ ١٥٠٠-

١٥٣٥م (٥٤-٥٥/٧١) وقد جاء في تحفة الأعيان عن ملوك عمان وولاتها في صفحات متعددة أن أول ملوكها:

١- مالك بن فهم بن غانم بن دوس بن عدثان بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر الأزدي وقد حكم عمان ٧٠ سنة.

٢- جماز أو(زياد) بن مالك بن فهم وقد حكم ١٢٠ سنة ثم يأتي بنو معولة من الأزد وأولهم :

١) عبد عز بن معولة بن شمس بن عمرو بن غانم بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر الأزدي.

٢) المستكبر بن عبد عز الأزدي.

٣) الجلندى بن المستكبر الأزدي.

٤) جيفر بن الجلندى الأزدي وأخوه عبد بن الجلندى وكانا معاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم فأقرهما على ملكها بعد أن أسلما حتى ماتا.

٥) عباد بن عبد بن الجلندى (في زمن عثمان بن عفان وعلي رضي الله عنهما)

٦) سليمان وسعيد ابني عباد بن الجلندى (في عهد عبد الملك بن مروان) وقد انتزعها منهما الحجاج بن يوسف.

الولاة الأمويون:

١- الخيار بن سبرة المجاشعي التميمي.

٢- سيف بن الهاني الهمداني.

٣- صالح بن عبد الرحمن بن قيس الليثي (زمن سليمان بن عبد الملك).

٤- زياد بن المهلب بن أبي صفرة (زمن سليمان بن عبد الملك).

٥- عدي بن أرطاة الفزاري (في زمن عمر بن عبد العزيز).

٦- عمر بن عبد الله الأنصاري (في زمن عمر بن عبد العزيز).

٧- زياد بن المهلب بن أبي صفرة ثانية(حتى نهاية العهد الأموي).

الولاة العباسيون:

١- جناح بن عباد بن قيس الهنائي (في عهد السفاح).

٢- محمد بن جناح الهنائي (في عهد المنصور).

الإمامة:

١- الجلندى بن مسعود الجلندى.

٢- الوارث بن كعب الخروصي اليحمدي ١٧٩-١٩٢هـ ٧٩٥-٨٠٧م.

٣- غسان بن عبد الله اليحمدي ١٩٢-٢٠٧هـ ٨٠٧-٨٢٢م.

٤- عبد الملك بن حميد الأزدي ٢٠٨-٢٢٦هـ ٨٢٣- ٨٤٠م.

٥- مهنا بن جيفر اليحمدي ٢٢٦-٢٣٧هـ ٨٤٠- ٨٥٠م.

٦- الصلت بن مالك الخروصي ٢٣٧-٢٧٢هـ ٨٥٠- ٨٨٥م.

٧- راشد بن النظر اليحمدي ٢٧٢- ٢٧٧هـ ٨٨٥- ٨٩٠م.

٨- عزان بن تميم الخروصي ٢٧٧- ٢٨٠هـ ٨٩٠- ٨٩٣م.

بنو سامة بن لؤي:

٩- محمد بن القاسم السامي ٢٨٠- ٣٠٥هـ ٨٩٣-٩١٧م.

١٠-بنوه ٣٠٥-٣١٧هـ ٩١٧- ٩٢٩م.

١١-القرامطة ٣١٧-٣٧٥هـ ٩٢٩- ٩٨٥م.

١٢-أبو القاسم علي بن ناصر بن المكرم ٣٧٥- ٤٠٧هـ ٩٨٥- ١٠١٦م.

١٣-بنوه وانتهى أمرهم ٤٤٢هـ.

١٤-الخليل بن شاذان بن الصلب الخروصي ٤٠٧-٤٢٥هـ ١٠١٦-١٠٣٣م.

١٥-راشد بن سعيد اليحمدي ٤٢٥- ٤٤٥ هـ ١٠٣٣- ١٠٣٥م.

١٦-زكريا بن عبد الله الأزدي ٤٤٨- ١٠٥٦م.

١٧-حفص بن راشد بن سعيد اليحمدي ٤٤٥- ٤٧٢هـ ١٠٥٣-١٠٧٩م.

١٨-موسى بن أبي المعالي بن نجاد ٥٤٩هـ ١١٥٤م.

١٩-أبو المعالي كهلان بن نبهان العتكي ٦٦٠-٦٧٤هـ ١٢٦١- ١٢٧٥م.

٢٠-عمر بن نبهان العتكي ٦٧٤هـ ١٢٧٥م.

٢١-أبو الحسين أحمد بن عمر النبهاني.

٢٢-أبو محمد نبهان بن عمر بن نبهان.

٢٣-أبو القاسم علي بن عمر بن نبهان.

٢٤-أبو الحسن ذهل بن عمر بن نبهان.

٢٥-أبو العرب يعرب بن عمر بن نبهان.

٢٦-أبو إسحاق إبراهيم أبي المعمر بن نبهان.

٢٧-الحواري بن مالك ٨٠٩-٨٣٢هـ ١٤٠٦- ١٤٢٨م.

٢٨-مالك بن الحواري بن مالك ٨٣٢- ٨٣٣ هـ ١٤٢٨- ١٤٢٩م.

٢٩-أبو الحسن الخميس بن عامر ٨٣٩-٨٤٦هـ ١٤٣٥-١٤٤٢م.

٣٠-عمر بن الخطاب بن محمد الخروصي ٨٨٥-٨٨٧ هـ ١٤٨٠-١٤٨٢م.

٣١-محمد بن اسماعيل الحاضري القضاعي ٩٠٦- ٩٤٢هـ ١٥٠٠-١٥٣٥م.

٣٢-سلطان بن محسن بن سليمان النبهاني ٩٦٤- ٩٧٢هـ ١٥٥٦-١٥٦٤م.

٧- الدولة الزيادية : ٢٠١- ٤١١هـ ٨١٧- ١٠١١م:

قامت هذه الدولة في مطلع القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي واستمرت أكثر من مئتي سنة ففي عام ٢٠١ هـ ٨١٧م أسند الخليفة العباسي المأمون ولاية المناطق التهامية إلى محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن زياد السفياني الأموي نسبة إلى معاوية بن أبي سفيان) وهو مؤسس الدولة الزيادية فتمكن بن زياد من الخطبة لبيت الزيادي جنبًا إلى جنب مع خلفاء بني العباس غير أن تبعة هذه المنطقة لبني زياد لم تستمر طويلاً بعد وفاة مؤسس الدولة الزيادية عام ٢٤٥هـ ٨٥٩م وآخر حكام الدولة الزيادية أبو الجيش إسحاق بن ابراهيم الذي حكم معظم القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي وتوفي عام ٣٩١هـ ١٠٠٠م حيث كان وصيًا على حاكمها الذي لم يبلغ الحلم واستمر حكم الدولة الزيادية حتى عام ٤١١ هـ ١٠١١م حين قضى نفيس الحبشي على آخر أمراء الدولة الزيادية(٣٦/٤٢) وكان بنو زياد وبنو نجاح سني المذهب ويجمعون الأتاوات من الأقاليم الخاضعة لهم ويرسلونها إلى الخلافة العباسية ببغداد وقد بلغ ارتفاع بني زياد (أي الأموال التي يرسلونها لخزانة الخلافة) سنة ٣٦٦

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

هـ ٩٧٦م إلى ألف ألف دينار (مليون دينار ذهب) وقد دام حكم هذه الدولة ٢١٠ سنوات وحكامها كما يلي :

١-محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن زياد السفياني ٢٠١- ٢٤٥هـ ٨١٨-٨٥٩م.

٢-ابراهيم بن محمد بن زياد السفياني ٢٤٢- ٢٨٩ هـ ٨٥٦- ٩٠٢م.

٣-اسحاق بن ابراهيم بن محمد بن زياد السفياني ٢٨٩- ٣٩١هـ ٩٠٢-١٠٠١م.

٤-الحسين بن سلامة (وصي) ٣٩١- ٤٠٢هـ ١٠٠١- ١٠١١م.

٨- الدولة الصليحية ومذهبها إسماعيلي ومؤسسها:

١-علي بن محمد الصليحي ٤٥٥- ٤٥٩ هـ ١٠٦٣- ١٠٦٧م.

٢- سبأ بن أحمد الصليحي ٤٥٩- ٤٦٠هـ ١٠٦٧- ١٠٦٨م.

٣-المكرم الصليحي ٤٦٠هـ ١٠٦٨م

٩- الدولة النجاحية ٤١٢- ٥٥٤ هـ ١٠١٢- ١١٥٩م:

ومذهبها سني شافعي وقاعدتها زبيد وقامت على انقاض الدولة الزيادية ومؤسسها:

١- نجاح مولى بني زياد ٤١٢- ٤٥٢هـ ١٠١٢- ١٠٦٠م

٢- سعيد النجاحي ٤٨١هـ ١٠٨٨م

٣- جياش بن نجاح ٤٨٢- ٥٥٤ هـ ١٠٨٩- ١١٥٩م

١٠- دولة بني حاتم في صنعاء:

قامت هذه الدولة في عام ٤٩٢ هـ ١٠٩٩ م حينما استولى الأمير حاتم بن الغشيم المغلسي الهمداني على صنعاء ويعتبر المؤسس الأول لهذه الدولة وحكامها كالآتي:

١-حاتم بن الغشيم المغلسي ٤٩٢- ٥٠٢هـ ١٠٩٩- ١١٠٩م

٢-حاتم بن أحمد بن عمران ٥٣٣- ٥٥٦هـ ١١١٩- ١١٦١م

٣-ابنه علي بن حاتم بن أحمد بن عمران ٥٥٦- ٥٧٠هـ ١١٦١- ١١٧٥م

١١- دولة بني مهدي

نشأت في اليمن ومذهبها سني وقاعدتها زبيد وقد قامت على أنقاض الدولة النجاحية وقد حكمت خمسة عشر سنة ومؤسسها:

١- علي بن مهدي ٥٥٤- ٥٥٩ هـ ١١٥٩- ١١٦٣م

٢- عبد الله بن علي بن مهدي

٣- عبد النبي بن علي بن مهدي ٥٥٩- ٥٦٩هـ ١١٦٣- ١١٧٤م

١٢- الأيوبيون في اليمن:

وهم على المذهب السني وقد حكمت هذه الدولة ٥٧ سنة ومؤسسها:

١- المعز بن صغتكن ٥٦٩- ٥٩٨هـ ١١٧٤- ١٢٠٢م

٢- الأتابك سنقر ٥٩٨- ٦٠٩هـ ١٢٠٢- ١٢١٢م

٣- الملك مسعود ٦٠٩ – ٦٢٦ هـ ١٢١٢- ١٢٢٩م

١٣- الدولة الرسولية في اليمن:

وهي على المذهب السني وقد حكمت هذه الدولة ٢٣٢ سنة من ٦٢٦- ٨٥٨ هـ ١٢٢٩- ١٤٥٤م ومؤسسها:

١- الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ٦٢٦- ٦٤٧هـ ١٢٢٩- ١٢٥٠م

٢- الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول ٦٤٧- ٦٩٤هـ ١٢٥٠- ١٢٩٤م

٣- الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول ٦٩٤- ٦٩٦هـ ١٢٩٤- ١٢٩٦م

٤- الملك المؤيد بن يوسف بن رسول ٦٩٦- ٧٢١هـ ١٢٩٦- ١٣٢١م

٥- الملك المجاهد علي بن داود بن علي بن رسول ٧٦٤- ٧٧٨ هـ ١٣٦٣- ١٣٧٦م

٧- الملك الأفضل عباس بن علي بن رسول ٧٦٤- ٧٧٨هـ ١٣٦٣- ١٣٧٦م

٨- الملك الناصر أحمد بن إسماعيل ٨٠٣- ٨٢٧هـ ١٤٠٠- ١٤٢٤م

٩- السلطان العباس بن الأشرف ٨٢٧- ٨٥٨هـ ١٤٢٤- ١٤٥٤م

١٤- دولة بني طاهر من الأمويين:

وهي دولة سنية حكمت ٦٥ سنة ومؤسسها:

١- علي بن طاهر بن معوضة الأموي ٨٥٨ – ٨٨٣ هـ ١٤٥٤- ١٤٧٨ م

٢- الملك المنصور طاهر بن عبد الوهاب بن داود ٨٨٣- ٨٩٤هـ ١٤٧٨- ١٤٨٩م

٣- الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب بن داود ٨٩٤- ٩٢٣هـ ١٤٨٩- ١٥١٧م

وقد قضى عليها الأتراك بقيادة الأمير حسين كردي في ربيع الآخر عام ٩٢٣هـ ١٥١٧م

١٥- دولة الأشراف الحسنيون بمكة:

وقد تولاها ثلاثة فروع من الحسنيين هم الموسويون، والهواشم وبنو قتادة هؤلاء الثلاثة من أشهر أمرائهم الموسيين جعفر بن الحسين الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

١-جعفر بن محمد الموسوي ٣٥٨- ٣٦٥هـ ٩٦٨- ٩٧٥م

٢-عيسى بن جعفر الموسوي ٣٦٥- ٣٨٤ هـ ٩٧٥- ٩٩٤م

٣-الحسن بن جعفر (أبي الفتوح) ٤٣٠- ٣٥٣هـ ١٠٣٨- ١٠٦١م

٤-شكر بن الحسن بن أبي الفتوح ٤٣٠- ٣٥٣هـ ١٠٣٨- ١٠٦١م

٥-حمزة بن وهاس (السليماني) ٤٥٣- ٤٦٠هـ ١٠٦١- ١٠٦٧م

٦-محمد بن جعفر (الهاشمي) ٤٦٠- ٤٨٤هـ ١٠٦٧- ١٠٩١م

٧-القاسم بن محمد جعفر الهاشمي ٤٨٤- ٥١٨هـ ١٠٩١- ١١٢٤م

٨-فليتة بن القاسم بن جعفر الهاشمي ٥١٨- ٥٢٧هـ ١١٢٤- ١١٣٢م

٩-هاشم بن فليتة بن جعفر الهاشمي ٥٢٧- ٥٥١هـ ١١٣٢- ١١٥٦م

١٠- القاسم بن هاشم بن جعفر الهاشمي ٢٥١- ٥٥٣هـ ١١٥٦- ١١٥٩م

١١- عيسى بن فليتة بن جعفر الهاشمي ٥٥٣- ٥٥٧هـ ١١٥٩- ١١٦١م

١٢- القاسم بن هاشم (ثانية) بن جعفر الهاشمي ٥٥٧- ٥٥٧هـ ١١٦١- ١١٦١م

١٣- عيسى بن فليتة (ثانية)بن جعفر الهاشمي ٥٥٧- ٥٦٥هـ ١١٦١- ١١٦٩م

١٤- مالك بن فليتة بن جعفر الهاشمي ٥٦٥- ٥٧٠هـ ١١٦٩- ١١٧٤م

١٥- داود بن عيسى بن فليتة بن جعفر الهاشمي ٥٧٠- ٥٧١هـ ١١٧٤- ١١٧٥م

١٦- مكثر بن عيسى بن فليتة بن جعفر الهاشمي ٥٧١- ٥٩٧هـ ١١٧٥- ١٢٠٠م

١٧- قتادة بن إدريس (آل قتادة) ٦٠١- ٦١٧هـ ١٢٠٤- ١٢٢٠م

١٨- الحسن بن قتادة آل قتادة ٦١٧- ٦١٩ هـ ١٢٢٠- ١٢٢٢م

١٩- (الأيوبيون) ٦١٩- ٦٢٩هـ ١٢٢٢- ١٢٣١م

٢٠- راجح بن قتادة آل قتادة ٦٣٠- ٦٥٢هـ ١٢٣٢- ١٢٥٤م

٢١- أدريس بن قتادة آل قتادة ٦٥٢- ٦٦٧هـ ١٢٥٤- ١٢٦٨م

٢٢- محمد أبو نمي (الأول) ٦٦٧- ٧٠١هـ ١٢٦٨- ١٣٠١م

٢٣- حميضة بن أبي نمي ٧٠١- ٧١٤هـ ١٣٠١- ١٣١٤م

٢٤- رميثة بن أبي نمي ٧١٥- ٧٢١ هـ ١٣١٥- ١٣٢١م

٢٥- عطيفة بن أبي نمي ٧٢١- ٧٣٤هـ ١٣٢١- ١٣٣٣م

٢٦- رميثة بن أبي نمي (ثانية) ٧٣٦- ٧٤٥هـ ١٣٣٥- ١٣٤٤م

٢٧- عجلان بن رميثة ٧٤٦- ٧٦٤هـ ١٣٤٥- ١٣٦٢م

٢٨- أحمد بن عجلان ٧٦٤- ٧٨٨هـ ١٣٦٢- ١٣٨٦م

٢٩- علي بن العجلان ٧٨٩- ٧٩٧هـ ١٣٨٧- ١٣٩٤م

٣٠- الحسن بن العجلان ٧٩٨- ٨٢١هـ ١٣٩٥- ١٤١٨م

٣١- بركات بن الحسن بن العجلان ٨٢١- ٨٤٥هـ ١٤١٨- ١٤٤١م

٣٢- أحمد بن الحسن بن العجلان ٨١١- ٨٢١هـ ١٤٠٨- ١٤١٨م

٣٣- رميثة بن محمد بن العجلان ٨١٩- ٨٢٠هـ ١٤١٦- ١٤١٧م

٣٤- علي بن عنان بن مغامس ٨٢٧- ٨٢٨ هـ ١٤٢٣- ١٤٢٤م

٣٥- محمد بن بركات بن الحسن ٨٥٩- ٩٠٣ هـ ١٤٥٤- ١٤٩٧م

٣٦- بركات بن محمد ٩٠٣- ٩٠٤هـ ١٤٩٧- ١٤٩٨م

٣٧- هزاع بن محمد بن بركات ٩٠٧- ٩٠٧هـ ١٥٠١- ١٥٠١م

٣٨- بركات بن محمد (ثانية) ٩٠٧- ٩٠٩ هـ ١٥٠١- ١٥٠٣م

٣٩- حميضة بن محمد ٩٠٩- ٩١١ هـ ١٥٠٣- ١٥٠٥م

٤٠- بركات بن محمد (ثالثة) ٩١١- ٩٣١هـ ١٥٠٥ - ١٥٢٤م

٤١- أبو نمي (الثاني) محمد بن بركات ٩٣١- ٩٩٢هـ ١٥٢٤- ١٥٨٤م

٤٢- الحسن بن أبي نمي ٩٩٢- ١٠١٠هـ ١٥٨٤- ١٦٠١م

ويلاحظ في هذه الفترات انقطاع بين حاكم وآخر هذه الفترات تكون إما محل نزاع بين أكثر من أمير يتأمر هذا فترة من السنة وذاك أخرى حتى يستقر الحكم لأحدهما أو يكون بتأثير من تدخل خارجي من السلطة الحاكمة في بغداد أو القاهرة حيث تعزل هذا وتعين هذا ولا يلبث المعزول أن يهرع

لتلك السلطة ويقدم لها الهدايا والمال فتثبته وتعزل خصمه وهكذا، وهذا مما أوجد فجوات من تاريخ هذا السلطة الحاكمة.

١٢- الأشراف الحسينيون في المدينة المنورة:

ومؤسس هذه الإمارة أبو طاهر قاسم بن مسلم بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

١-تولى أبو طاهر الإمارة بعد عام ٣٦٦هـ ٧٦- ٩٧٧م

٢-الحسين بن طاهر ٣٨١هـ ٩٨٢م

٣-داود بن قاسم ٣٩٧هـ ١٠٠٧م

٤-مانع بن داود ؟ ؟

٥-مهنا بن داود ؟ ؟

٦-أبو الغنائم عبيد الله بن مانع ٤٠٨ هـ ١٠١٧م

٧-هاشم بن الحسين بن داود ٤٢٨ هـ ١٠٣٦م

٨-الحسين مهنا ٤٦٩ هـ ١٠٧٦م

٩-منصور بن عمارة بن مهنا ؟ ؟

١٠-ابن منصور بن عمارة ٤٩٧ هـ ١١٠٣م

١١- مهنا بن الحسين بن مهنا آخر القرن الخامس- القرن الحادي عشر.

١٢-الحسين بن مهنا بن الحسين ؟ ؟

١٣- قاسم بن مهنا بن الحسين ٥٦٦هـ ١١٧٠م

١٤- سالم بن القاسم بعد عام ٥٩٠هـ ١١٩٤م

١٥- قاسم بن جماز ٦١٢هـ ١٢١٥م

١٦- شيحة بن هاشم بن قاسم ٦٢٤هـ ١٢٢٦م

١٧- عيسى بن شيحة بن هاشم ٦٤٧هـ ١٢٤٩م

١٨- منيف بن شيحة بن جماز بن شيحة ٦٤٩هـ ١٢٥١م

١٩- جماز بن شيحة بن هاشم ٦٥٧هـ ١٢٥٩ م

٢٠- جماز بن شيحة مع مالك بن منيف ٦٦٥هـ ١٢٦٦م

٢١- مالك بن منيف ٦٦٦هـ ١٢٦٧م

٢٢- جماز بن شيحة ٦٦٦هـ ١٢٦٧م

٢٣- منصور بن جماز بن شيحة ٧٠٠هـ أو ٧٠٢ هـ ١٣٠٠أو ١٣٠٢م

٢٤- منصور بن جماز مع عقيل بن جماز ٧٠٩هـ ١٣٠٩م

٢٥- منصور بن جماز مع شيحة ٧٠٩ هـ ١٣٠٩م

٢٦- ودي بن جماز ٧١٦هـ ١٣١٦م

٢٧- منصور بن جماز ربيع الأول ٧١٧ هـ ١٣١٧م

٢٨- ودي بن جماز بعد ربيع الأول ٧١٧هـ ١٣١٧م

٢٩- منصور بن جماز جمادي الأولى ٧١٧هـ ١٣١٧م

٣٠- كبيش بن منصور رمضان ٧٢٥هـ ١٣٢٥م

٣١- طفيل بن منصور صفر ٧٢٧ هـ ١٣٢٧م

٣٢- ودي بن جماز صفر ٧٢٧ هـ ١٣٢٧م

٣٣- كبيش بن منصور شوال ٧٢٧ هـ ١٣٢٧م

٣٤- طفيل بن منصور شعبان ٨٢٨ هـ ١٣٢٨م

٣٥- طفيل مع ودي محرم ٧٣٦هـ ١٣٣٦م

٣٦- ودي بن جماز رمضان ٧٣٦هـ ١٣٣٦م

٣٧- طفيل بن منصور ذي القعدة ٧٤٦هـ ١٣٤٣م

٣٨- هميان بنت مبارك بن مقبل بن جماز ذي الحجة ٧٥٠هـ ١٣٥٠م

٣٩- محمد بن مقبل بن جماز ذي الحجة ٧٥٠هـ ١٣٥٠م

٤٠- سعد بن ثابت بن جماز ذي الحجة ٧٥٠هـ ١٣٥٠م

٤١- فضل بن القاسم بن جماز ربيع الثاني ٧٥٢هـ ١٣٥١هـ

٤٢- مانع بن علي بن مسعود بن جماز ذي الحجة ٧٥٤- ١٣٥٤م

٤٣- جماز بن منصور بن جماز ٧٥٩هـ ١٣٥٧م

٤٤- عطية بن منصور بن جماز ربيع ثاني ٧٦٠هـ ١٣٥٩م

٤٥- هبة بن جماز بن منصور ٧٧٣هـ ١٣٧١م

٤٦- عطية بن منصور (ثانية) ٧٨٢هـ ١٣٨١م

٤٧- جماز بن هبة مع محمد بن عطية بن منصور ٧٨٥هـ ١٣٨٣م

٤٨- جماز بن هبة بن جماز ٧٨٥هـ ١٣٨٣م

٤٩- محمد بن عطية بن منصور ٧٨٧هـ ١٣٨٥م

٥٠- جماز بن هبة بن جماز جمادي الأولى ٧٨٨هـ ١٣٨٦م

٥١- ثابت بن نعير بن منصور ٧٨٩هـ ١٣٨٧م

٥٢- جماز بن هبة بن جماز ٨٠٥هـ ١٤٠٢م

٥٣- عجلان بن نعير بن منصور ٨١١هـ ١٤٠٨م

٥٤- جماز بن هبة بن جماز ٨١٢هـ ١٤٠٩م

٥٥- عجلان بن نعير بن منصور ٨١٢هـ ١٤٠٩م

٥٦- سليمان بن هبة بن جماز ٨١٢هـ ١٤١٠م

٥٧- غرير بن هيازع بن هبة ٨١٥هـ ١٤١٣م

٥٨- عجلان بن نعير ٨١٩هـ ١٤١٢م

٥٩- غرير بن هيازع ٨٢١هـ ١٤١٨م

٦٠- عجلان بن نعير بن منصور ٨٢٤هـ ١٤٢٧م

٦١- خشرم بن دوجان بن جعفر بن هبة ٨٢٩هـ ١٤٢٦م

٦٢- هيمان بن مانع بن عطية ٨٣٩هـ ١٤٣٥م

٦٣- سليمان بن غرير ٨٤٢هـ ١٤٣٩م

٦٤- حيدر بن دوجان بن هبة ٨٤٦هـ ١٤٤٢م

٦٥- يونس بن كبس بن جماز ٨٤٦هـ ١٤٤٣م

٦٦- دوجان بن خشرم ٨٤٧هـ ١٤٤٣م

٦٧- هيان بن مانع بن عطية ٨٥٠هـ ١٤٤٦م

٦٨- زبيري بن قيس بن ثابت ٨٥٥هـ ١٤٥١م

٦٩- زهير بن سليمان بن عطية ٨٦٥هـ ١٤٦٠م

٧٠- دعيم بن خشرم ٨٦٩هـ ١٤٦٥م

٧١- زهير بن سليمان (ثانية) ٨٧٠هـ ١٤٦٥م

٧٢- دعيم بن خشرم (ثانية) ٨٧٤هـ ١٤٦٩م

٧٣- قسيطل بن زهير ٨٨٣هـ ١٤٧٨م

٧٤- زبيري بن قيس بن ثابت (ثانيًا) ٨٨٧هـ ١٤٨٢م

٧٥- حسن بن زبيري بن قيس ٨٨٨هـ ١٤٨٣م

٧٦- فرس بن شامان ٩٠٦ هـ ١٤٩٥م (٧٧و ١٢٠- ٢٣)

آل ضيغم وأثرهم في نجد

وهم آل ضيغم وآل راشد من جنب وهم المعروفون بالمعضد او (المعضد) وجدهم منيف بن ضيغم بن منيف بن جابر بن علي بن عبد الرب بن ربيع بن سليمان بن عبد الرحمن بن روح بن مدرك بن عبد الحميد بن مدرك، وقيل أنهم من نزار بن عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة التغلبي بن تغلب بن وائل أخي عنزة بن وائل تزوجها روح بن مدرك بعد معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث الجنبي، وإخوالهم من أمهم آل عائذ وآل شداد وبنو قيس وآل السفر وآل الصلت وأصحابهم يسمون الأبطن من ولد معاوية الجنبي فنسبوا إليهم.

وفي رواية أخرى هو ضيغم بن شهوان بن جعفر بن منصور بن ضيغم بن منيف بن ضيغم بن جابر بن علي بن عبده بن سليمان بن عبد الرحمن بن الربيع بن سليمان من ولد روح بن مدرك بن عبد الحميد بن مدرك بن عاصم من ولد قيس بن معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث الجنبي من كعب ويجتمع معهم في راشد بن منيف بن ضيغم آل قرعة وآل فجيج وآل مشعل وآل حنبك وآل شبوان ومشائخ هذه البطون آل معيلي وآل جلال وآل عرارة وآل غريب وآل حفرين ويطلق عليهم عبيدة نسبة إلى عبيدة بنت مهلهل بن عدي بن ربيعة التغلبي (وقد اتضح أن أبنة المهلهل اسمها سليمى وليست عبيدة ولم تلبث بعد زواجها إلا مدة يسيرة حيث عادت ولم تحمل أو تلد فضلاً أنظر خبرها في صدر الكتاب صفحة (   )) إذ تزوج معاوية بن عمرو الحارثي عبيدة (قد تكون

غير بنت المهلهل)، وأولادها عدة أولاد ومنهم قيس ويعرف أحفاده بالحارث والسفر، ولشهرة (عبيدة بنت مهلهل، وقد يكون مهلهل آخر)، فقد شمل اسم عبيدة أولادها من روح بن مدرك الجنبي ومن معاوية بن عمرو الحارثي قال صاحب الطرفة ضيغم بن منيف أولاده ثمانية منيف، شكر، عيسى، علي، منصور، سنان، عامر، حارث، ولمنيف ولد واحداً واسمه عيسى ثلاثة باقون (٦٩٦هـ) (١٢٩٦م) ولشكر ولد واحد اسمه ملهم وأولاده أحد عشر باقون (في التاريخ المذكور) ولعيسى ولد واحد اسمه ثعلبة توفي وله أربعة بنين هم طريف وعبد الله وشهوان وعلي ولكل منهم ذرية (٦٩٦هـ) ولسنان ولد واحد اسمه منتف وهو باق (٦٩٦هـ) ولعامر ثلاثة أبناء هم: مهبوب وعلي وغانم وخلف لكل منهم ولد وحارث : وآل راشد بن منيف عشرة: علي وضغيم ومحمود وأحمد ومحمد وحمدان وحميد وحامد وله خمسة أولاد شكر وله ولدان محمد وله ولد واحد راشد وله أربعة أولاد، محمود بن راشد وله ثلاثة يغنم وله ولد واحد وعثمان وله ولدين، عركي وخلف ثمانية، يحي وخلف ولداً واحداً وعامر خلف خمسة محمد بن راشد وخلف ولداً واحداً توفي وخلف أربعة حميدان بن راشد له ثلاثة طوق وخلف ستة وبدر توفي وخلف ستة وصعب توفي وخلف أربعة جابر بن راشد خلف ولداً واحداً توفي، هذه التواريخ في زمن ابن رسول المتوفى سنة ٦٩٦هـ ١٢٩٦م الذي استقيت من كتابة طرفة الأصحاب هذه المعلومات، وبداية دولة آل رسول سنة ٦٢٥هـ ١٢٢٧م عندما أرسل صلاح الدين الأيوبي أخاه الملك المعظم توران شاه إلى اليمن أرسل معه عمر بن علي بن رسول فسار معه إلى اليمن الملك المسعود آق

سيس بن الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب سنة ٦١٢هـ ١٢١٥م قرب هذا عمر المذكور وولاه الحصون ثم ولاه مكة ورتب معه ثلاثمئة فارس، وبعد أن استدعي الملك المسعود إلى دمشق بعد وفاة الملك المعظم عام ٦٢٥هـ ١٢٢٧م قام بالأمر عمر بن علي بن رسول فأخضع الأمراء المجاورين وسمي بالسلطان الملك المنصور وكان أول ملوك بني رسول في اليمن، في عام ٦٤٧هـ ١٢٩٤م وتوفي الملك المنصور حين وثب عليه مجموعة من مماليكه فقتلوه فقام بالملك من بعده ولده الملك المظفر يوسف بن عمر فدام ملكه ٤٦ سنة وتوفي عام ٦٩٤هـ ١٢٩٦م فآل الأمر من بعده إلى الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول مؤلف الطرفة وتوفي الملك الأشرف سنة ٦٩٦هـ ١٢٦٩م.

هجرة آل ضيغم

يقول الخزرجي في العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية في حوادث ٦٥٨هـ ١٢٥٩م: طلع السلطان من صنعاء في المحرم من السنة المذكورة وكان الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول في (دمرمر) فطلب من مولانا السلطان أن يجهزه إلى حضرموت فساعده إلى ذلك وزوده فخرج إلى الجوف فلقيه حصن (أو) خضر بن محمد بن جحاف وعبد الله بن منصور بن ضيغم فطلبوا منه النصرة على آل راشد بن منيف فأجابهم فكانوا حلف مولانا السلطان فوقعت الحرب بينهم فقتل طوق بن حمدان في جماعة من آل راشد (١/١٣٠/١٧٧) وفي كتاب غاية الأماني بأخبار القطر اليماني تأييداً للحادثة بالإضافة إلى قوله: إن آل راشد حلفاء المظفر وأن رفيق عبد الله بن منصور هو خضر وليس (حصن) ولعله الصحيح لأن ابن رسول ذكر خضر بن محمد بن جحاف ومن كتاب السمط الغالي لأبن حاتم (ت ٧٠٢هـ ١٣٠٢م) وفي كتاب الخزرجي (ت٨١٢هـ ١٤٠٩م) تأييداً للحادثة، وفي كتاب بهجة الزمن بأخبار اليمن لعبد الباقي اليماني.

أن شهوان بن منصور العبيدي شارك في غزوة شبام وحضرموت سنة ٦٧٨ هـ ١٢٧٩م ومقتل طوق بن حمدان سنة ٦٥٨هـ ١٢٥٩م في تلك الوقعة التي كانت لآل ضيغم بن منيف بن شهوان وآل جحاف بمساعدة الرسوليين على آل راشد بن منيف في تلك الواقعة قتل طوق في جماعة من آل راشد بدأ في وقت مبكر حينما كانت القبيلة لا تزال في موطنها الأصلي جنوب الجزيرة

العربية خلاف ما يتناقله عامة الناس أن هذا النزاع بينهما قد بدأ أثناء إقامتهم في وادي الرمة من أرض نجد وعلى هذا يمكن اعتبار أن لكل فرع من هذه القبيلة كيان مستقل ولها شيخها الحامي وبالتالي رحلت كل قبيلة منفصلة تحت لواء شيخها في زمنين متفاوتين وربما كانا متقاربان ولما وصلتا إلى نجد اختار كل فرع موضعًا يناسبه وهذا ما تثبته النصوص الشعرية والروايات العامة فعمير وقومه كانوا يحلون النباج (الأسياح) قرب (قصر مارد) ومن هنا عرف ذلك الموضع عند الشعراء الشعبيين (بديرة عمير) بينما كان عرار ورهطه يترلون وادي الرمة إلى الجنوب الغربي عنهم وأورد الشيخ حمد الجاسر في كتاب الخيل عن دهم الشهوان أن شهوان بن منصور العبيدي شارك في غزوة شبام وعلى هذا فشهوان من أهل القرن السابع الهجري وهو يتفق مع قول الشيخ محمد بن هادي القحطاني أن زمن شهوان إلى عهده ١٢٦٩هـ ١٨٥٢م سبعة عشر جدًا فإذا سرنا على طريقة ابن خلدون فجعلنا لكل قرن ثلاثة أجداد يكون من عهد شهوان إلى عهد ابن هادي ستة قرون ٦٠٠ سنة تضاف إلى القرن السابع وتنتهي في القرن الثالث عشر وهو عهد بن هادي (٢١/٢٣٣) وذكر ابن حاتم في سياق خبر غزوة شبام وحضرموت سنة ٦٧٨هـ ١٢٧٩م أن الشيخ بدر الدين عبد الله بن عمرو بن الجند أو الجنيد جاءه أمر السلطان (الرسولي) بالتقدم إلى حضرموت عن طريق الجوف فلما وصل الجوف وجد (المَعْضَة) مختلفين فأصلح بينهم واستخدمهم وأطلق لهم الجوامك وتحكموا فحملوا وتقدموا على شروط شرطهم وهي أن من أحب العودة عن الطريق عاد ففعل لهم ذلك والمعضة اسم يطلق على قبائل متفرقة يتنقلون ما بين الجوف (جوف اليمن) ونجران على

أطراف الربع الخالي وآل راشد وآل ضيغم فأما بدر الدين بن الجند فإنه يحكي مسيره حتى أتفق ذلك؛ وذكر اليماني (ت ٧٤٣هـ ١٣٤٢م) في كتابه بهجة الزمن بأخبار اليمن مشاركة شهوان بن منصور العبيدي في غزوة شبام وحضرموت وتبين أن المعني بذلك هو شهوان بن منصور بن ضيغم الذي ذكره ابن رسول ومنهم أي عبيدة أصحاب الجوف (جوف اليمن) ومنهم آل شهوان وآل ضيغم وعلى هذا فآل راشد وآل ضيغم جذمان كبيران من آل ضيغم بن منيف يلتقيان في منيف بن ضيغم بن جابر بن علي بن عبد الرب بن ربيع بن سليمان بن عبد الرحمن بن روح بن مدرك بن عبد الحميد بن مدرك.

زمن هجرة آل ضيغم

مما سبق عرضه يتضح أن آل ضيغم وآل راشد حتى أخر القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي كانوا لا يزالون في الجنوب من بلاد مذحج وطنهم الأصلي وهذا ثابت تاريخيًا حسب النصوص آنفة الذكر وقد مروا في طريق هجرتهم نحو الشمال بوادي الدواسر واستضافهم أمير الوادي يومذاك عامر بن زياد فهالهم ما رأوا من كرمه وذكروا ذلك في أشعارهم منها قول فارس بن شهوان.

فلا ظل إلا ظل غار من الصفا ولا شيخ إلا عامر بن زياد

وكان عامر بن زياد أمير وادي الدواسر في وقت مبكر من القرن الثامن الهجري إذ أنه معاصر لأبي الغيث بن أبي نمي الذي ذكر العصامي أنه غزا المنطقة الجنوبية من نجد فتصدى له هذا الأمير، ومعروف تاريخيًا أن أبا الغيث قد ولي مكة مرتين إحداهما شريكًا من سنة ٧٠١ – ٧٠٣ هـ ١٣٠١- ١٣٠٣م والثانية منفردًا عام ٧١٣- ٧١٤ هـ ١٣١٣م – ١٣١٤م، فاحتمال أن يكون مرورهم في هذه الفترة غير أن ذلك لا يعني بالضرورة أن يكون الضياغم استقروا في منطقة الجبلين خلال تلك الفترة إذ ليس هناك ما يدل دلالة واضحة حتى الآن على طول الفترة التي قضتها تلك العشيرة المهاجرة بين تحركها من جهات وادي تثليث وبين استقرارها في جبلي طيء أو جبل شمر، وهناك روايات شعبية تقول إحداهما أن الضياغم كانوا في دومة الجندل و (قويرات الصريخ) الواردة في شعر عمير هي ثلاث قور معروفة بهذا الاسم إلى الوقت

الحاضر تقع شمالاً عن دومة الجندل على بعد ١٢ كيلاً والدربان اللذان ذكرهما عمير هما طريق الفاو وطريق المصقرة يخرجان من دومة الجندل ثم يفترقان عن قويرات الصريخ ويلتقيان في فيضة أجربة وهناك قبر مشيد بالحجارة يقع على حافة جبل أجربه من الجنوب يقول أهل الجوف أنه قبر حميدان الضيغمي الذي التقى بسلطان مارد وقتل أحدهما الآخر كما يقول عمير في قصيدة منها:

تلاقوا بحد الدمث والرمث والغضا وحد قويرات الصريخ تصاب

في مفرق الدربين كدرا عجاجة يتمناه حضار الرجال غياب"

ورواية ثانية تقول أن الضياغم كانوا قاطنين على الأسياح(بالقصيم) وأن سلطان مارد هذا كان (واليًا لأحد حكام العراق بعثه على رأس طائفة من الجند ليقيموا في الأسياح ليمنعوا الأعراب من الاعتداء على الحجاج الذين كانوا يسافرون من العراق إلى الحجاز) وأن ما رد قصر الأسياح لا يزال يسمى بهذا الاسم وهو الذي ذكره عمير في شعره حين قال:

"فيا لنا عند أبرق السيح عركة تمنى بها حضار الرجال غياب"

"تناطح حميدان وسلطان مارد فيا لذا من كف هذا صواب"

"ترى ملحه بالرمث والدمث والغضا حوالي قويرات الصريف تصاب"

وأبرق السيح الوارد في الشعر السابق يقال له الآن أبرق الجعلة والصريف ماء واقع في شرق القصيم شرق مدينة بريدة ٢٧ كيلاً وهناك اختلاف في اسم

القويرات حين تسمى بالجوف قويرات الصريخ بالخاء وفي القصيم قويرات الصريف بالفاء.

٣- وتقول رواية ثالثة أن الضياغم كانوا قاطنين قريبًا من القويعية (وسط نجد) وأن حادثة الغرق قد وقعت في وادي العرض وأن حديًا التي ذكرها عرار هي الصحراء المعروفة بهذا الاسم إلى الآن وتقع شرق مدينة القويعية حين قال عرار:

" وجانا يدب القصر قصر آل ضيغم إلى القصر عن ضلعين حدبا شظايف"

"لعل وادي العرض مادبه الحيا ولا بنيت فيه الخيام النوايف"

٤- وتقول رواية رابعة أن حادثة الغرق وقعت في الجنوب حينما كان الضياغم لا يزالون يحلون بلادهم القديمة وأن عرار أرتقى بحصانه مشهور رأس جبل قرب قرية الجعيفرة وتقع (على وادي تثليث من شرقه وقرية آل حميدان) فنجا وحده من الغرق وهلك الباقون.

٥- ورواية خامسة تقول أن شهوان بن ضيغم أو ابنه فارس بن شهوان أثناء اجتياحهم لمنطقة جبل شمر أجأ وسلمى ورمان فقدوا أحد قادتهم في معركة مع السكان المحليين وهذا الفقيد اسمه عقيل الضيغمي ويوجد قبر في ربع البكر في جبل رمان الأحمر لا يزال يعرف بقبر عقيل بن ضيغم وفي قصيدة لشهوان أو فارس بن شهوان هذين البيتين:

"وعقيل اللي بالقسي نلتجي به دليل للي ضايعات دلا يله"

"نخلي بربع البكر بديار شمر لا واطنى نفسي ولا واغلايله"

٦- ورواية سادسة تقول: أن عرارًا كان له حصان اسمه مشهور يعتبر نادرًا في زمانه وأنه أبى أن يخرج نسله لغيره وكان لا يأمن عليه أحدًا حتى أقرب الأقربين إليه وكان يضع في الحصان قيد من حديد بقفل ومفتاحه معه وكانت زوجته عميرة بنت راشد أخت عمير التي تحايلت عليه وواعدت إخوتها أن يأتوا على أفراسهم في مكان غير بعيد عن منزل زوجها وأخذت مفتاح قيد الحصان، وانطلقت الحصان منطلقة به إلى حيث وعدت إخوتها، فنزى على أمهار إخوتها الواحدة تلو الأخرى فلحقت الخيل وولدت كل فرس من نسل هذا الحصان.

وقال عرار ذات يوم مفتخرًا بحصانه:

" الخيل يا مشهور والخيل جردت على طمع أوزال بالعين زايلة"

" حصاني عذاب الخيل لا صار طارد وإن صار مطرود فلا أحد بنايلة"

وردت عليه زوجته عميرة بقولها من قصيدة:

" قالت عميرة بنت من يمنع التلا يجزن لعصمان الشوارب مثايلة "

"كلام لياهيض على اسماع مجلس تغاوي به الفهمان من قاف قايلة"

"عزي لراع الفوج وإن لحقن أربع والخامسة تبرا لهن من سلايلة"

فقال عرار لها ومن عليهن، فقالت:

" عليهن بلا جهلا عمير بن راشد أخوي الذي عجز الفتى من غلايله"

" ولا صبر إلا صبرنا يآل راشد وطيب بلا صبر فلا أحد بنايله"

وجاء في مصدر آخر: تحولت قبيلة آل سرب (السَّرَبة) إلى نجد مع آل ضيغم بن شهوان بن منصور بن ضيغم بن منيف الجني من قبائل قحطان واستقر معظمها في الأفلاج إثر حروب جرت بينهم وبين بني عقيل وحلفائهم من عدوان وزعب (سليم) وبني خالد وبني لام عام ٧٦١هـ ١٣٥٩م وبانتصار آل سرب وأحلافهم من سبيع بقيادة بدر بن معن المعني الزعبي في موقعة شتر وشتير وهما جبلان يقعان جنوب سقمان بمرحلة وصارت إمارة الأفلاج لبدر بن معن الزعبي: (وقد أوردت هذه الروايات حتى نجد ما يؤيدها أو ينفاها)

بهيج:

وهناك جانب أخر من تاريخ منطقة الجبل (منطقة حائل) زمن قدوم الضياغم إلى المنطقة في القرن الثامن أو التاسع الهجريين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين وهو بهيج شيخ العبيد من زبيد، وزبيد هذه يوجد ثلاثة آراء حول نسبتها فالرأي الأول يميل إلى كونهم من ذرية عمرو بن معد يكرب الزبيدي، قال الدكتور خاشع المعاضيدي في كتابه أعالي الفرات: والجبور من زبيد الأصغر وهم ينسبون إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي ولهم والعزة والدليم والعبيد والجنابين والجحاية من أصل واحد ويذكر أن كاتم جد الجبور واللهيب والحقايفة والعبيد يؤيده السامرائي في كتابه عشائر العراق أن العبيد من زبيد الأصغر، ويقول الشيخ عبد العزيز المسلط المنحم شيخ الجبور: أن جد وجبور أخوان من زبيد من ذرية عمرو بن معد يكرب الزبيدي وجبور من

أبناء عبيد ومنه العبيد الذين كانوا في الجلين وخالد ومنه جبور بني خالد بشر ومنه جبور العراق وسوريا وعامر وعمير ومحمد.

الرأي الثاني: أن زبيد من سنبس (من طيء) وهم أبناء عمرو بن سنبس بن معاوية بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء فقد ذكر القلقشندي أن لسنبس من الولد زبيد وعمرو.

الرأي الثالث: أن زبيد من طيء وهم بنو زبيد بن معن بن عمرو بن عنين بن سلامان بن عمرو الغوث بن طيء.

وهناك من ينسب بهيج إلى الاسلم، وهذا بعيد عن الاحتمال وذلك لأن الاسلم قد تحالفوا مع آل ضيغم النازحين من الجنوب ضد بهيج وهذا الحلف مشهور يؤكد اندماج القبيلتين معًا في مسمى شمر، ولو كان بهيج منهم لما تحالفوا ضده وإن كان رئيسًا لهم لجلوا معه عندما ارتحل من أجا هذا الرجل الذي ذكره أبو الشاعر الفارس عبيد بن علي بن رشيد في قصيدة له حين قال:

" فلك بهيج حدروه السناعيس من عقدة اللي ما يجلو قناها "

فازمن بهيج فعلى ما يظهر أن نفوذ عبدة ومن معهم لم يتعاظم إلا بعد انحسار نفوذ بني لام الذين كانوا حتى منتصف القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي الذين كان يشار إليهم بأنهم أهل الجبل أو أهل جبل شمر، وقع هذا في غزو الشريف الحسن بن أبي نمي وإيقاعه ببني لام عام ٩٦٣هـ ١٥٥٦م قال العصامي: وحرب جبل شمر المذكور لأنه من أمنع مواطنهم، ولابد أن يكون بهيجًا قد رحل قبل هذا التاريخ لأنه لم يرد له ذكر في هذه الفترة، ويقول الأخباريون في رواية شعبية قد يكون لها أساس مدون في مكان ما: لما وفد آل

ضيغم من بلادهم حالفوا الأسلم و (زوبع) من شمر الطائية الذين ذكرهم العمري(٧٠٠-٧٤٩) في مسالك الأبصار واتفقوا بينهم على حرب هيج شيخ العبيد الذي كانت له السيطرة على كثير من القرى والعشائر التي حوله والتقوا معه في عدة وقعات، ويقول الراوي أن هيجًا بعد أن استقر بالجزيرة الفراتية أهاجته ابنته بأبيات لها تتوجد فيها على موطنها في عقدة (قرية تقع في جوف جبل أجا وهي نسبة إلى – عقدة بني سنبس الطائي) موجودة حتى الوقت الحاضر تقع إلى الغرب من مدينة حائل) قالت الفتاة من أبيات لها:

" تقول هيجة يا بتي لاح بارق أخيل من دون العنود سناه"

"أنا إن شفى ظني وهجسي وخاطري تقطع بين البازمين غثاه"

"لا واهني بالعمر من شاف قارح إلى ساح من فوق الرطيب قناه"

"لي منزل بين الخضاري وقارح عسى من جار الزمان براه"

فتهيأ هيج للغزو من الجزيرة الفراتية وقدم إلى منطقة الجبلين فكمن لخصومه وأخذ غنم آل جعفر والربيعية فلحق القوم فخرج عليهم الفرسان من الكمين وتمكنوا من هزيمتهم ولم يبق إلا الأطفال ولذلك لقب آل جعفر (باليتمان) وقيل أنه قدم عليهم وهم غائبون.

ما أهمله المؤرخون:

عُنِيَ المؤرخون وانصب جل اهتمام أغلبهم على الجانب السياسي والحربي حيث ركزوا عليهما وأولوهما عنايتهم على حساب الجوانب الأخرى التي تعتبر العوامل المساعدة إن لم تكن الركيزة التي يقوم عليها الجانب السياسي والحربي وخاصة في المنطقة محل البحث ويبدو أن اهتمامهم هذا كان منصبًا على النتيجة أو الظروف التي أحاطت بها من النصر أو الهزيمة ومن قيام السلطة أو نهايتها، فهناك جوانب عدة تؤثر في أي موضوع سلبًا كان أو إيجابًا غير أنه قلما يشر إلى تلك الأسباب أحد من المؤرخين، إما لجهل بأثر تلك العوامل على مجريات الأحداث وإما لعدم أهميتها عندهم بالنسبة للنتيجة التي لمسوها وإما تجنبًا للخوض في تفاصيل أمور قد لا تسمح الظروف أو الوضع بالخوض فيها، وقد يكون مرد ذلك إلى عدم أهليتهم الفعلية لتدوين التاريخ وإنما جاءت بهم السلطة ووضعتهم في كنفها ليكتبوا ما يتمشى مع هوى السلطة ويسير وفق رغبتها متجنبين الخوض في التفاصيل أو ما يتعارض ورغبة السلطة، وبمعنى آخر أن يكون هؤلاء المؤرخين غير مستقلين أي أنهم يعيشون في كنف السلطة وتحت نظرها فضلاً عن الأهواء التي قد تحيط ببعض المؤرخين وربما يكون بعض هؤلاء من المتطوعين للكتابة دون أن يكون لديهم الوعي الكافي لما يكتبون وليسوا على استعداد للتأكد والتدقيق فيما يكتبون في الأحداث التي عاصروها سواء منهم من يأخذ الخبر من مصدره الأصلي أو الوقوف على الحقيقة وإنما يكتبون بالرواية الشفهية من مصدر واحد دون مقارنة أو تمعن في الأخذ من أكثر من

مصدر وقد يدون الخبر أو الحادثة على هيئة حوليات كأن يقول في سنة كذا حدث كذا وكذا، وفيها أي السنة حدث كذا وكذا دون أن يبين اليوم والشهر وربما أهمل مكان الحادث ولهذا فقد تكون الحوادث غامضة الزمان والمكان وقد يلفها التعتيم في الكثير من جوانبها التي قد تكشف عن أسباب الحدث وملابساته ومن الجوانب التي لم يعطها المؤرخون ما تستحق رغم أهميتها البالغة بالنسبة للسلطة:

أ) الجانب الاقتصادي أو المالي:

هذا الجانب إذا كانت له أهمية كبيرة بالنسبة للبلاد الغنية بمواردها الطبيعية في البلاد المطيرة أو التي تسقى من الأنهار وتكثر فيها الثروات الزراعية والحيوانية التي تملأ خزائن السلطة بالمال إذا كان هذا الأمر مهما بالنسبة لتلك البلاد فإنه بالنسبة للمنطقة موضع البحث يعتبر ضروريًا لا تقوم للسلطة قائمة بدونه؛ سيما وأن هذه البقعة التي ترتكز الحياة فيها على المياه الجوفيه العميقة التي لا تخرج إلا بجهد جهيد وعلى ما ينزله الله من الغيث عليها فإذا كانت السنة دهرًا ضعفت مقومات السلطة حيث تتقلص المساحات المزروعة وبالتالي تنقص الغلات الزراعية وهزل المواشي وخاصة الخيل والإبل التي عليها المعول في قوة السلطة من حماية كيانها على الإبل والخيل أو من نقل الأحمال على الإبل وإخراج المياه الجوفية على ظهورها ونقل المحاربين فضلاً عن تأثير ذلك على السكان وإدخال البلبلة إلى نفوسهم بدل السكينة والاستقرار والنظر بغموض إزاء المستقبل وإذا حدثت كارثة طبيعية أو بيئية وأهلكت المزروعات كأن يحدث نزول برد بدل المطر وهب عواصف باردة أو حارة تلوي بالزرع وتهلك الفرع من نخل

وأشجار أو وفدت إلى المنطقة أسراب جراد تتلف المزروعات وتقضي على الثمرات فإن ذلك له أثر بالغ على مقومات السلطة وذلك إذ علمنا أن مقومات السلطة الاقتصادية تعتمد اعتمادًا كليًا على الإنتاج المحلي فإن الواردات إليها تكاد تنحصر في المنتجات الزراعية والحيوانية والضرائب التي تأخذها على القبائل التي تمر بأراضيها، وإذا أراف الله على الناس ونزل الغيث كثر الزرع ودر الضرع وسمنت المواشي وزاد مخزون الناس من الغلات الزراعية والثمار ودخلت الطمأنينة إلى النفوس وارتفعت المعنويات وهذا الوضع ينعكس على حال السلطة بما يتوفر لها من الأموال فتقوى شوكتها وربما دفعها ذلك إلى توسيع نفوذها أو استعادة ما أخذ منها أو دحر عدو يتربص بها أو مجازات من أساء إليها ولهذا فالعامل الاقتصادي من الأهمية بمكان وقد يكون مرهون به بروز الأحداث أو اختفائها وعليه فمن الخطأ اغفال تأثيره على مجريات الأمور.

ب) الجانب الاجتماعي:

وكما رأينا أثر الجانب الاقتصادي فإن الجانب الاجتماعي لا يقل أهمية عنه ذلك أن التركيبة السكانية التي يتكون منها رجال السلطة أو الفئة المحاربة قد يكونون من قبيلة واحدة من عدد من الفروع وربما يتكونون من عدد من القبائل المختلفة ومن سكان الحضر في وضع غير متجانس، ولما كان المحاربون بجملتهم ليس لهم نظام يوحدهم أو تدريب ينظم وضعهم ومراكزهم فإن وضعهم في القتال ربما يكون على أساس القبيلة أو العشيرة أو الجماعة أو الفئة وبذلك لابد أن يكون اجتماعًا قوامه المحبة والإخلاص للسلطة ووشائجه الالتفاف حول الهدف الذي من أجله كونت هذه القوة المحاربة، أما إذا فقد الرباط الاجتماعي فإن قوة

السلطة المحاربة ربما دبت فيها الخلافات تبعًا للأهواء والنوازع المتفاوتة مما قد يسبب تخاذل فئة من الفئات في أداء الواجب المنوط بها وبالتالي قد تؤدي هذه الثغرة إلى انتكاسة الجيش أو هزيمته كما حدث في كثير من الحروب والمعارك، لكن المؤرخين لم يعطو الاهتمام اللازم عن المرامي الكامنة وراء تخاذل هذه الفئة أو تلك، وقد يشير بعضهم إشارة عابرة إلى هذا الجانب دون البحث عن دوافعه ومراميه وقد يتعرض له أحد لا بحثاً عن حقيقته وإنما يمر عليه عرضا بالقول أنه حدث انكسار في ميسرة الجيش أو ميمنته دون أن يدخل في تفاصيل هذا الجانب المنهزم ومن هم قوامه وما إذا كانوا مخلصين للسلطة أم أن وراء انهزامهم ما وراءه فضلاً عن كون هؤلاء المحاربين قد جاءوا للمشاركة برغبة منهم أم أنهم يجبرون على الخروج من قبل السلطة او الكيان وقد تركوا أعمالهم ومصادر رزقهم وأهلهم وذراريهم ضائعة تحت اجبار السلطة لهم حيث أن المحاربين في ذلك الوقت لم يكونوا مجندين لهم أعطيات أو رواتب كما هو الحال اليوم، وإنما كانوا يجمعون من بيوتهم ومزارعهم ومراعيهم ويجهزون أنفسهم بالمطية والطعام والشراب على نفقتهم الخاصة ويكلفون إجباريًا للمحاربة مع السلطة حتى إذا انتهوا من الحرب عاد السالم منهم إلى أهله دون أية فائدة تذكر اللهم إلا ما قد يحصل عليه من نزر يسير من الغنائم إذا غنموا أما إذا خسروا أو عادوا دون أن يشتبكوا مع العدو فلا يحصل أحد منهم على أي ميزة وقد تتحمل السلطة جزء أو كل مؤنتهم أثناء الغزو وقد تمدهم بركاب تعويضًا عن ركابهم التي قد تنفق وذلك مما يكسبون من الفئة الأخرى التي يحاربونها، أما من قتل منهم فليس له أي عوض، فإذا نظرنا إلى كل هذه الأسباب متجمعة فإن لها الأثر الكبير على

انتصارات السلطة وتوسعها وقوتها أو انهزامها وتقلصها وضعفها ومع ذلك لم يهتم بها أحد من المؤرخين بما يوازي أهميتها.

ج) الجانب الديني:

أما الجانب الديني فإنه لا يكاد يذكر في الفترة والمنطقة مجال البحث لأنه لا يوجد في الجزيرة العربية غير الدين الإسلامي ولم يكن هناك ما يدعو إلى جعله هدفًا من الأهداف التي تقوم عليها السلطة أو تحارب من أجله إلا ما كان في صدر الإسلام في حروب الردة وإنما كانت النزاعات والحروب تنصب على الجانب السياسي والتوسع على حساب الآخرين ببسط النفوذ على حساب الآخرين ببسط النفوذ على مساحات أوسع.

لماذا أهملها المؤرخون؟

ماهي الأسباب التي جعلت المؤرخين يغفلونها إلا ما يتعلق بطرق الحج والأمية؟ لماذا أهملها المدونون في عصر التدوين؟ هل كان لانتقال الخلافة من المدينة إلى الكوفة ودمشق وبغداد أثر في ذلك؟ هل اعتبروها زاوية ميتة معتمة لا تستحق من يلتفت إليها؟ هل اعتبروها مستودعًا للمقاتلين ومفردات اللغة العربية يلجأون إليه عند الحاجة؟ هل تهيبوا الدخول إلى هذا المستودع واكتفوا بما ينضحه هذا الوعاء الضخم من الرجال لمساندة الجيوش الإسلامية، أو قطرات اللغة من شعر ونثر يتلقفونه بآنيتهم في أسواق الكوفة والبصرة من أفواه الأعراب القادمين للجلب أو الميرة؟ ألم تكن بقعة جديرة بالاهتمام؟ أما كانت مصدراً لجذور القبائل العربية وأكثرهم ينتمي إليها؟

هذه الأسئلة وكثير غيرها يحتاج إلى إجابة، وأحيانًا يبقى بعضها بدون إجابة شافية، في كتب التاريخ الموجودة بأيدي الناس والتي اطلعت عليها لم يذكر فيها سوى ومضات تاريخية خافتة في أوقات متباعدة، إلا ما يتعلق بطريق الحج البصري والكوفي الذين يخترقان المنطقة من وسطها ثم أصبحا طريقًا واحدًا مع طريق زبيدة الذي تم تصميمه وحفرت عليه البرك وبنيت في عهد هارون الرشيد الخليفة العباسي وزوجته زبيدة بنت جعفر في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وكذا ما يتعلق بالأحمية، كحمى الربذة وضرية وفيد من تعيين الحواط، وما ينشأ حول هذه الأحمية من المناوشات بين حواط الحمى المسئولين عن حمايته والقبائل العربية الموجودة على مشارفه أو تعيين الولاة على منطقة اليمامة من قبل الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، وكذا الحملات التأديبية التي أرسلها الخلفاء الأمويون والعباسيون لتأديب بعض القبائل التي تشق عصا الطاعة بين الحين والآخر مثل ما حدث عام ٦٤هـ من استيلاء أبو طالوت على نجد، ثم استيلاء نجدة بن عامر الحنفي عليها إلى أن قام المهير بن أبي سلمى الحنفي بهزيمة علي بن المهاجر واستيلائه على حجر ثم عبد الله بن النعمان الذي جاء بعده عمرو بن هبيرة عام ١٢٨هـ ثم جاءت الدولة العباسية، وعين داود بن علي، ثم زياد بن عبد الله الحارثي وتوالى عليها الولاة، ثم حملة (بغا) عام ٢٣١هـ وحركة محمد الجون ٢٥٢هـ وتأسيس الدولة الأخيضرية حتى عام ٣٠١ هـ ومهاجمة أبو طالب الجنابي حاكم البحرين (الاحساء) الحجاج على مورد الهبيرة شرق الأجفر ومعه ٥٠٠ فارس و ٦٠٠ رجل، وامتداد حكم الاحساء لليمامة، وفي أول القرن السادس الهجري قيام رؤساء ربيعة العمانية

الخطيط لأخذ الحجاج العراقيين ومع الطائيين دهمش بن أجود، فاستنجد الخليفة ببغداد بحاكم الاحساء محمد العيوني وانضم إليها عرب العراق من المنتفق وخفاجة ودارت المعركة على مورد لينه، انهزمت فيها قبائل طيء ومن معهم ثم تلا ذلك المناوشات بين القبائل العربية كعنزة والظفير الطائيين على نمي عام ...هـ ثم بين عنزة والظفير عام ٩١١ هـ ثم عنزة وفروع من شمر ضد الظفير ومعهم فرع من قبيلة حرب وسبيع والسهول وذلك عام ٩٦٦هـ ثم تحركات شريف مكة لغزو هذه المنطقة في الأعوام ٨٧٤،٨٥٤،٨٥٣، ٨٨٠، ...هـ ابتداء من العرب الموالين له وانتهاء ببلدة معكال في وسط نجد (جزء من مدينة الرياض الحالية) هذا موجز ما تعرض له المؤرخون حسب علمي في حوادث تاريخية مبعثرة ومتباعدة، وفي أنحاء متفرقة لا تعطى الرؤية الواضحة عما كانت عليه بقية أجزاء هذه البقة، ولا حتى هذه الأجزاء في هذه القرون المتعاقبة فماذا كان يحدث في جنوب نجد وشمالها وشرقيها وغربيها ووسطها؟ لم يدون المؤرخون أشياء تستحق الذكر فما هو السبب؟ ألم يدونوا خلاف ما حدث؟ أم أنهم دونوه ولم يصل إلى أحد حتى الآن إما لضياعه، أو أنه بقي في مكان ما لم ير النور بعد؟

وإذا انتقلنا إلى المدونين في العصر الأموي والعباسي،فإن الإجابة عن السؤال الموجه إليهم يحتاج إلى بعض التعمق والنظر بروية، هل أهملها المؤرخون فعلاً فلم يدونوا ما يجرى فيها؟ أم أنهم دونوا وضاع ما دونوه؟ أو أنه لا يزال راقدًا تحت ركام المجهول من القرون المتعاقبة لم ير النور حتى الآن؟ وإذا كان المدونون قد اهتموا بالجانب اللغوي والأدبي في رصدهم لدواوين القبائل بما تحويه من شعر

وتر ومفاخر، فلماذا لم يهتموا بأحوال هذه المنطقة؟ هل كان لانتقال الخلافة من الحجاز إلى الشام والعراق ما جعلهم ينصرفون عن هذه المنطقة؟ هل ألهاهم التدوين في شئون الخلافة وأخبار الفتوحات في نواحي الرقعة الإسلامية من الشرق والغرب والشمال والجنوب عن هذه البقعة؟ هل انشغلوا بأخبار قصور الخلافة والحياة العامة والخاصة بأدق التفاصيل عما سواها من المناطق، وعلى رأسها في الغفلة والإهمال هذه المنطقة؟ لاشك أن سلطة الخلافة وبهرجها تشد انتباه المدونين وقربهم من مساقط الأضواء يجعلهم يدونون ما يقع تحت أنظارهم غثه وسمينه حتى لنجدهم أحيانًا يدونون أحداثًا تافهة نسبيًا إلى ما هو أهم منها من شئون القصر الخاصة والتي تحدث في كواليس القصور بين الجواري والقيان والخدم، في الوقت الذي يهملون فيه أمورًا تتعلق بأمن الخلافة في نواحي البلاد، أو يكون تسجيلهم لمثل هذه الأمور متأخرًا أو بصورة موجزة أو مبتورة لا تعطي الصورة الحقيقية لما حدث فعلاً كقول بعض البلدانيين: (الجبل أو الماء، أو الوادي الفلاني موجود ببلاد العرب) يقصد جزيرة العرب أو نجد بالذات دون أن يحدد الموقع المعين في هذه البقعة المترامية الأطراف.

فكان لقربهم من القصور، وتناولهم للسهل المتوفر من المعلومات على تفاهته أيسر لديهم من التحرك بعيدًا عنها، وتدوين ما يحدث فعلاً من رقعة الخلافة الإسلامية، فهل اعتبروا هذه البقعة زاوية مهملة؟ هذا التساؤل تحتاج الإجابة عليه لبعض التحفظ، فلو كانت زاوية خاملة لا حركة فيها ولا تفاعل بداخلها لأمكن الرد عليه بالإيجاب؛ لكن الحيوية والنشاط الذي كان ينبعث منها، بما تدفعه من موجات المحاربين في صدر الإسلام وحتى دور مصارعة القوة البيزنطية

على الثغور الإسلامية الشمالية في العهدين الأموي والعباسي، وذهاب هؤلاء الثانين وعودتهم إلى أهلهم إلى جانب ما يخرج منها الموجات الفائضة من سكانها إلى الحواضر والأراضي الإسلامية المفتوحة بين الحين والآخر، بالإضافة إلى الصِّلَاتِ التجارية التي تربطها بحواضر الخلافة كالكوفة والبصرة ودمشق وبغداد، وما يربط سكانها من حاضرة وبادية بذويهم الذين انتقلوا للعمل أو الإقامة في الحواضر الإسلامية وما يربط الخلفاء برؤساء القبائل وعلية القوم في المدن والقرى والبادية من صِلَاتِ المصاهرة والنسب، هذه الحيثيات وغيرها جعلت من هذه البقعة نشطة وفاعلة، إذا لماذا لم يدخلوها؟ لماذا اكتفوا بمن يصل إلى الكوفة ودمشق والبصرة وبغداد من الأعراب الذين يأتون من نجد للتموين والميرة، ويلتقطون منهم ما يريدون من أشعار القبائل؟ هل حدث ذلك بعد أن أصبح المعنيون بالتدوين في سن الشيخوخة بحيث لم يتمكنوا من تحمل المشاق والطواف مع القبائل العربية ودخول المدن والقرى العربية لتدوين ما يحدث بها؟ قد يكون صحيحًا إلى حد ما !؟ ولكن ذلك ينبعث منه سؤال آخر، ألا يوجد من الشباب الذين يستطيعون تحمل مثل هذه الأعباء والصعاب وتكون مهمتهم تجميع هذه المعلومات ويبقى تمحيصها والتأكد منها مهمة الشيوخ ما جعلهم يحجمون عن التقدم لمثل هذه المهمة؟ وذلك خشية من هؤلاء الشيوخ أن ينافسهم الشباب وينتزعوا من على هاماتهم تيجان الشهرة؛ فلذلك أحبطوا كل طموح لديهم بعدم الثقة في كل ما يدونونه أو ينقل عنهم، وقد يكون دافعهم للمنع حُمَّى المنافسة والغيرة العلمية كما حدث بين الأشياخ أنفسهم؟ أم كان عامل الخوف على حياتهم من الولوج إلى أراضي تلك القبائل العربية والوصول

إلى المدن والقرى في هذه المنطقة؟ أم أن شعور هؤلاء المدونين بأن ما يحدث شيء عادي لا يستحق شد الرحال إليه، سواء ما يجري من الحوادث أو التراث اللغوي الذي يحتويه الشعر الجاهلي؟ أم كانت هذه الخطوة أي التدوين عبارة عن جهد فردي خاص يعتمد على الذات مما لم يمكنهم من تغطية كل ما يحدث، ودونوا ما تيسر لهم مما جاء عفويًا كانوا يتلقفونه من أفواه الركبان الذين يأتون إلى هذه الحواضر؟ أم اعتراهم شعور من سكن الحاضرة نحو سكان البادية أو المدن والقرى النائية، من نظرة لا تزال آثارها باقية حتى الآن، وهو شعور غريب يجعل الحضري ينظر إلى الأعرابي أو الغريب وبعيد الدار على أنه خشن وجافي الطباع ويتجنب الاحتكاك به إلا بمقدار ما يربطه به من علاقة مخالطة أو مؤالفة واحتكاك مما جعل الأعرابي أو الغريب من جانبه لا يجود بكل ما عنده من أخبار أو غيرها، ويعطيه ما يعطيه بمقدار ما يستفيد هو الآخر منه، كأن يقضي هذا الحضري بعض حوائجه أو كلها، بحيث يجود له بما يريد، أما إذا لم تحصل هذه المقايضة فإن ما يناله منه يعتبر نزرًا يسيرًا، قد يأتي عفويًا، أو موجزًا مقتضبًا لدرجة الإخلال بمحتواه ومعناه هذه النظرة المتبادلة بين سكان هذه الحواضر وبين من يفد إليها من الأعراب والغرباء قد أثرت سلبًا على هذه المرويات من أخبار وأشعار، وعدم وقوف المدونين بأنفسهم على ما يريدون تدوينه قد أوقعهم في أخطاء فاحشة عند اعتمادهم على ما ينقله هؤلاء الرواة على علاته، لهذه الأسباب متفرقة أو مجتمعة لم يبرحوا تلك الحواضر إلا القلة منهم، وبقي الكثير فيها يجمعون ما استطاعوا جمعه من هذا القاطر الذي تتكاثر قطراته حينًا وتقل أحيانًا أخرى على مقدار تواجد هؤلاء الأعراب أو الغرباء من الشعراء

الرواة أو الإخباريين من الذين قد تتباعد فترة زيارتهم للمدينة المنورة أو الكوفة والبصرة ودمشق وبغداد، ويتركون المنبع الثر الغزير في جوف أحشاء هذه المنطقة في باديتها وحاضرتها.

هل تجاهلها المدونون أم جهلوها:

الإجابة على هذا السؤال متفاوتة، فهم لم يجهلوها أو يتجاهلوها تمامًا ولم يعطوها ما تستحق من عناية، وقد بدأت هذه العناية في عصر التدوين حيث شغف الأمويون بالعلم والمعرفة، فقد كلف معاوية بن أبي سفيان غلمانه بتدوين أحاديث عبيد بن شريه الجرهمي عن وقائع العرب وأخبارها وأشعارها، وبالطبع فإن ٧٦% من هذه الوقائع حدثت في نجد، وقد قال الأصمعي عن خلفاء بني أمية: كانوا ربما اختلفوا وهم بالشام في بيت من الشعر أو خبر، أو يوم من أيام العرب فيبردون فيه بريدًا إلى العراق يقصد الكوفة والبصرة وهما نقطتا التجمع للرواة القادمين من هذه البقعة: ومركز انبثاق المعرفة فيما يختص بعلوم العرب وقال غير الأصمعي: كنا نرى في كل يوم راكبًا من ناحية بني أمية ينيخ على باب قتادة (توفي ١١٨هـ) يسأله عن خبر أو نسب أو شعر، وكان قتادة أجمع الناس، وقال عامر بن عبد الملك المسمعي: (كان الرجلان من بني مروان يختلفان في بيت شعر فيرسلان راكبًا إلى قتادة يسأله) وكان لعبد الملك بن مروان كاتب خاص للمصاحف والشعر والأخبار وهو خالد بن الهياج، وقد اهتم الوليد بن يزيد بجمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها من كتب حماد الراوية وحماد الذي يعتبر من أعلم الناس بأشعار العرب وأخبارهم.

وقد بدأ التدوين في العصر الجاهلي ثم فجر الإسلام والعهد الراشدي للقرآن الكريم، وتحفز في العهد الأموي ونشط وبلغ ذروته في العهد العباسي، حيث تم تدوين الشعر واللغة في نهاية القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث وهناك من يرى أن هذا التدوين قد بلغ ذروته في نهاية القرن الثالث الهجري، وأول ما دون بعد القرآن الكريم في العهد الراشدي، الحديث ثم التفسير، ثم تلا ذلك تدوين السير والمغازي وبعد ذلك كتب الأنساب والشعر واللغة والأدب.

وقد بدأ التدوين بتجميع المعلومات بطرق شتى، منها تجميع المعلومات من أفواه الرواة القادمين إلى الحواضر العربية لغرض الجلب والميرة وغيرها، وقال ابن سلام: أخبرني أبو عبيدة أن ابن داود بن متمم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي في الجلب والميرة فترل النحيت فأتيته أنا وابن نوح العطاردي فسألناه عن شعر أبيه متمم وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته.

ومن هذه الطرق تجميع هذه المعلومات وتدوينها من منابعها من أحياء العرب وقراها داخل نجد، حيث قام مجموعة من هؤلاء العلماء بالغوص إلى أعماق نجد، قال الشلقاني عن الأصمعي: وأكثر من جال البادية عبد الملك بن قريب الأصمعي، وهو يكاد يذرع البادية، فتراه في حمى ضرية يستمع إلى غلام من بني أسد، وفي بلاد بني عامر يستنشد رجلاً من أهلها، ويناقش أعرابية في منى من بني العنبر(من تميم) وقال ثعلب (دخل أبو عمرو اسحاق بن مرار البادية ومعه دستجتان (وعاءان) من حبر فما خرج حتى أفناهما يكتب سماعه عن العرب) وقال ياقوت : (خرج الكسائي ورجع وقد أنفد خمس عشرة قنينة من الحبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ) ومن علماء البصرة الذين رحلوا إلى البادية

أبو عمرو بن العلاء واسمه زبان بن عمرو الخزاعي ت ١٥٤هـ الذي قال عنه أبو عبيدة: (كانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتًا له قريب من السقف، وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركو الجاهلية) وكان أبو سعيد السكري (كثير الكتب جدًا وكتب بخطه ما لم يكتبه أحد وكان إذا لقى الرجال لا يفارقه كتاب) وهناك حماد الراوية وهو مولى مكنف بن زيد الخيل الطائي ت ١٦٥هـ وخلف الأحمر والمفضل الضبي وهو عامر بن عمران الضبي ت ١٦٨- ١٧٨هـ والأصمعي ت ٢١٣ أو٢١٦هـ وأبي عبيدة ١١٤- ٢١٠هـ وأبي عمرو الشيباني ت ٢٠٦ أو ٢١٣ هـ وأخذ عن هؤلاء ابن الأعرابي ١٥٠- ٢٣١هـ.

هذا الجمع والتدوين من الأفواه مضافًا إلى نقل ما يجدونه مدونًا بهذه البقعة في الصحائف المتبقية من العهد الجاهلي فيا ترى أين هذا المنبع الثر الذي يقصده هؤلاء الرواد ويرتوون من معينة؟

إنه بلا جدال وسط جزيرة العرب (نجد الحالية) حيث تقطن القبائل العربية المشهود لها بالفصاحة بدليل ما جاء في المراجع التاريخية والأدبية حيث حرص هؤلاء العلماء أن يأخذوا اللغة والأخبار عن الأعراب وخاصة من هذه البقعة، قال عمرو بن العلاء أو أبو عبيدة والأصمعي:(والعرب لا تروي شعر عدي بن زيد العبادي لأنه عاش في الحاضرة في العراق ولم يعش في نجد وألفاظه غير نجدية وقال إنه من الشعراء بمترلة سهيل من النجوم يعارضها ولا يجرى مجراها) وطبق هذا الاعتبار على شعر أبي دؤاود الأيادي لأن ألفاظه غير نجدية.

أما الزمان فهو عصر الفصاحة أو عصر الاستشهاد أو عصر الاحتجاج من أول نص شعري في العهد الجاهلي إلى نهاية القرن الثاني الهجري.

وقد تم هذا التدوين من فصحاء العرب المشهورين مثل: أقّار بن لقيط، وأبو البيداء الرياحي،وأبو مالك بن كركرة، وأبو عرار العجلي، وأبوزيادة يزيد بن عبد الله بن الحر الكلابي، وأبو سوار الغنوي، وأبو ثوابة الأسدي، وأبو شبلي العقيلي، ونصر بن مضر الاسدي، وأبو محلم الشيباني، وأبو ثروان العكلي، وأبو عثمان سعيد بن ضمضم الكلابي، وجهم بن خلف المازني، وأبو المسهر الأعرابي، ومؤرج السدوسي، والحسن بن علي الحرمازي التميمي، وعباد بن كسيب العنبري التميمي، ومحمد بن عبد الملك الفقعسي الأسدي، وعبد الله بن عمر المازني، وغيرهم العشرات وقام بهذا التدوين عدد من جهابذة العلماء، وسأورد أسماء من ألفوا عن هذه المنطقة أو ما يمت إليها بصلة منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١-أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي القرشي ١١٤- ٢١٠هـ:

وله من الكتب مائة كتاب في مختلف الفنون منها ما يتعلق بهذه المنطقة، كتاب القبائل، كتاب مناقب باهلة، وكتاب مثالب باهلة، كتاب بيوتات العرب، كتاب مآثر العرب، كتاب مآثر غطفان، كتاب غريب بطون العرب، كتاب من قتلت بنو أسد، كتاب أيام بني يشكر، كتاب أيام بني مازن وأخبارهم.

٢-أبوزيد سعيد بن أوس الأنصاري ت ٢١٥هـ: وله من الكتب ٣٢ كتابًا في مختلف الفنون منها بيوتات العرب.

٣-عبد الملك بن قريب الأصمعي الباهلي ت ٢١٣هـ: الذي قال عنه عمر بن شبه: سمعت الأصمعي يقول: (أحفظ ست عشرة ألف حوزة) فإذا كان هذا مقدار ما يحفظه من الأراجيز فما ظنك بما كان يحفظ من الشعر؟ وقد ألف ٤٥ كتابًا في مختلف الفنون منها كتاب جزيرة العرب، وكتاب مياه العرب، وكتاب الأنساب.

٤-أبو عبد الله محمد بن زيادة بن الأعرابي ت ٣٢١هـ: الذي قال عنه ثعلب: شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مئة إنسان وكان يسأل ويقرأ عليه فيجيب من غير كتاب، قال: ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاب قط وله من المؤلفات ١٥ كتابًا في مختلف الفنون منها كتب مدح القبائل، كتاب تفسير القبائل، كتاب نوادر بني فقعس.

٥-أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت ٢٧٠هـ: وله من الكتب ٣٣ كتابًا في مختلف الفنون منها كتاب الذبار وكتاب النسب، وعيون الأخبار وكتاب التسوية بين العرب والعجم.

٦-عبيد بن شريه الجرهمي: وقد عاش في العصر الأموي أيام عبد الملك بن مروان وله من الكتب: كتاب الملوك وأخبار الماضين.

٧-أبو اليقظان سحيم بن حفص: وكان عالمًا بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب، ثقة فيما يرويه ت ١٩٠هـ وله من الكتب خلق تميم، كتاب أخبار تميم، كتاب النسب الكبير.

٨-هشام بن محمد السايب الكلبي ت ٢٠٦ هـ: عالم بالنسب وأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها أخذ عن أبيه الذي ت ١٥٦ هـ الذي قال:

أخذت نسب قريش عن أبي صالح عن عقيل بن أبي طالب، وأخذت نسب كندة عن أبي كناس الكندي وكان أعلم الناس، وأخذت نسب إياد عن عدي بن رئاث الإيادي وكان عالمًا بأياد، ولهشام من الكتب ١٠٢ كتاب في مختلف الفنون منها كتاب فضائل قيس، كتاب عيلان، كتاب ألقاب قيس، كتاب ألقاب ربيعة، كتاب المثالب، كتاب النوافل لأسد وتميم وقيس وربيعة، كتاب تسمية من نقل عاد الأولى، كتاب غزية، كتاب حكام العرب، كتاب وصايا العرب، كتاب أخذ كسرى رهن العرب، كتاب التاريخ، كتاب البلدان الكبير، كتاب البلدان الصغير، كتاب أسواق العرب، كتاب الأقاليم، كتاب المنذر ملك العرب، كتاب داحس والغبراء، كتاب أيام فزارة ووقائع بني شيبان، كتاب وقائع الضباب وفزارة، كتاب يوم سنيق، كتاب الكلاب وهو يوم السنابس، كتاب أيام بني حنيفة، كتاب أيام قيس بن ثعلبة، كتاب الأيام، كتاب مسيلمة الكذاب.

٩-**أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي١٣٠-٢٠٧هـ**: وله من الكتب ٢٨ كتابًا في مختلف الفنون منها كتاب التاريخ والمغازي، كتاب الطبقات، كتاب فتوح الشام وكتاب فتوح العراق، كتاب التاريخ الكبير.

١٠-**أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي الثُعلَيْ الطائي ت ٢٠٧ هـ**: وله من الكتب ٥٠ كتابًا في مختلف الفنون، منها كتاب بيوتات العرب، كتاب نسب طيء ، كتاب حلف كلب وتميم وحلف ذهل وحلف طيء وأسد، كتاب المثالب الصغير، كتاب المثالب الكبير، كتاب مثالب ربيعة، كتاب أخبار طيء ونزولها الجبلين وكتاب حلف ذهل وثعل.

١١-**أبو البختري وهب الأسدي القرشي**: وله كتاب طسم وجديس.

١٢-**أبو خالد الغنوي**: وله كتاب غني وأنسابهم.

١٣-**عبد الرحمن بن عبدة**: أحد النسابين الثقات، حسن المعرفة بالمآثر وأيام العرب وله ١٥ كتابًا في مختلف الفنون منها كتاب النسب الكبير، كتاب نسب بني نفعس بن طريف بن أسد بن خزيمة، كتاب مختصر أسماء القبائل، كتاب الكافي في النسب وكتاب معد بن عدنان وقحطان، كتاب أسماء فحول الشعراء.

١٤-**أبو جعفر محمد بن حبيب**: وكان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل وعمل قطعة من أشعار العرب، روى عن ابن الأعرابي وقطرب وأبي عبيدة وأبي اليقظان وله ٣٥ كتابًا في مختلف الفنون منها كتاب القبائل الكبير، كتاب العمائر والربائع في النسب، كتاب المؤتلف والمختلف في النسب وكتاب الشعراء وأنسابهم.

١٥-**أبو عبد الله الزبير بن بكار القرشي ت٢٥٦هـ**: إخباري وأحد النسابين وكان شاعرًا صدوقًا راوية نبيل القدر وله ١١ كتابًا في مختلف الفنون منها كتاب أخبار العرب وأيامها، كتاب نوادر أخبار النسب، كتاب وفود النعمان على كسرى.

١٦-**أبوزيد عمر بن شبه مولى بني نمير ت ٢٦٢هـ**: كان شاعرًا إخباريًا فقيهًا وله ٢١ كتابًا في مختلف الفنون منها كتاب التاريخ وكتاب النسب وكتاب أخبار بني نمير.

١٧-**أبو جعفر أحمد بن يحيى البلاذري ت ٢٧٩هـ - ٩٨٢م** : له أربعة كتب كتاب البلدان الكبير، البلدان الصغير، الأخبار والأنساب.

١٨-**جعفر بن أبي محمد الأزهر ٢٠٠هـ ٢٧٩م** : وله كتاب التاريخ وهو من جياد الكتب.

١٩-**محمد بن سلام الجمحي ت ٢٣٢هـ** : أحد الأخباريين الرواة وله من الكتب كتب الفاصل في ملح الأخبار والأشعار وكتاب بيوتات العرب وكتاب طبقات الشعراء الجاهلين.

٢٠-**أبو الفرج الأصفهاني** وهو علي بن الحسين القرشي ت ٣٦٢هـ : وله ١٤ كتابًا منها كتاب الأغاني الكبير وكتاب مجموعة الآثار والأخبار وكتاب الديارات، إضافة إلى دواوين القبائل التي تحتوي على الكثير من أخبارها ووقائعها ومياهها ومختلف جوانب الحياة في هذه البقعة وقد ذكر أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ت ٣٧٠هـ ستين ديوانًا خص هذه البقعة منها ٣٢ ديوانًا هي:

١- كتاب بني أعصر.
٢- كتاب باهلة.
٣- كتاب بني ذهل بن ثعلبة.
٤- كتاب بني ربيعة بن ذهل.
٥- كتاب بني أسد.
٦- كتاب بني إياد.
٧- كتاب بني حنيفة.
٨- كتاب أشعار الرباب.
٩- كتاب بني سعد.
١٠- كتاب بني سليم.

١١- كتاب بني ضبة.
١٢- كتاب بني طهية.
١٣- كتاب أشعار بني عامر بن صعصعة.
١٤- كتاب بني عبد الله بن غطفان.
١٥- كتاب بني عجل.
١٦- كتاب بني عنزة.
١٧- كتاب بني غني.
١٨- كتاب بني قشير.
١٩- كتاب بني القين.
٢٠- كتاب بني كلب بن وبرة.
٢١- كتاب بني محارب.
٢٢- كتاب بني نهشل.
٢٣- كتاب بني الهجيم.
٢٤- كتاب بني يشكر.
٢٥- كتاب بني شيبان.
٢٦- كتاب بني طيء.
٢٧- كتاب بني فزارة
٢٨- كتاب بني قيس بن ثعلبة.
٢٩- كتاب بني كلاب.
٣٠- كتاب بني عبس.
٣١- كتاب بني عقيل.
٣٢- كتاب عذرة

مما تقدم يتضح أن المدونين لم يهملوا هذه البقعة في عصر التدوين الأول خاصة عن العهد الجاهلي وإن لم يغطوا كل ما فيها فإلى جانب هذه الكتب التي دونت عن أخبار العرب وأيامهم وأنسابهم ومآثرهم ومثالبهم ومياههم ومراعيهم وكل ما يمس حياتهم اليومية، لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا كتبوا عنها الكتب التي تبلغ الآلاف لمئات العلماء والكتاب والتي يحويها كتاب الفهرست لابن النديم، إضافة إلى دواوين الشعر التي يعكس مضمونها الكثير من جوانب حياتهم التي عاشوها في هذه المنطقة، ولم يتوقف هذا التدوين ولم تتوقف هذه الرحلات إلى هذا المورد الغزير، فهذا أبو علي الهجري في آخر القرن الثالث وأول الرابع الهجري يخترق نجد من شرقها إلى غربها ويتنقل في أرجائها ليستقر في المدينة المنورة بعد أن جمع مادة كتابه (في تحديد المواضع) وقد اعتمد على عدد من الرواة الثقات من كل قبيلة من القبائل التي يمر بأرضها أو يفدون إليه وقد زاد هؤلاء الرواة على ١٥٠ راوية من مختلف القبائل، فعن قبيلة عقيل كان راويته أبو نافذ مشبع بن جبر بن المقدام الخفاجي العقيلي وعن قبيلة فزارة اعتمد على المنظوري الفزاري، وممن اعتمد عليهم في هذه المهمة الأزرقي وهو جبر بن عقبة بن مرداس من سليم، وكذلك الأشجعي وهو أُطَيْط بن سعد الأشجعي الغطفاني، والمطر في الكلابي من بني أبي بكر بن كلاب، وأبو ميمون المريحي القشيري، من قبيلة قشير، والثوباني والهزاني من قبيلة هزان المجازة، وجيهاء بن حميمة الهلالي، وحرمزة التميمي، الحسن بن عازم الرويبي الهلالي، عبد الله بن حماد الزيادي العتري، عبيد القسيمي من بني عجل، والهتيمي من عمرو بن كلاب كذا نسب الهتيمي إلى بني كلاب (مما يدل على صراحة نسبهم وأنهم

من أصول صحيحة كبني كلاب وعبس وغيرهم من قيس عيلان) (حمد الجاسر) وهب بن مسلم التغلبي، وأبو بذال الكلابي، وأبو بريه القلمي الأسدي، وأبو السمح الضبي ضبة نمير، وأبو السمح الكلابي وغيرهم كثير وقد وصف هذه الواقع وصفًا دقيقًا وأثبت تواجد هذه القبائل العربية الرحل، وذلك لسلامة لغتهم من اللحن وغزارة علمهم نجده في موضع آخر يصف رحّال العمري ونبيه : (بأنهم فصحاء) ولذلك كان حرصه على النقل عنهم وتدوين أقوالهم، وقد انتقلت كتب الهجري إلى المغرب العربي في الأندلس من نهاية القرن الثالث حتى القرن السادس الهجري واستند عليها العلماء الأندلسيون كابن سيده ت ٤٥٨هـ وأبي عبيد البكري ت ٤٧٥هـ والرشاطي ت ٥٤٢هـ أما في المشرق العربي فقد اعتمد عليها نور الدين علي بن أحمد السمهودي ٨٤٤ - ٩١١م ١٥٠٥م في كتابه وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى.

أين ذهب ما كتب عنها؟

لقد كتب عن هذه المنطقة الكثير من الكتب عن العهد الجاهلي وصدر الإسلام ثم العهد الأموي والعباسي، فأين ذهب ما كتب عنها في خلال تلك الفترات؟ هل ضاع مع تراث الأمة العربية والإسلامية في هجمة المغول الشرسة على مهد العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري؟ أم بقي التاريخ راقدًا في رفوف مكتبات المخطوطات في أجزاء متفرقة من العالم؟ الاحتمال الأول وارد لا شك نظرًا لما نكب به العالم الإسلامي من شراسة الهجمة المغولية الهمجية على صرح الخلافة العباسية في بغداد وتقويضها وتدمير كل شيء أمامهم ومن ضمنها الثروة الفكرية المدونة بمئات آلاف الكتب حيث ألقوا بها في نهر دجلة مما

جعل النهر يتغير لونه إلى لون الحبر الذي دونت فيه تلك الكتب، هذا الجانب معروف تاريخيًا، لكن يجب ألا نسلم بهذا الواقع كل التسليم، لأن بغداد انذاك وإن كانت قاعدة الخلافة العباسية ومركز الثقل إلا أنه يوجد حواضر أخرى لا تقل أهمية عنها حيث تمتلىء خزائنها بالكتب من مختلف الفنون فهناك إلى الشرق من بغداد مدينة مرو التي كانت تضاهي بغداد علمًا وتراثًا إلى جانب البصرة والكوفة إلى القرب من بغداد كما توجد حاضرة الخلافة الأموية السابقة دمشق وحاضرة الإمارة الحمدانية حلب والموصل هذه الحواضر لا تقل أهمية عن سابقتها من حيث الحركة الأدبية والعلمية، وهناك ثقل آخر في أقصى الدولة الإسلامية العربية في شمالها الغربي في الأندلس حيث توجد مدينة قرطبة وطليطلة وأشبيليه وغيرها هذه الحواضر العربية الإسلامية كانت في ذروة نشاطها في الفترة التي أعقبت عصر التدوين في القرنين الثالث والرابع الهجريين وحتى القرن السابع الهجري؛ وقد حرص العلماء الأندلسيون على نقل أي كتاب دونَ في المشرق، ولم يقتصر الاهتمام على العلماء المختصين، بل نجد من بين الخلفاء الأمويين من يبزون العلماء اهتمامًا بالناحية العلمية، فلا يذكر العلماء إلا ونجد في مقدمتهم الخليفة الأموي الحكم الثاني من ٣٥٠- ٣٦٦هـ رحمه الله حيث يمضي جل وقته في مكتبته التي تحتوي على ٤٠٠ أربعمائة ألف مجلد في شتى العلوم والفنون، وقيل أن كل كتاب في الخزانة قد إطلع عليه وعلق على هوامشه، فإذا كان هذا الخليفة العالم قد حوت مكتبته ذلك العدد الضخم من الكتب حيث لا يذكر له كتاب في المشرق العربي الإسلامي في أي موضوع وفي أي مكان من الحواضر الإسلامية إلا حصل على نسخة منه، وكان له عملاء في

بغداد ودمشق وغيرها مكلفون بنسخ الكتب أو شرائها مهما بلغ ثمنها، وكثيرًا ما كانت تنتهي إليه مؤلفات المشرق قبل أن يقرأها من في المشرق؛ ويروى على سبيل المثال أن الخليفة الحاكم ما كاد يعلم أن عالم العراق أبا الفرج الأصفهاني يشتغل بتأليف كتابه الأغاني حتى أرسل إليه ألف دينار وطلب منه أن يبعث به إليه قبل ظهوره بالمشرق ففعل ذلك فأرسله إليه قبل أن يقرأه أحد بالمشرق.

وإذا نظرنا إلى الاستقبال الرائع الذي أعده الخليفة الأموي الحكم أو أبيه عبد الرحمن الناصر لأبي الفرج الأصفهاني حينما قدم إليه في الأندلس ومعه نسخة من كتابه الأغاني؛ ومدى الحفاوة التي حظي بها والمكانة التي احتلها عند الخليفة لما يدل على عناية الأمراء الأمويين بالعلم والعلماء واهتمامهم بالكتاب، فمعنى هذا أن الكتب التي دونت بالمشرق قد نقل نسخة أو نسخ منها أو أخذت طريقها إلى المغرب العربي، ورغم الهجمة الحاقدة من قبل الملكة (إيزابيلا) مع زوجها (فرديناند) الذين أخرجا العرب من الأندلس ثم إحراق أو إغراق كل تراث يمت إلى العرب والإسلام بأية صلة إلا أنه بقي من هذه الذخيرة العلمية الشيء الكثير عندما كان العرب المسلمون في الأندلس وكانت مدنهم وجامعاتهم مركز إشعاع لأوربا كلها وبهذه الطرق انتقلت الحضارة العربية والإسلامية إلى أوربا عن طريق الكتب العلمية والتراثية في الأندلس فأخذوا منها ما يهمهم أو ما تسرب إلى أوربا عن طريق الدارسين الأوروبيين في جامعات الأندلس العربية والإسلامية، من هذه البقايا جعل الباحثون على عدد تلك الكتب التي نشروها فيما بعد، ولا تزال هناك أعداد ضخمة من هذه الثروة راقدة تحت غبار السنين في مكتبات أوروبا ومنها مكتبة (الأسكوريال) بأسبانيا وفي مكتبات

أمريكا، وقد نشر في مجلة الشرق الأوسط بالعدد الثاني والعشرين ٢٦/١١/١٩٨٦م الموافق ١٠/٤/١٤٠٧هـ تحت عنوان (نصف مليون مخطوطة عربية مدونة بخط اليد أو خطوط النساخين لم تعرف بعد طريقها إلى المطبعة، ومعظم هذه المخطوطات يصل إلى آلاف الصفحات وتتعرض لموضوعاتها مختلف مناحي المعرفة ما بين الكتب والمؤلفات الأدبية ودواوين كبار الشعراء من جاهليين ومسلمين أمثال أمرؤ القيس وأبو تمام وزهير بن أبي سلمى وابن الرومي وأبو نواس والمتنبي وغيرهم.

وحتى اليوم هناك مخطوطات لم تر النور لفحول الكلاسيكيين العرب أمثال الطبري وابن الكلبي وابن اسحاق وابن النديم أول من وضع معجم أو فهرست وابن تيمية والتوحيدي والهمداني صاحب الأكليل في ١٤ مجلداً عن تاريخ الجزيرة العربية، وابن قتيبة وابن دانيال والمقريزي وعشرات غيرهم من كبار المؤلفين والكتاب العرب في مختلف فروع المعرفة في التاريخ وجغرافية العصور الوسطى والرحلات والطب والفلك والكيمياء والجبر والهندسة والأديان المقارنة والآداب الصوفية والفلسفة وغيرها، ويمكن القول أن الغالبية العظمى من كتابات ومؤلفات وعصارة فكر الكلاسيكيين العرب على مدى الأربعة عشر قرناً الأخيرة ما تزال في عداد المخطوطات التي لم تكتشف بعد، وقد اندثر منها ما اندثر وأصبح في عداد النسيان وهناك الآن المخطوطات التي نهبها الدبلوماسيون و (الكولونيلات) والرحالة الذين صاحبوا الحملات الاستعمارية إلى البلدان العربية، وقد نهب الاستعمار الفرنسي من مصر والمشرق العربي وسوريا ولبنان، أما الأسبان فقد استولوا على مخطوطات الأندلس والمغرب

العربي، واستولى الإنجليز على عشرات الآلاف من الكتب والمخطوطات من العراق واليمن ومصر وفلسطين.

كان هناك جيوش بكاملها من هواة جمع المخطوطات العربية النادرة تغير على المدن العربية لتجمعها، وأنشأوا تجارة مربحة، وشبكات لتهريب وتجارة المخطوطات أطرافها من السفراء والقناصل وكبار الدبلوماسيين والرحالة أمثال (إدوارد وليم لين) والعسكريين والمفوضين والمنفيين والمستشرقين والأفاقين وغيرهم.

تحولت هذه المجلدات الهائلة من المخطوطات فيما قبل عصر انتشار الطباعة إلى تجارة رابحة تدفع فيها مكتبات وهيئات ومؤسسات تلك الدول أرقاماً خيالية، وفي بريطانيا هناك المكتبة العملاقة التابعة للمتحف البريطاني وما يتبعها من مؤسسات الاستشراق ودور حفظ الوثائق التي تغطي محتوياتها بضعة آلاف من الكيلو مترات، ويجد المرء آلاف الوثائق العربية النادرة والتي شاهدتها بنفسي في الكتب القومي لحفظ الوثائق، (كاتب المقالة) وتوجد هذه المخطوطات الإسلامية في قسم شئون الهند (IOLR) وهيئة المخطوطات الشرقية المعروفة (O.M.P.B) يضاف إلى هذا بالطبع محتويات مكتبات بوسطن، الأمم المتحدة، المؤسسة الشرقية بجامعة شيكاغو، مكتبة جامعة (توبنجن) بألمانيا الاتحادية، مكتبة حيدر أباد المركزية، المكتبة المركزية باسطنبول، مكتبات اسبانيا (الأسكوريال) مكتبات فرنسا، ايطاليا.

لكن القول أن ما في حوزة المكتبات العربية من الكتب المطبوعة يربو على ٥٠٠٠٠ ألف مؤلف ويعود تاريخ معظمها إلى دخول الطباعة إلى الأسكندرية

مع علماء الحملة الفرنسية الأربعة والأربعين عام ١٧٩٨م وقد نهب هؤلاء العلماء كثيرًا من المطبوعات أثناء الحملات التبشيرية للرومان الكاثوليك منذ عام ١٥٩٠- ١٥٩١م كما جمع أعضاء هذه الحملات من عيون التراث العربي والإسلامي التي سبق طبعها بإيطاليا وأسبانيا وعلى رأسها طبعة للقرآن الكريم مترجمة ومحفوظة إلى اليوم بالمكتبة المركزية (هامبورج) تحت حراسة مشددة إلى أقصى حد، وتضم هذه المكتبة عددًا من المطبوعات الأولى للمطبعة البولاقية في مصر عام ١٨٢٢م التي أدخلها محمد علي باشا عبر حركة التنوير والترجمة التي قام بها رفاعة الطهطاوي، إضافة إلى ما طبع في بيروت أثناء حركتها التنويرية في القرن الماضي ومعظم هذه المطبوعات العربية والإسلامية محفوظة بأورقة (O.M.P.B) من بينها ٢٥٠ مؤلفًا رائدًا هامًا إضافة إلى ٦٠٠ كتاب عربي نادر طبع بمالطه ومحفوظة الآن بدار (رودس) ومكتبة جامعة (اكسفورد) في بريطانيا وضمن هذه المطبوعات ١٤ جريدة ومجلة عربية مندثرة و ٢٠٥ ما تزال تواصل الصدور، أما مكتبة الهند فتحتفظ بوثائق ٤٠ جريدة ومجلة عربية ما تزال تواصل الصدور منها إلى اليوم أربعة لا غير، بالإضافة إلى فهرست من ٤٠ مجلدًا يغطي الشرق الأوسط وأفغانستان وتركيا وأمريكا الجنوبية أي عرب المهجر.

وإذا تعرضنا لظروف نهب أو حفظ هذه الكنوز العربية بدءًا من (ايرلات أو أمراء اكسفورد) منذ عصور الاقطاع ومن ضمنهم (روبرت وإدوارد هارلي) اللذان جمعا ١٢٠ مخطوطة عربية وباعاها إلى مكتبة المتحف البريطاني بمبلغ ضخم، مما دفع بأمين مكتبة المتحف العتيد (السير كلوديس ريس) عام ١٨٢٥م إلى توسيع المكتبة وقد أصدر أول (كتالوج) موثق للمخطوطات

العربية عام ١٨٤٦م أول ملحق (للكتالوج والببليوجرافيا) برئاسة (تشارلز ريو) عام ١٨٧١م يغطي فترة (نابليون) في مصر والشام والمشرق العربي ويصل إلى ٨١١ جزء جمعت معظمها من بغداد ومصر، وكان البرلمان البريطاني قد أصدر قرارًا بضمها إلى المتحف مع دفع التعويض الباهظ إلى صاحبها، واشترى المتحف مجموعة (سيرتوماس ري) الذي كان سفيرًا لانجلترا لدى الباب العالي بإسطنبول عام ١٦٢٦م وتحتوي على ٤٣ مجلدًا، أما قنصل أمريكا بتونس عام ١٨٦٠م فقد وصلت مجموعته إلى ٢٤٢ مجلدًا فضلاً عن مجموعة (لميجريل) ٤٥ مجلدًا بيعت إلى المكتبة الملكية، واشترت المكتبة أيضًا مجموعة الملحق الدبلوماسي (تايلور) الذي عمل بالبصرة وطهران وبغداد وعددها ٢٤٦ مؤلفًا عربيًا وإسلاميًا هامًا، وقد تم أيضًا شراء مجموعة (هامليون) وعددها ٣٥٢ مجلدًا عام ١٨٦٦م ومقتنيات (الكسفوجابا) التي بلغ عددها ٣٨ مجلدًا ومجموعة الدبلوماسي (موري) الذي عمل في مصر وطهران وعددها ٤٥ مجلدًا عربيًا، والميجر رولنسون) الذي بلغت مجموعته ٧٥ مجلدًا، أما مجموعة (فوت كريم) النادرة منذ مطلع القرن الثامن عشر فقد بلغت ١٩٨ مؤلفًا مرموقًا تغطي مطلع العصر الإسلامي منذ حوالي ١٤ قرنًا، وتغطي مجموعة (إدوارد جلاسش) تاريخ اليمن وشمال الجزيرة العربية من المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي في عصور ما قبل سد مأرب وبلقيس ملكة وعصور التابعة، وآخرهم الملك التبع سيف بن ذي يزن وتصل إلى ٣٢٨ مخطوطة هائلة القيمة بيعت إلى المتحف البريطاني عام ١٨٨٩م، ومجموعة (إدوارد لين) التي بلغت ٦٥ مجلدًا، ومن أشهر المجموعات، مجموعة العميل (ميلز) وعددها ٥٠ مجلدًا جمعها من مسقط التي

كان يباشر عمله بها كجاسوس عام ١٨٧٥م وهي تغطي تاريخ وآداب الجزيرة العربية شمالاً وجنوبًا وهناك دبلوماسي يدعى (سبريدج) كان يعمل بالعراق لمدة ٣٠ عامًا بلغت مجموعته ١٧٣ مجلدًا، واقتنى المتحف مجموعة مخطوطات الحاج أبو المجيد بلشامي وعددها ١٦٥ مخطوطة عام ١٩١٩م.

والملاحظ أن المتصفح (لكاتالوج) أو فهرست (ريو) الذي يغطي الفترة من ٨٤٦- ١٨٧١ م ٢٣٢ – ١٢٨٨ هـ أي منذ أكثر من عشرة قرون من الزمان يمكن له ملاحظة حوالي ١٢٠ مخطوطة عربية وإسلامية من عيون تراثنا لم تحقق بعد وهي لعبد الرحمن بن خلدون وابن خلكان وابن حبيب وابن عساكر وابن حجر والمعتصمي وابن دريد وابن الأثير وابن البواب والذهبي وغيرهم بالإضافة إلى نسخة متفردة مزينة بالرسوم الإسلامية النادرة لمقامات الحريري ومنافع الحيوان، ومع مطلع القرن العشرين أي حوالي ١٩١٢م وصل إلى خزائن الكتب البريطانية وحدها ١٧٠٠ مخطوطة جديدة لاحد لأهميتها من القرآن الكريم بالخطوط الكوفية ومزينة بالوحدات والزخارف الإسلامية من بينها نسخة أو مخطوطة لمسلمي أسبانيا ترجع إلى القرن الحادي عشر الميلادي وأخرى ترجع للقرن الثاني عشر؛ ومخطوطة أفغانستانية ترجع إلى عصر شاه جاهان، ولعل ذروة المخطوطات التاريخية هنا هي الأجزاء المفتقدة من الموسوعة التاريخية المتابعة الأجزاء للعالم العربي الكبير الهمداني تحت اسم الاكليل حول حضارات الجزيرة العربية التليدة الغابرة من قحطانية وعدنانية والتي وجدت في خمسة أجزاء فقط، ومن هنا تظل هذه الموسوعة الرائدة عالية القيمة ناقصة لبقية أجزائها الثمانية، ويحق لي القول أن موسوعة الهمداني عن حضارات حمير

قحطان وسبأ في اليمنين والجنوب العربي لا تقل كثيرًا عن تاريخ أبو التاريخ (هيرودوت) عن مصر والشرق القديم الأدنى الواقعة في خمسة أجزاء ويختفي بها يرب أشد اختفاء، كذلك تتضمن تلك الثروة من المخطوطات الجزء المفتقد إلى اليوم من (التيجان) لعبيد بن شريه الجرهمي حول تاريخ الجزيرة العربية جزرها وهجراتها وملامح حضارتها وآدابها ومأثورات شعرائها وحكمائها وغزواتها على طول آسيا الصغرى من (ميسوناميا) حتى أواسط آسيا امتدادًا إلى الصين واليمن التي كان يحلو لتبابعتها وآخرهم التبع سيف بن ذي يزن أن يقول بد دعتني نفسي أن أنطح الصين) بالإضافة إلى الكثير من عيون المخطوطات تاريخية مثل (زبدة التواريخ) ومخطوطات لم يسبق معرفتها إطلاقًا على الرقعة العربية للمقريزي مؤرخ مصر في عصر الظاهر بيبرس قاهر الغزو المغولي والأجزاء الناقصة والمفتقدة في العربية لأهم قاموس لنشوان الحميري ويقع في ستة أجزاء متتابعة كاملة، وتضاف لتلك المخطوطات مؤلفات المسعودي والبيروني، وسير الخليفة العباسي الأمين وأخيه المأمون حيث ذروة عصر التنوير بالإضافة إلى تلك القائمة من كلاسيكيات الفكر والأدب والتاريخ العربي قائمة أخرى لا تقل أهمية عن المخطوطات المتصلة بحقل الأدب والثقافة الشعبية وخاصة السير والملاحم التي لم يسبق نشرها في العربية ومنها ما جمعها الرحالة المشهور (ادوارد وليم لين) منذ عصر محمد علي باشا في مصر ما بين الشعر الشعبي والأغاني والحكايات والمأثورات الشعبية المجهولة المؤلف ومنها ما جمع من سوريا العليا والعراق واليمن ولا يزال في حكم المفتقد.

وتوجد ضمن المخطوطات المنهوبة أيضًا مجموعة ضخمة من تفاسير القرآن الكريم للجامي الكبير ترجع إلى القرن الثاني عشر ومعاني القرآن للإمام الغزالي، والتبيان للثعالبي منذ القرن الثالث عشر، وأخرى للزمخشري، وأسباب نزول القرآن للوليدي منذ العصر المملوكي، وجواهر القرآن للغزالي، السنن لأبي داود القرن الثاني عشر، والمصابيح للبغوي، والمصنف في شعب الإيمان للبيهقي، وشهاب الأخبار للبغدادي، والموضوعات لعبد الرحمن بن الجوزي، وحركة علوم الحديث للحكيم النيسابوري، وزاد المائدة لابن قيوم، ورياض الصالحين للغزالي، والكثير من مؤلفات فخر الدين الرازي وابن العربي والإمام الغزالي خاصة، وكذلك يحتوي هذا المصنف الفهرست على الكثير من أعمال مالك بن أنس، والمتلمس والرازي والشافعي والبسطامي وغيرهم من المخطوطات من بينها الكثير من مؤلفات الفارابي مثل الإشارات، وابن سينا وابن الجوزي وابن الشرزي وابن دريد والعشرات غيرهم.

وحفل الشعر العربي ببضعة دواوين للمتلمس ترجع إلى القرن الثالث عشر؛ وديوان المتنبي مع دراسة للعالم اللغوي الأندلسي ابن جني، وديوان آخر للمتنبي مع شروح للتبريزي وكذلك خمس مقامات تقع في خمسة أجزاء متتابعة ترجع إلى القرن الرابع عشر بعضها مزين بالرسوم الإسلامية البديعة شديدة الندرة، كذلك تضمنت هذه القائمة من المخطوطات العربية المحفوظة بالمؤسسات البريطانية الكثير من مؤلفات ابن اسحاق مثل آداب الفلاسفة، ورسائل لم تنشر لإخوان الصفا، والفرج بعد الشدة ونسخة مهجورة من كتاب كليلة ودمنة غير تلك المتداولة في العربية لابن المقفع مع تقديم مستفيض لابن المقفع ذاته، ومنها

وصل إلى معرفة الأوائل للسيوطي القرن الثالث عشر، وحفلت المؤلفات التاريخية والطبوغرافية بالكثير أيضًا من المخطوطات منها وما يتناول وصف المدن والكيانات العربية مثل طريق دمشق لابن عساكر ومنها ما يتصل بأدب الرحلات والاستكشافات التي برع فيها العرب الأوائل الذين جابوا قارات العالم القديم مشرقًا ومغربًا مثل من أصفهان إلى مكة وبيت المقدس، وديوان التواريخ، ومنها تاريخ الإسلام للذهبي؛ وما يتصل بالتاريخ الغابر لليمن والجنوب العربي، وحضارات همدان وقحطان وحضرموت، وفنيقيوا البحر الجنوبي كما يطلق على الشعوب البحرية لجنوب جزيرة العرب.

وخلاصة القول أنه آن الأوان لاسترداد نقل أحقيتنا في إعادة التعرف على جذور ومكونات تراثنا وتركتنا هذه ولو من مدخل تكامل التراث الذي يجد كل عناية ورعاية في مكتبات ومخازن العالم المتقدم الذي اغتصب منذ مئات السنين وتشدد في الحفاظ عليه من دون أصحابه وورثته الحقيقيين الغافلين عنه).

هذا بعض ما ورد في المقال عن الجناح الغربي، أما الجناح الشرقي وأعني به ما تسرب من هذا الاتجاه في مكتبات مدن فارس مثل مرو وشيراز أو صفهان وفي الهند في بومباي وحيدر أباد، وقد سمعت من إذاعة الرياض في شهر محرم ١٤٠٧ أنه يوجد في مكتبة إحدى الجمهوريات السوفيتية الإسلامية خمسة آلاف مخطوطة عربية وإسلامية.

أما الجناح الشمالي الذي هو تركيا فقد ورد في مقال للدكتور حمد بن ناصر الدخيل في جريدة المسائية بتاريخ ١٣/ ٧/ ١٩٨٦م ما نقتطف منه (ولا أتصور أن هناك دولة إسلامية أو عربية أو غربية تملك من المخطوطات في التراث

الإسلامي والعربي مثل ما تملكه تركيا حتى أنه يندر أن تجد مدينة أو قرية على امتداد الأراضي التركية لا تحتوي على الأقل من مكتبة تراثية، وعلى سبيل المثال: المكتبة السليمانية في استانبول تضم لوحدها ما يقرب من مئة ألف مخطوطة بعد أن أضيف إليها من مكتبات المخطوطات المتواجدة في استانبول وفي غيرها من الأقاليم التركية، وإذا كان بعض المهتمين بالتراث والمخطوطات من العرب والأتراك قد وضعوا بعض الفهارس لبعض هذه المخطوطات باللغتين العربية والتركية طبع بعضها منذ أمد طويل فما زال الكثير منها وبخاصة ما كان نائيًا في القرى التركية مجهولاً لدى الباحثين بالتراث ونشره في حاجة إلى فهرسة وتصنيف.

ولكثرة هذه المخطوطات وتفرقها وعدم تصنيفها وفهرستها كاملة، كثيرًا ما يظن بفقدان الكتاب، وتقدم وزارة الثقافة التركية بمشروع ثقافي ضخم يتمثل في وضع فهارس شاملة للمخطوطات.

ولعل القارئ الكريم يتساءل الآن، ومن أين لتركيا هذه المخطوطات العربية؛ وكيف حصلت على هذا القدر الكبير منها؟ وأجيب أن ذلك كان لسببين رئيسين: أولهما: ورثت تركيا هذا التراث الضخم من المخطوطات عن الدولة العثمانية التي حكمت البلاد العربية مدة أربعة قرون، وخلال هذه الفترة الطويلة نقل العثمانيون من سائر البلدان العربية والإسلامية وبخاصة من مصر والشام والعراق أحمالاً مكدسة من المخطوطات حيث أودعوها في مكتباتهم الخاصة في استانبول وسائر البلاد التركية ثانيهما: كانت الآستانة (القسطنطينية سابقًا واستانبول حاليًا) عاصمة الدولة العثمانية وأعظم مدينة في الشرق يفد إليها

العلماء ويتحجها الأدباء، ويتخذ منها ذوو الطموح مسرحًا لتحقيق أهدافهم باعتبارها مركز السلطة وقبلة الولايات العثمانية في الشرق والغرب فكان هؤلاء يحملون معهم مجموعاتهم ومكتباتهم الخاصة، وكان بعض العلماء يتقربون إلى الخلفاء بإهدائهم المخطوطات النادرة التي يعتقدون أنها تجد قبولاً لديهم، هذا وقد بقي كثير من هذه المخطوطات التي ورثتها تركيا عن الدولة العثمانية في حالة سليمة على الرغم من تطاول الزمن عليها).

وإذا كانت ثروتنا التراثية الضخمة التي لا تقاس بثمن قد سرقها أولئك الأقوام من الشرق بطرق متعددة ومن أناس مختلفي الثقافات، ونام عليها أناس، فإنني أضم صوتي إلى صوت كاتب المقالة السابقة بأنه يجب أن يُضغط لدرجة الإلحاح لأن نستعيد هذه الثروة بأي طريقة ممكنة ولو بشراء صور من هذه المخطوطات إن أمكن بعثها من مرقدها ونشر وإخراج مكنونها لأجيالنا الحاضرة واللاحقة حتى يطلع عليها الباحثون والمهتمون أو أن تعسر ذلك فليحصل تمكين الباحثين من الاطلاع على تلك الكنوز الثمينة وتذليل العقبات والعوائق إن وجدت من قبل من يحتفظون بهذه المدخرات النفيسة.

هل أثرت الأمية والعامية والجهل على هذه الحقبات فضاعت؟

هذا السؤال جدير بإجابة شافية، إذ ربما نجد من المسببات التي أثرت سلبًا في تدوين تاريخ هذه المنطقة وفود العامية إليها وامتداد رقعة الأمية وتراجع نسبة الذين يجيدون القراءة والكتابة في هذه المنطقة ودخول العامية إليها كما هو معروف مع بداية القرن الثالث الهجري، وما بعده، وإن كانت المنطقة المعنية من أكثر بقاع الخلافة الإسلامية احتفاظًا باللغة العربية الفصيحة وذلك لبعدها

النسبي عن الأمصار الإسلامية في البلاد المفتوحة التي لم تكن عربية خالصة وكان الخلفاء الأمويون والعباسيون يبعثون بأبنائهم إلى هذه البقعة ليزدادوا فصاحة، أو يحضرون لهم مؤدبيهم ومعلميهم منها إلى أن دبت العامية في هذه البقعة وإن لم تكن بنفس المقدار الذي انتشرت به في البقاع الأخرى، وإن كان أبو علي الهجري بأبحاثه في تحديد المواضع وهو من علماء القرن الرابع الهجري قد أشار إلى هذا الجانب إشارة عريضة حين يتعرض لذكر أحد رواته من (أنه من الفصحاء) وهو دليل على وجود اللحن وبداية العامية في ذلك التاريخ، وربما كان لعودة الأمية إلى هذه البقعة أثر في تدوين ما يجري على الساحة من الأحداث، فيكفي في كل مدينة أو قرية أن يوجد كتاب يدونون ما يجري فيها وما يحدث حولها يسجله في كتاب أو أوراق يتناقل مضمونها الخلف عن السلف، وقد يكون السبب عدم الاهتمام بالتدوين باعتبار أن ما يجري من أمور عادية لا تستحق التدوين، أو لأنهم لا يريدون أي ذكر لخصومهم مهما كان هؤلاء الخصوم على درجة من القوة أو يريدون أن يظهر خصومهم علي درجة من الضعف والانهاك، وقد لا يدرك هؤلاء أنهم في هذه الحالة قد يخسرون شهادة التاريخ لهم حيث يعتبر شهادة لهم بالقوة والصلابة والشجاعة حين انتزعوا النصر من خصوم أقوياء، وربما كان للنزاعات الداخلية أثر في إتلاف ما دون عن هذه المنطقة من داخلها باعتبار أنه يعارض آراء واتجاه الفئة الأخرى وربما كان ذلك لقلة الأهمية به وهذه من الصفات التي يتميز بها العرب ورد غيرهم ممن يعيش وسط المنطقة وألف ما فيها من أحداث حيث تمر من حوله ولا يأبه لها إلا من وهبه الله صدق الاحساس والشعور بالمسئولية إزاء تدوين ما

يحدث حوله ووجوب تدوينه، ولأن ما يدون من الداخل أكثر دقة مما يدون من الخارج نقلاً عن أفواه الرواة، وقد يكون للجهل بقيمة ما يدون عن الأحداث أثره أيضًا فقد تطغى نظرة الجهل بفائدة ما يكتب على سوءها بحيث يرضى أصحاب هذه النظرة بمرور الأحداث دون تدوين يثبتها وتبقى ثابتة على مر العصور، وقد تتناول هذه النظرة المدونين أنفسهم بحيث تجد الواحد منهم ينشط بالتدوين في صدر حياته يجمع بالنقل من الكتب أو التدوين من الرواة لكثير من الأمور المهمة تاريخيًا وإن لم يعتبرها كذلك، حتى إذا تقدمت به السن وأشرف على الموت جمع هذه الحصيلة وأتلفها بحرق أو تمزيق وذلك لاعتبارات اجتماعية أو دينية، كمن يدون الأشعار ولا يريد أن ينقل عنه بعد مماته تلك القصائد التي رواها في حياته بما قد يكون فيها من التشبيب بالنساء الذي يعتبره ذنبًا، أو المدح بالذم الذي ربما يورث الشحناء والبغضاء مما يتحاشاه الكثير من المتدينين، وكذا الحال بالنسبة لمدوني التاريخ والأخبار حيث يخافون أن يكون فيما دونوه واحتفظوا به في حياتهم إذا ظهر بعد مماتهم أن يكون فيه ما يثير النزاعات ويبعث المشاكل من مرقدها فيشعر بالحرج حتى بعد مماته، ولذلك تراه يحرص على إتلاف ما جمع وهو على قيد الحياة في الوقت الذي لا يوجد فيه سوى هذه النسخة اليتيمة التي يمتلكها وبذلك يخسر المدون خسارة فادحة بإتلاف جهده طول عمره في لحظات ويخسر التاريخ أو الأدب أو الاجتماع أو الاقتصاد أو الفن خسارة فادحة بفقدان هذه الحلقة المهمة التي تعب الرجل في تجميعها وتدوينها على مدى سنوات ثم ألمت به غشاوة الجهل لفترة وجيزة أتلف خلالها كل ما جمع تحت ستار تلك الومضة العمياء أو شطحة من شطحات الشعور

بالذنب إزاء ما قام به، فخسر جهده وخلود اسمه وخسر المنطقة التي يعيش فيها والتي كان من واجبه أن يخدمها بما يدونه عن تاريخها السياسي أو الاجتماعي أو الأدبي أو الاقتصادي والفني والسكاني، وقد يكون من بعده ذرية لا يقدرون الجهد الذي بذله والدهم فيما جمعه ولا يدركون الفائدة الكامنة بالمحافظة على ما جمعه والدهم فيتلفونه أو يهملونه، وقد تقع هذه الحصيلة بيد زوجة لا تدرك قيمة هذه التركة الفكرية فتتلفها أو تدفع بها إلى من لا يقدرها.

ومن هذه السلبيات التي انعكست على المنطقة من هذا الموضع غموض الكثير من جوانب الحياة التي سارت فيها خلال تلك القرون العشرة، أما اللهجة العامية فلم يدون بها ما يستحق الذكر سوى ما حفظه الشعراء بشعرهم العامي أو الشعبي لبعض الإلمامات التاريخية العامة ووصف للحياة العامة ومن أقدم هذه القصائد شعر راشد الخلاوي الذي يرى البعض أنه من شعر آخر القرن العاشر الهجري وأوائل القرن الحادي عشر معاصراً لآخر أمراء الجبريين بالأحساء، وإن كان يدنف إلى نجد بين الحين والآخر، وهناك من يرى أنه من قلب نجد، ويحتاج الخلاوي إلى دراسة عميقة قبل الحكم عليه، وأيًا كان فإن شعر الخلاوي العامي القريب في معظم ألفاظه من الفصيح قد أورد أيضًا الكثير من وصف الحياة العامة السائدة آنذاك التي تسمعها على ألسنة كثير من الناس بالإضافة إلى تجارب الحياة الفعلية كذلك ما يحويه شعر (قطن بن قطن) و (السمين) وغيرهم ومن هذه القصائد يمكن استخلاص بعض الحوادث واستنتاج بعض الحقائق؛ ولكن ليس بدقة التاريخ من حيث الزمن الذي يعتبر إحدى ركائز التاريخ ونتائج ما حدث، وحتى لو كان هناك شيئاً مدونًا باللهجة العامية فإنه يمكن

معرفة ما يعنيه الكتاب أو ذاك ولم يعب ذلك ما دونه بعض المؤرخين كابن بشر وما يحويه كتابه من لوثة عامية لكن ذلك لم ينقص من قيمته التاريخية على ما به من اختصار شديد، ولو وجد مثله عن القرون السابقة لأمكن الاستفادة منه، فالعامية لم تكن عائقًا رئيسًا في التدوين، حيث استطاع العلماء الاستفادة من نصوص تاريخية مغرقة في القدم من (هيروغليفية) ومسمارية وثمودية وسبئية ولن يعجزوا عن معرفة محتوى مخطوطات باللهجة العامية العربية، وكذا الأمية قد يكون لها أثر سلبي ولكنها في نفس الوقت ليست عائقًا رئيسًا، إذ يكفي أن يكون في المدينة أو المدن أو السلطة أو الكيان أو المنطقة مؤرخ واحد أو أكثر يرصد ما يجرى فيها من أحداث وما عليه الناس من الوضع الاجتماعي والنشاط الاقتصادي والجانب الديني والأدبي والفني..... ألخ.

إذاً فاللوم ينصب في نظري على الجهل بقيمة ما يدون في مختلف شئون الحياة، وحماقة بعض المدونين ممن يتلفون ما جمعوه في نزوة غضب طائشة تعمي بصرهم عن الواقع والواجبات المنوطة بعواتقهم كل في مجال اختصاصه، أو أولئك الأبناء الذين لا يدركون قيمة ما دونه آباؤهم فلا يحافظون عليه.

مخطط تقريبي للمنطقة يبين بعض المواقع الأثرية وتفصيلها في الآتي:

الآثار التي يجب البحث عنها:

هناك مواطن حضارية مندثرة بما فيها من آثار ومواطن حضارية قائمة حتى الآن فمن المواطن الحية مدينة الرياض(حجر) قديمًا ومدينة خيبر ومدينة الحائط (فدك) قديمًا، ومدينة الجوف دومة الجندل: ومدينة تيماء، وسدير، والنباج (الأسياح) حاليًا وغيرها، ومن المواطن الدارسة.

الربذة: مدينة الربذة لا تزال شاخصة للعيان من حجارة مهذبة، وآثار حيطان مهدمة، وقواعد بناء واضحة من ذلك بقايا المسجد الذي توفي أبوذر الغفاري رضي الله عنه عنده وقبره بجانبه، ومقبرة باقية صوى القبور وعلامات واضحة المعالم والآبار، وكان آخر عهد لها بالحياة سنة ٣١٩ كما نقل ياقوت عن تاريخ أبي محمد عبد الله بن عبد المجيد بن سيران الأهوازي والربذة تقع في منطقة القصيم.

لعباء: (اللعبا) منطقة أثرية في وادي أكمة (الأحمر) الآن شرق السويقية بها آبار قديمة وآثار، وهي منازل بني جعدة، قال مطر مولى بني جعدة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة وصداء مني والبياض قريب

بواد من اللعباء أعلاه عوسج وأسفله رمث أصم جهيد

وهل أسمعن الدهر أصوات فتية بذي الجوزري أو ناشيء ووليد

وتقع العبا أو (لعبة) بمنطقة اليمامة.

المجازة: بلدة غامرة تحت ملتقى وادي نعام وبريك وهي من ديار بني هزان من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار، قال جرير:

ألا أيها الوادي الذي بان أهله مساكن مغناه هام ودخل

لمن راقب الجوزاء أوبات ليله طويلاً فليلي بالمجازة أطول

بكى دوبل لا يرقيء الله عينه ألا إنما يبكي من الذل دوبل

وقال شاعر آخر:

ألا بأعلى ذي المجازة سرحة طويلاً على أهل المجازة عارها

أتو ضربوها بالفؤوس وحرقوا على أصلها حتى تأرث نارها

وقد جرى بالمجازة يوم لنجدة الحنفي، هزم به جند عبد الله بن الزبير وفي ذلك قال عبد الله بن الطفيل:

ألا تعذليني في الفرار فإنني على النفس من يوم المجازة عاتب

وفيها يوم من أيام العرب يقول فيه الشاعر:

ويوم بالمجازة والكلندى ويوم بين ضنك وصومحان

وتقع المجازة بمنطقة اليمامة.

الهدم : (الهدام) حاليًا في بلاد غطفان وهي مكان قرية دراسة بقربها منهل إلى الجنوب الشرقي عن مدينة السليمي وهي إلى الشرق من جبل قنا، وقد ورد ذكرها بشعر زهير بن أبي سلمى حيث قال:

بل قد أراها جميعًا غير مقوية سراء منها فوادي الجفر فالهدم

وقال عياد بن عوف المالكي الأسدي:

لمن ديار عفت بالجزع من رمم إلى قصائرة فالجفر فالهدم

وتقع الهدم أو (الهدام) بمنطقة حائل وغير ذلك من الأماكن الأثرية. ولمن يريد الإطلاع على المزيد من الآثار فاليطلع على كتابي "أجبال طيء الخمسة".

النقود العربية الإسلامية

أسماء النقود القديمة منذ ما قبل بزوغ الإسلام وحتى نهاية عهد العباسيين مرتبة على أحرف المعجم علمًا بأن الدراهم تتخذ من الفضة والدينار يتخذ من الذهب:

١- الأحمدية: وهي دنانير ذهبية نسبة لأحمد بن طولون.

٢- الأصبهذية: فضة نوع من دراهم العراق.

٣- البدرية : فضية وهي نوع من الدراهم البغلية نسبة إلى البدرة التي توضع بها.

٤- البغلية: دراهم فضية فارسية في العصر الجاهلي وصدر الإسلام وتسمى الوافية.

٥- البندقية: نسبة للبندقية بايطاليا.

٦- البيض: دراهم سكها الحجاج بن يوسف في عهد عبد الملك بن مروان.

٧- التامة: دراهم ضربت في عهد عبد الملك بن مروان.

٨- الدرهم الجواز: دراهم تنقص عن البغلية فكل ٧ بغلية = ١٠ جواز.

٩- الجورقانية : درهم كانت معروفة في صدر الإسلام تضرب في سفرة جورقان بهمدان.

١٠-الحموية : نسبة إلى حماة بسوريا في عهد المماليك ٧٨١هـ.

١١-الخالدية : دنانير ذهبية من أحسن دنانير العرب نسبة إلى خالد بن عبد الله القسري في العهد الأموي.

١٢-الخماسية :دراهم خمسة قراريط فضية في عهد بني بوية ٣٦٧ هـ

١٣-الدرهم: ما كان من الفضة وهو فارسي في الأساس.

١٤-الدمشقي: وهو دينار ذهب ضرب في عهد عبد الملك بن مروان وهو نسبة إلى دمشق.

١٥-الدينار: هو ما كان من الذهب وهو في الأساس روماني.

١٦-الرباعيات: دراهم فضية.

١٧-الزيف : الدرهم الذي خلط به نحاس.

١٨-السالمي: دنانير.

١٩-السميرية : دراهم فضة نسبت إلى سمير رجل من أهل تيماء.

٢٠-الطبرية: نسبة إلى طبريستان / عهد عبد الملك بن مروان.

٢١-الظاهرية: دراهم فضية نسبة للظاهر بيبرس.

٢٢-القطريفية : نسبة إلى قطريف مدينة بجوار بخاري.

٢٣-فلس : نقد نحاس في عهد الظاهر برقوق ٧٨٥هـ.

٢٤-القوقية أو الفوقية: دنانير ذهب في عهد قيصر اسمه فوق.

٢٥-القيصرية: دراهم فضة منسوبة إلى قيصر الروم.

٢٦-الكسروية: دراهم فضة فارسية.

٢٧-المحمدية : دراهم بخارية إسلامية.

٢٨-المسيبية : دراهم بخارية إسلامية.

٢٩-المعزية: دنانير ذهب نسبة للمعز لدين الله الفاطمي ٣٥٨هـ

٣٠-المكروهة:دراهم بغلية فضية ضربها الحجاج في عهد الملك بن مروان ٧٥ هـ.

٣١-المؤيدية: دراهم فضية نسبة للملك المؤيد عز نصره ٨١٨هـ

٣٢-الميالة: من الدنانير الذهبية التي ضربها عبد الملك بن مروان وهي الموازنة في عهد المماليك.

٣٣-الناصرية: دراهم ضربت في عهد صلاح الدين الأيوبي ٥٨٣هـ

٣٤-النوروزية : نسبة للأمير توروز الدمشقي ٨١٧هـ

٣٥-الهاشمية: دراهم فضة نسبة إلى عمر بن هبيرة والي العراق ليزيد بن عبد الملك.

٣٦-الهرقلي : دينار روماني نسبة إلى هرقل وهو أول من ضرب الدنانير في العصر الجاهلي وصدر الإسلام.

٣٧-الوازنة: دراهم في عهد عبد الملك بن مروان وهي الميالة.

٣٨-الوافية : ويقال لها السود الوافية أو البغلية دراهم فضية فارسية.

٣٩-اليوسفية : دنانير ذهب نسبة إلى يوسف بن عمر وهي من أجود الدنانير

النقود المستحدثة بعد العصر العباسي مرتبة على حروف المعجم:

١) الأقجة : عملة تركية صغيرة.

٢) آنة : نقد هندي من النيكل.

٣) أبو طاقة : ريال فضة.

٤) أبو مدفع: ريال فضة.

٥) اسلامبولي سليمي : نقد ذهبي تركي عراقي.

٦) اسلامبولي عتيق : نقد ذهبي تركي عراقي.

٧) اسلامبولي مصطفى : نقد ذهبي تركي عراقي.

٨) بارة: نقد تركي صغير.

٩) بشلك أو بيشلغ : من ذهب وفضة - عملة تركية.

١٠) بقشة: عملة يمانية.

١١) بندقلي : نقد ذهبي تركي نسبة إلى البندقية بايطاليا.

١٢) بندقلي محمودي : نقد ذهبي تركي في عهد السلطان محمود.

١٣) تلسق : نقد تركي مصري فضي.

١٤) تومان : نقد إيراني من الذهب.

١٥) جنيه : نقد ذهبي مصري تركي.

١٦) جهادي : نقد ذهبي تركي عراقي.

١٧) خيرية أو خيرية: نقد ذهبي تركي عراقي.

١٨) ربع غازي خيري : نقد ذهبي تركي عراقي.

١٩) ربع مجيدي : نقد ذهبي تركي عراقي.

٢٠) ربع ممدوحي : نقد فضي تركي عراقي.

٢١) ربعية : نقد تركي مصري.

٢٢) ربعية سادة : نقد ذهبي تركي عراقي.

٢٣) ربعية مزنجلة : نقد ذهبي تركي عراقي.

٢٤) روبية: نقد فضي هندي.

٢٥) ريال : نقد فضي في الشرق ومعناه ملكي.

٢٦) ربع بالك: نقد ذهبي تركي عراقي.

٢٧) زر محبوب: نقد ذهبي مصري في عهد المماليك.

٢٨) دينار افرنتي : نقد ذهبي في عهد المماليك ٨١٥= ٥٧ مسعوديا

٢٩) دينار أشرفي : نقد ذهبي في عهد المماليك ٨٣٤

٣٠) محلق:نقد فضي في عهد المماليك-١٢درهمًا مسعوديًا والدينار الأشرفي= ٢٥ د.د محلق.

٣١) الدرهم الكامل: درهم فضة في عهد الملك الكامل الأيوبي ٦٢٢هـ.

٣٢) الدرهم المسعودي:درهم مربع الشكل في عهد الملك المسعودي ٦٢٦هـ

٣٣) زلطة : نقد نحاسي مصري.

٣٤) سعدية : نقد ذهبي مصري.

٣٥) سحتوت : نقد فلسطيني سوري أردني.

٣٦) شامي : نقد تركي عراقي فضي.

٣٧) زهراوي: نقد فضي سوري فلسطيني.

٣٨) شاهي أو شاهية : نقد نحاسي إيراني.

٣٩) شلن : الدرهم الإنجليزي

٤٠) شوشي: نقد فضي تركي عراقي.

٤١) عادلي صايغ: نقد ذهبي تركي عراقي.

٤٢) عادلي مكرر: نقد ذهبي تركي عراقي.

٤٣) عتلية : نقد ذهبي مصري.

٤٤) غازي خيري : نقد ذهبي تركي عراقي.

٤٥) ليرة : نقد ذهبي تركي عراقي.

٤٦) متليك: نقد تركي من نحاس ونيكل.

٤٧) مجيدي: نقد فضي تركي عراقي وهو كبير وصغير نسبة للسلطان عبد المجيد ١٢٥٥هـ ١٨٣٩م.

٤٨) محمودي : نقد تركي مصري فضي.

٤٩) محمودية : نقد ذهبي تركي مصري .

٥٠) ممدوحي : نقد ذهبي تركي مصري.

٥١) نصف غازي : نقد تركي عراقي.

٥٢) نيرة: نقد ذهبي انجليزي

٥٣) طويلة:نقد نحاسي سعودي في دورها الأول ٣٥- ٤٠ طويلة=ريال فرانسي.

وعن أسعار المواد الغذائية في موسم الحج ٨١٥هـ- ١٤٢١م جاء في كتاب الدرر المنظمة أنه بلغت غرارة الحنطة ٢٠ أفلوريا ذهبًا وبلغ المن التمر بعد الموسم بثمانية مسعودية وبيع الدقيق كل وية مصرية بأفلوريين وعشرة دراهم وكان الغلاء عامًا في جميع المأكولات، والأرز كل وية بعشرة أفلورية والرطل القسماط بعشرة دراهم فضة وويبة النوى علف الجمال بأفلوري والبطيخ الأخضر كل رأس بأفلوري.

وعن أسعار المواد الغذائية في موسم حج ٨٢٥ هـ ١٤٢٢م من نفس المصدر فقد كانت الأسعار غالية بيع حمل الدقيق بخمسة وثلاثين افلوريا وبيعت

وية الشعير الأزلم بخمسين مؤيديا فيكون أردب الشعير على ذلك بألفين ومائة درهم.

وفي مصدر آخر لقد سكت النقود من الذهب والفضة وقد اتخذوها من الجلود في بداية الأمر، قال الشماخ بن ضرار :

يوزان من حال وتسعون درهما على ذاك مقروض من الجلد ماعز

ومحاكيس الدراهم : البدرة قال عنترة بن شداد:

الذي عند مما حوته يدي من اللآلي والمال والبدر

وقال المرقش الأكبر:

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف البنان عنم

وكانت النقود على النحو التالي:

١-درهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الفضة.

٢-درهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الفضة ضرب عام٤٠هـ ٦٦٠م

٣-دينار معاوية بن أبي سفيان من الذهب..

٤-درهم عبد الله بن الزبير من الفضة.

٥-درهم مصعب بن الزبير من الفضة.

٦-درهم خالد بن الوليد في حمص من الفضة.

أما الأوزان فكانت على النحو التالي:

١-الرطل يساوي ١٢ أوقية ونش (عشرون درهمًا)

٢-الأوقية تساوي ١٠ دراهم وخمسة أسباع الدرهم.

٣-الدانق يساوي ثمان حبات من حبات الشعير المتوسط.

٤-القيراط يساوي ثلاث حبات من حبات الشعير المتوسط وثلاثة أسباع الحبة.

٥-الحبة هي حبة القمح المتوسطة.

والدنانير والدراهم النقرة في عهد صلاح الدين الأيوبي، والدرهم النقرة هو الذي يكون ثلثيه من فضة وثلثه من نحاس؛ وتضرب بدور الضرب السلطانية ويكون فيها دراهم صحاح (أي فضة) خالصة وقراضات مكسرة والعبرة في وزنها بالدرهم وهو معتبر بـــ ٢٤ قيراطًا وقدرت بـــ ١٦ حبة خروب وهي ٤ حبات قمح معتدلة.

١-الدرهم الكاملي: نسبة للسلطان الملك الكامل الأيوبي ضرب في مصر عام ٦٢٢ هـــ ١٢٢٥م ويتكون الدرهم الكاملي من ثلثي فضة وثلث نحاس.

٢-الدرهم المسعودي: نسبة للسلطان الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل الأيوبي صاحب اليمن ومن المرجح أنه أمر بضربه في مكة المكرمة خلال فترة حكمه من ٦١٩- ٦٢٦ هـــ ١٢٢٢- ١٢٢٩م والدرهم المسعودي من فضة خالصة مربع الشكل ليساوي في المعاملة الدرهم الكاملي.

٣-الفلوس الجدد: وهي التي ضربت في مصر لأول مرة سنة ٧٥٩ هـــ١٣٥٨م في عهد الملك الناصر حسن وكانت زنة الفلس الجديد مثقالاً ويساوي الدرهم الكاملي ٤٨ فلسًا.

٤-الدينار الأفرنتي: من الذهب وكان النقد الرائج في أواخر القرن الثامن الهجري في أخر العهد المملوكي وهو من ضرب البندقية وهو ٣.٥١جرام أي أنه يساوي ٨٢.٥% من وزن المثقال الإسلامي وقد ظهر الدينار الإفرنتي بمكة

بموسم حج عام ٨١٥ هـــ ١٤١٣م وكان يصرف ٥٧ درهمًا مسعوديًا بينما كان يصرف المثقال الإسلامي ٦٠ درهمًا مسعوديًا. (٩٤-٩٥/ ١٣٠)

٥-الدينار الأشرفي : نسبة للسلطان الأشرف برسباي وهو دينار من الذهب في عام ٨٢٩ هـــ ١٤٢٦م أمر الملك الأشرف برسباي بضرب دنانير عرفت بالأشرفية لتحل محل الدنانير الإفرنتية وكان وزنها ٣.٤١ جرامًا من الذهب أي ٩٧% من وزن الدينار الأفرنتي وقد عرف الدينار الأشرفي بمكة عام ٨٣٤هـ ١٤٣١م وظل التعامل به إلى نهاية العهد المملوكي عام ٩٢٣هـــ ١٥١٧م (٩٤/١٠٢، ٢٥٤).

وفي شهر ربيع الأول عام ٨٨٩ هـــ ١٤٨٤م نودي بمكة أن سعر صرف الدينار الأشرفي ٣٠٠ درهم مسعودي جديد؛ بينما كان الأشرفي قد بيع ٤٠٠ درهم من الدراهم المسعودية قبل ذلك.

وفي سنة ٨٨٣ هـ ١٤٧٩م ظهر لأول مرة في مكة نوع من النقود يعرف بالحلق وما لبث أن راج بسوقها إلى أن أصبح النقد السائد وتقرر صرف الحلق اثني عشر درهمًا مسعوديًا، وسعر الدينار الأشرفي ٢٥.٥ ملحقًا في شهر ربيع الأول سنة ٨٨٩ هـــ ١٤٨٤م (١٩٦/٢٥٥)، وقد تعرض الشعراء للنقود وذكروها في أشعارهم منذ القدم قال أوس بن حجر:

الأزرق وهي لم تجرب وباع لها من القصافص بالنمي سعسير

وقال:

إذا عدلت نفس بنفسك سيدًا سمعت به بين الدراهم والأدم

وقال أعشى همدان:

قالت تعاتبني عرسي وتسألني أين الدراهم عنا والدنانير

وقال جوية بن النضر:

إنا إذا اجتمعت يومًا دراهمنا ضلت إلى طرق المعروف تستبق

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق

وقال جرير:

نفاك حجيج البيت عن كل مشعر كما رد وال النُّمَيِّين المزيف

وقال الفرزدق:

وأنا بالدراهم وهي منا كرافع راحتيه إلى العبور

وقال كثير:

يروق العيون الناظرات كأنه هرقلي وزن أحمر التبر راجح

وقال:

من النفر البيض الذين وجوههم دنانير شيفت من هرقل بروسم

وقال ابو تمام في النقد المتخذ من الجلد:

لم ينتدب عمر للأبل يجعل من جلودها النقد حين عزه الذهب

وقال المتنبي:

وكلما لقي الدينار صاحبه في ملكه افترقا من قبل يصطحبا

[illegible] الماوردي:

[illegible] الناس إلا خائفوا الله وحده إذا وقع النمي في كف ناقد

[illegible]:

[illegible] الفتى من نفسه نمية[1] مازال يحلف أنها دينار

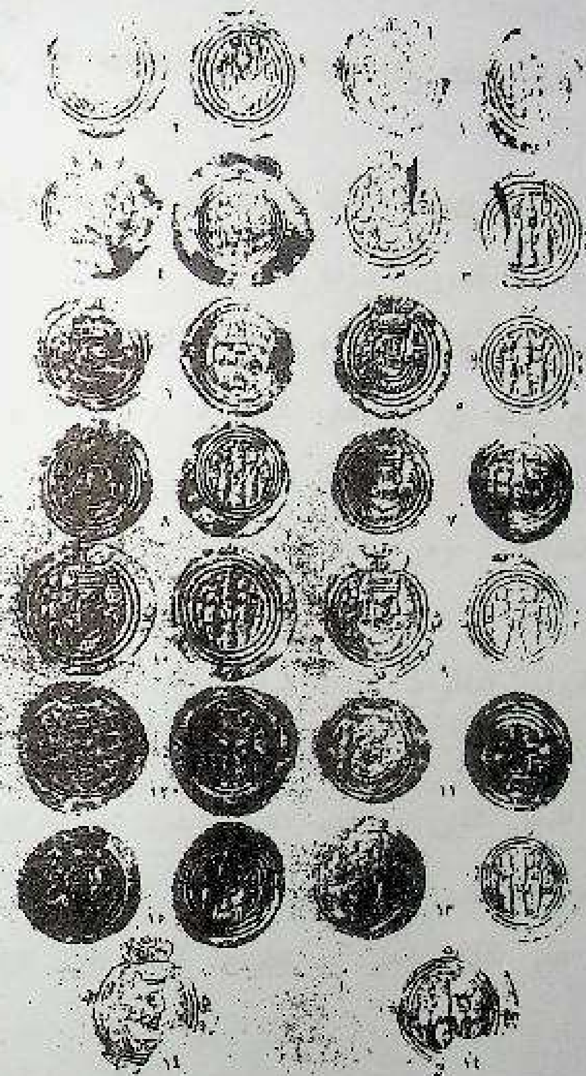
[illegible]:

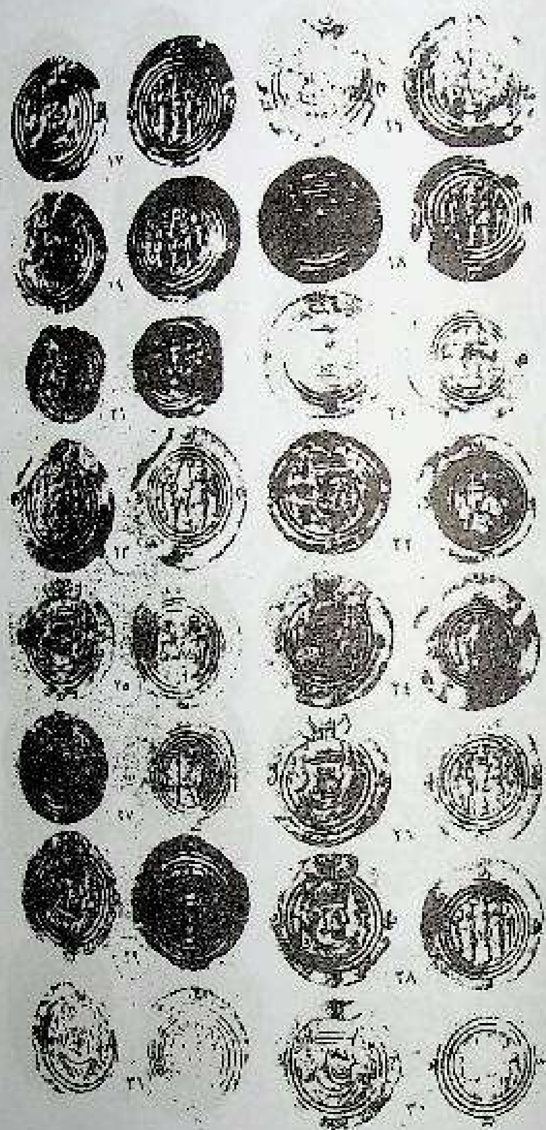
[illegible] في كفها لتصيد وألقت دنانيرًا براحتها بكرًا

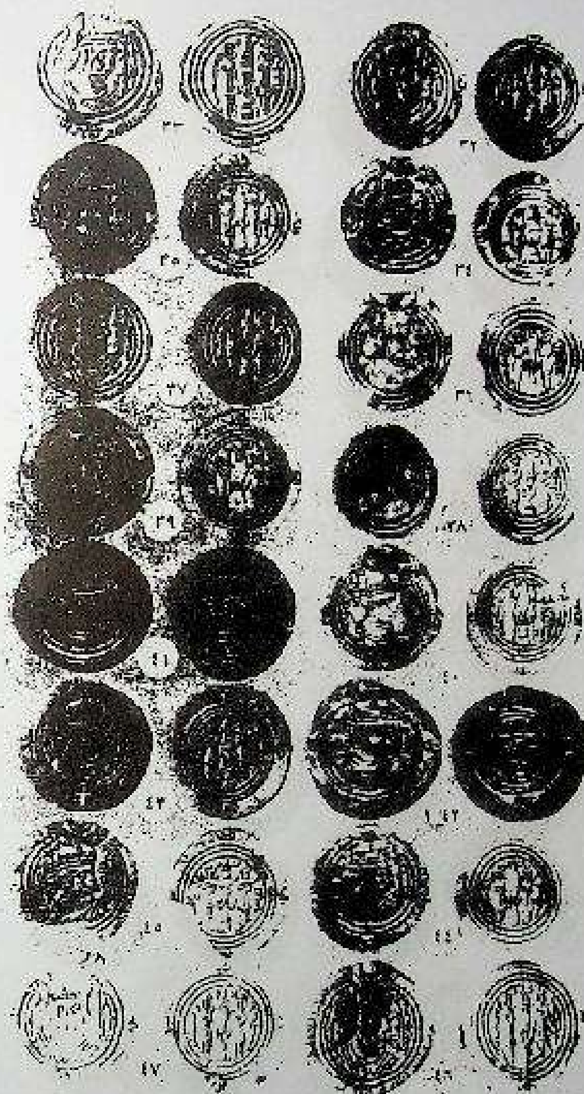
[illegible]:

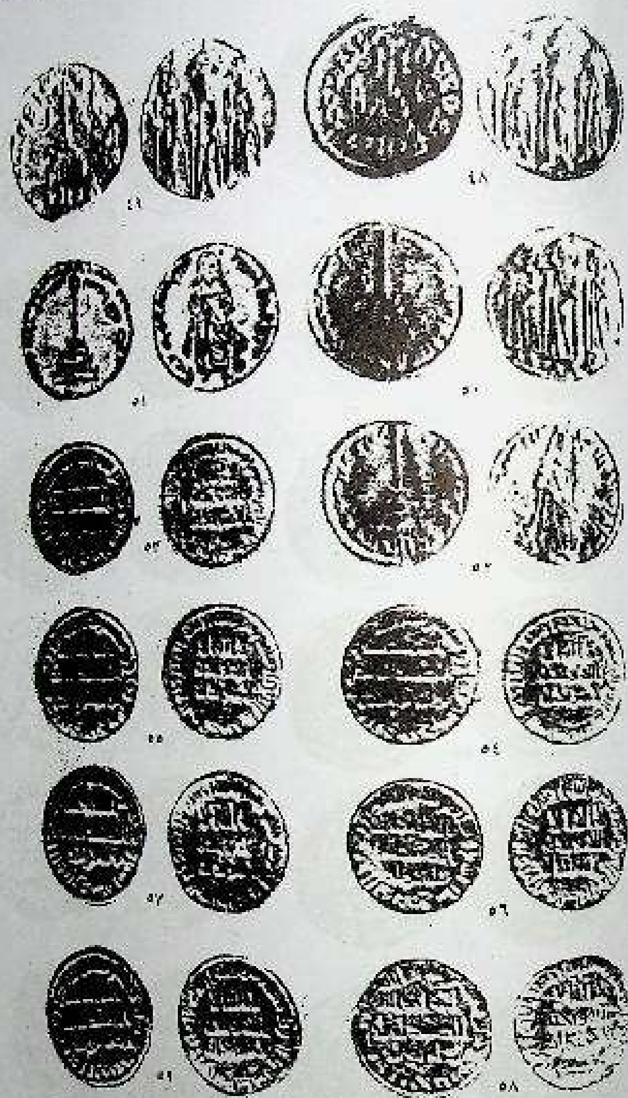
[illegible] سجايانا نقود كثيرات البهارج والزيوف

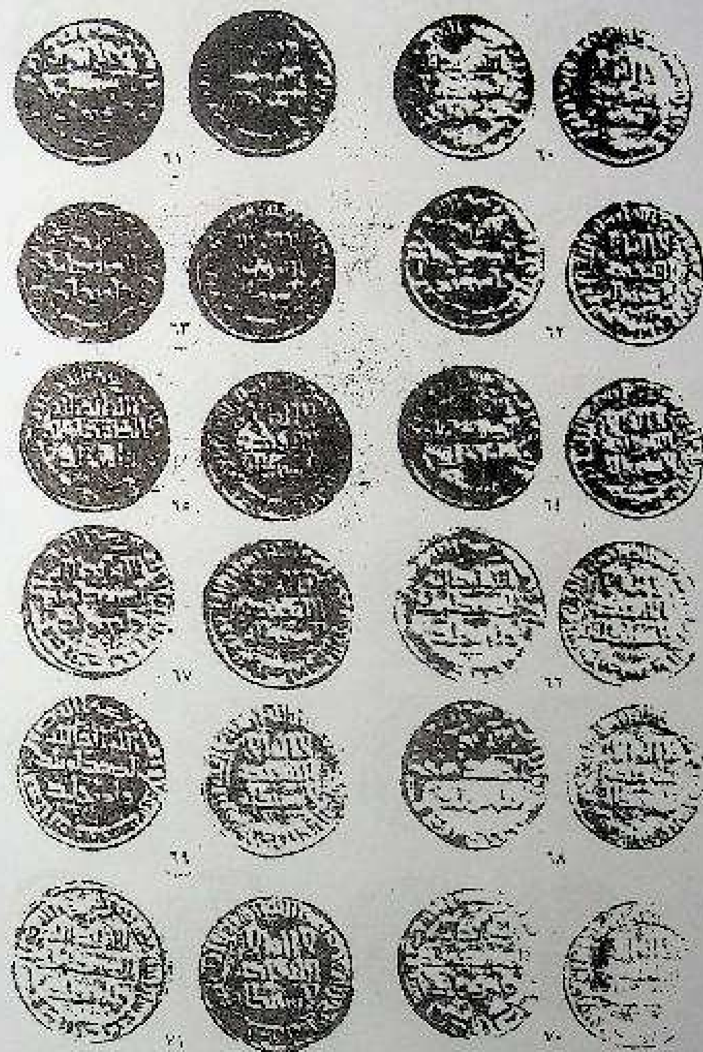
[1] [illegible] درهم من رصاص استعملت في الحوزة أيام بني [illegible] الدينار من الذهب.

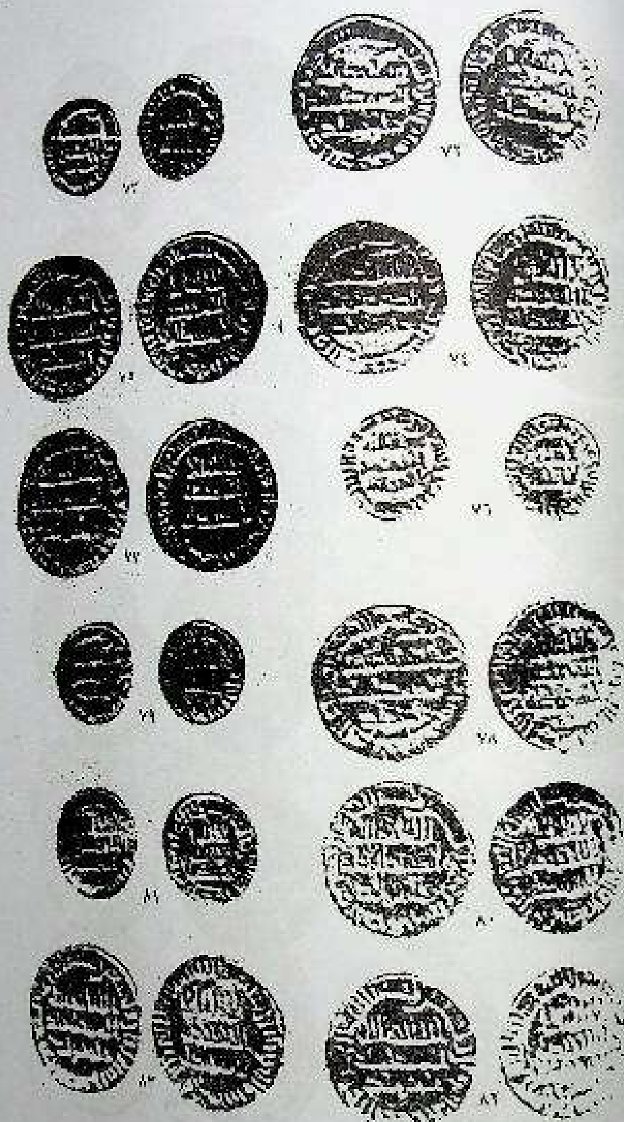


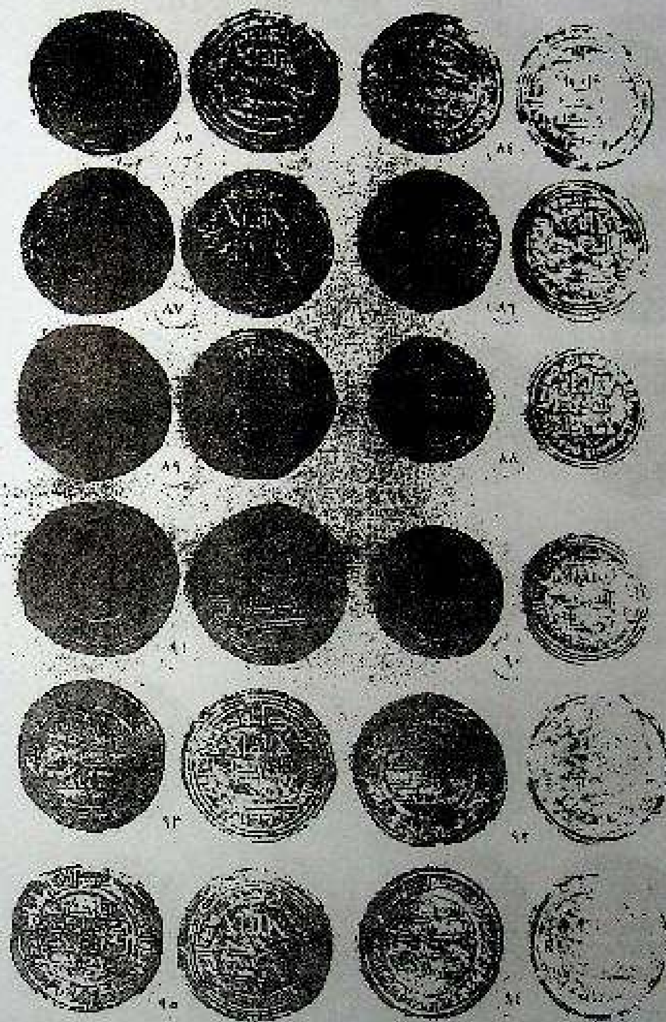







٦٠
٦١
٦٢
٦٣
٦٤
٦٥
٦٦
٦٧
٦٨
٦٩
٧٠
٧١


٧٢
٧٣
٧٤
٧٥
٧٦
٧٧
٧٨
٧٩
٨٠
٨١
٨٢
٨٣















الكواكب والنجوم

كان للعرب معرفة تامة بما يحيط بهم من الكون وما يحويه من كواكب ونجوم ومنهم العرب في منطقة البحث وذلك بحكم المراقبة والرصد بوسائلهم المتاحة آنذاك، وكانت الكواكب المعروفة في ذلك الوقت سبعة لكل نجم أو كوكب برجان إلا الشمس والقمر فلكل واحد منها برج واحد فالشمس برج الأسد والقمر برج السرطان، ولكوكب الزهرة برج الثور، والميزان لكوكب عطارد، الجوزاء والسنبلة لكوكب المشترى القوس والحوت ولكوكب زحل الجدي والدلو ولكوكب المريخ الحمل والعقرب، **وهذه معلومات عن كل كوكب:**

١- **عطارد:** كوكب صغير الحجم سريع الحركة يتم دورانه حول الشمس في ٨٨ يومًا من أيامنا ويدور حول محوره مرة كل ٥٩ يومًا (أي أن يومه ٥٩ يومًا من أيامنا وكتلته ٠.٠٤ من كتلة الأرض ومتوسط بعده عن الشمس ٠.٣٨٣ وحدة فلكية وهو كوكب يتفاءل به قديمًا وقد ذكره الشعراء في شعرهم قال البحتري:

فما نال ما يرجوه من زحل الذي بدا شره لم يغه من عطارد

وقال أبو تمام:

لو كنت يومًا بالنجوم مصدقًا لزعمت أنك أنت بكر عطارد

وقال البحتري:

فما قام للمريخ كيد عطارد ولا قمتم للقوم عند التصافح

٢- **الزهرة** : وتعتبر الزهرة شقيقة الأرض؛ إذ أن قطرها قريب من قطر الأرض ٩٥% منه ومدة دورتها حول الشمس ٢٢٥ يومًا وهي أقل من دورة الأرض وكتلتها ٠.٨ من كتلة الأرض وتدور حول محورها مرة كل ٢٤٤ يومًا (أي أن يومها ٢٤٤ يوماً من أيامنا) ومتوسط بعدها عن الشمس ٠.٧٢٣ وحدة فلكية والزهرة مما يتفاءل بها وتوصف بالجمال لسطوعها وتألقها في الصباح الباكر والمساء المتأخر وقد ذكرها الشعراء:قال إبراهيم الضابي:

الزهرة الزهراء أنت لديهم مسعودة بالمشترى وعطارد

٣- **الأرض**: ثالث الكواكب بعدًا عن الشمس وتبعد عنها ١.٠٠ وحدة فلكية ويبلغ قطرها ٧٩٢٦.٦٨ ميلاً أي(١٢٧٤٢ كيلاً).

٤- **المريخ** (بهرام) ويعتبر قزمًا بالنسبة للأرض إذ يبلغ نصف قطرها، ويتحرك المريخ ببطء حول الشمس ويتم دورته حولها في ٦٨٧ يومًا، وللمريخ قمران، ولون المريخ أحمر ويمر في النصف الشمالي من خارطة السماء؛ ومتوسط بعده عن الشمس ١.٥٢ وحدة فلكية وقد ذكره الشعراء قال ابو تمام:

له كبرياء المشترى وسعوده وسورة بهرام وظرف عطارد

٥- **المشترى**: وهو أكبر الكواكب السيارة، ولذلك حصل له انبعاج كبير في خط استوائه وقطره يبلغ إحدى عشرة مرة من قطر الأرض وكتلته تبلغ ٣١٨ من كتلة الأرض وهو سريع في دورانه حول محوره من أي كوكب آخر ويبلغ

يومه أقل من عشر ساعات ويبلغ بعده عن الشمس ٥.٢٠ وحدة فلكية وللمشترى ١٢ قمرًا وكان القدماء يتفاءلون بطلوع المشترى قال أبو تمام:

له كبرياء المشتري وسعوده وسورة بهرام وظرف عطارد

وقال:

عش سالمًا تبني العلي بيد الندى حتى تكون مناوئًا للمشتري

وقال:

غض من أملي أني أرى عملي أقوى من المشترى في أول الحمل

وقال:

يا من تولى المشترى تدبيره حاشاك أن تنقاد للمريخ

وقال المعري:

ولو أن فيها ناظرًا للمشترى يعطي السعود وكاتب كعطارد

وقال ابن المقرب:

همة صعدت وأصبح دونها زحل وأرج عطارد والمشتري

٦- **القمر**: وهو أقرب الكواكب إلى الأرض ويبلغ حجمه ١.٨٢ من كتلة الأرض أو ٠.٠١٢ وكان القمر بأطواره المختلفة، الهلال، البدر، المحاق، محط أنظار الشعراء فقد تغنوا به بدرًا وشبهوا به وجه المحبوبة بل أطلقوا عليها بصفة عامة مما لا يحصى من الشعر قديمًا وحديثًا وكانت التشبيهات بالبدر أكثر من أن

مخصر، أما تشبيهه بالنمو والنقص في أطواره فهو كثير أيضًا من ذلك قول أبي تمام:

إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيعود بدرًا كاملاً

وقال:

بأتم من قمر السماء وإن بدا بدرًا وأحسن في العيون وأجمل

وقال المعري:

توفي البدور النقص وهي أهلة ويدركها النقصان وهي كوامل

وقال:

سم الهلال إذا عاينته قمرًا إن الأهلة عن وشك لأقمار

٧- **زحل** (كيوان) وهو أبعد الكواكب المعروفة قديمًا ويتم زحل دورته حول الشمس ٢٩.٥ سنة وتبلغ كتلة زحل ٩٥ مرة من كتلة الأرض وله تسعة أقمار تحيط به حلقات رائعة المنظر ومتوسط بعد زحل عن الشمس ٩.٤٥ وحدة فلكية وكان القدماء يتشاءمون بطلوع زحل، قال أبو تمام:

ألوى بتيجانهم يوم أتيح له نحس وأثقب فيه تارة زحل

وقال أبو نواس:

حتى أفاق وثوب الليل منخرق وغار نجم الثريا واعتلى زحل

وقال المعري:

إذا عظموا كيوان عظمة واحد يكون له كيوان أول ساجد

وقال:

بأن كيوان في ظلماء حندسة من الهموم وطول المكث مسمار

وقال أبو الفتح البستي:

ونقض لأحكامه أي تقارها فالمشتري السعد عال فوقه زحل

النجوم:

لا تقل معرفة العرب بالنجوم عن معرفتهم بالكواكب وذلك لطول بداوتهم واحتياجهم للنجوم في معرفة طرقهم ومواطنهم لمن يسافرون ليلاً عبر الصحاري والقفار فيها يعرفون اتجاههم كما أنهم يستفيدون منها للتوقيت ليلاً ومعرفتهم فيها مشهورة حيث عرفوا النجوم السيارة والأبراج وعرفوا كثيرًا من الثوابت، وفي قدم أسماء النجوم في العربية دليل على معرفة العرب بها وبمواقعها مثل: بنات نعش الكبرى والصغرى، والسهى، السماك الرامح، السماك الأعزل، الفرقد والعيوق والثريا وغيرها ولا غرابة لاتقانهم معرفة النجوم فإنها كانت دليلهم في أسفارهم وأكثر أحوالهم وتوقيت الزمن ليلاً كأن يقول تبيت عند طلوع أو غروب نجم كذا وكانوا إذا سألهم سائل عن الطريق المؤدي إلى بلد ما قالوا عليك بنجم كذا أجعله يمينك أو شمالك وربما استعانوا على ذلك بذكر مهاب الرياح يعبرون بها من الجهات ومن الأمثلة على ذلك أن سبيك بن سعد العبسي سأل قيس بن مكشوح المرادي أن يصف منازل قومه فيعرفها وتعاهد أو يتكاذب، فقال قيس بن مكشوح: خذ بين مهب الجنوب والصبا سر حتى

تدري أن ظل الشجرة فإذا انقطعت المياه فسر أربعًا حتى تبدو لك رملة وَقُفٌ بينها وبين الطريق بإنك ترد على قومي مراد وخثعم.

فقال السليك: خذ بين مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى لها في أفق السماء فثم منازل قومي بني سعد بن زيد بن مناة من تميم، واشتهر العرب في اتقان النجوم جماعة منهم بني مارية من قبيلة كلب وبنو مرة بن همام الشيباني وقد عني العرب بالنجوم وأشاروا إلى جمالها مثل قول جرير:

وردت وأرداف النجوم كأنها قناديل فيهن المصابيح تزهر

وأشهر هذه النجوم التي عني به العرب:

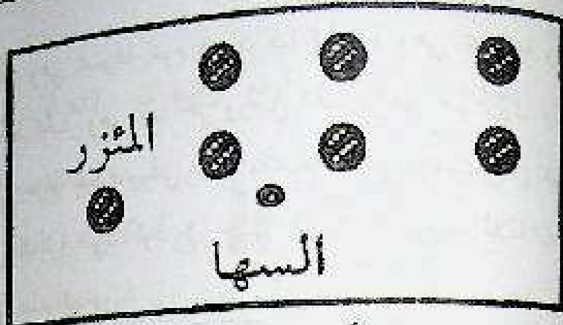
١- **النجم القطبي(الجدي):** وهو النجم الثابت تقريبًا في مكانه وبه يعرف الشمال مع أنه يدور حول نفسه في نطاق محدود وقد ذكر الكثير من الشعراء منهم المهلهل بقوله:

كأن الجدي في مثناة ربق أسير أو بمنزلة الأسير

وقال ذو الرمة:

تياسر عن جسر الفراقد في السرى ويأمن شيئًا عن يمين المغاور

٢- **بنات نعش أو الدب الأكبر:** وهي سبع نجوم تدور حول محورها النجم القطبي في الشمال ولها أسماؤها وهي على هذه الهيئة وبينها وبين الجدي الفرقد، أو الفرقدين وهما نجمان أحدهما ألمع من الأخر بخط واحد يدوران مع بنات نعش.



وقد ذكر بنات نعش الكثير من الشعراء وهذا بعض ما قيل فيهن:

قال عمرو بن كلثوم التغلبي:

لها افترقت لذاك بنات نعش ولا كسفت له شمس السماء

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:

أراقب في السماء بنات نعش وقد دارت كما عطف السوار

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي:

نبت وأفناني الزمان وأصبحت لداتي بنو نعش وزهر الفراقد

وقال أمية بن أبي الصلت:

مستخفًا وبنات نعش حوله وعن اليمين إذا يغيب الفرقد

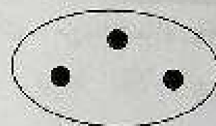
وقال أبو تمام:

بنات نعش ونعش لا كسوف لها والشمس والبدر منه الدهر في رقم

وقال المتنبي:

كأن بنات نعش في دجاها خرائد سافرات في حداد

٣- **الجوزاء**: وهي مجموعة نجوم في كوكبة الجبار؛ وهي مجموعة رائعة وتمثل ألمع نجومه أبط الجبار وهو نجم أحمر ورجل الجبار وهو نجم أزرق وثلاثة نجوم مصطفة وهي حزام الجبار، ورأس الجوزاء تسمى الهقعة، سميت بهذا تشبيهًا بهقعة الفرس وهي الدائرة التي تكون في جنب الفرس وصورها ثلاثة نجوم صغار متقاربة، على هذه الهيئة.



وقد كثر ذكر الجوزاء في الشعر العربي نورد نماذج من ذلك، قال مهلهل بن ربيعة التغلبي:

وبت أراقب الجوزاء حتى تقارب من أوائلها إنحدار

وقال:

كأن كواكب الجوزاء عوذ معطفة على ربع كسير

وقال ذو الرمة:

وقد مالت الجوزاء حتى كأنها صوار تدلى من أميل مقابل

وقال أبو تمام:

فتويت جارًا للحضيض وهمتي قد طوقت بكواكب الجوزاء

وقال أبو فراس:

ومن مبلغ الندماء أني بعدهم أمسي نديم كواكب الجوزاء

وقال:

يملك الجوزاء بل أرفع وصدرك الدهناء بل أوسع

٤- **الثريا** وهي كوكبة الثور: وتتكون من مجموعة من النجوم الظاهر للعين المجردة منها سبع على هذه الهيئة مع أنها أكثر من ذلك وتسمى النجم وطلوعها فجرًا ابتداء فصل الصيف فهي أول نجومه وسميت الثريا بهذا لأن بطلوعها تكون منه الثروة وكثر العدد والغنى؛ وهي تصغير ثروي ولم ينطق بها إلا مصغرة، وقد تغنى بها الشعراء وذكروها في كثير من شعرهم من ذلك قول امرؤ القيس:

كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل

وقال ذو الرمة:

وردت اعتسافًا والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلق

يشبه في الأدحي بيضا بقفرة كنجم الثريا لاح بين السحائب

وقال:

إذا رأي الرائي الثريا بسدفة ونشت نطاق المقبات الوقائع

وقال:

إلا طرقت مي هيوم بذكرها وأيدي الثريا جنح في المغارب

وقال الراعي النميري:

فلألأت الثريا فاستنارت تلألؤ لؤلؤ فيه اضطمار

وقال الحطيئة:

إذا ما لثريا آخر الليل أعنقت كواكبها كالجزع منحدرات

وقال الفرزدق:

وسارت إلى الروحاء خمسًا فأصبحت مكان الثريا من يد المتناول

وقال كثير:

فدع عنك سعدى إنما تسعف النوى قران الثريا مرة ثم تأفل

وقال ابن ميادة:

تميل بنا شحط النوى ثم نلتقي عداد الثريا صادفت ليلة بدرا

وقال أبو تمام

نل الثريا أو الشعرى فليس فتى لم يفن خمسين إنسانًا بإنسان

وقال ابن المعتز:

وأرى الثريا في السماء كأنها قدم تبدت من ثياب حداد

وقال المعري:

إذا الصبح أعطى العين عنقود كرمة ملاحية ما أملت أخذه اليد

وقال:

وترى الثريا في السماء كأنها بيض بأدحى يلوح بفدفد

٥- **الدبران:** نجم وقاد على إثر نجوم تسمى القلاص وهو نيرها وهو في كوكبة الثور وقيل له دبران، لأنه دبر الثريا، أي جاء خلفها، ويقال له الراعي، والتالي،

والمجدح، وعلى التصغيرة "التوبيع" ويظهر إلى الشرق عن الثريا يميل نحو الجنوب وقد ذكره الشعراء في أشعارهم من ذلك قول كثير عزة:

إذا دبران منك يومًا لقيته أؤمل أن ألقاك بعد بأسعد

٦- **العيوق:** وهو نجم يوازي الثريا من جهة الشمال، ويسمى عيوق الثريا، وهو نجم أصفر، أسطع نجم كوكبة ذي العنان، وقد ذكره عدد من الشعراء منهم ذو الرمة بقوله:

[...] بقل إلا فضاء فدفدا كأنه العيوق حين عربدا

وقال كثير:

[...] رجال نفعه وهو منهم بعيد كعيوق الثريا المعلق

وقال الأخطل:

إذا طلع العيوق والنجم أولجت سوالفها بين السماكين والقلب

وقال أبو تمام:

[...] شام برق اليسر فالقرب شأنه وأناي من العيوق إن باله عسر

وقال:

[...] سيف عن العيوق منصلت ما كان إلا على هاماتهم يقع

٧- **الفرقدان:** وهما نجمان مصطفان بين الجدي النجم القطبي وبنات نعش الأكبر ويسميان أيضًا بالفرقد على المفرد، والفرقد ولد بقرة الوحش سميا

بذلك على التشبيه، وأحدهما ألمع من الآخر، وقد تحدث الشعراء عن الفرقدين كثيرًا من ذلك قول ذي الرمة:

وقلت أحيلي ضوء الفراقد كلها يمينًا ومهوى النسر من عن شمالك

وقال كثير:

رأيت وأصحابي بأيلة موهنا وقد لاح نجم الفرقد المتصوب

وقال أبو تمام:

وطلعت في درج العلا حتى إذا جنت النجوم نزلت فوق الفرقد

وقال:

ونجم لم يدعه الجود حتى أقام مناديًا للفرقدين

وقال المتنبي:

وجعلت حظي منك في الكرى وتركتني للفرقدين جليسًا

وقال المعري:

ورنا إلى الفرقدان كما رنت زرقاء تنظر من نقاب أسود

٨- **السهى**: نجم خافت يقع بجانب نجم المئزر النجم السادس وما قبل الأخير من كوكبة الدب الأكبر أو بنات نعش ولا يكاد يراه بالعين المجردة إلا حاد النظر(أنظر موقعة مع بنات نعش) وقد أشار إليه العديد من الشعراء للمخفوت والمقارنة:

[قا]ل المعري:

وقال السهى للشمس أنت ضئيلة وقال الدجى يا بدر لونك حائل

وقال ابن حيوس:

[...]ظن أناس أنهم نظروا إلى السهى بعيون تشتكي الرمدا

[...]- **الشعري**: وهي الشعري الشامية أو الغميصاء وهي أقل سطوعًا من الشعرى [ال]يمانية وتقع الشمالية وهي السابقة للكلب وتسمى الهنعة وهو نجم أصغر [و]تسمى الكلب الأصغر، والشعرى اليمانية وهي أكثر النجوم سطوعًا وتسمى [ال]كلب الجبار الأكبر، وهي المعنية بقوله تعالى: "وإنه هو رب الشعرى" الآية [و]كان هناك أقوام يعبدونها في الجاهلية، وتسمى الشعرى العبور وهو نجم أزرق [وقد] ذكرها الشعراء في أشعارهم مثل قول المهلهل:

[ت]نحو الشعريان على سهيل كفعل الطالب القذف الغيور

[وق]ال ذو الرمة:

[إذ]ا أمست الشعرى العبور كأنها مهاة علت من رمل يبرين رابيا

[وق]ال الحطيئة:

[و]قد غابت الشعرى العبور وأقبلت لتنزل والشعرى بطيء نزولها

[و]قال الشماخ بن ضرار الذبياني:

[...]لمى بالعنيزة ضوء نار تلوح كأنها الشعرى العبور

وقال عبد الله بن الدمينة الخثعمي:

ذكرتك والنجم اليماني كأنه وقد عارض الشعرى قريع هجان

وقال أبو تمام:

ونورا مؤدد وحجي إذا ما رأيتهما رأيت الشعريين

وقال المتنبي:

متى ما يشر نحو السماء بوجهه تخر له الشعرى وينكسف البدر

وقال المعري:

والشهب جمعًا وشعراياها تلك الغميصاء والعبور

وقال نفر بن قيس الطائي:

وأنت كذاك قد غيرت بعدي وكنت كأنك الشعرى العبور

١٠- سهيل: وهو النجم اليماني، ويسمى الطرف، وكان من النجوم التي تعبدها بعض القبائل في العهد الجاهلي وجاء الإسلام بتحريم هذه العبادة، وفي معلومات حديثة تقول: إن نصف قطر سهيل بموجب التقديرات يعادل الشمس ٣٠ مرة ونصف قطر الشمس ٦٩٦٢٦٥كم ومعدل نصف قطر الأرض ٦٣٧١كم وبحساب بسيط نجد أن حجم سهيل يعادل حجم الشمس بمقدار ٢٧٠٠٠ ألف مرة ويزيد عن حجم الأرض ٣٥ بليون مرة، وهذه المعلومات خاضعة للإثبات؛ وسهيل قد تحدث عنه الشعراء العرب بالكثير من أشعارهم ومن ذلك المهلهل:

لا واستقل لها سهيل يلوح كقمة الجبل القدير

ل ذو الرمة:

يستحق الجوزاء في صعود إذا سهيل لاح كالقعود

رد كشاة البقر المطرود ولاحت الجوزاء كالعنقود

ل:

لة لاح للساري سهيل كأنه قريع هجان عارض الشول جافل

ل الخطيم العكلي:

ى سهيلاً ناره حين أوقدت بعلياء لا تخفي على أحد ساري

ل عبد الله بن الدمينة الخثعمي:

لا أيها الركب الذين دليلهم سهيل أمامكم على دليل

ل:

كرتك والنجم اليماني كأنه وقد عارض الشعرى قريع هجان

ل:

ا ما سهيل أبرزته غمامة على منكب من جانب الطود يلمع

ل أبو هندي:

سهيل في السماء كأنه ثور تعارضه هجان الربرب

ل المعري:

لعل سهيل وهو فحل كواكب تزوج بنًا للسماك على مهل

١١- **السماك أو السماكان:** وهما السماك الأعزل وهو الجنوبي وهي نير كوكبة العذراء أو السنبلة ولونه أزرق والسماك الرامح وهو الشمال ولونه ضارب إلى الحمرة وهو النير من كوكبة العواء ويسمى الرقيب أي رقيب الثريا وذلك لبطء غروبه وتكبده السماء، قال لمار بن سنان الضبابي:

ويدرعان الليل ثم دليلنا رقيب الثريا باليمانية الهدل

والسماكان يسيران في خط متوازي من الشمال إلى الجنوب مثل النسرين وقد ذكرهما الكثير من الشعراء كقول عنترة:

والنسر نحو الغرب يرمي نفسه فيكاد يعثر بالسماك الأعزل

وقال ذو الرمة:

وردت وأرداف النجوم كأنها وراء السماكين المها واليعافر

وقال المتنبي:

ويجهل أني مالك الأرض معسر وأني على ظهر السماكين راجل

وقال أبو تمام:

طلعت طلوع الشمس في كل تلعة وأشرقت إشراق السماك على الخصم

وقال المعري:

فحوادث الأيام غير توارك نسر النجوم ولا السماك الأعزل

وقال:

...نوبا عند السماك أو السهى فلكل جسم في التراب تدُّبُرُ

...السماكين لا يخلدان ويهلك ذو الرمح والأعزل

...**النسر أوالنسران:** وهما النسر الواقع وهو الشمالي وهو نير كوكبة ...ياك وهو نجم أزرق وسمي بالواقع لبطء مساره وذلك لاقترابه من القطب ...لي، أما النسر الطائر وهو الجنوبي وهو نير كوكبة العقاب، ولونه أصفر ...ي بالطائر لأنه عندما يظهر في المشرق يبدو للرائي وكأنه متأخر عن النسر ...ع وعندما يكون النسران في كبد السماء يكونان على خط واحد وبذلك ...والطائر للحاقه بالنسر الواقع الذي سبقه في الظهور من المشرق مع أنهما ...ان على خط واحد منذ الظهور وعند السقوط وقد ذكرهما الشعراء في ...هم ومن ذلك قول ذو الرمة:

...خفق النسران والنجم نازل بمنصف وصل ليلة القوم كالنهب

...الراعي النميري:

...ا الندى والجزء حتى يغيركم حريف إذا ما النسر أصبح واقعًا

...المعري:

...النسر قد بسط الجناح محومًا حتى القيامة طالبًا لم يصطد

...بالذكر أن هناك خمس ثنائيات من النجوم المشهورة عند العرب وهما ...ن، السماكان، الفرقدان، الشعريان، الكلبيان، والأخيران النجمان هما نجما

الثرة ويسميهما أهل نجد بالكليبين وبطلوعهما من الشرق فجراً شدة الحر وتغور المياه في الآبار ويقال عنهما (كتحة الكليبين) وبعدهما طلوع سهيل الطرف يبدأ الجو في البرودة.

١٣- **قلب العقرب:** وهو نجم نير أحمر ينافس المريخ في الحمرة وهو من عمالقة النجوم لأنه أكبر من الأرض بكثير وهو نير كوكبة العقرب في الجزء الجنوبي من خارطة السماء خلف كوكبة العذراء أو السنبلة من الشرق، وخلف السماك الأعزل (وقد شاهدت له صورة كونية مقارنة بكوكب الأرض: فبدت الأرض وكأنها حبة الحمص، وبدا النجم العملاق بجانبها وكأنها ثمرة البرتقال الكبيرة)، وأمامه من الغرب نجمان نيران زبانا العقرب وخلفه من الشرق نجمان آخران متلاصقان أحدهما فوق الثاني بينهما حسب نظر العين المجردة مقدار عظم الذراع هما شولة العقرب ولم يكتف الشعراء بذكر النجوم من حيث الموقع والمقارنة وعلو المكان فقد ذكروها من حيث الوقت والتوقيت وما يقترن بظهورها أو سقوطها من تغيرات الجو من ذلك الجوزاء والشعرى كقول ذي الرمة:

نفت وغرة الجوزاء من كل مربع له عن كناس آمن ومراد

وقال:

حدا بارح الجوزاء أعراف صوره بها وعجاج العقرب المتناوح

وقال الفرزدق:

ويوم ترى جوزاؤه قد كفيه بطعن وضرب حيث ثاب كعوبها

...ب من الشعر العامي وهو قول بركات الشريف:

...م من الجواز يستاقد به الحصى تلوذ بعضود المطايا جنادبه

...الشعرى قال الشنفري الأزدي:

...و من الشعرى يذوب لعابه أفاعيه من رمضائه تتململ

...المتنبي:

...ذب لحت الشعرى شكائمها ووسمتها على آنافها الحكم

...الرياح:

...ذو الرمة:

...مهج الهيف الرياح تناوحت بها الهوج تحنان المولهة العجلى

...

...ج الذلول غير رسمها يمانية هيف محتها ذيولها

...

...ثالثة حقب صماحيج عارضت رياح الصبا حتى طوتها حرورها

...

...رج الهيف السفى لعبت به صبا الخافقة اليمنى جنوب شمال

...

...ه مكباف كأن حنينها تحدث ثكلى تركب البو رائم

وقال:

إذا أستنصل الهيف السفي برحت به عراقية الأقياظ نجد المرابع

وقال:

وغيرها نأج الشمال فشبت ومر الجنوب الهيف ثم إنتشامها

والهيف الرياح الجنوبية والصَّبا الرياح الشرقية والنكباء الرياح ما بين الاتجاهين الأصليين وأكثر ما تطلق على الشمالية الغربية أو الجنوبية الغربية، أما الشمالية الشرقية فيسميها أهل نجد بالسرية لهبوبها من مطلع النسر الواقع وتتصف السرية بشدة البرد شتاءً لأنها تأتي من قبل منطقة سيبريا، أما التي تهب ما بين الجنوب والشرق فتسمى السهيلية فهي لطيفة الهواء وأكثر ما تهب السهيلية بعد طلوع سهيل وتستمر عدة أيام وتسمى بوارح سهيل أو السهيلي.

الأنواء:

ويراد بالأنواء عند العرب ما يتعلق بالمطر والرياح وكانوا يسمون طلوع المنزلة نوءها أي نهوضها، وسمو تأثير الطلوع بارحًا، وتأثير السقوط (أي الغياب من الغرب) نوءاً بين طلوع كل واحدة والتي تليها ١٣ يومًا سوى الجبهة فإن بين طلوعها والتي تليها ١٤ يومًا ومن أقوالهم في ذلك رجزاً:

والدهر فاعلم كله أرباع لكل ربع واحد أسباع

وكل سبع لطلوع كوكب ونوء نجم ساقط في المغرب

ومن طلوع كل نجم يطلع إلى طلوع ما يليه أربع

من الليالي ثم تسع تتبع

وقال آخرون إن لطلوع كل واحدة وسقوطها مقدار من الزمن ينسب إليها يكون فيه، فإذا أنقضت تلك المدة لم ينسب إليها ما يكون بعدها، وكانوا إذا تخلف التأثير فلم يظهر منه شيء في تلك الأزمنة قالوا: خوي النجم أو خوت المنزلة، أي مضت مدة النوء ولم يكن فيه مطر أو حر، أو رياح، ومن أمثالهم، أخطأ نوؤك، النوء سقوط نجم ينزل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من الشرق من أنجم المنازل ولذلك كانت الأنواء ٢٨ نوءاً أو نجماً.

وفي مصدر آخر: والعرب الأوائل يعتبرون سقوط النجم غيابه وقت الفجر وهو ابتداء النوء ولا يعتبرون طلوعه وقت الفجر ابتداء النوء كما يفعل أهل الحساب في وقتنا الحاضر، أما الطلوع فيسمى البارح، ونوء المطر ينسب للساقط (الغياب) أما الرياح والبرد والحر فينسب إلى بارح الطلعة، وبعضهم يجعلهم للطالع وهذا هو مذهب المنجمين لأن الطالع، له التأثير والقوة، والغارب ساقط لا قوة له، قال المبرد: النوء على الحقيقة للطالع من الكوكبين لا الغارب وهذه المنازل كلها يطلع بها الفلك من المشرق ويغرب بها من المغرب.

ويعتبر جناب بن عبد الله الكلبي أول من عني بالأنواء وقد نظموا الأنواء شعراً ليسهل حفظها قال الشاعر:

إذا ما قارن القمر الثريا لثالثة فقد ذهب الشتاء

وقال آخر:

إذا ما البدر تم مع الثريا أتاك البرد أوله الشتاء

وقال آخر:

إذا ما قارن الدبران يومًا لأربع عشرة قمرًا التمام

فقد حف الشتاء بكل أرض فوارس مؤذنات باحتدام

وحلق في السماء البدر حتى يقلص ظل أعمدة الخيام

وذلك في إنتصاف الليل شطرًا ويصفوا الجو من كدر الغمام

وقال آخر:

إذا ما هلال الشهر أول ليلة بدا ليعون الناس بين النعائم

أتتك رياح القر من كل وجهة وطاب قبيل الصبح كور العمائم

وقال آخر:

وقد برد الليل التمام بأهله وأصبحت العواء اللشمس منزلا

وكانوا يستدلون على المطر بلون الغيوم وأشكالها، فأقل الغيوم مطرًا عندهم البيضاء ثم الحمراء ثم السوداء، ومن أقوالهم: السحابة البيضاء جفل، والحمراء عارض، والسوداء هطلة.

ومن أشهر الأنواء في أشعار العرب نوء الثريا وهو النجم وصورتها ستة كواكب متقاربة وأكثر الناس يجعلها سبعة ومما قيل في نوئها ورياحها من الشعر قول ذي الرمة:

يصلك الثريا من عجاجيج شفها هبوب الثريا والترام التنائف

وقال:

يلوذ الرعد عراصًا إذا ارتجست نوء الثريا به أو نثرة الأسد

وقال:

...ت به حتى ذوي العود والتوي وساق الثريا في ملاءته الفجر

وقال:

...اب الناس منقمس الثريا بساحة وأتبعها طلالا

وقال:

...وجهتها هراقت عليه الماء فاكتهل اكتهالا

وقال الفرزدق:

...ت على الناهيك إلا تدفقا كما انهل من نوء الثريا سحابها

وقال كثير:

...بين نجلاوين لورقرقتهما لنوء الثريا لاستهل سجامها

وقال:

...طلل من أسماء لم يعف رسمها رياح الثريا حلقة فضرتها

وقال:

...الثريا كل آخر ليلة يجودها جودًا ويتبعه وبلا

وقال سواعة بن كلاب القشيري:

ولو سألت للناس يومًا بوجهها سحاب الثريا لاستهلت مواطره

وقال آخر:

ولما شكوت الوصل قال أما ترى مناط الثر وهي منك بعيد

فقلت لها إن الثريا وإن نأت يصوب مرارًا نؤوها ويجود

٢- السماك: وهي السماكان الأعزل يطلع مع الفجر لخمس بقين من تشرين الأول (أكتوبر) ويسقط في الغرب مع الفجر لأربع ليال يمضين من نيسان (أبريل) ونؤوه غزير المطر (بإذن الله) قال الحطيئة:

والحض ألحق بالخوالف نبته سيط عليه من السماك مطير

وقال ذو الرمة:

جداقضة الآساد وارتجزت له بنوء السماكين الغيوث الروائح

وقال:

ولازال من نوء السماك عليكما ونوء الثريا وابل متطيح

وقال:

أسقين من نوء السماك أعهدا بواديًا مرًا ومرًا رودا

وقال أبو تمام:

من قلة كثر السماك وإن غدا هطلاً وعفو نداه جهد المرزم

٣- الدلو: وهو المقدم، والبعض يسميه عرقوة الدلو وهما كوكبان مفترقان نيران، وقيل له الدلو لأنه تأتي فيه الأمطار العظيمة، وقال ذو الرمة:

[illegible] من الدلو أو مطر الثريا إذا ارتجزت على أثر السعود

[illegible]:

[illegible] سقتها الدلو حتى تنطقت بنور الخزامي في التلاع الجوالف

[illegible]:

[illegible] الظلام على الوحشي شملته ورائح من نشاص الدلو منكسب

[illegible]:

[illegible] نوء الدلو يبعق ودقة مكن ومن نوء السماك غمام

[illegible]:

[illegible] روايا كل دلوية بها وكل سماكي ملث المبارك

[illegible] أبو تمام:

[illegible] الدلو والحوت وأشراطه والنجم والبطن إلى البالع

[illegible] استمرت هذه المعرفة إلى شعراء القرن العاشر الهجري قال الشاعر العامي [illegible] الخلاوي:

[illegible] من الميزان والدلو رايح صدوق الحيايجي الأصول الأوايل

[illegible] كانتفاض القرخ في حندس الدجى يفوج سناه الليل مثل الشعايل

[illegible] الجوزاء: وتسمى فلكيًا بالهقعة قال في نوئها النابغة الذبياني:

[illegible] عليه من الجوزاء سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد

وقال كثير:

سقاها من الجوزاء والدلو خلفة مباكير لم يندب لهن صرار

وقال ذو الرمة:

فلما انقضى نوء الزبانا وأخلفت هواد من الجوزاء وانغمس الغفر

٥- **النثرة:** وهي لطخة لطيفة بين كوكبين وهي عندهم ما بين فم الأسد وأنفه، وعن نوء النثرة قال ذو الرمة:

مرن الضحى طاوٍ بني صهواته روايا غمام النثرة المترادف

٦- **الشرطان:** وهما كوكبان مفترقان مع الشمال، وسميا بالشرطين لأن سقوطهما علامة ابتداء المطر واتصاله قال كثير:

غواد من الأشراط وطف تقلها روائح أنواء الثريا الهواطل

وقال أبو تمام:

سقى الشرطان جزعك والثريا ثراك بمسبل خضل روي

ولاتمام الفائدة في هذا الباب لا يفوتني أن أورد هنا ملخصًا لما جاء في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني عن الأنواء حين قال: والسنة أربعة أجزاء، لكل جزء منها سبعة أنواء ولكل نوء ثلاثة عشر يومًا إلا نوء الجبهة فإنه أربعة عشر يومًا زيد فيه يوم لتكمل السنة ٣٦٥ يومًا وهو المقدار الذي تقطع فيه الشمس البروج الإثنى عشر، وكل برج منزلتان وثلث منزلة، والربع الأول من السنة وابتداؤه من سبعة عشر آذار (مارس) وبعضهم يجعله في عشرين منه حين

يستوي الليل والنهار ويطلع من الغداة أول أنواره وجاء في مصدر آخر: ان البروج التي تقطعها الشمس على مدار السنة إثنا عشر برجًا: أولها الحمل (٣١ يومًا) ثم الثور (٣١ يومًا) ثم الجوزاء (٣١ يومًا) ثم السرطان (٣١ يومًا) ثم الأسد (٣١ يومًا) ثم السنبلة (٣١ يومًا) ثم الميزان (٣٠ يومًا) ثم العقرب (٣٠ يومًا) ثم القوس (٣٠ يومًا) ثم الجدي (٣١ يومًا) ثم الدلو (٣٠ يومًا) ثم الحوت (٢٩ يومًا) في السنة الكبيسة أو (٣٠ يومًا) في السنة الكاملة وتفصيل الأنواء كالأتي: (٤٦/٢٧) والمعلوم أنه في يوم ٢٢/٢١ آذار (مارس) يحدث الاعتدال الربيعي وفي يوم ٢٢/٢١ حزيران (يونيه) انصراف الأرض من الشمال إلى الجنوب وفي ٢٢/٢١ أيلول (سبتمبر)، الاعتدال الخريفي وفي يوم ٢٢/٢١ كانون الأول (ديسمبر) انصراف الأرض من الجنوب إلى الشمال في كل سنة)

الربع الأول من السنة:

١-فرع الدلو الأسفل وهو المؤخر، وتسقط العواء وإليها ينسب النوء والعواء خمسة كواكب كأنها ألف معطوفة الذنب إلى اليسار.

٢-السماك: وهي سماكان سبق إيضاحهما في مكان آخر.

٣-الغفر: وهو ثلاثة كواكب غير زهر، والغفرة الشعر الذي في طرف ذنب الأسد وبذا سميت على أحد الأقوال.

٤-الزبانا: وهما كوكبان مفترقان وهما قرنا العقرب وقيل يداها.

٥-الإكليل: وهو ثلاثة كواكب على رأس العقرب.

٦-القلب: وهو كوكب وقد سبق (الكلام عنه) قلب العقرب،

٧- الشولة: وهما كوكبان أحدهما أخفي من الأخر وهما: رأس ذنب العقرب أو الأبرة التي في ذنبها.

الربع الثاني وأول أنوائه:

٨-النعائم: وهي ثمانية كواكب نيرة أربعة منها في المجرة تسمى الواردة وأربعة خارجها تسمى الصادرة.

٩-البلدة: وهي فرجة لطيفة لا شيء فيها لكن بجوارها كواكب تسمى القلادة شبهت بباطن الراحة ما بين السبابة والإبهام.

١٠- سعد الذابح وهما نجمان صغيران أحدهما مرتفع في الشمال مع كوكب أخر يقال له شاته التي تذبح والأخر هابط في الجنوب.

١١-سعد بلع وهما كوكبان صغيران مستويان في المجرة شبها بفم مفتوح يريد أن يبتلع شيئًا.

١٢-سعد السعود: وهما كوكبان أحدهما أنور من الأخر سمي بذلك لأن وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع وما يعيش به الحيوان من النبات.

١٣-سعد الأخبية: وهما كوكبان عن شمال الخباء، والأخبية أربعة كواكب واحد منها في وسطها يسمى الخباء.

١٤-فرع الدلو الأعلى: وهو المقدم وبعضهم يسميه العرقوة تشبيهًا بعرقوة الدلو، وهما كوكبان مفترقان نيران.

الربع الثالث وأول أنوائه:

١٥-فرع الدلو الأسفل: وهما كوكبان مضيئان بينها بعد صالح يتبعان العرقوة العليا.

١٦-الحوت: وهو كوكب أزهر نير في وسط السمكة.

١٧-الشرطان: وهما كوكبان مفترقان مع الشمال منهما كوكب دونهما في القدر.

١٨-البطين: وهو ثلاثة كواكب طمس خفيات وهو بطن الحمل.

١٩-الثريا: وهو النجم سبق الكلام عنه.

٢٠-الدبران كوكب وقاد سبق الكلام عنه.

٢١- الهقعة وصورتها ثلاثة نجوم صغار متقاربة (سبق الكلام عنه)

الربع الأخير وأول أنوائه:

٢٢-الهنعة: كوكبان مقترنان، وافتراقهما في المجرة بين الجوزاء والذراع المقبوضة.

٢٣ الذراعان: وهي ذراع الأسد المقبوضة: كوكبان نيران بينهما كواكب صغار تسمى الأظفار.

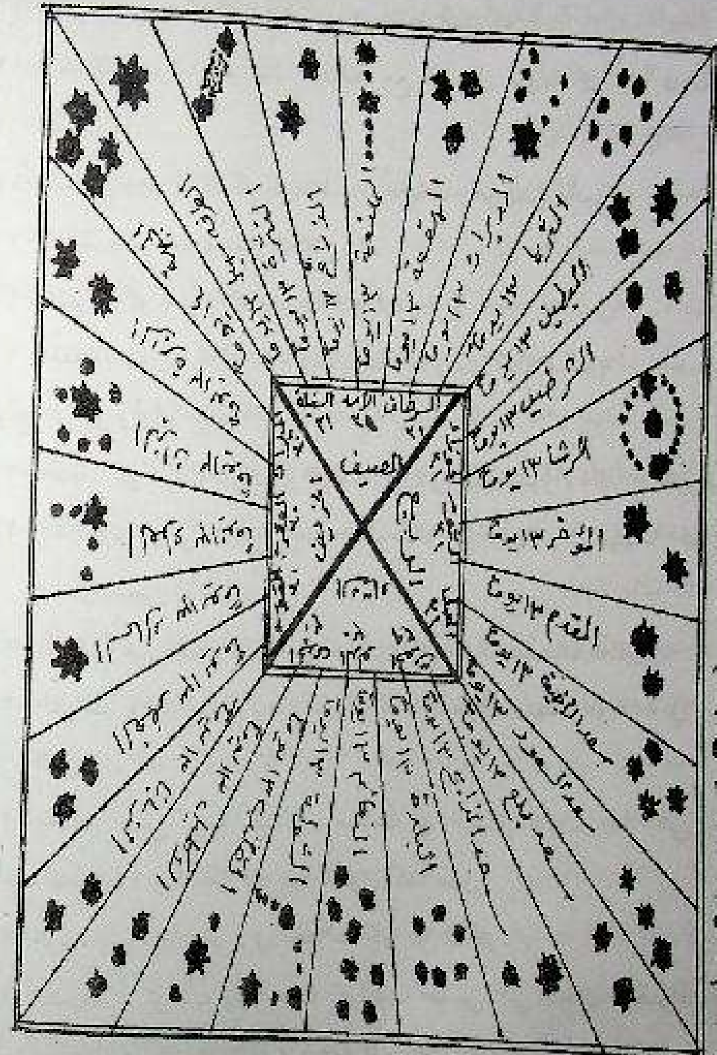
٢٤-النثرة: وهي لطخة لطيفة بين كوكبين والنجمان يسميان الكلبين.

٢٥-الطرف: وهما عينا الأسد وهما كوكبان صغيران بينهما نحو قامة في مرآي العين.

٢٦-الجبهة: وهي أربعة كواكب معوجة في اليماني منها بريق وهي جبهة الأسد أيامها ١٤ يومًا خلاف بقية الأنواء كما سبق.

٢٧-الزبرة: وهما نجمان يرى أحدهما أكبر من الأخر.

٢٨-الصرفة: كوكب وقاد عنده كواكب طمس سمي بذلك لانصراف البرد بسقوطه وبرفقته رسمًا تقريبيًا لهذه النجوم.



الأنواء والبروج وقت ظهورها حسب التقويم الهجري الشمسي أو الميلادي [٢٨٤]

الفصل	النجم	ميلادي شمسي عربي	ميلادي شمسي غربي	هجري شمسي	عدد الأيام
الربيع	سعد السعود	٨ آذار	مارس	١٧ الحوت	١٣ يوما
	سعد الأخبية	٢١ آذار	مارس	١ الحمل	١٣ يوما
	المقدم	٣ نيسان	ابريل	١٤ الحمل	١٣ يوما
	المؤخر	١٦ نيسان	ابريل	٢٧ الحمل	١٣ يوما
	الرشا	٢٩ نيسان	ابريل	٩ الثور	١٣ يوما
	الشرطين	١٢ أيار	مايو	٢٢ الثور	١٣ يوما
	البطين	٢٥ أيار	مايو	٤ الجوزاء	١٣ يوما
الصيف	الثريا	٧ حزيران	يونيه	١٧ الجوزاء	١٣ يوما
	الدبران	٢٠ حزيران	يونيه	٣٠ الجوزاء	١٣ يوما
	الهقعة	٣ تموز	يوليه	١٢ السرطان	١٣ يوما
	الهنعة	١٦ تموز	يوليه	٢٥ السرطان	١٣ يوما
	الذراع	٢٩ تموز	يوليه	٧ الأسد	١٣ يوما
	النثرة		أغسطس	٢٠ الأسد	١٣ يوما
	الطرف	٢٤ آب	أغسطس	٢ السنبلة	١٣ يوما
الخريف	الجبهة	٦ أيلول	سبتمبر	١٥ السنبلة	١٣ يوما
	الزبرة	٢٠ أيلول	سبتمبر	٢٩ السنبلة	١٣ يوما
	الصرفة	٣ تشرين الأول	أكتوبر	١١ الميزان	١٣ يوما
	العواء	١٦ تشرين الأول	أكتوبر	٢٤ الميزان	١٣ يوما
	السماك	٢٩ تشرين الأول	أكتوبر	٧ العقرب	١٣ يوما
	الغفر	١١ تشرين ثاني	نوفمبر	٢٠ العقرب	١٣ يوما
	الزبانا	٢٤ تشرين ثاني	نوفمبر	٣ القوس	١٣ يوما
الشتاء	الإكليل	٧ كانون أول	ديسمبر	١٦ القوس	١٣ يوما
	القلب	٢٠ كانون أول	ديسمبر	٢٩ القوس	١٣ يوما
	الشولة	٢ كانون ثاني	يناير	١٢ الجدي	١٣ يوما
	النعائم	١٥ كانون ثاني	يناير	٢٥ الجدي	١٣ يوما
	البلدة	٢٨ كانون ثاني	يناير	٨ الدلو	١٣ يوما
	سعد الذابح	١٠ شباط	فبراير	٢١ الدلو	١٣ يوما
	سعد بلع	٢٣ شباط	فبراير	٤ الحوت	

ملاحم وحكايات شعبية

الملاحم الشعبية التي يتناقل أحداثها العامة، لها جذور تاريخية بلاشك، وإن لم تكن بنفس المقدار الذي يتناقلها به الناس وذلك لما للرواة والقصاص من تأثير على مجريات هذا الحدث التاريخي، الذي حدث ذات يوم بشكل أو آخر، وجاء الرواة والقصاصون فأدخلوا عليه ما يقتضيه الموقف الذي يقفونه من إضافة عناصر التشويق لأحداث القصة وعوامل الإثارة في مجرياتها وشيئًا من أفعال الخوارق بالنسبة لأبطال القصة، واختراع المواقف الحرجة التي يعجز عن التخلص منها الكثير من الناس، ثم منح بطل الرواية من الذكاء والفطنة ما يجعله يتخلص من هذه المواقف ويجتازها، هذه القصص والأساطير والملاحم قد يكون لها أصول تاريخية، وإذا نظرنا إلى نماذج منها كتغريبة بني هلال، ورحيل زعب، وقدوم آل ضغم من اليمن، فنأخذها واحدة واحدة، فرحيل بني هلال وتغريبتهم قد حدثت تاريخيًا حسب أرجح الروايات بداية القرن الخامس الهجري، بعد منتصف العصر العباسي وقد أحاطها الرواة بهالة ضخمة من الأحداث، وبالغ أكثرهم في قدمها إلى قرون عديدة قد يظنها البعض قد حدثت قبل البعثة المحمدية، ومن تأثير وأسر الهالة التي أضافها القصاصون أصبح السواد الأعظم من الناس ينسبون كل شيء عظيم لبني هلال، كما كان العرب القدامى ينسبون كل شيء عظيم وقديم إلى عاد وثمود والعماليق، ينسبون إلى بني هلال طول الأجسام وضخامتها فيقولون: هذا الرجل هلالي أو إمرأة هلالية أي طويلة فارعة الطول، ويستدلون على ذلك من شواهد قبور متباعدة عن بعضها

بعض، فيعتقدون أنه قبر واحد، مع أنهما قد يكونان شاهدي قبرين متجاورين في من كل قبر شاهد واحد، كما ينسبون إلى بني هلال البطولات الخارقة بتغلبهم على أعدائهم، وكل شيء قديم ينسب إليهم، آبار هلالية، موارد هلالية، كما ينسبون إليهم أشعارًا باللهجة العامية قد يكون لها جذور معينة لكنها ليست بنفس اللهجة التي تروى بها الآن، لأن بني هلال قد غادروا منطقة نجد مع غيرهم من القبائل التي انضمت إليهم كقبائل سليم وبني جشم وغيرها، وفي ذلك الوقت لم تتفش اللهجة العامية بهذا القدر، بدليل أن أبا علي الهجري رحمه الله من العلماء الذين عاشوا قبيل ذلك التاريخ بقليل يذكر اللحن بالفصاحة عمن روي عنهم لكن لم تكن بمقدار اللهجة التي رويت بها القصائد المنسوبة لبني هلال، والتي سنورد نماذج منها في هذا الفصل، غير أن هذا لا ينفي وجود انتقال بني هلال من نجد إلى مكان استيطانهم في صعيد مصر ثم المغرب العربي، أو أنهم لم يقولوا شعرًا بهذه المناسبة، وقد حدد الرواة أسباب انتقال بني هلال من الجزيرة إلى خارجها لسبب الجدب الذي أصاب هذه البقعة لمدة ثلاث سنوات، حيث نسب إلى شاعر هلالي قوله:

ثلاث اسْنِيْنٍ مَا هَوَى نَجْد قِطْرَةْ وَلاَ مِزْنَةٌ غَرًّا وَلاَ بَلْذَارْ
... الله صِبْيَانٍ لَنَا مَا تَغَيَّرُوا بْسِنْ ضحُوكٍ يَعْجِبَ الخُطَّارْ

وفي رواية أخرى:

ثلاث اسْنِيْنٍ مَا هَوَى نَجْد قِطْرَةْ وَلاَ مِزْنَةْ غَرًّا وَلاَ نَاضْ بَارِقْ
... وَانْ جَاكْ الحَيَا فَازْعِجِيْ لَنَا مَعْ الطُّيُورْ أَوْ مُومِيَاتْ العَلاَيِقْ

وترسم القصائد المنسوبة إليهم مسير رحلتهم هذه القصيدة التي ينسب بعض أبياتها الشيخ سعد بن جنيدل للشاعر فارس بن شهوان آل ضغيم:

رَحَلْنَا وَرْحِلْنَا جِسَاسٍ مِنَ الْقِسَا رَحَلْنَا شِمَالٍ وَالْظُعُونْ ثْدَادْ

والله مَا هُوْ شَقْنَا يَوْمْ زَاعَنَا لاَ هُوْ مِنْ بَغْضْ وَضِدْ اطْرَادْ

شحْ الْمَراعِيْ وَالظْمَا يَوْمْ صَدَّنَا وَالْبِلْ تِبِيْ الْمَرْعَى وْشَرْبْ بْرَادْ

فْلَيْل بْصَدْ والظْمَا مِرْكِيْ لَنَا لَوْلاَ خَوَاوِيْر بِهِنْ اجْلاَدْ

وْلَيْلٍ بْحَمْى وْحِمَا شِجِيْع مِشَارْبَهْ عَلَيْه نَاسٍ بَالشْرُوْبْ زْهَادْ

تُوَاقِفْ الْمَظْهُوْرْ وَالنَّاسْ ضَيْقَوْا يَبْغُوْنْ رَايٍ لَلْنْهَاجْ سِدَادْ

صَوْتْ عَلَيْهِم مِحْمِيْ الثَارْ لِلْعْدَا سِيْرُوْا لَعِدْ يَذْكُرُوْنَهْ جَادْ

وْرَدْتْ عُطَاشٍ قَرْيَةْ جَاهِلِيَّةْ مِيَّاحْهَا مَا يَسْمِعُوْنْ مْنَادْ

وليلة وردنا العد عد آل زايد لا قلت هون من جمامة زاد

ضفنا وضيفنا ابن بدران عامر حييت يا غمر فلاحه باد

شيخ ذبح بالحال عشرين فاطر والكباش ما يعرف لهن عداد

وكثر مزاهبنا على كثر عدنا وخلى الجمال تشيل كل الزاد

فلا ظل إلا ظل غار من الصفا ولا شيخ إلا عامر بن زياد

ما هو يكف الشر من يمة العدا ونشر العدا من لا إليه إيذاد

حذينا مع أبو فقار بالصخا عبرات النضا سيرهن أوناد

وليل بدهو والحمل في نحورها جداد أثاريهن وهن بعاد

وليل بالحمل والخميل المسمى أثر جديد والعيون حداد

وليل بما سل ومويسل وردنا سود المغارف غبهن إجداد

وفي رواية أخرى:

وليل بالعمري وليل بالركا وليل في حزم الخصاة شداد

وليل بالسرداح لا عله الحيا الشجير خلي والمراح شداد

وفي رواية أخرى:

وروطنها واد القريع يعمد هشيمة دقاق وحمضة باد

وليل بحدبا سوقة المعروفة إصبح على جو المراح سواد

وليل بالحدبا لا عمر جاها شدوا وخلوا بالمراح سواد

وليل بشقرا فاهقين وشيقر باع الصبايا حليهن بزاد

وليل بطيء مشملين النية نبغي ديار بالمساس مواد

ليالي دهما مسها السير والسرى قامت تردي قرها الخصاد

لعلها تنجا وتنصا مرادها دار يحل بها المقيم معاد

لياليها عام مديم من الحيا تحيي لنا دوم الحياة بلاد

لكنها ياحسرة القلب نوخت وانا عليها حسرتي تزداد

وقفت أهل الدمع من حب ناقتي والحب يفطر مهجة والفواد

من لامني في حب دهما يشوف له غال وراه بحسرة وانكاد

حللتها والربع قفت ظعونهم خوفي عليها من الحزم واجهاد

حنينها من حبها واختلاجها طول العنا للطيبين زهاد

في هذه القصيدة ذكر الشاعر عددًا من المواقع والمياه التي مروا بها في مسيرهم في جنوب نجد ووسطها، ثم حدثت فجوة في تعداد هذه المواقع حيث قفز الشاعر عن منطقة هامة في وسط نجد وهي القصيم إلى بلاد طيء التي أشار إليها إشارة عابرة ويبدوا أن الراوي أو الشاعر في منطقة جنوب نجد لا يلم بأسماء المواضع التي مروا بها بالقصيم وبلاد طيء حائل وما حولها، غير أن الشيخ محمد بن ناصر العبودي أورد في كتابه" معجم بلاد القصيم" أبياتًا تسد هذه الفجوة مما استشهد به من أبيات فيما ينسب إلى بني هلال حيث أورد من قصيدة أخرى:

غدت نجد إلا أبا تين عقلة وجز لنا بين اللوى وزرود

ألف ورود الماء وألف صدورة وألف من فوق العدان ورود

تره بوادي شري من حيث ينحني كواكب ما لحق لهن سدود

على الجل والسلمان مناطعاين وعلى السيح منا والصريف ورود

وقال في موضع أخر من قصيدة ثالثة:

سلفنا ما بين غول وملعج نحر الغضيبات خلف الجهام

وردنا على تسعين عين رهية ما أسقت لنا كود الفلا والبهايم

وهناك روايات في منطقة حائل لقصائد تنسب لبني هلال سواء ما كان منها يتحدث عن الحروب التي جرت بينهم في سمراء البلد الأثري العريق قاعدة بني أسد وما حولها جنوب شرق حائل حيث ينسب إلى شاعرهم قوله قال جساس:

حذاك الله خذني عن كليب إمير في مكانه وله أميرا

فرد عليه المهلهل:

حذاك الله ما تسوى كليب ولا تسوى خنيصره الصغيرا

ولا تسوى من الخشوان حاشي كبير البطن مدعول صغيرا

لو ينباج القبر عن كليب ويشوف الطرد في وادي سميرا

بين غسل يسار واردات بواد الدوح تسمع له زحيرا

أنا أقول لك لا تعترضني ليا شفت الأشقري مغيرا

كن إذنيه بفاعوس راسه أقلام قصب حاذيهن بصيرًا

وقال والد جساس:

يا جساس تلفح بك شمرة وحوالي بيوتكم تسمع صياح

باغلك يا وليدي ما غدرته وراع الغدر مكسور الجناح

فرد عليه جساس:

لا والله يابوي غدرته ولولا الغدر ما جينا صحاح

ترى الزير ولد الزير مثلك ما يحفل ليا سمع الصياح

ويروي لأبي زيد الهلالي من قصيدة له قوله:

يقول أبوزيد الهلالي سلامة تجار نجد هالني كبر زومها

عفا الله عني ليلة بت ساهر بجو سميرابت أساهر نجومها

بت ولكني شارب قرقفية مدققة فيها الأفاعي سمومها

وكم من يد تندا ولا ضرها الندا والأخرى لزوم ولا هنانا لزومها

كما يروي لأبي زيد قوله:

ما ينفعك يا بازيد يوم تقيم لا صارت الشدة عليك لزوم

وقد أورد الرواة اسم (كليب وجساس) لاعتقادهم أن هذه الحروب قد حدثت قبل البعثة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، في عهد كليب وجساس كما هو معروف تاريخيًا ومبين في صدر هذا الكتاب، وربما كان هذا الخلط بين أحداث ما جرى في العهد الجاهلي وما يمكن أنه وقع في زمن بني هلال فنسبوه كله لبني هلال، وربما كان شخصيتا كليب وجساس هلاليتان وجدتا في هذه المنطقة، أو من خيال الرواة اختاروا هذين الاسمين لمناسبتهما للبيئة، ولرنين شهرتهما التاريخية فجعلوهما من ضمن الشخصيات البارزة في هذه المنطقة.

وهناك نص آخر يروي لشاعر هلالي عندما رحل بقومه من بلدهم (سدوما) وهي قرية كانت قائمة على أعلى وادي الرحبة عند التقاء رافده الشمالي برافده

الغربي (حمساء ربب) أراط أو (راط) حاليًا غرب جبل الريان(الرياض) شمال شرق مدينة الروضة إلى الجنوب الشرقي عن حائل ٢٥ كيلاً يقول الشاعر متأسفًا على الرحيل تاركًا نخله من خلفه بعد أن نضب الماء من تحتها وماتت أو أشرفت على الهلاك أو أصابها مرض من الأمراض.

لا واحلواتي في سدوما دوالة غشاهن من عقب الدلال عماس

حلوات من لا ذاقهن دون جاره ولا قال للوزان عدل واس

لهد الضواري بين بو وسايل لهد الضواري والطعين تماس

ألا يا خيل من زيد عشية لهن بين سرا والمنام مداس

وردن على بير بعثوا وصدرن خيل عن زرج الرماح نساس

حميناه بأطراف القنايا بن مانع ظعينتا نرعاه بضرب الطاس

وهناك أبيات أخرى تروى لشاعر هلالي يذكر أماكن غير التي ذكرها الشيخ محمد العبودي عن زرود يقول فيها:

رحلت ما تركت بنجد حسوفة ألا عيلم بين اللوى وزرود

ألفين ورد الماء وألفين صدره وألفين ما بين العدام ورود

ترها بوادي الشري يا جاهل به عليها النوازي النايفات شهود

ترى دلاها جلد تسعين بكرة وتسعين مع تسعين جلد قعود

لا زاد ورده زاد فياض جمه عد ليا حرك تراه يزود

دفناه عن ناس تولاه بعدنا شحاح ولا بالطايلات تجود

بذرنا عليه الجود لين املحت به سنين القساما لجلجن برعود

رحلنا عنه والنفس ما هي طايلة عسانا لياعاد السحاب نعود

عسانا نعود أو بينها يكسر الوطا ومن عشب ترمسها عليه ورود

غربيها زيزاها الريم والمها وشرقيها تربر عليه نقود

وعند اتجاه بني هلال من نجد إلى الشمال الشرقي ووصولهم إلى مشارف العراق في الجنوب الغربي من النجف حيث دخلوا الأرض التي يحكمها عامر الخفاجي من قصره المشهور (بالأخيضر) الذي لا تزال آثاره باقية، حتى الآن هذا الأمير الخفاجي التي تقول الرواية أنه تعلق قلبه بعدد من بنات بني هلال وعندما أرادوا الرحيل عنه فضل أن يترك ملكه وأن يرحل مع بني هلال بحكم تعلقه بتلك الفتيات مما جعل والدته تقول هذه القصيدة التي نقتطف منها هذه الأبيات:

قالت شويلة شاها البين والنيا جرح على كل الأباد فنيع

لا واهني الناس في نومة العشا نومي على سلم وشوك نقيع

لا واولدي ما جا بن البيض مثله ليا اعتلى في سرج كل طليع

لا واولدي حاكم ثمانين قرية وفي كل قرية مشترى ومبيع

حوم على البيبان ما يغلقونها مخافة خطار العراق تضيع

غدت به ثلاث من بنات آل عامر رهاف الثنايا واصلهن رفيع

غدت به حيا وريا وريدا وقلب الفتى بين الثلاث يضيع

رغدت به وطفا يوم واقت مع الحيا كما الشمس أواقت مع ذوابة ربع

رغدت به الجازية أم محمد قامت تغاغي له مغاغات رضيع

رميا وشعيا والرباب وفتنة مع زينة العينين بنت بزيع

وغير ذلك كثير من هذه القصائد، التي تنسب لبني هلال، وإن كنت لا أرجح هذه النسبة كما أسلفت في بداية هذا الفصل لأن بني هلال كما هو معروف تاريخيًا قدها جروا من نجد في بداية القرن الخامس الهجري، في ذلك الوقت كانت نجد لا تزال تحتفظ بلغة عربية فصيحة، قد يكون داخلها شيء من اللحن لكن لم تغمرها العامية التي نظمت فيها مثل هذه القصائد، وربما يكون هناك قصائد تتحدث عن نفس الموضوع باللغة العربية الفصيحة أو ما هو قريب منها ولم يستطع الرواة حفظها بنصها الأصلي فعدلوا وبدلوا فيها، وربما استعاضوا عنها ببنية جديدة بما يجيدونه من اللهجة، فجاءت متوارثة على هذه الصيغة وهذه اللهجة التي مرت بنا في القصائد، لاشك أن القارئ يشم لها رائحة تقدم عما نظم قبل أربعمائة سنة، سواء من حيث الوزن الذي يكاد أن يكون على ما يسمى بالضرب الهلالي أو المواضيع والأماكن التي تتحدث عنها، لكنها أيضًا تحتوي على الكثير من الكلمات الحديثة نسبيًا مما يستلزم وضع علامة استفهام أمام نسبتها لبني هلال.

النموذج الثاني قصة الفتاة الزغبية التي تسمى (بنت ابن غافل) والأمير ناصر بن سعدوب الزغبي أمير زغب، وما حدث بينه وبين الشريف، وضياع ابنة ابن

غافل عند هزيمتهم ولجوئها إلى رأس سرحة حتى رآها عقيد ذلك الركب المدعو مسفر بن قويدر وزواجها منه وانجابها منه ابنها (سباع) وزعب كما يرى الأستاذ وجدي عبد الله المغربي الأدريسي في مقالة له بجريدة الجزيرة عدد ٨٤٥٢ تاريخ ٢٩/٤/١٤٠٦هـ ١٠/١٠/١٩٨٦م وإن كنت لا أوافقه على ذلك كما سيأتي أنها أحد فروع قبائل بني هلال وهم من بني الشبانة الذين هم بنو زغب وبنو حسان وبنو معقل وغيرهم، وقد استقرهم المقام في المغرب العربي بينما بقى منهم في نجد والأردن أعداد كثيرة معظمهم حاضرة، أما البادية فربما انضوت تحت كنف القبائل الأخرى، وما يروى عن هذه المرأة قصيدتها الطويلة التي نقتطف منها:

هيضت يا سباع لدار ذكرتها ولا عاد منها إلا مواري حيودها
سباع أمك تبكي بعين حفية ودموعها تخفي مداري خدودها
زعبية ياعم ماني هفية ماني من اللي هافيات جدودها
أنا من بني زعب وزعب ليا أوجهوا على الخيل عجلات سريع ورودها
أهل سربة لادبرت كالمهجرة وان أقبلت كن الجوزاي ورودها
لا طاح طايحهم بشوفي ترايعوا تقول فهود مخطيات صيودها
لا صاح صياح السبيب تفازعوا عزي لعمر ثبرت به بلودها
لا تلقحون الخيل يازعب ياهلي ترى لقاح الخيل يردي جهودها

إن جت سماح الخدما يلحقن بكم وإن جت مع السندا لزوم بكودها
جنا الشريف بديرته والتقانا كل القبايل جامع به جنودها
عيوا عليها لابتي واحتموها بمصقلات مرهفات حدودها
ياما طعنوا في حربة عولقية شلفى تلظى بشرب الدم عودها
قبيلة كم أذهبت من قبيلة لأعدت الجودات بتعد جودها
زعب هم أهل المدح والمجد والثنا من الربع الخالي للحجاز حدودها
لا من نووا في ديرة ياهلوها تقافت الأظعان عجل شلودها
ركابهم يم العدا متعينها بيض المحاقب فاترات فهودها
ياما خذوا من ضدهم من غنيمة ولا صاوغوه بلطمة ما يعودها
أنا فتاة الحي بنت ابن غافل كم من فتاة غرفيها قعودها
حولت من نضوي ورقيت سرحة حطيت رف في مثاني فهودها
رجولي ركيب ونوخوا في ذراها وشافن عنيد القوم زيزوم فودها
قال انزلي يا بنت وانتي بوجهي ولا جيته إلا بالوثق من عهودها
ذكرت وقت فايت قد مضى لنا ويوم علينا من ليالي سعودها
لنا بين حبر والغربة منزل لهن في زين العرابا قعودها
قلبنا غزيرة الجو عيلم ما ينشدون اصدورها من ورودها

طوله ثمان مع ثمان مع أربع وسط من الصفرا وقبلة نفودها

أهل عقلة يحدها الحاد مع الغضا ماداره الزراع يبذ رمدودها

الفين بيت نازلين جباها وألفين بيت بالمظامي ترودها

دار لنا ما هي بدار لغيرنا ما حدها الرملة ومارد عدودها

هذه القصيدة على ما فيها من معلومات توحي بالقدم غير أنها لا تمثل عندي لمحة زمن رحيل بني هلال عن الجزيرة العربية وهذا لا يعني عدم وجود جذور تاريخية لهذه الحادثة ورحيل بني هلال من مواطنهم بشرق الحجاز، واتجاه كثير منهم إلى المغرب العربي وبقاء أعداد منهم في نجد وغيرها، غير أنه يجب التفريق بين زعب بالعين وهم من بني سليم بن منصور وزغب بالغين وهم من زغبة بني هلال الذين بقوا في الجنوب الشرقي من الجزيرة العربية وكان لهم شوكة كان موطنهم على طريق الحج البصري وقد أخذوا ضريبة من الحجاج لعامين متتالين فضلاً أنظر ذلك في موضعه على طريق الحج البصري وقد استمروا في موضعهم حتى زمن أجود بن زامل العقيلي فقد غزاهم عام ٩٠٠ هـ ــ ١٤٩٤ م ضمن غزا في تلك السنة.والقصيدة لفتاة من زعب من بني سليم لا زغب الهلالية.

النموذج الثالث قصة آل ضيغم وانتقالهم من الجنوب إلى شمال نجد وطريقة مسيرهم، ومن قصيدة تنسب لشهوان آل ضيغم يصف بها الطريق الذي قطعوه حتى وصلوا إلى المكان الذي استقروا فيه في بلاد طيء منطقة حائل ومطلع هذه القصيدة:

يقول شهوان ومن راس ماله جواد وزرقا في ذوابة عود

وبيت على الأطراف يلقى مشيد إلى ما توزى بالتلاع قرود

لنا منزل ما بين الأفلاج والحسا وما بين صنعا والسليل وجود

إلى أن قال:

لا صار ما جود على قدر حاجة كل ليا جاد الزمان يجود

ويروي عنه في قصيدة أخرى، ومنهم من يرويها لابنه فارس بن شهوان:

يقول العبيدي والعبيدي فارس مثايل من لبة القلب قايلة

ملكت بحد السيف تسعين قرية والحمد للي ما تعدد فضايله

إلى أن قال:

وردتهم جو بتيما وسميرا الخضر لا عدوا توالي ثوايله

وردتهم مشروبه من الجم صافي واتلاهم مشروبه توالي هضايله

جينا طريق نازلين بسميرا من صلب ضيغم كلهم من سلايله

ساعة وصلناهم شبا نار حربهم بضلع وريعانه من الدم سايله

لكن أذيال الدهم دهم آل راشد هما ليل صيف صادقات مخايله

ليا قلت أخذنا بوشهم زاد هوشهم مال غشا البرقا رحيل قبايله

وليا قلت أخذنا طعنهم زاد طعنهم عمير يثني عند تالي رحايله

إلى أن قال:

خلي بربع البكر بديار شمر لا واطي قلبي ولا واغلايله

ومن الرواة من يروي أبيات من القصيدة التي تنسب لشاعر من بني هلال والتي مطلعها:

رحلنا ورحلنا مساس من القسى رحلنا شمال والظعون تذاد

(فضلاً انظر لهذه القصيدة في موضعها) لفارس بن شهوان، بالإضافة إلى ما جرى بين آل ضيغم من حروب بين عرار بن شهوان وعمير بن راشد وما جره الأول على أبناء عمه آل راشد من حكام مارد الأجانب حيث ورد في قصيدة عمير التي مطلعها:

شيخ لنا يمشي على ما يضرنا وهو بالعيا من يوم شب و شاب

إلى أن قال:

لكن أذيال الدهم دهم آل راشد هما ليل صيف مقفيه سحاب

أنا كما حبس إليا أقفى واقبلن وإلا ملم الشرو تين حجاب

أول ما يثني عقيل ابن والدي وحصن وزبن الجاذبات حجاب

إلى أن قال:

تلاقى حميدان وسلطان مارد وهيا لذا من كف ذاك صواب

ضربه حميدان بزرقاسينة واودع صماصيم الدروع خراب

يسبوني بالقصر وانا ابن ضيغم أنا شوق ميثا للرجال عذاب

أنا جامع قصر بظفر وثروة واورد طعنات ماهن حساب

بلو موني وأنا على زغزغية على فلوة ما ضربت لضراب

ذبحت بالحدري ثمانين ملبس وروس العوايا ماهن حساب

وليا قضبت السيف بالكف لا تخف ما زمل ولو إن الجموع هضاب

أنا كما شعشاع نجم ليا شعق على هضبة يودع حصاد تراب

ولا ينفع المضيوم غير ابن عمه ليا عض به من غيرنا به ناب

بالإضافة إلى نماذج متعددة أخرى أحدث من هذه كقصة أخت حاكم ثرمدا، وكان من قصتها كما أوردها الرواة أن زوجة أخيها دبرت لها مكيدة بسبب الغيرة منها حين اتهمتها بعرضها، مما حدا بأخيها أن ينتقم منها بأن يطردها وبعد تكشف أمر المكيدة للفتاة الضحية قالت قصيدة منها:

لا جيت أخوي محمد شيخ ثرمدا قولوا ترن طيبة وبعافية وبريت

را برايي فتى الجود خير وا تري خير الخير بن بيت

شربت عرق طفطافة مستطفة وا على النبي وان كان عليت

وزوجة ابن عروج أمير بني لام وقصيدتها التي منها:

يا الله يا عايد على كل مظماه يا مخضر الأرض الهشيم المحايل

تلطف بمن لكن عينه مدواه اللي بقلبي حاميات الملايل

على حبيب كل ما قلت أبا انساه لاهي تفطني من الهجن حايل

إلى نسيته ذكرتني بطرياه شيا ظهر من عاصيات الجلايل

يلتاع قلبي كل ما أذكر سواياه كما يلوع الطير شبك الحبايل

لا وا حبيبي يتلف الهجن ممشاه إلى بغاله نية ما يسايل

لا وا حبيبي كل قوم تنصاه تلقى ربوعه طيبين القبايل

لا وا حبيبي وافيات سجاياه عليه غضات الصبايا غلايل

يا عارفين وديد يا طول هجراه ياليتني بوديد نبغي البدايل

اخلت أخوه أبي العوض ذاك من ذاه البيت واحد من كبار الحمايل

الزول زوله والخلايا حلاياه والفعل ما هو فعل واف الخصايل

وهذه أبيات أخرى لها من قصيدة ثانية له:

يا بكري وش علم حالك ضعيفي أشوف حالك داني عقب الاردام

عقب النسق ومها ذبك بالمصيفي ومصاول القعدان مرباعك العام

قطع عليك إدبار قوم تخيفي تسعين ليلة راكب الهجن مانام

أقفى عليك من الحسا للقطيفي لحوران والحرة إلى نقرة الشام

وأخذ عليك أذواد جو مريفي وصح كما برق الحباري بالأكوام

مشى من العارض بجيش يهيفي يتلون ابن عرج مقدم بني لام

زهاهم حب القرايا النظيفي واسلاحهم صنع الفرنجي والأروام

ياما القطع في ساقته من عسيفي ومن فاطر تقلط على الجيش قدام

خاتمة الكتاب

مما تقدم في فقرات هذا الكتاب يتبين لنا عدة أمور هي أقرب إلى الحقيقة من الخيال أو التخيل، ولئن وقف العديد من الباحثين أمام هذا المجهول متهيبين الدخول إلى عمقه أو حتى طرق أي جانب من جوانبه لعدم وجود الأسلحة التي تؤهلهم إلى خوض غماره، وهي المراجع والكتب التي يتسلحون بها لقياس غوره، واستخراج مكنونه واستجلاء حقائقه؛ هذه الفترة الزمنية الغامضة التي تقارب الألف سنة أو تزيد وهي عن بقعة بمكان الصدر من الجزيرة العربية، ومنها أو من خلالها تدفقت موجات من القبائل العربية إلى أنحاء الوطن العربي والإسلامي، فكيف يجهل تاريخ هذه المنطقة طيلة هذه القرون المتعاقبة؟ وهي كما رأينا في الفصول السابقة أنها بقعة عامرة بالسكان تتدفق حيوية ونشاطًا في كثير من الأوقات، وهي مصدر مهم لكثير من الأمور الحيوية والشاهد على ذلك المعالم التي مر ذكرها على استمراريتها، ولاشك أن المصادر الموجودة على الساحة الآن بين أيدي الباحثين لا تحتوي على شيء يروي الظمأ ويطفىء الغليل لدى الباحث، ولكن ليس معنى هذا أن يقف الباحث أمام هذا الواقع لا يتعداه وكأنه أمام جدار من الفولاذ الصلب الذي لا يؤثر في نقبه الأدوات التقليدية، وإنما ينبغي أن يخترق هذا الجدار ويصهر صفحته بألسنة عزيمته الملتهبة يخترق سماكته العريضة بصبره وجلده ومثابرته، حتى يصل إلى غايته، لا أن يقف متحيرًا يصفق كف يده بكف يده الأخرى ثم ينحرف إلى الأشياء الموجودة عنده من المراجع الخواء عما يبحث عنه دون أن يطمح إلى الحصول على البغية التي يطلبها

وربما استطاع باحث قوي العزيمة أن يكتشف هذا المجهول ويضيف شيئًا جديدًا يلقي مزيدًا من الضوء على بقعة تعتبر من أهم بقاع الجزيرة العربية بعد مكة والمدينة، حيث كانت مرابع العرب الأولى وموطن شعرائهم الذين حفظوا بقصائدهم إلى جانب القرآن الكريم اللغة العربية من الضياع وعلى تراثها وقعت أهم أيام العرب في جاهليتهم، فلو وقف الباحثون والمخترعون والمكتشفون أمام هذا المجهول في الأشياء التي توصلوا إليها لما اكتشفت الحضارة المصرية والبابلية والآشورية والفنيقية وموقع حضارة ثمود وجنوب اليمن، ولما عرفنا الأمريكتين واستراليا، ولبقينا نضيء بذبالة الشحم ونسافر على ظهور الإبل والدواب، ولبقي القمر كوكبًا مجهولاً لا يعرف كنهه أحد.

ولقد بدأ عدد من الأشياخ الأفاضل جزاهم الله خير جزاء ورحم الميت منهم، ومنح الحي الصحة والعافية لمزيد من العطاء الفكري: قاموا بالبحث والتحري والتنقيب عن المواقع بأنفسهم.

وتحملوا مشاق السفر ومتاعب الرحلات وتكاليفها ليس في أصقاع الجزيرة وحدها بل في البلدان الشاسعة للوصول إلى غايتهم فكثر الله خيرهم وكثر من أمثالهم وما أحرانا أن نقتدي بهم ونكمل المشوار الذي بدأوه وقد نصل إلى غايتنا، منهم الشيخ/ محمد بن عبد الله بن بلهيد رحمه الله والشيخ حمد بن محمد الجاسر رحمه الله، والشيخ محمد بن ناصر العبودي والشيخ عبد الله بن محمد بن خميس، والشيخ سعد بن عبد الله بن جنيدل رحمه الله والشيخ عاتق بن غيث البلادي ــ رحمه الله ــ وغيرهم ممن تناولوا البحث عن هذه المنطقة ووضعوا لنا عدة شمعات مضيئة لتنير لنا الطريق الذي قد يوصلنا إلى الغاية التي نصبو إليها.

والأمل اليوم معقود بأعناق الباحثين من شباب الجامعات السعودية السبع أو غيرها من الجامعات العربية والعالمية الأخرى أو الباحثين المتفرغين للبحث العلمي والتقصي عن هذه الفترة المجهولة.

لاشك أن الطريق شاق وصعب، لكن بالمثابرة والتصميم سيصل الإنسان إلى غايته ويبلغ هدفه، فرب كتاب مخطوط يوجد في أحد رفوف إحدى المكتبات أو الجامعات أو المتاحف يحتوي على تاريخ جزء من هذه الأجزاء، وليس ببعيد عنا مثل هذا العمل للعثور على الضالة المنشودة، تاريخ الأحساء، تلك المنطقة العريقة من بلادنا كانت مجهولة منه حلقة إلى عهد قريب رغم وجود المؤرخين بالعراق والشام، ولكن شاعراً من الأسرة الحاكمة بالأحساء آنذاك هو الشاعر/ علي بن المقرب العيوني رحمه الله قد سجل تاريخ تلك المنطقة في حقبة معينة من التاريخ لم تكن معروفة كما ينبغي، وبقي هذا الكنز مدفوناً إلى أن انبرى لهذا الديوان أحد أبناء هذا الوطن المخلصين وهو الدكتور/ علي بن عبد العزيز الخضيري لتحليل هذا الديوان وشرحه فظهرت حقيقة كانت غامضة بالأمس وأصبحت الآن معروفة للجميع (مع أن الكتب التاريخية المعروفة لم تشر إلى دولة العيونيين لا من قريب ولا من بعيد) ولم يكن هذا الكلام من عندي بل حقيقة لفتت ذهن عدد من كبار العلماء والمحققين منهم الدكتور/ شوقي ضيف الذي يقول (ولعل من الطريف أن نعرف أن دولة العيونيين التي حكمت إقليم الأحساء والقطيف وهجر والبحرين نحو مئة وسبعين عامًا لم تسجل أحداثها وشئونها التاريخية لا عند ابن الأثير ولا غيره من المؤرخين القدماء، ولولا أن شاعراً سجل كثيراً من هذه الشئون والأحداث في أشعاره لضاع منا تاريخ هذه

الدولة إلا قليلاً) ومنهم الشيخ حمد بن محمد الجاسر الذي أشار إلى الأهمية التاريخية لشعر ابن المقرب فقال: (ولولا أن قيض الله لهؤلاء القوم شاعراً منهم سجل أخبارهم ووصف كثير من أحوال حكمهم لجهلت أنباؤهم، وخفيت على الباحثين في التاريخ سيرهم).

إذا كان هذا الشاعر بالأحساء، فربما يوجد في المناطق الأخرى شعراء آخرون دونوا أحداث كيان من الكيانات أو إمارة من الإمارات في منطقة أخرى من هذه البقعة وربما يوجد كاتب أو مؤرخ دون شيئاً مهماً، أو على الأقل له قيمة تاريخية، وبقي ديوان هذا الشاعر أو كتاب ذلك الكاتب أو المؤرخ مخطوطاً من نسخة واحدة قد رقدت في أحد الرفوف يغطيها غبار النسيان وتجاعيد السنين بانتظار يد حفية أمينة تنفض عنها هذا الرداء الثقيل وتنفخ فيها روح الحياة وتبعثها من مرقدها الطويل لتخرج إلى الحياة وتقدم من مكنون صدرها الحقائق التي ضمت عليها جوانحها، ورب قطعة أثرية تكتشف تحت أنقاض أحد المواقع الأثرية تنبيء عن أشياء، وقطعة مثل (حجر رشيد) الذي من خلال محتواه تم اكتشاف الحضارة المصرية القديمة عند ترجمة اللغة التي احتواها هذا الحجر، فقد نجد مثل هذا الحجر في مدينة (الحجر) لنتعرف على اللغة الثمودية التي تملأ كتاباتها صفحات صخور الجبال في المنطقة التي امتدت إليه سلطة هذه الأمة ومنها شمال نجد مثل منطقة حائل والجوف وغيرها في وسط نجد بالإضافة إلى مدائن صالح مركز حضارتهم، هذا فيما يتعلق بالعصور القديمة أما الفترة التي نبحث عنها فالكتابة فيها باللغة العربية لا تحتاج إلى ترجمة وهذا مما يسهل علينا

معرفة ما دون عنها سواء أكان في كتب مخطوطة أو على مواد أخرى كالنقوش الجبسية أو الحفر على الأحجار، أو قطع الفخار وغيرها.

وما تقوم به جامعة الملك سعود بالرياض من جهود التنقيب عن المواقع الأثرية قد يكشف لنا أشياء ذات أهمية تاريخية هامة كالبعثة التي اكتشفت مدينة الفاو المدينة القديمة منذ العصور الغابرة بجنوب المملكة برئاسة الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري، والبعثة الأخرى التي تقوم بالتنقيب عن مدينة الربذة، المدينة الإسلامية بمنطقة القصيم برئاسة الدكتور سعد عبد العزيز الراشد، والتي ربما وجد فيها ما يفيد عن الفترة التي برزت فيها هذه المدينة وما جاورها من منطقة نجد، أو البعثة التي تنقب في مدينة فيد عن الآثار العباسية، وقد يوجد بدومة الجندل أو تيماء، وخيبر، والمجازة، والهدم (الهدام) وغيرها من المواقع الأثرية العديدة ما يضيف شيئًا إلى الموضوع.

وربما يوجد كتاب مخطوط لم ير النور بعد في أقصى غربي الكرة الأرضية بأمريكا أو دون ذلك في بريطانيا أو في أسبانيا، أو في الشمال عنا بتركيا أو في الشرق بالهند أو إيران أو إحدى الجمهوريات الإسلامية في روسيا، ويحتوي على معلومات هامة ومفيدة، ولكنه بطبيعة الحال لن يسعى إلينا، أو يحث الخطى نحونا وإنما يتطلب الوضع منا أن نهرع إليه، ونبحث في جوانبه بل المطلوب أن نستعيد كامل تراثنا العربي والإسلامي الموجود لدى الآخرين مهما كان ثمنه، لنطلع من خلاله على مختلف شئون حياتنا من تاريخه وأدبية واجتماعية وغيرها، فقد يكون في هذا التراث أشياء كثيرة، ذات أهمية كبيرة لنا وقد أستأثر بها

أعداؤنا في غفلة منا أخفوا جوانب نحن بأمس الحاجة إليها، وبقي لباب تراثنا بأيديهم لم يصلنا منه إلا القليل.

وحري بالشباب اليوم وقد أصبحوا يتقنون لغات القوم الذين يملكون ثروات تراثية أن يتفاهموا معهم، يناقشوهم، يفاوضوهم، يجادلوهم، يقاضوهم ليستعيدوا ما بأيديهم من هذا الكنز الثمين بالطرق المتاحة، حتى ولو كان صورة من المخطوطة بطرق التصوير الحديثة لنأخذ مكانتنا الصحيحة باستعادة حقوقنا المسلوبة ولنكن خير أمة أخرجت للناس، والأمل معقود بالله ثم بنواصي الشباب، والباحثين للوصول إلى هذه الغاية.

ومن جهة أخرى فهناك بعض المعلومات والنصوص التاريخية المبعثرة في بطون شتى الكتب ويجمعها في صدره بالإضافة إلى بعض ما قيل في هذه المنطقة من الشعر بما سمح به الحيز المخصص له، وذلك للدلالة على ما لهذه المنطقة في قلوب أهلها من مكانة رفيعة، ولم يقتصر هذا الحب على أهلها بل تعداهم إلى غيرهم ممن مر بها في سفر أو نجعة أو حج وزاد على أولئك من تغنى بها ممن لم يزرها وإنما سمع بها وأحب أن يجاري الشعراء فيما قالوا فيها ليشاركهم في تلك النغمة الخلابة والجرس المتراقص الذي يأسر الأسماع عند التغني بنجد وطيب هوائها وشذى أريجها وطيبة أهلها وروعة مرابعها وجودة مغانيها، ثم يتعرض لما أهمله المؤرخون وهو التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والبشري القابع وراء التاريخ السياسي يشد ظهره، والذي يعتبر الركيزة الأولى للتاريخ السياسي فلولا القوة الاقتصادية والقوة السكانية لما استطاع التاريخ السياسي أن يتحرك، ثم تعرض

للعوامل المساعدة لكي يقوم التاريخ السياسي وتبرز الكيانات السياسية الحضرية أو الزعامات السياسية القبلية.

وتعرض للبنية الأساسية التي تقوم عليها هذه العوامل من انتاجية واستهلاكية وألمح إلى الحركة السكانية من المهن القائمة في هذه المنطقة والتي إن لم تكن هناك نصوص تاريخية بها إلا أنها من بدهيات الأمور، فلولا قيام هذه المهن في المجتمع يومئذ لما استطاع المجتمع القبلي أن ينصب بيوت الشعر لكل أسرة بالحجم الذي يلائمهم وربما زاد عن حاجتهم؛ ولما استطاعوا أن يؤمنوا لأنفسهم أوعية الماء واللبن والسمن ولولا قيام هذه المهن بواجباتها لما استطاع المجتمع الحضري بناء البيوت وإقامة الحصون والقلاع وإقامة القرى والبلدات والمدن، وتعرض لكل من هذه المهن والخامات التي تعتمد عليها ومنتجاتها التي تفي بالحاجة المحلية ويصدر الفائض منها إلى الأقطار المجاورة ثم تعرض لما يكتنف هذه المنطقة من هذه المؤثرات المناخية المختلفة من الحر والبرد والرياح والأمطار والبرد والبرد بفتح الراء وأثر ذلك على سكان هذه البقعة وتناول الكوارث الطبيعية المؤثرة من قحط وجوع وجراد وبرد وبَرَدْ ولم يغفل الأمراض الفتاكة المحلية والوافدة التي تعصف بالمنطقة بين الحين والأخر من طاعون وملاريا وجدري وحصبة وغيرها وما لذلك من أثر واضح على السكان من حيث النقص والزيادة وبالتالي أثر ذلك على الكيان السياسي أو الزعامة القبلية، كما لم يغفل المؤثرات الخارجية من الأقطار العربية والأجنبية المجاورة وألقى بعض الضوء على تأثير طرق الحج التي تمر بها من العراق وبلاد من وراء النهرين، وألمح إلى الجانب الديني الذي يظلل المنطقة بمظلة الدين الإسلامي الذي لا يخالطه أي

دين آخر وما عليه حال الناس من التمسك بهذا الدين الحنيف مع احتمال وجود بعض الشواذ التي لا حكم لها ولم يغفل الجانب الأخلاقي الذي يتمسك به سكان المنطقة حتى في أحلك الظروف وأقصى الصعوبات وألقى شيئاً من الضوء على الجانب الاجتماعي بما فيه العادات والتقاليد والأعراف التي كان لها أثر كبير في الحفاظ على ملامح الهوية العربية الإسلامية لهذه المنطقة حيث أبقت بعض السمات العربية الأصيلة راسخة في النفوس منذ ما قبل انبثاق فجر الإسلام وحتى وقتنا الراهن مثل سجية الكرم والمروءة وحق الجار وحق الضيف ونحو ذلك مما يمتاز به إنسان هذه المنطقة، وكان لما أوضحه من الأسباب الكامنة وراء تحفظ السكان من الغرباء أو الأشياء الغريبة وذلك حرصاً على الجانب الديني من أن تشوبه أي شائبة بعد أن رأوا أثر ما شابه في بعض العصور من العوالق التي أثرت فيه لفترة معينة، ولم يصدقوا أن يعود الصفاء للدين من هذه العوالق حتى رضوا أن يدخل إليه من أي شوائب من الغرباء ويأتي الخوف على العرض بمنزلة قاصمة الظهر فكان لهذا التخوف ما يبرره ثم تعرض لبداية قول الشعر باللهجة العامية أو ما يسمى بالشعر العامي أو الشعبي.

وفي الختام جاء ما يشهد أن هذا الشعب في هذه المنطقة كانت له يد صانعة تصنع كل شيء تحتاجه بنفسها، لا تحتاج إلى أحد أن يصنعه لها أو تستورده من الخارج وبذلك حقق هذا الشعب الاكتفاء الذاتي بكل متطلبات الحياة آنذاك لمدة عشرة قرون أو بتعبير آخر ألف سنة أو تزيد، ونرجو من الله أن يشعر شباب هذا الشعب في الوقت الحاضر لمد يده إلى الصناعة مرة أخرى ويحقق

الاكتفاء الذاتي لمتطلبات العصر الراهن كما فعل أجداده من قبل بل ويزيد على ذلك بسباق الأمم المتقدمة في هذا العصر.

وقد أضيفت في الطبعة الثانية دولة كندة وحكامها وعلاقة نجد بما حولها ووضع تاريخ تقريبي معين لأيام العرب موضح في صدر الكتاب ليكون القارىء على علم ولو بتاريخ تقريبي لأيام العرب التي حصلت على أديم هذه المنطقة.

فهرس المصادر مرتبة هجائياً

- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ
  إبراهيم شعوط
  ط٦، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ابن عربي
  حمد بن محمد الجاسر
  ١٤١٤هـ/١٩٩٣م
  دار اليمامة الرياض
- ابن الساعي
  ت/ عبد الرحيم يوسف الجمل
  ١٤١٣هـ/١٩٩٣م
  مكتبة الأدب ــ القاهرة
- أبو علي الهجري
  تحقيق حمد بن محمد الجاسر
  ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م
  دار اليمامة ــ الرياض
- الآثار الباقية عن القرون الخالية
  محمد بن أحمد البيروني
  دار صادر ــ لبنان
- إتحاف الورى بأخبار أم القرى
  عمر بن محمد بن فهد القرشي
  مخطوط عام ٩١٢هـ
- اتعاظ الحنفاء
  أحمد بن علي المقريزي
  تحقيق محمد حلمي محمد
  ١٤١٦هـ/١٩٩٦م

٨- أجمل ما قاله الشعراء في نجد
د. عبد الملك بن علي الحيدي
١٤٣٧هـ/٢٠١٠م

٩- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي
تحقيق د. محمد مخزوم
١٤٠٨هـ/١٩٨٨م
دار إحياء التراث العربي ــ بيروت

١٠- الأحوال السياسية والاقتصادية في العهد المملوكي، د. رشاد مورتي
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
جامعة الملك سعود

١١- أحداث من الجزيرة العربية
عبد الكريم بن حمد الحقيل
١٤١٦هـ/١٩٩٥م

١٢- أخبار القرامطة، د. سهيل زكار
١٤١٠هـ/١٩٨٩م
دار الكوثر

١٣- الأذكياء، عبد الرحمن بن الجوزي القرشي
١٤١٥هـ/١٩٩٥م
دار الكتب العلمية بيروت

١٤- الأزمنة والأمكنة
لأبي علي المرزوقي
دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

-١٥ أسواق العرب في الجاهلية والإسلام
سعيد الأفغاني
١٤١٣هـ/١٩٩٣م
دار الكتاب الإسلامي

-١٦ الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى
أحمد بن خالد الناصري
١٣٧٤هـ/١٩٥٤م
دار الكتاب ــ الدار البيضاء

-١٧ أسماء جبال تهامة وسكانها
عرام بن الأصبغ السلمي
تحقيق عبد السلام هارون
١٤١١هـ/١٩٩١م
دار الجيل ــ بيروت

-١٨ الإسلام والعرب
روم لاندو
تعريب منير بعلبكي
١٣٨٢هـ/١٩٦٢م
بيروت ــ لبنان

-١٩ الاشتقاق
محمد بن الحسن بن دريد
تحقيق عبد السلام هارون
١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

-٢٠ أشعار اللصوص
عبد المعين سعيد الملوحي
ط٤
١٤١٣هـ/١٩٩٢م

-٢١ أصول الخيل العربية
حمد بن محمد الجاسر
١٤١٥هـ/١٩٩٥م
دار اليمامة ــ الرياض

-٢٢ الأصنام
هشام بن محمد السائب الكلبي
تحقيق د. محمد عبد القادر ورفيقه
مكتبة النهضة المصرية

-٢٣ أضواء على الخليج العربي
د. إبراهيم الشريفي
١٣٨٨هـ/١٩٦٨م

-٢٤ أطلس الشرق القديم
إبراهيم حلمي الغوري
دار الشرق العربي ــ بيروت

-٢٥ الاعتبار
أسامة بن منقذ، تحقيق قاسم السامرائي
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
دار الأصالة ــ الرياض

-٢٦ الأعلام، خير الدين الزركلي
ط٥
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م
دار العلم للملايين

-٢٧ أعلام الشعر اليمامي
عمران بن محمد العمران
١٤١٣هـ/١٩٩٢م
جمعية الثقافة والفنون

-٢٨ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ
محمد عبد الرحمن السخاوي
تحقيق فرانز روزنتال
دار الكتب العلمية ، بيروت

-٢٩ الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
١٤٠١هـ/١٩٨١م
دار الثقافة ــ بيروت

-٣٠ اكتشاف جزيرة العرب
جاكلين بيرين
تعريب قدري قلعجي
دار الفاخرية ــ الرياض

-٣١ آل ربيعة الطائيون
فرحان أحمد سعيد
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
الدار العربية للموسوعات ــ بيروت

-٣٢ الإمارة الطائية
د. مصطفى الحياري
١٣٩٧هـ/١٩٧٧م
وزارة الثقافة ــ عمان

-٣٣ الإمارة المزيدية
د. عبد الجبار ناجي
١٣٩٠هـ/١٩٧٠م
البصرة ــ العراق

-٣٤ الأمكنة والمياه والجبال
نصر بن عبد الرحمن الإسكندري
إعداد حمد بن محمد الجاسر
١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م
مركز الملك فيصل للبحوث

-٣٥ أنساب الأشراف
أحمد يحيى البلاذري
تحقيق د. أحمد حميد الله
ط٣ ــ دار المعارف ــ مصر

-٣٦ الأوضاع السياسية لمنطقة جازان
د. أحمد عمر زيلعي
١٤١٣هـ/١٩٩٢م
جامعة الملك سعود ــ الرياض

-٣٧ أيام العرب قبل الإسلام
أبو عبيدة معمر بن المثنى
تحقيق عادل جاسم البياتي
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
مكتبة النهضة العربية

-٣٨ أيام العرب في الجاهلية
محمد أحمد جاد المولى وزميلاه
١٣٦١هـ/١٩٤٢م
دار الفكر للطباعة والنشر

٣٩- أيام العرب في الإسلام
محمد أحمد جاد المولى وزميلاه
١٣٩٣هـ/١٩٧٣م
دار الفكر للطباعة والنشر

٤٠- الأيوبيون والمماليك
د. سعيد عبد الفتاح عاشور
١٤١٣هـ/١٩٩٢م
دار النهضة العربية ـ القاهرة

٤١- الإيناس في الإنسان
الحسين بن علي المغربي
إعداد حمد بن محمد الجاسر
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

٤٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور
محمد أحمد بن إياس الحنفي
تحقيق محمد مصطفى
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
الهيئة المصرية للكتاب القاهرة

٤٣- بدائع السلك في طبائع الملك
لأبي عبد الله بن الأزرق
تحقيق علي سامي النشار
وزارة الإعلام

٤٤- البداية والنهاية
أبو الفداء ابن كثير
١٣٥٢هـ ١٩٣٣م

٤٥- البرصان والعرجان
عمرو بن بحر الجاحظ
تحقيق محمد موسى الخولي
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
مؤسسة الرسالة ـ بيروت

٤٦- البروج وعلاقتها بالزراعة
د. علي بن عبد الله الجمعود،
عبد العزيز المرمش
١٤١٤هـ/١٩٩٤م

٤٧- بلاد الحجاز
د. سليمان عبد الغني مكي
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
دارة الملك عبد العزيز ـ الرياض

٤٨- البلاد العربية والدولة العثمانية
ساطع الحصري
١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
بيروت ـ لبنان

٤٩- بلاد العرب
الحسن بن عبد الله الأصفهاني
تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي
١٣٨٨هـ/١٩٦٨م

٥٠- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب
محمود شكري الألوسي
دار الشرق العربي
بيروت

٥١- بنو هلال أصحاب التغريبة
عمر بن عقيل الظاهري
د. عبد الحليم عويس
١٤٠١هـ/١٩٨١م
النادي الأدبي ـ الرياض

٥٢- بنو هلال بين السيرة والواقع
د. السيد حنفي عوض
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
نهضة الشرق ـ مصر

٥٣- بنو مرداس الكلابيون
د. محمد أحمد عبد المولى
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
دار المعرفة ـ الاسكندرية

٥٤- بنو الجلندي في عمان
ج. س. ولكنسن
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
وزارة التراث ـ عمان

٥٥- البيان والاعراب
أحمد علي المقريزي
تحقيق د. عبد المجيد عابدين
١٣٨١هـ/١٩٦١م
عالم الكتب ـ القاهرة

٥٦- تاريخ العرب قبل الإسلام
جرجي زيدان
تقديم د. حسين مؤنس
دار الهلال ـ القاهرة

٥٧- تاريخ التمدن الإسلامي
جرجي زيدان
تقديم حسين مؤنس
دار الهلال ـ القاهرة

٥٨- تاريخ ابن خلدون
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون.
مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت

٥٩- تاريخ الأمم والملوك
محمد بن جرير الطبري
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
دار الكتب العلمية ـ بيروت

٦٠- تاريخ ثغر عدن
عبد الله الطيب بامخرمة
١٤٠٧هـ/١٩٨٧
منشورات المدينة ـ صنعاء

٦١- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس
حسين بن محمد الديار بكري
١٢٨٣هـ/١٨٦٦م
دار صادر ـ بيروت

٦٢- تاريخ [illegible]
إبراهيم بن علي الحنظلي
د/ محمد بن مسلط الشتري
١٤١٣هـ/١٩٩٣م

٦٣- تاريخ عمان
ولدفيلبس
تعريب محمد عبد الله
١٤٠١هـ/١٩٨١م
وزارة التراث ـــ عمان

٦٤- تاريخ الجزيرة العربية
د. علي أكبر فياض
تعريب د. عبد الوهاب علوب
١٤١٣هـ/١٩٩٣م

٦٥- تاريخ الخلفاء
جلال الدين السيوطي
ت/د. قاسم الشماعي ورفيقه
١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
دار القلم ـــ بيروت

٦٦- التاريخ اليهودي العام
د. صابر طعيمة
١٣٩٥هـ/١٩٧٥م
دار الجيل ـــ بيروت

٦٧- تاريخ مدينة زبيد
عبد الرحمن بن علي الديبع
ت/ عبد الله الحبشي
١٣٩٩هـ/١٩٧٩م
مركز الدراسات ـــ صنعاء

٦٨- تاريخ اليمن
عمارة بن علي اليمني
ت/محمد علي الأكوع
١٣٩٦هـ/١٩٧٦م
المكتبة اليمنية ـــ صنعاء

٦٩- تاريخ دومة الجندل
معروف زريق
١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
دار الفكر ـــ دمشق

٧٠- تاريخ اليعقوبي
ت/ عبد الأمير محمد
١٤١٣هـ/١٩٩٣م
مؤسسة الأعلى ـــ بيروت

٧١- تاريخ ابن ضويان
إبراهيم بن سالم الضويان
ت/ إبراهيم بن راشد الصقير
١٤١٦هـ/١٩٩٥م
مكتبة الرشد ـــ الرياض

٧٢- تاريخ واسط
أسلم بن سهل الرزاز
ت/ كوركيس عواد
١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
عالم الكتب ـــ بيروت

٧٣- تاريخ العرب في عصر الجاهلية
د. السيد عبد العزيز السالم
١٤٠٩هـ/١٩٨٩م
مؤسسة شباب الجامعة

٧٤- تاريخ الإسلام
حسن إبراهيم حسن
١٣٨٤هـ/١٩٦٤م

٧٥- تاريخ اليمامة
عبد الله بن محمد بن خميس
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

٧٦- تاريخ بغداد
أحمد بن علي البغدادي
دار الكتاب العربي ـــ بيروت

٧٧- تاريخ حمد بن لعبون
١٤٠٨هـ/١٩٨٨م
مكتبة المعارف ـــ الطائف

٧٨- تاريخ الكويت
د. أحمد مصطفى أبو حاكمة
١٣٨٧هـ/١٩٦٧م
الكويت

٧٩- تاريخ نجد
حسين بن غنام
ت/د. ناصر الدين الأسد
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

٨٠- تاريخ خليفة بن الخياط
ت/د. أكرم العمري
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
دار طيبة ـــ الرياض

٨١- تحفة الأشراف
عبد الله بن محمد السلفي
١٣٣٠هـ/١٩١١م
مكتبة إشاعة الإسلام ـــ دلهي

٨٢- تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء
محمد بن عبد الله العبد القادر
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
مكتبة الأحساء الأهلية

٨٣- تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق
عبد الله بن محمد البسام (مخطوط)

٨٤- تعريب النقود والدواوين
حسن علي حلاق
١٣٩٨هـ/١٩٧٨م
دار الكتب ـــ بيروت

٨٥- التواريخ الهجرية والأرخية
د. محمد عمارة
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

٨٦- التيجان في ملوك حمير
محمد بن عبد الملك بن هشام
بإشراف د. عبد العزيز المقالح
١٤٠٣هـ/١٩٩٣م
لجنة من العلماء

٨٧- جمهرة أنساب العرب
ابن حزم الأندلسي
١٤٠٣هـ/١٩٩٣م
لجنة من العلماء

٨٨- جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين
د. محمد السيد الوكيل
١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
دار المجتمع – جدة

٨٩- الجوهر الثمين
إبراهيم محمد العلائي (ابن دقماق)
ت. د. سعيد عبد الفتاح عاشور وزملاؤه
١٤٠٣هـ/١٩٩٣م
جامعة أم القرى

٩٠- الجوهرتين
الحسن بن أحمد الهمداني
أعده: حمد بن محمد الجاسر
١٤٠٨هـ/١٩٨٧م
دار اليمامة للبحث والترجمة

٩١- الحجاز واليمن في العهد الأيوبي
د. جميل حرب محمود حسين
١٤٠٥هـ/١٩٨٦م
مؤسسة تهامة – جدة

٩٢- حروب الردة
د. إليان شوماك
١٤١٥هـ/١٩٩٥م
دار الكنوز الأدبية – بيروت

٩٣- الحرف والصناعات في الحجاز
عبد العزيز بن إبراهيم العمري
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
الرياض

٩٤- حسن المناقب السرية
شافع بن علي عباس
ت. د. عبد العزيز عبد الله الخويطر

٩٥- الحكومات العربية في الهند
تعريب: عبد العزيز عبد الجليل
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
مؤسسة الرسالة

٩٦- الحماسة البصرية
علي بن حسن البصري
ت/ مختار الدين أحمد
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
عالم الكتب – بيروت

٩٧- حمزة بن بيض الحنفي
د. حمد بن ناصر الدخيل
١٤١٨هـ/١٩٩٧م
النادي الأدبي – الرياض

٩٨- الحياة العلمية والاجتماعية بمكة
طرفة عبد العزيز العبيكان
١٤١٦هـ/١٩٩٦م
مكتبة الملك فهد – الرياض

الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد

٩٩- الحياة الاجتماعية في نجد
عبد الرحمن بن علي العريني
١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

١٠٠- الحياة الاقتصادية والاجتماعية
د. عبد الله محمد السيف
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
مؤسسة الرسالة

١٠١- الخراج وصناعة الكتابة
قدامة بن جعفر
ت. د. محمد حسين الزبيدي
١٤٠١هـ/١٩٨١م
دار الرشيد – بغداد

١٠٢- الخفاجيون في التاريخ
د. محمد عبد المنعم خفاجي
١٣٨٥هـ/١٩٦٥م

١٠٣- خلق لا تطور
فريق من العلماء
تعريب/ إحسان حقي
دار النفائس – بيروت

١٠٤- خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام
أحمد زيني دحلان
١٣٠٥هـ/١٨٨٨م
المطبعة الخيرية – القاهرة

١٠٥- الخليج العربي في العصور الإسلامية
د. فاروق عمر
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
دار القلم – الإمارات العربية

١٠٦- دروب زبيدة
د. سعد بن عبد العزيز الراشد
١٤١٤هـ/١٩٩٣م
دار الوطن – الرياض

١٠٧- الدرر الكامنة
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
دار الجيل – بيروت

١٠٨- الدرر الفرائد المنظمة
عبد القادر بن محمد الجزيري
حققه: حمد بن محمد الجاسر
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

١٠٩- الدر الكمين بذيل العقد الثمين
نجم الدين بن محمد بن فهد
مخطوط ٩٢٤

١١٠- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة
أحمد بن علي المقريزي
ت/ محمد كمال عز الدين
عالم الكتب

١١١- الدرر يوسف بن عبد البر النمري
ت. د. شوقي ضيف
١٤١٥هـ/١٩٩٥م
الشروق الإسلامية – القاهرة

١١٢- دراسات إسلامية عن تجارة الحجيج
د. رشادة مورتي
أعداد ٧٤، ٨٠، ٩١، ٩٢، ١٩٩٤م

-١١٣ دراسات تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام
د. عبد الرحمن الأنصاري وزملاؤه
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م
جامعة الملك سعود

-١١٤ دليل الخليج ـــ تاريخ
ج.ج لوريمر
طبع على نفقة أمير قطر

-١١٥ دليل الخليج ـــ جغرافي
ج.ج لوريمر
طبع على نفقة أمير قطر

-١١٦ دومة الجندل
نايف بن علي الشراري
١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م
دارة الملك عبد العزيز

-١١٧ دول الإسلام
محمد أحمد الذهبي
١٣٦٥هـ/١٩٤٦م
حيدر أباد ـــ الهند

-١١٨ ديوان الأبيوردي
محمد أحمد إسحاق
ت.د. عمر الأسعد

-١١٩ ديوان الأعشى
د. رودلف جاير
شرح د. محمد محمد حسين
١٣٩٤هـ/١٩٧٤م
دار النهضة العربية ـــ بيروت

-١٢٠ ديوان حاتم الطائي
يحيى بن مدرك الطائي
ت. د. عادل سليمان جمال
١٤١١هـ/١٩٩٠م
مكتبة الخانجي ـــ القاهرة

-١٢١ ديوان علي محمد التهامي
١٣١١هـ/١٨٩٣م
مطبعة الأزهر ـــ القاهرة

-١٢٢ ديوان ابن رشيق القيرواني
ت/د. صلاح الدين الهواري
١٤١٦هـ/١٩٩٦م
دار الجيل ـــ بيروت

-١٢٣ ديوان ابن مقبل
ت. عزت حسن
١٣٨١هـ/١٩٦٢م
وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـــ دمشق

-١٢٤ ديوان أبي العتاهية
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م
دار صادر ـــ بيروت

-١٢٥ ديوان ابن حيوس
ت/ خليل مردم بك
١٣٧١هـ/١٩٥١م

-١٢٦ ديوان الصمة بن عبد الله القشيري
ت.د. عبد العزيز محمد الفيصل
١٤٠١هـ/١٩٨١م
النادي الأدبي ـــ الرياض

-١٢٧ ديوان يزيد بن الطثرية
ت.د. ناصر بن سعد الرشيد
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م
دار مكة للطباعة

-١٢٨ ديوان الأبيوردي
ت.د. عمر الأسعد
١٣٩٥هـ/١٩٧٥م
مطبعة زيد بن ثابت ـــ دمشق

-١٢٩ ديوان ذي الرمة
شرح أحمد بن حاتم الباهلي
ت.د. عبد القدوس أبو صالح
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

-١٣٠ ديوان ابن المقرب العيوني
ت. عبد الفتاح محمد الحلو
١٤٠٨هـ/١٩٨٨م
مكتبة التعاون الثقافي

-١٣١ ديوان عدي بن زيد العبادي
ت.د. محمد علي الهاشمي
١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

-١٣٢ الذهب المسبوك فيمن حج من الملوك
أحمد علي المقريزي
ت.د. جمال الدين الشيال
١٣٧٥هـ/١٩٥٥م
مكتبة الخانجي ـــ القاهرة

-١٣٣ ذم النساء في التراث العربي
جمال فرحات
١٤١٤هـ/١٩٩٣م
الدار العالمية ـــ بيروت

-١٣٤ الربذة
د. سعد عبد العزيز الراشد
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
جامعة الملك سعود ـــ الرياض

-١٣٥ الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية
د. بيتر برنت
تعريب: د. عبد الله آدم نصيف
١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

-١٣٦ رحلة ابن بطوطة
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
دار بيروت للطباعة

-١٣٧ رحلة ابن جبير
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م
دار بيروت للطباعة

-١٣٨ رحلة في الشعر اليمني
عبد الله صالح البردوني
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
دار العودة ـــ بيروت

-١٣٩ الرسول القائد
اللواء محمد شيت خطاب
١٣٨٠هـ/١٩٦٠م
مكتبة الحياة ـــ بيروت

-١٤٠ الروض البسام
محمد أبو الهدى الصيادي
١٤١٢هـ/١٩٩١م

١٤١- سفر نامة
ناصر خسرو العلوي
تعريب د. يحيى الخشاب
١٤١٣هـ/١٩٩٣م
الهيئة المصرية للكتاب

١٤٢- سلاجقة الشام والجزيرة
د. رشيد يوسف
١٤٠٩هـ/١٩٨٨م

١٤٣- السلوك لمعرفة دول الملوك
أحمد بن علي المقريزي
ت: د. محمد مصطفى زيادة

١٤٤- سمط النجوم العوالي
عبد الملك بن حسين العصامي
المطبعة السلفية ــ مصر

١٤٥- سني ملوك الأرض
حمزة بن حسن الأصفهاني
دار مكتبة الحياة ــ بيروت

١٤٦- سيرة خالد بن الوليد
محمد سعيد العرفي
١٣٥٣هـ/١٩٣٥م
مطبعة ابن زيدون ــ دمشق

١٤٧- السيرة النبوية
ابن هشام
ت: د. مصطفى السقا وزميلاه

١٤٨- شاعر وقصيدة
مصطفى طلاس
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
دار طلاس للدراسات والترجمة

١٤٩- شبه جزيرة العرب (نجد)
محمود شاكر
١٣٩٦هـ/١٩٧٦م
المكتب الإسلامي

١٥٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب
لابن عماد
١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

١٥١- شذى الند في تاريخ نجد
مطلق بن صالح بن مطلق
١٣٣٢هـ ــ (مخطوطة)

١٥٢- شروق الإسلام
د. محمود محمد زيادة
١٣٩١هـ/١٩٧١م
دار الطباعة المحمدية ــ القاهرة

١٥٣- شعر عليه وأخبارها
تحقيق د. وفاء السنديوني
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
دار العلوم ــ الرياض

١٥٤- شعر بني عقيل
د. عبد العزيز محمد الفيصل
١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

١٥٥- شعر قبيلة بني أسد
د. وفاء فهمي السنديوني
١٤٢١هـ/٢٠٠٠م
جامعة الملك سعود

١٥٦- الشعر الحجازي
د. عائض بنية الردادي
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م
مكتبة المدني ــ جدة

١٥٧- الشعراء الصعاليك
د. حسين عطوان
١٤٠٨هـ/١٩٨٨م
دار الجيل ــ بيروت

١٥٨- شعراء النصرانية
لويس شيخو
١٨٧٥هـ/١٩٦٧م
دار المشرق ــ بيروت

١٥٩- شعراء بني عامر
د. عبد الرحمن محمد الوصيفي
١٤١٥هـ/١٩٩٤م
نادي المدينة المنورة الأدبي

١٦٠- شهوان بن ضيغم العبيدي
أحمد بن فهد العريفي
١٤١٧هـ/١٩٩٦م

١٦١- صبا نجد
محمد بن عبد الله الحمدان
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م
النادي الأدبي ــ الرياض

١٦٢- صبح الأعشى
أحمد بن علي القلقشندي
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
دار الكتب العلمية ــ بيروت

١٦٣- صحيح الأخبار
محمد بن عبد الله البليهد
١٣٩٢هـ/١٩٧٢م

١٦٤- صفة جزيرة العرب
الحسن بن أحمد الهمداني
تح: محمد بن علي الأكوع
١٣٩١هـ/١٩٧١م
دار اليمامة ــ الرياض

١٦٥- الصناعات والحرف عند العرب
واضح الصمد
١٤٠٢هـ/١٩٨١م
المؤسسة الجامعية ــ بيروت

١٦٦- طرفة الأصحاب
عمر بن يوسف بن رسول
تح: د. تحرسيد
١٤١٢هـ/١٩٩٢م
دار صادر ــ بيروت

١٦٧- الطبقات الكبرى لابن سعد
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
دار صادر ــ بيروت

١٦٨- العرب على حدود بيزنطة
بيغوليفسكايا
تعريب صلاح الدين عثمان
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
دار الرواد ــ الكويت

١٦٩- العرب في العصور القديمة
د. لطفي عبد الوهاب يحيى
١٣٨٩هـ/١٩٦٩م
دار النهضة العربية ــ بيروت

١٧٠- العرب واليهود في التاريخ
د. أحمد سوسة
١٣٩٠هـ/١٩٧٠م
العربي للإعلان والنشر ــ دمشق

١٧١- العقد المسبوك
علي بن حسن الخزرجي
١٤٠١هـ/١٩٨١م
وزارة الإعلام ــ صنعاء

١٧٢- عشائر العراق
عباس العزاوي
١٣٦٥هـ/١٩٤٦م
مطبعة بغداد ــ بغداد

١٧٣- العطور وتاريخها ومصادرها
أدمون رودنيكا
تعريب. مهندس ميشيل خوري
١٤١٢هـ/١٩٩٢م
دار طلاس ــ دمشق

١٧٤- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين
محمد بن أحمد الحسيني الفاسي
١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
مؤسسة الرسالة

١٧٥- العقد الفريد
أحمد بن محمد بن عبد ربه
تح/ أحمد أمين وزملاؤه
١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م
دار الكتاب العربي

١٧٦- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان
بدر الدين محمود العيني
تح. د. محمود محمد أمين
الهيئة المصرية للكتاب

١٧٧- العقود اللؤلؤية
علي بن حسن الخزرجي
تح. محمد بسيوني عسل
١٣٣٢هـ/١٩١٤م
مطبعة الهلال ــ القاهرة

١٧٨- عقلاء المجانين
الحسن بن محمد بن حبيب
تح/د. عمر الأسعد
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
دار النفائس ــ بيروت

١٧٩- العلاقات بين الأمويين والعباسيين
د. عبد العزيز بن محمد اللميلم
١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
مؤسسة الرسالة ــ بيروت

١٨٠- علي بن مقرب العيوني
د. علي بن عبد العزيز الخضيري
١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٨١- العمدة
علي بن حسن بن رشيق
تح/ محمد محي الدين عبد الحميد
١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
دار الجيل ــ بيروت

١٨٢- العمران الريفي لعنيزة
د. عبد الرحمن بن عبد الله الواصل
١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
رسالة ماجستير

١٨٣- عنوان المجد في تاريخ نجد
عثمان بن بشر
١٣٨٥هـ/١٩٦٥م
مكتبة الرياض

١٨٤- العواصم من القواصم
لأبي بكر العربي
تح/ د. عمار الطالبي
١٤١٣هـ/١٩٩٣م
دار الثقافة ــ الدوحة

١٨٥- عيون الأخبار
عبد الله بن مسلم بن قتيبة
تح/ يوسف علي الطويل
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
دار الكتب العلمية بيروت

١٨٦- عيون الروضتين
عبد الرحمن أبو شامة
تح/ محمد حلمي ورفيقه
١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

١٨٧- غزوات الرسول
يوسف بن إسماعيل النبهاني
١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م
للقطم للنشر والتوزيع ــ القاهرة

١٨٨- فتوح البلدان
أحمد بن يحيى البلاذري
تح/إبراهيم الأبياري
١٣٨٢هـ/١٩٦٣م
دار الكتب الحديثة ــ القاهرة

١٨٩- فصيح العامي في شمال نجد
عبد الرحمن بن زيد السويداء
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
دار السويداء ــ الرياض

١٩٠- الفهرست
لابن النديم
١٣٩٨هـ/١٩٧٨م
دار المعرفة للطباعة ــ بيروت

١٩١- قبلة الفصول
كاظم عبد علي شكر
١٣٩٥هـ/١٩٧٥م
مطبعة القضاء ــ النجف

١٩٢- القرامطة والحركة القرمطية
إسماعيل المرعي
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
دار الجلال ــ بيروت

١٩٣- قلائد الجمان
أحمد بن علي القلقشندي
تح/ إبراهيم الأبياري
١٣٨٣هـ/١٩٦٣م
دار الكتب الحديثة ــ القاهرة

١٩٤- كندة وذروها
عبد الله بن مرعي بن محفوظ
١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

١٩٥- الكامل في التاريخ
لابن الأثير
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
دار الكتاب العربي

١٩٦- الكواكب والنجوم والمجرات
عبد المنعم السيد العشري
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
الهيئة المصرية للكتاب ــ القاهرة

١٩٧- لسان العرب
لابن منظور

١٩٨- المجاز بين اليمامة والحجاز
عبد الله بن محمد بن خميس
دار اليمامة ــ الرياض

١٩٩- المحدثون من اليمامة
د. محمد مصطفى الأعظمي
١٤١٥هـ/١٩٩٤م

٢٠٠- المحبر
محمد بن حبيب البغدادي
تح/إلزة ختن شتيتر
١٣٦١هـ/١٩٤٢م

٢٠١- مختلف القبائل ومؤتلفها
محمد بن حبيب البغدادي
إعداد / حمد بن محمد الجاسر
١٤٠٠هـ/١٩٨٠م
دار اليمامة ــ الرياض

٢٠٢- مدينة حريملاء
صالح بن ناصر الطعيس
١٣٩٠هـ/١٩٧٩م

٢٠٣- مروج الذهب
علي بن حسين المسعودي
١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
دار الكتب العلمية ــ بيروت

٢٠٤- مسالك الأبصار / قبائل
أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري
تح/ دورو تيا كرفولسكي
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
المركز الإسلامي للبحوث ــ بيروت

٢٠٥- مسالك الأبصار / تاريخ
أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري
تح/ دورو تيا كرفولسكي
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
المركز الإسلامي للبحوث ــ بيروت

٢٠٦- المسالك والممالك
لابن خرداذبة
تح/ د. محمد مخزوم
١٤٠٨هـ/١٩٨٨م
دار إحياء التراث العربي

٢٠٧- المسالك والممالك
إبراهيم بن محمد الأصطخري
تح/ محمد جابر الحيني
١٣٨١هـ/١٩٦١م
دار الثقافة ــ القاهرة

٢٠٨- مسيرة خالد بن الوليد
العميد محمد ماذون
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
دار الفكر ــ دمشق

٢٠٩- مشاهير كرماء العرب
هزاع بن عيد الشمري
١٣٨١هـ/١٩٧٨م

٢١٠- مصادر تاريخ الجزيرة
لجنة بإشراف د. عبد الرحمن الأنصاري
١٣٩٩هـ/١٩٧٩م
جامعة الملك سعود

٢١١- مصادر الشعر الجاهلي
د. ناصر الدين الأسد
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
دار المعارف ــ مصر

٢١٢- ما أصل الإنسان
د. موريس بوكاي
تعريب. مكتب التربية العربي
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
مكتب التربية العربي لدول الخليج

٢١٣- المعارف
عبد الله بن مسلم بن قتيبة
تح/د. ثروة عكاشة
١٤٢٦هـ/١٩٩٢م
الهيئة المصرية للكتاب ــ القاهرة

٢١٤- معجم ما استعجم
عبد الله بن عبد العزيز البكري
تح/ مصطفى السقا
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

٢١٥- معجم الشعراء الجاهليين
د. عفيفي عبد الرحمن
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
دار العلوم ــ الرياض

٢١٦- المعجم الجغرافي لبلدان المملكة
حمد بن محمد الجاسر
١٣٩٧هـ/١٩٧٧م
دار اليمامة ــ الرياض

٢١٧- المعجم الجغرافي لبلاد القصيم
محمد بن ناصر العبودي
١٣٩٦هـ/١٩٧٩م
دار اليمامة ــ الرياض

٢١٨- المعجم الجغرافي في عالية نجد
سعد بن عبد الله بن جنيدل
١٣٩٩هـ/١٩٧٩م
دار اليمامة ــ الرياض

٢١٩- المعجم الجغرافي لمنطقة اليمامة
عبد الله بن محمد بن خميس
١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

٢٢٠- المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية
حمد بن محمد الجاسر
دار اليمامة ــ الرياض

٢٢١- المعجم المختصر للوقائع
سالم بن سليمان العيسى
١٤١٦هـ/١٩٩٦م
دار النمو ــ دمشق

٢٢٢- معجم قبائل المملكة
حمد بن محمد الجاسر
١٤٠١هـ/ ١٩٨١م
النادي الأدبي ــ الرياض

٢٢٣- المغانم المطابة
محمد بن يعقوب الفيروزآبادي
تح/حمد بن محمد الجاسر
١٣٨٩هـ/١٩٦٩م

٢٢٤- المغازي
محمد بن عمر الواقدي
تح/د. مارسدن جونز
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م
دار عالم الكتب

٢٢٥- المفصل في تاريخ العرب
د. جواد علي
ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
جامعة بغداد ــ العراق

٢٢٦- المفضليات
المفضل بن محمد الضبي
شرح الأنباري
١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م
مكتبة الثقافة الدينية

٢٢٧- مقدمة ابن خلدون
المكتبة التجارية
القاهرة

٢٢٨- ملامح من تاريخ عمان
جمال الدين علي بن حبيب
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
وزارة الإعلام ــ عمان

٢٢٩- الملك الظاهر بيبرس
د. عبد العزيز بن عبد الله الخويطر
١٤٠٣هـ/١٩٨٩م

٢٣٠- ملوك كندة
جونار أولندر
ترجمة. عبد الجبار المطلبي
١٣٩٢هـ/١٩٧٢م
جامعة بغداد

٢٣١- مملكة كندة
د. عبد العزيز بن سعود الغزي
١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م
دارة الملك عبد العزيز ــ الرياض

٢٣٢- المنازل والديار
أسامة بن منقذ
تح. مصطفى حجازي
١٤١٢هـ/١٩٩٢م
دار سعاد الصباح ــ القاهرة

٢٣٣- المناسك وطرق الحج
لأبي إسحاق الحربي
تح/حمد بن محمد الجاسر
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
دار اليمامة ــ الرياض

٢٣٤- المنتخب في قبائل العرب
عبد الرحمن بن حمد المغيري
تح/أ.د. إبراهيم بن محمد الزيد
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

٢٣٥- المنمق في أخبار قريش
محمد بن حبيب البغدادي
تح/خورشيد أحمد فاروق
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٣٦- من أخبار القبائل في نجد
فائز بن موسى البدراني
١٤١٦هـ/١٩٩٦م
دار البدراني ــ الرياض

٢٣٧- من أعلام الشعر الجاهلي
عمران بن محمد العمران
١٤١٣هـ/١٩٩٢م
جمعية الثقافة والفنون ــ الرياض

٢٣٨- المواعظ والاعتبار
أحمد بن علي المقريزي
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
مكتبة الثقافة الدينية ــ القاهرة

٢٣٩- النجوم الزاهرة
يوسف بن تغري بردي
تح. جمال الدين الشيال ورفيقه
١٣٦٩هـ/١٩٥٠م
دار الفكر العربي ــ القاهرة

٢٤٠- نجد خلال القرن الأول الهجري
عبد الرحمن بن الجهيمي العبد الكريم
١٣٩٩هـ/١٩٧٩م
رسالة ماجستير

٢٤١- النخليات
إعداد د. عبد إبراهيم نصر
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م
دار الرشيد للنشر والتوزيع

٢٤٢- نجران في أطوار التاريخ
محمد بن أحمد العقيلي
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

٢٤٣- نزهة للقلتين في أخبار الدولتين
ابن الطوير
تح/ أيمن فؤاد سيد
١٤١٢هـ/١٩٩٢م
دار فرانتس شتاير ــ ألمانيا

٢٤٤- نشأة أمارة الرشيد
د. عبد الله بن صالح بن عثيمين
١٤١١هـ/١٩٩٠م
جامعة الملك سعود

٢٤٥- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب
علي بن سعيد الأندلسي
تح/د. نصرت عبد الرحمن
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

٢٤٦- النشاط التجاري في نجد
د. سلام شافعي محمود سلام
القاهرة

٢٤٧- نصيحة المشاور وتسلية المجاور
عبد الله بن أبي محمد بن فرحون
٧٧٩هـ/١٣٧٧م
(مخطوطة)

٢٤٨- نفوذ الأتراك في الخلافة الإسلامية
د. عبد العزيز بن محمد المسلم
١٤١٠هـ/١٩٨٩م

٢٤٩- النفوذ الفاطمي في بلاد الشام
د. محمد جمال الدين سرور
١٣٧٦هـ/١٩٥٧م
دار الفكر العربي ــ القاهرة

٢٥٠- النفوذ البرتغالي في الخليج
نوال حمزة الصيرفي
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
دارة الملك عبد العزيز ــ الرياض

٢٥١- الأمارة الأخيضرية
أيمن بن سعد الفحصان
١٤٣١هـ

أسماء الأعلام من الرجال مرتبة هجائياً

أسماء الأعلام من النساء مرتبة هجائياً

كتب صدرت للمؤلف

عنوان الكتاب	موضوعه	تاريخ الإصدار	الناشر
١- نجد في الأمس القريب	تراث	ط-٢-١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م	دار السويداء للنشر
٢- رئد	رواية	١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م	دار السويداء للنشر
٣-سحلوع وفروع (٣)أجزاء	قصص تراثية	١٤٠٦هـ/١٩٨٦م	دار السويداء للنشر
٤- العزوف	رواية	١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م	دار السويداء للنشر
٥- فصيح العامي في شمال نجد (٣) أجزاء	لغوي	١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ج٣/١٤١٢هـ/١٩٩١م	دار السويداء للنشر
٦- عناض الطفرة ونتاجها	رواية	١٤٠٧هـ/١٩٨٧م	دار السويداء للنشر
٧- رؤى المسافر	شعر فصيح	١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م	دار السويداء للنشر
٨- من شعراء الجبل العاميين (٣) أجزاء	شعر شعبي	١٤٠٨هـ/١٩٨٨م	دار السويداء للنشر
٩- الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد (٣) أجزاء	تاريخ	١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م	دار السويداء للنشر
١٠- لواعج	شعر فصيح	١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م	دار السويداء للنشر
١١- القهوة العربية	بحث	١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م	دار السويداء للنشر
١٢- قالع	رواية	١٤١١هـ/ ١٩٩٠م	دار السويداء للنشر
١٣- وقع وصدى	قصص تراثية	١٤١٢هـ/ ١٩٩١م	دار السويداء للنشر
١٤- نتائج الطفرة	رواية	١٤١٢هـ/ ١٩٩١م	دار السويداء للنشر
١٥- هواجس	شعر فصيح	١٤١٢هـ/ ١٩٩١م	دار السويداء للنشر
١٦- لطافيت(٣) أجزاء	تراث	١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م	دار السويداء للنشر

عنوان الكتاب	موضوعه	تاريخ الإصدار	الناشر
١٧- منطقة رمان	بحث	ط٢ ١٤١٣هـ/٢٠١٠م	دار السويداء للنشر
١٨- النخلة العربية	بحث	١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م	دار السويداء للنشر
١٩- أشجان	شعر فصيح	١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م	دار السويداء للنشر
٢٠- شذرات لامعة من روائع الشعر العربي ٣ أجزاء	شعر فصيح	ط٢ ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥	دار السويداء للنشر
٢١- عقيلات الجبل	بحث	١٤٢٦/ ١٩٩٦م	ط٢- دار الأندلس/ حائل
٢٢- النكهة الطائية في اللهجة الحائلية	بحث	١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م	دار الأندلس/ حائل
٢٣- شعراء الجبل شعر فصيح	شعر فصيح	١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م	ط٢- دار الأندلس/ حائل
٢٤- دور الشعر الشعبي أو النبطي (٣) أجزاء	شعر شعبي مشروح	١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م	دار السويداء للنشر
٢٥- نوّار الربيع الباسمة	نباتات برية	١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م	دار السويداء للنشر
٢٦- الحضارة النجدية	تاريخ	١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م	دار السويداء للنشر
٢٧- الثقافة والتعليم في منطقة حائل	تاريخ ثقافي	١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م	دار السويداء للنشر
٢٨- حفلات الزواج مظهر حضاري أم فقاعة صابون	تاريخ إجتماعي	١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م	دار السويداء للنشر
٢٩- نخل الناخ في منطقة حائل	تاريخ الكرم	ط٢. ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م	دار السويداء للنشر
٣٠- المرأة في مرآة الشعر	بحث		دار السويداء للنشر
٣١- الأدباء والكتاب في منطقة حائل	بحث	١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م	دار السويداء للنشر

٣٢- الأمثال الشعبية السائرة	ثقافة	١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م	دار السويداء للنشر
٣٣- منطقة حائل عبر التاريخ	تاريخ	١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م	دار السويداء للنشر
٣٤- اسهامات المرأة في الحياة العامة	تاريخ	١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م	دار السويداء للنشر
٣٥- السوانح والبوارح	تاريخ	١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م	دار السويداء للنشر
٣٦- بائع المساويك	رواية	١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م	دار السويداء للنشر
٣٧- الوجيب	شعر فصيح	١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م	دار السويداء للنشر
٣٨- الحروب والمجاعات والأمراض	تاريخ	١٤١٣هـ/ ٢٠١٠م	دار السويداء للنشر
٣٩- أجبال طيء الخمسة عرض	جغرافيا	١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م	دار السويداء للنشر
٤٠- النظراء ودورهم	تاريخ	١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م	دار السويداء للنشر

كتب في طريقها للنشر

١- شعراء الجبل الشعبيون طبعة ثانية تحتوي على أكثر من ٤٠٠ شاعر وشاعرة.

٢- رذاذ حبر.

٣- الجزء الرابع من قنابيت.

٤- الشاعر، فنان، ورسام، ومصور، ونحات.